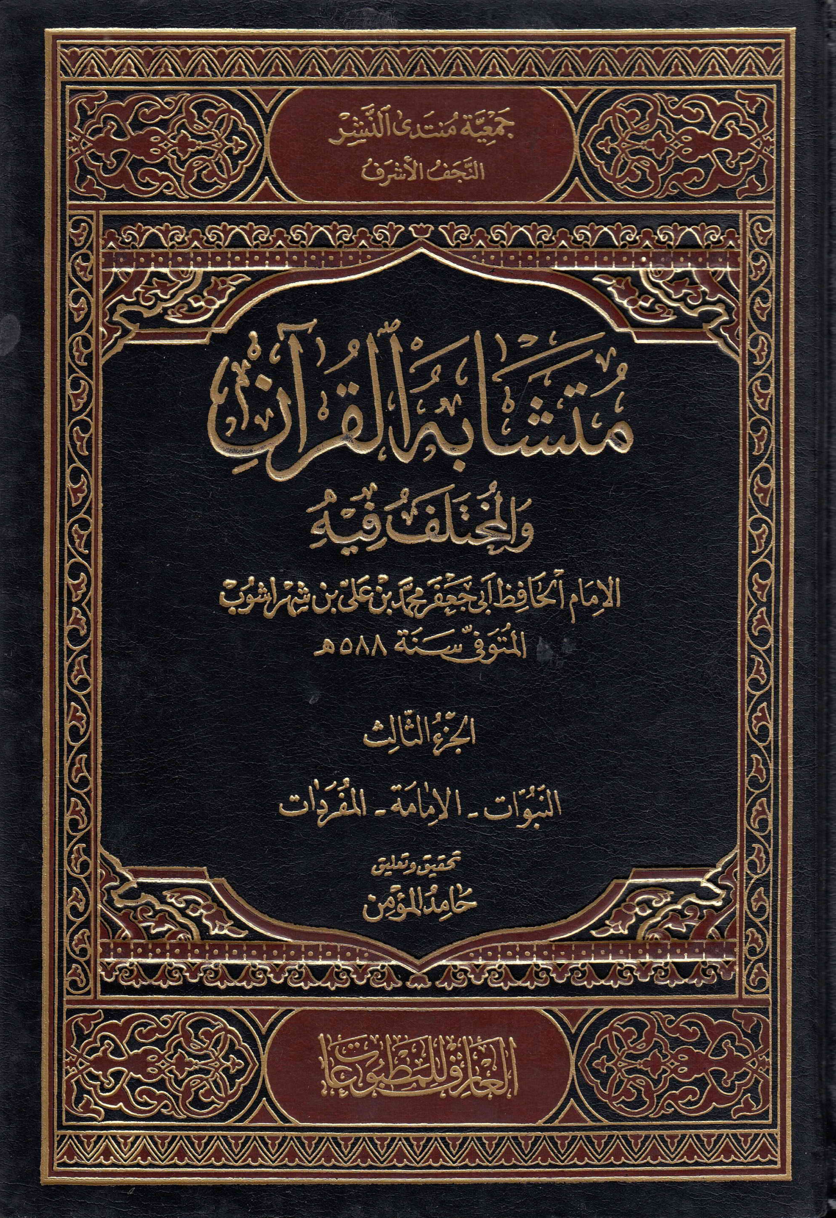

جمعية منتدى النشر
النجف الأشرف
متشابه القرآن
والمختلف فيه
الإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب
المتوفى سنة ٥٨٨ هـ
الجزء الثالث
النبوات - الإمامة - المفردات
تحقيق وتعليق
حامد المؤمن
العارف للمطبوعات




متشابه القرآن
والمختلف فيه
٣


بسم الله الرحمن الرحيم


اللهم صل على محمد وآل محمد

جمعية منتدى النشر
النجف الأشرف

متشابه القرآن والمختلف فيه

الامام الحافظ ابى جعفر محمد بن على بن شهراشوب
المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

الجزء الثالث

النبوات - الامامة - المفردات

تحقيق وتعليق
حامد المؤمن

العارف للمطبوعات

هوية الكتاب

اسم الكتاب: متشابه القرآن والمختلف فيه

الجزء الثالث

المؤلف: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهرآشوب

تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

تنضيد وإخراج فني: نصير علي موسى شُكر

القياس: ١٧ × ٢٤ (فني)

عدد الصفحات: ٥١٢ صفحة

الطبعة الاولى المنقحة

1429 هـ - 2008 م

الناشر

جَمْعِيَّةُ مُنْتَدَى النَّشْرِ

النَّجَفُ الأشرَفُ



مؤسسة العارف للمطبوعات

بيروت- لبنان

TLF:00961 1 452077

العراق - النجف الاشرف / الميدان

TEL: 00964 33 370636

MOB: 00964 7801327828

Url:www.alaref.net

Email:arefli@hotmail.com

/ ١٣٦ / بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيْمِ

فصل [ـ ٢٨ ـ]

[في قصّة نبيِّنا محمَّدٍ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُـهُ ـ تَعَـالى ـ في قِصَّـةِ نَبِيِّنَـا عليـهِ الصَّـلاةُ والسَّـلامُ ـ : ﴿لا أَعْبُـدُ مـا تَعْبُدُونَ﴾ (١)، وقَوْلُهُ: ﴿فَبِـأَيِّ آلاءِ رَبِّكُـما تُكَـذِّبانِ﴾ (٢)، وقَوْلُـهُ: ﴿فَوَيْـلٌ يَوْمَئِـذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣)، وقَوْلُهُ: ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ (٤).

قَالَ صَفْوانُ(٥) الجَمَّالُ(٦): جاءَ زَنْدِيقٌ إلى هشامِ بنِ الحَكَمِ، فَقَالَ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟

---

(١) الكافرون: ٢.

(٢) الرّحمن: ١٣. وفي مواضع أُخرى من هذه السورة.

(٣) الطّور: ١١.

(٤) النبأ: ٤.

(٥) أُنظر تفصيل المسألة في كنز الفوائد: ٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٦) في (أ): الحَمَّال. بالحاء المهملة.

قَالَ: أُمْرُؤُ[١] القَيْسِ.

قَالَ: أجَلْ! فَبِأيِّ شَيءٍ؟

قَالَ: بِقَوْلِهِ[٢]:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ [بِسِقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ]

قَالَ[٣]: لَوْ كَرَّرَ هذا أرْبَعَ مَرَّات، ما يَكُونُ عِنْدَكَ؟

قَالَ: مجْنونٌ!

قَالَ: فكيفَ لا تُجِنِّنُ نَبيَّكَ، إذ جَاءَ بـ﴿قُلْ يا أيُّهَا الْكافِرُونَ﴾[٤] السُّورَةُ[٥]؟

فَقَالَ: وَرَاءَكَ البابُ، فإنَّ لي شُغْلاً[٦]. وَرَحَلَ مِنْ سَاعَتِهِ إلى الصَّادِقِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وَحَكَى لَهُ جميعَ ذلِكَ، فَقَالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: لَيْسَ عَلَى ما ظَنَّهُ. إنَّ المُشْرِكينَ، اجْتَمَعُوا إلى النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام[٧] ـ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! أُعْبُدْ إلهنَا

(١) في (ش): امرئ. في حالة الجرّ.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٨. ومنه عَجْزُ البيت.

(٣) في (ك): قالوا. بإسناده إلى واو الجماعة.

(٤) الكافرون: ١.

(٥) سورة الكافرون ترتيبها في القرآن: السورة ١٠٩.

(٦) في (هـ): شعلاً. بالعين المهملة.

(٧) في (هـ) و(أ): صلّى الله عليه وآله.

يَوماً، نَعْبُدْ إلهكَ عَشْراً، واعبُدْ إلهنا شَهْراً، نَعْبُدْ إلهَكَ سَنَةً. فَأنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ﴾[1] يَوْماً، ﴿وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾[2] عَشْراً[3]، ﴿وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ﴾[4] شَهْراً، ﴿وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾[5] سَنَةً. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[6].

فَذَكَرَ هِشَامُ للزِّنْدِيقِ، فَقَالَ: لَيْسَ هذا مِنْ خُزَانَتِكَ؛ هذا مِنْ خُزَانَةِ غَيْرِكَ.

وَقَالَ ثَعْلَبُ[7]: إنَّما حَسُنَ التَّكْرَارُ، لأنَّ تَحْتَ كُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنىً، لَيْسَ هُوَ تَحْتَ الأُخرَى.

وَتَلْخِيصُ الكَلامِ: لا أعبُدُ ما تَعْبُدُونَ السَّاعةَ، وفي هذهِ الحالَةِ، وَلا أنتُمْ عابِدُونَ ما أعبُدُ في هذهِ[8] الحَالِ ـ أيضاً ـ. واختَصَّ الفِعْلانِ مِنْهُ، وَمِنْهُمْ بِالحالِ.

وَقَالَ ـ مِنْ بَعْدُ ـ: ولا أنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ في المُسْتَقْبَلِ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

---

(١) الكافرون: ١، ٢.

(٢) الكافرون: ٣.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): شهراً. وما أثبتناه من (ط).

(٤) الكافرون: ٤.

(٥) الكافرون: ٥.

(٦) الكافرون: ٦.

(٧) أمالي المرتضى: ١: ١٢١.

(٨) في (هـ) و(ح): فهذا.

أَعْبُدُ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ.

فاخْتَلَفَ المَعَاني، وَحَسُنَ التَّكْرَارُ لاخْتِلافِها.

وَقَالَ الفَرَّاءُ[١]: التَّكْـرَارُ للتأكِيـدِ، كَقَـولِ المُجِيـبِ ـ مُؤَكِّـداً ـ: بَـلَى، بَـلَى. والمُمْتَنِعِ: لا، لا. قَالَ الشَّاعِرُ[٢]:

كَـمْ نِعْمَـةٍ كَانَـتْ لَكُـمْ   كَـمْ، كَـمْ، وَكَـمْ [كانـتْ وكَـمْ]

وَقَالَ ابنُ قُتَيبةَ[٣]: جاءَتِ[٤] المُشْرِكُونَ إلى النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ فَقَالُوا لَـهُ: اسْتَلِمْ بَعْضَ أَصْنَامِنَا، حَتَّى نُؤْمِنَ بِكَ، ونُصَدِّقَ بِنُبُوَّتِـكَ. فـأَمَرَهُ اللهُ ـ تَعَـالى[٥] ـ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾.

ثُمَّ غَبَرُوا[٦] بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ، وَجَاؤُوهُ، فَقَالُوا لَـهُ[٧]، أُعْبُـدْ بَعْـضَ آلهَتِنـا، واسْتَلِمْ بَعْضَ أَصْنَامِنَا، يَوْمَاً، أَوْ شَهراً، أَوْ حَوْلاً، لِنَفْعَلَ مِثْلَ ذلِكَ بِإلهِكَ. فَـأَمَرَهُ

---

(١) معاني القرآن: ١: ١١٧.

(٢) معاني القرآن: ١: ١٧٧. تأويل مشكل القرآن: ٢٣٦. الصّاحبي: ٢٠٨ الصناعتين: ١٩٩ ومنه تكملة البيت، أمالي المرتضى: ١: ١٢١. فقه اللغة وسر العربية: ٣٧٣. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٥ وكلها بلا عزو إلى قائل.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٨.

(٤) في (ح): جاءَ. من دون تاء التأنيث.

(٥) (تعالى) ساقطة من (هـ) و(ح).

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): عبروا. بالعين المهملة. وهو تصحيف.

(٧) (له) ساقطة من (ح).

اللهُ بِأَنْ يَقُولَ: ﴿وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾ . أي: إنْ كُنْتُمْ لا تَعْبُدونَ إلهي إلّا بِهذا الشَّرْطِ، فَإنَّكُمْ لا تَعْبُدُوهُ[١] أَبَداً.

وَالجَوابُ القَرِيبُ: إنَّني لا أَعبُدُ الأصنامَ، الَّتي تَعْبُدونَها. ﴿وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾ أي: أَنْتُمْ غَيْرُ عابِدِينَ اللهَ، الَّذي أنا عَابِدُهُ، إذْ أَشْرَكْتُمْ بِهِ، واتَّخَذْتُمُ الأَصْنَامَ، وَغَيْرَهَا، مَعْبُودَةً مِنْ دُونِهِ. وَإِنَّما يَكُونُ عَابِداً، مَنْ أَخْلَصَ العِبَادَةَ لَهُ، دُونَ غَيْرِهِ، وَأَفْرَدَهُ بِهَا.

وقَوْلُهُ: ﴿وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ﴾ . أي: لَسْتُ أَعبُدُ عِبَادَتَكم. و«ما» في قَوْلِهِ: «مَا عَبَدْتُمْ» في مَوْضِعِ المصْدَرِ، كَما قَالَ: ﴿ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[٢]. يُرِيدُ: بِفَرَحِكُمْ، وَمَرَحِكُمْ.

ومَعْنَى قولِهِ: ﴿وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ﴾ ، أي: لَسْتُمْ عَابِدِينَ عِبَادَتي.

وَلَمْ يَتكَرَّرِ الكَلامُ إلّا لاخْتِلافِ المَعَاني.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٣]. لَيْسَ بِإبَاحَةٍ، وَإطْلاقٍ. وَإِنَّما هُوَ تَهْدِيدٌ، وَزَجْرٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾[٤].

---

(١) في النسخ جميعها: تعبدوه. بسقوط نون الرفع. والصواب: تعبدونه.

(٢) المؤمن: ٧٥.

(٣) الكافرون: ٦.

(٤) الإسراء: ٦٤.

ومَعْنَاهُ: لَكُمْ جَزاؤُكم، وَلِي جَزائِي. لأنَّ الدِّينَ هُوَ الجَزاءُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

فَكَأَنَّهُ قِيلَ لهم[2]: يَجِبُ عَلَيكُم الرُّكُوعُ لله ـ تعالى[3] ـ فارْكَعُوا. فأخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لا يَرْكَعُونَ، تَكْذِيباً لِهذا الخَبَرِ، فَلِهذا ـ عُقَيْبَ ذلِكَ ـ جاءَ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. وكذلِكَ الآياتُ الأُخَرُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾[4].

لا يجوزُ ـ عِنْدَ أَحَدٍ ـ أنْ يَمْنَعَ مِنْ سَماعِ الأدِلَّةِ، مَعَ التَّكْلِيفِ، ولابُدَّ / ١٣٧ / أنْ يُبَيِّنَ للجَمِيعِ ما كَلَّفَهُمْ، فَوَجَبَ أنْ يُسْمِعَهُمْ القُرْآنَ، لِثُبُوتِ التَّكْلِيفِ.

وَكانَ النَّبِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام[5] ـ يَتَحَدَّى الكُفَّارَ بِقِراءَتِهِ، وَقَدْ ذَمَّ اللهُ

---

(١) المرسلات: ١٥. وفي مواضع أُخرى من هذه السورة.

(٢) (قيل لهم) مطموسة في (هـ).

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) الإسراء: ٤٥.

(٥) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

- تعالى[١] - مَنْ مَنَعَ مِنْ[٢] اسْتِماعِهِ، قَوْلُهُ - تَعالى - : ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ﴾[٣]، وَوَبَّخَهُمْ لِتركِ تِلاوَتِهِ. قَوْلُهُ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[٤].

وَإِنَّهُ قَالَ: ﴿حِجاباً مَسْتُوراً﴾. [والحِجَابُ، يكونُ ساتِراً، لا مَسْتُوراً[٥]، فَيُحْمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ مَسْتُوراً أنتَ بِهِ. وَمَسْتُوراً[٦]]: حَائلاً[٧].

وَإِنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُصَرِّفُ الآياتِ، قَوْلُهُ: ﴿وَصَرَّفْنا فِيهِ﴾[٨]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[٩]، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾[١٠]، ﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ﴾[١١]، ﴿بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[١٢].

---

(١) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٢) في (هـ): منع سماعه.

(٣) فصّلت: ٢٦.

(٤) محمّد: ٢٤.

(٥) في (أ): الّا ستوراً. وهو تحريف.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٧) في النسخ جميعها: حالاً. وما أثبتناه هو الموافق للسياق.

(٨) طه: ١١٢.

(٩) الغاشية: ٢١.

(١٠) الشعراء: ٢١٤.

(١١) الحجر: ٩٤.

(١٢) المائدة: ٦٧.

وَيَدُلُّ [على] (١) أَنَّهُمْ كَانُوا غيرَ مَمْنُوعِينَ، لأنَّ(٢) في عُقَيْبِها: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ﴾ (٣).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ (٤).

والكافِرُونَ، كانُوا يَقْرِفُونَهُ(٥) بِأَنَّهُ سَاحِرٌ(٦).

المُرادُ: إنْ تَتَّبِعُونَ إلّا رَجُلاً، مُتَغَيِّرَ العَقْلِ، لأنَّ المشركينَ، كانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ، عَيْبُ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام(٧) ـ فَكَانُوا يَنْسبُونَهُ إلى أَنَّهُ سَاحِرٌ، وَمَجْنُونٌ، وَمَسْحُورٌ، وَمُتَغَيِّرُ العَقْلِ. ورُبَّما قَرَفُوهُ بِأَنَّهُ شَاعِرٌ.

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ النَّاسِ بأنْ يَصِفُوا مَنْ يُضِيفُونَهُ(٨) إلى البَلَهِ، والغَفْلَةِ، وَقِلَّةِ التَّحْصِيلِ بِأَنَّهُ مَسْحورٌ. والمَسْحُورُ: المَخْدُوعُ(٩)، المُعَلَّلُ. لأنَّ ذلِكَ، أَحَدُ ما

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٢) في (ح): أنّ

(٣) الإسراء: ٤٦.

(٤) الإسراء: ٤٧.

(٥) يقرفونه: يتهمونه ويرمونه.

(٦) في (أ): ساخر. بالخاء المعجمة من فوق.

(٧) في (ح): صلّى الله عليه وآله.

(٨) في (ش): يصفونه. بالصاد المهملة بعدها فاء موحدة. وفي (هـ): يضيقونه. بالضاد المعجمة والقاف المثنّاة.

(٩) في (ش): المخدع. من دون واو بين الدال والعين.

يُسْتَعْمَلُ فيهِ. قالَ أُمَيَّةُ بنُ الصَّلْتِ[(١)]:

فَــإنْ تَسْــأَلِيْنَا فِــيمَ نَحــنُ فَإنَّنَــا عَصَــافِيرُ مِــنْ هــذا الأنــامِ المُسَــحَّرِ

والسِّحْرُ ـ في لُغةِ العربِ ـ: الرِّئَةُ. وَقَالُوا: الكبِدُ[(٢)]. فكانَ المعنى ـ على هذا ـ: إنْ تَتَّبِعُونَ إلّا رَجُلاً ذا سِحْرٍ، خَلقَهُ اللهُ بَشَرَاً، كَخَلْقِكُمْ[(٣)].

و«المَسْحُورُ»، جاءَ بمعنى: السَّاحِرِ[(٤)]. قالَ اللهُ ـ تعالى[(٥)] ـ: ﴿وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾[(٦)]. أيْ: سَاتِراً. ومِنْهُ قَوْلُهُم: فُلانٌ مَشْؤومٌ على فُلانٍ، وَمَيْمُونٌ. وَهُمْ يُرِيدُونَ: شَائِمٌ لَهُ، وَيامِنٌ. لأَنَّهُ مِنْ: شَأَمَهُمْ، وَيَمَنَهُمْ.

وهذا ضَعِيفٌ، لأنَّ مَنْ لحِقَهُ الشُّؤْمُ، يُسمَّى: مَشْؤُوْمَاً[(٧)].

❀❀❀

(١) أمية بن أبي الصلت: حياته وشعره: ٣٤٠. وينسب ـ أيضاً ـ إلى لبيد بن ربيعة العامري. أُنظر ديوانه: ٥٦.

(٢) أمالي المرتضى: ١: ٥٧٨.

(٣) في (ح): مثل خلقكم.

(٤) أمالي المرتضى: ١: ٥٧٨.

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٦) الإسراء: ٤٥.

(٧) المسألة بتمامها في أمالي المرتضى: ١: ٥٧٧ ـ ٥٧٨.

فصل [ـ ٢٩ ـ]
[في قصّة نبيّنا محمّد ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى﴾[١].

أي: عَنِ النُّبُوَّةِ، أو عَنِ الشَّرِيعةِ، فَهَدَاكَ إليها. خَرَجَ مَخْرَجَ الامْتِنَانِ.

ولابُدَّ مِنْ تَقدِيرِ مَحْذُوفٍ، يَتَعَلَّقُ بِهِ الضَّلالُ، لأنَّ الضَّلالَ، هُوَ الذَّهابُ، والانْصِرافُ[٢]. ولابُدَّ مِنْ أنْ يَكُونَ مُنْصَرِفاً عَنْهُ.

وَمَنْ قَالَ: إنَّهُ أرَادَ: الذَّهابَ عَنِ الدِّينِ، يُقَدِّرُ هذِهِ اللَّفْظَةَ[٣]، ثُمَّ يَحْذِفُهَا، لِيَتَعَلَّقَ بِهَا لَفْظَةُ «الضَّال»[٤].

وَلَيْسَ هُوَ ـ بِذلِكَ ـ أوْلَى مِنَّا بِمَا قَدَّرْنَاهُ، وَحَذَفْنَاهُ. ثُمَّ إنَّهُ أرَادَ: الضَّلالَ عَنِ المعِيْشَةِ، وَطَرِيقِ التكَسُّبِ. أو: ضَالّاً بَيْنَ مَكَّةَ، والمدِينَةِ عِنْدَ الهِجْرَةِ. أو: مَضْلُولاً

(١) الضّحى: ٧.

(٢) في (أ): الانصاف.

(٣) في (أ): اللظفة. بالظاء بعدها الفاء. وهو تحريف.

(٤) في (ش) و(هـ) و(ك) و(ح): الضّلال.

عَنْكَ في قَوْمٍ لا يَعْرِفُونَ حَقَّكَ، فَهَدَاهُمْ إلى مَعْرِفَتِكَ، وأرْشَدَهُمْ إلى قَصْدِكَ. يُقالُ: فُلانٌ ضَالٌّ(١) في قَومِهِ، وَبَيْنَ أهْلِهِ. إذا كانَ مَضْلُولاً عَنْهُ.

وَقِيلَ: وَجَدَكَ لا تَعْرِفُ الشَّرْعَ، فَهَدَاكَ إليهِ.

وَقِيلَ: وَجَدَكَ في قَومٍ، يُخالِفُونَكَ، فَكأنَّكَ واحِدٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلّا إِذا تَمَنَّى الْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾(٢).

لَيْسَ فيها ما يدلُّ على الخُرافَةِ، الَّتي ذَكَرُوها. ويَقْتَضِي(٣) التِّلاوَةَ، كَما قالَ حَسَّانُ(٤):

تَمَنَّى كِتَابَ الله أوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرَهُ لاقَى حِمَامَ(٥) المَقَادِيرِ

(١) في (هـ): ظلَّ. وهو تحريف.

(٢) الحج: ٥٢.

(٣) في (ك) و(ح): تقتضي. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٤) أخلّ به ديوان حسّان بن ثابت بطبعاته المتعدّدة المختلفة. ثم أُنظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢: ١٨٦، وفيه: وافى حمام المقادر. الزاهر: ٢: ١٦٠ وكلها بلا عزو. متشابه القرآن: ٢: ٥١١. معزواً إلى حسّان. وفي التبيان في تفسير القرآن: ١: ٣١٩ معزواً إلى كعب بن مالك. مجمع البيان: ٤: ٩١ منسوباً إلى حسّان. ثُمّ لسان العرب (مني) غير معزو أيضاً.

(٥) في (ح): الحمام. مع (أل).

فَإِنْ أَرَادَ[1] التِّلاوَةَ، فَالمرادُ: إنَّ مَنْ أُرْسِلَ قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ، كَانَ إذا تَلا ما يُؤَدِّيهِ[2] إلى قَوْمِهِ، حَرَّفُوهُ عَلَيْهِ، بِزِيادَةٍ، أو نُقْصانٍ.

وأضافَ ذلِكَ إلى الشَّيطانِ، لأنَّـهُ يَقَعُ بِوَسْوَسَتِهِ[3]، وَغُرُورِهِ. وإنْ كَانَ المُرادُ، تَمَنِّي القَلْبِ، فالشَّيطانُ[4] مَتَى تَمَنَّى بِقَلْبِهِ بَعْضَ ما يَتَمَنَّاهُ مِنَ الأُمورِ، يُوسْوِسُ إليهِ البَاطِلَ، وَيُحَدِّثُهُ بِالمَعَاصِي، وَيُغْرِيهِ بها، وَيَدْعُوهُ إليها. فَإنَّ اللهَ ـ تعالى[5] ـ يَنْسَخُ ذلِكَ، ويُبْطِلُهُ بِمَا يُرْشِدُهُ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّيْطانِ، وَعِصْيَانِهِ، وَتَرْكِ غُرُورِهِ. ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ اللهَ، يُزِيلَ ذلِكَ، وَيَدْحَضُهُ[6] بِظُهُورِ حُجَّتِهِ، وَإِنَّما خَرَجَتِ الآيَةُ عَلى الوجُوهِ، مَخْرَجَ التَّسْلِيةِ لَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾[7] بِالعِتْقِ، والتَّبَنِّي، والمَحبَّةِ، والتَّزويجِ. يَعني: زَيْدَ بنَ حارِثَةَ، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ

---

(١) في (ش): فأرادَ.

(٢) في (أ): يُؤَدِّهِ.

(٣) في (ش): يوسوس. وهو تحريف.

(٤) في (هـ): والشيطان. مع الواو. والعبارة: «بوسوسته... فالشيطان» ساقطة من (أ).

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٦) في (ش): يدحظه. بالظاء المعجمة.

(٧) الأحزاب: ٣٧.

زَوْجَكَ﴾ (١).

وَذلِكَ أنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ أوْحَى إلى نَبِيِّهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: أنَّ زَيْداً سَيأْتِيهِ[٢]، مُطَلِّقاً زَوْجَتَهُ، وَأمَرَهُ أنْ يَتَزَوَّجها بَعْدَ فِرَاقِ زَيْدٍ لَهَا[٣]، لِيَكُونَ ذلِكَ، نَاسِخاً لِسُنَّةِ الجَاهِلِيَّةِ.

فَلَمَّا حَضَرَ زَيْدٌ، مُخَاصِمَ[٤] زَوْجَتِهِ، عَازِماً على طَلاقِهَا، أشْفَقَ النَّبِيُّ[٥] مِنْ أنْ يُمْسِكَ عَنْ[٦] وَعْظِهِ، وَتَذْكِيرِهِ، لا سِيَّما وَقَدْ كَانَ يَتَصَرَّفُ عَلَى أمْرِهِ، وَتَدْبِيرِهِ / ١٣٨ / ، فَيُرْجِفُ المُنَافِقُونَ بِهِ، إذا تَزَوَّجَ المَرْأةَ وَيَقْرِفونَهُ[٧] بِمَا قَدْ نَزَّهَهُ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ تبرِّئاً[٨] مِمَّا ذَكَرْنَاهُ، وَأخْفَى في نَفْسِهِ عَزْمَهُ على نِكَاحِها، بَعْدَ طَلاقِهِ لَهَا، لِيَنْتَهِيَ إلى أمْرِ اللهِ ـ تَعَالى ـ فِيها.

يَدُلُّ ـ على هذا التَّأْويلِ ـ قَوْلُهُ: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) يأتيه.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): بها.

(٤) في (أ): فخاصَمَ. بالفاء مع الفعل الماضي. وفي (ح): يخاصم. بصيغة المضارع.

(٥) في (ح): النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ.

(٦) في (ش) و(هـ) و(أ): مِنْ.

(٧) في (أ): يفرقونه. بالفاء الموحّدة بعدها راء مهملة ثم قاف مثنّاة. وهو تصحيف.

(٨) هكذا ورد في النسخ جميعها، والقياس اللغوي يقتضي أن يُقالَ: تَبَرِئَةً.

أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾[(١)].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾[(٢)].

أي: لِمَ قُلْتَ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وَقَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنَّها سَتَكُونُ مِنْ أَزْواجِكَ؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾[(٣)].

أَنَّهُ فَعَلَ ما غَيْرُهُ، أَوْلَى مِنْهُ، وَلَيْسَ يَكُونُ بِتركِ الأَوْلَى، عَاصِياً.

✿✿✿

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) الأحزاب: ٣٧.

فصل [ـ ٣٠ ـ]

[في قصّة نبيِّنا محمَّد ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قوله ـ تعالى(١) ـ: ﴿ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى...﴾(٢) إلى قَوْلِـهِ: ﴿... عَظِيمٌ﴾(٣).

لَفْظَةُ «نَبِيٍّ» نكِرَةٌ. وَلَيْسَ في ظَاهِرِها أَنَّهُ عُوتِـبَ في شـأْنِ الأَسْرَى(٤). بَـلْ يَقْتَضِي غَيْرَ ذلِكَ، لأنَّ قَوْلَـهُ: ﴿تُرِيـدُونَ عَـرَضَ الـدُّنْيا وَاللهُ يُرِيـدُ الآخِـرَةَ﴾(٥)، وقَوْلَهُ(٦): ﴿لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ...﴾(٧) الآية، لا شَكَّ أَنَّـهُ لِغَـيْرِهِ، فَيَجِـبُ أَنْ يَكُونَ المُعَاتَبُ، غَيْرَهُ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ أَمَرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ

---

(١) في (أ): سبحانه.

(٢) الأنفال: ٦٧.

(٣) الأنفال: ٦٨.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): الأسارى.

(٥) الأنفال: ٦٧.

(٦) في (هـ): قوله. من دون واو العطف.

(٧) الأنفال: ٦٨.

بَنانٍ﴾ (١) فَبَلَّغَ النَّبِيُّ - عَلَيهِ السَّلام - ذلِكَ إلى أصْحَابِهِ، فَخَالَفُوهُ، وَأَسَرُوا - يَوْمَ بَدْرٍ - جَمَاعَةً مِنَ المُشْرِكينَ، طَمَعَاً في الفِدَاءِ، فأنْكَرَ اللهُ - تعالى(٢) - ذلكَ عَلَيْهم، وَبَيَّنَ أنَّ الَّذي أمَرَهُ سِوَاهُ.

وقوله(٣): ﴿ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى...﴾ فَلا شَكَّ أنَّ الصَّحابَةَ، أَسَرُوهُمْ، لِيَكُونُوا في يَدِهِ. وَمُضَافُونَ إليهِ، وإنْ كَانَ لا يَأْمُرُهُمْ بِأَسْرِهِمْ، بَلْ بِخِلافِهِ(٤).

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ (٥).

هذا لَيْسَ(٦) يَقْتَضِي وقُوعَ مَعْصِيَةٍ، ولا غُفْرانَ عِقَابٍ، بَلْ القَصْدُ بِهِ التَّعْظِيمُ، وَالمُلاطَفَةُ في الخِطَابِ، كَما تَقُولُ: أرأيْتَ - رَحِمَكَ اللهُ -.

وَقَدْ بَدَأَ بِالْعَفْوِ، قَبْلَ العِتَابِ(٧).

---

(١) الأنفال: ١٢.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) في (أ): قوله. من دون واو العطف.

(٤) في (أ): بل يخافوا. وهو تحريف.

(٥) التوبة: ٤٣.

(٦) العبارة في (هـ): وهذا يقتضي ليس وقوع. وهي عبارة مضطربة.

(٧) في النسخ جميعها: العقاب. بالقاف المثنّاة. والسياق يقتضي ما أثبتناه.

«لِمَ أذِنْتَ لَهُمْ»: ظَاهِرُهُ(١)، الاسْتِفْهَامُ، والمُرادُ، التَّقْرِيرُ(٢)، وَلا يُحْمَلُ على العِتَابِ(٣)، لأنَّا نَقُول(٤) لِغَيرِنا: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ في حالِ اسْتِفْهامٍ، أوْ تَقْرِيرٍ.

وَكَيْفَ يَكُونُ ذلِكَ مَعْصِيَةً؛ و[قَدْ](٥) قالَ ـ تَعَالى ـ في موضِعٍ آخَرَ: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾(٦)؟

وَلَوْ كَانَ للْعِتَابِ(٧) ـ مُفْرَداً ـ لما دَلَّ. إلّا [على](٨) أَنَّهُ تَرَكَ الأَوْلى، وَتَرْكُ الأَوْلى، لَيْسَ بِذَنْبٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً﴾(٩).

الاسْتِغْفَارُ، قَدْ يَكُونُ عِنْدَ ذِكْرِ المُصِيبَةِ، بِمَا يُنَافِي الإصْرَارَ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ التَّسْبِيحِ، والانْقِطَاعِ إلى الله ـ تَعَالى ـ فَكَأَنَّهُ قَالَ: قَدْ حَدَثَ أمْرٌ يَقْتَضِي

---

(١) في (ك): ظاهرة. بالتاء المتحركة.

(٢) في (هـ): التقدير. بالدال المهملة بعد القاف.

(٣) في (هـ): العقاب. بالقاف المثنّاة. والعبارة: «لِمَ أذِنْتَ لَهُم... العتاب» ساقطة من (ك).

(٤) في (أ): يقول. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٦) النور: ٦٢.

(٧) في (هـ): العقاب. بالقاف المثنّاة ومن دون حرف الجر (اللام).

(٨) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٩) النصر: ٣.

الاسْتِغْفَارَ، مِمَّا جَدَّدَهُ[١] اللهُ لَكَ، فَاسْتَغْفِرْهُ بِالتَّوْبَةِ، يَقْبَلْ[٢] ذلِكَ مِنْكَ.

وَمَخْرَجُهُ، مَخْرَجُ الخِطَابِ للنَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وَهو تَعْلِيمٌ لِجَميعِ أُمَّتِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٣].

أي: يَتَسَاوى الاسْتِغْفَارُ لَهُمْ، وَعَدَمُ الاسْتِغْفَارِ؛ فَإِنَّ اللهَ، لا يَغْفِرُ لَهُمْ، لأنَّهُم يُبْطِنُونَ الكُفْرَ، وَإِنْ أَظْهَرُوا[٤] الإِيْمانَ.

وَقَالَ الحَسَنُ: أَخْبَرَ اللهُ ـ تَعَالى ـ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى النِّفَاقِ؛ فَلِمَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ بَعْدُ؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[٥]، وَنَحْوهُما.

فَهُوَ خِطابٌ، مُتَوجِّهٌ إلى النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام[٦] ـ وَهْوَ نَهيٌ لِجَمِيعِ المُكَلَّفِينَ.

***

(١) في (أ): جدّه.

(٢) في (ك): تقبَّلَ. بصيغة الماضي: في أولِهِ التاء الزائدة وتشديد الباء.

(٣) المنافقون: ٦.

(٤) في (أ): أظهر. من دون إسناد إلى واو الجماعة.

(٥) الضّحى: ٩، ١٠.

(٦) في (ك) و(هـ): صلّى الله عليه وآله.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَـكُ فِي ضَـيْقٍ مِمَّـا يَمْكُـرُونَ﴾(١). وَقَوْلُهُ: ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْـقَوْمِ الكَافِرِينَ﴾(٢).

لَيْسَ يَنْهَى عَنِ الحُـزْنِ، لأَنَّـهُ لا يَقْـدِرُ عَلَيْـهِ. لكنَّـهُ تَسْـلِيَةٌ للنَّبـيِّ ـ عَلَيْـهِ السَّلام(٣) ـ، وَنَهْيٌ عَنِ التَّعَرُّضِ للحُزْنِ.



(١) النّحل: ١٢٧.

(٢) المائدة: ٦٨.

(٣) في (ك) و(هـ): صلّى الله عليه وآله.

فصل [ـ ٣١ ـ]

[في قصة نبيِّنا محمّد ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [1].

كَانَ النَّبِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مُؤَيَّداً بِالوَحْي، كَامِلاً في الرَّأي، مُسْتَغْنِياً عَنِ الاسْتِفادَةِ. وَكَانَ مِمَّنْ يُوْثَقُ بِقَوْلِهِ، وَيُرْجَعُ إلى رَأْيِهِ.

فالوَجْهُ في ذلِكَ مَا قَالَ قَتَادَةُ [2]، والرَّبِيعُ [3]، وابنُ إسْحاقَ [4]: إنَّ ذلِكَ عَلَى [5] وَجْهِ التَّطْيِيب لِنُفُوسِهِمْ.

وَقَالَ سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ [6]: وَجْهُ ذلِكَ: لِتَقْتَدِيَ بِهِ أُمَّتُهُ في المُشَاوَرَةِ. ولا

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) جامع البيان: ٤: ١٥٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٥٢٧. الدر المنثور: ٢: ٣٥٨. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٢٥٠.

(٣) جامع البيان: ٤: ١٥٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٥٢٧. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٢٥٠.

(٤) جامع البيان: ٤: ١٥٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٥٢٧. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٢٥٠.

(٥) العبارة: «على وجه... ذلك» ساقطة من (أ).

(٦) في (هـ) و(أ): عتبة. بالتاء المثنّاة من فوق بعدها باء موحّدة من تحت.

يَرَوْنَها[١] مَنْزِلَةَ نَقِيصَةٍ، كَما مُدِحُوا بأنَّ أمْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُم.

وَقالَ الحَسَنُ[٢]، وَالضَّحَّاكُ[٣]: لإجْلالِ الصَّحابَةِ، واقْتِداءِ الأُمَّةِ بِهِ.

[وَ][٤] قالَ الجُبَّائِيّ[٥]: أنْ يَسْتَعِينَ بِرأيِهِمْ في بَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيا.

وَقالَ الشيخُ المُفِيدُ[٦]: وَجْهُ ذلِكَ: أنْ يَمْتَحِنَهُمْ، فَيَتَبَيَّنُ[٧] النَّاصِحُ في مَشُورَتِهِ مِنَ الغَاشِّ لَهُ، بِدَلالَةِ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾[٨]. عَلَّقَ الفِعْلَ بِعَزْمِهِ، دُونَ رَأْيِهِمْ. ألَا تَرَى أنَّهُمْ لَمَّا أشارُوا بِبَدْرٍ عَلَيْهِ في الأَسْرَى، جاءَ التَّوبِيخُ: ﴿مَا كانَ / ١٣٩/ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى﴾[٩].

***

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): ترونها. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٢) جامع البيان: ٤: ١٥٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٥٢٧. الدر المنثور: ٢: ٣٥٨. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٢٥٠ عن الحسن البصري.

(٣) جامع البيان: ٤: ١٥٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٥٢٧. الدر المنثور: ٢: ٣٥٨. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٢٥٠.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) مجمع البيان: ١: ٥٢٧.

(٦) قول الشيخ المفيد هذا في مجمع البيان: ١: ٥٢٧ غير معزوٌ إلى أحد.

(٧) في (ش): فيبيّن.

(٨) آل عمران: ١٥٩.

(٩) الأنفال: ٦٧.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ...﴾[١].

جَاهَدَ النَّبِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام[٢] ـ الكُفَّارَ، في حالِ حَيَاتِهِ، وأَمَرَ وَصِيَّهُ[٣] بِجَهادِ المُنَافقينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ. قولُهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: تُقاتِلُ النَّاكِثينَ، وَالقَاسِطِينَ، والمَارِقِينَ[٤]. وقولُهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ في حديثِ «خَاصِفِ النَّعْلِ»[٥]، وحديثِ «كِلابِ الحَوْأَبِ»[٦]، وحَدِيثِ «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ»[٧]، وَحديثِ «ذِي الثَّدْيَةِ»[٨]، وغيرِ ذلِكَ.

وَقِيامُ الوَصِيِّ ـ بَعْدَهُ ـ بِالجهَادِ يَدُلُّ على جِهَادِهِ.

وَيُقالُ: جَاهِدِ الكُفَّارَ بِالقِتَالِ، والمُنافقينَ بِالمَقَالِ. وإنَّما صَحَّ ذلِكَ، لَـمَّا كانَ

(١) التوبة: ٧٣.

(٢) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٣) هو عليٌّ بن أبي طالب ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

(٤) عيون أخبار الرِّضا: ٢: ٦١. باختلافٍ يسير في اللفظ. الخصال: ١: ١٤٥. مسند أبي يعلى الموصلي: ١: ٣٩٧. شرح الأُصول الخمسة: ٧٦١. فردوس الأخبار: ٣: ١٥٩ عن جابر.

(٥) مسند أبي يعلى الموصلي: ٢: ٣٤١ـ٣٤٢. فضائل الصحابة: ٢: ٦٢٧،٦٣٧. مسند أحمد: ٣: ٨٢.

(٦) تاريخ الطبري: ٤: ٤٦٩.

(٧) الطبقات الكبرى: ٣: ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٩. وهو حديث للنبيِّ صلى الله عليه وآله مخاطباً فيه عمّار بن ياسر (رضي الله عنه).

(٨) مسند أبي داود الطيالسي: ٢٤. مسند أبي يعلى الموصلي: ١: ٢٨١، ٣٦٥ـ٣٧٦، ٤٢١/ ٢: ٢٩٨ ـ ٢٩٩. تاريخ بغداد: ١:١٦، ١٧٤، ١٩٩.

في أصْحَابِهِ مُنَافِقُونَ.

***

قولُهُ ـ سبحانه: ﴿تِلْكَ آياتُ الله نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْـحَقِّ﴾ (١).

يَعْنِي بـ«الآيَاتِ»: ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ إماتَتِهِ أُلُوفاً، دُفْعَـةً [واحِـدَةً] (٢)، ثُـمَّ أَحْيَاهُمْ في مِقْـدَارِ سَـاعَةٍ. وَمِـنْ تَمْلِيـكِ طَـالُوتَ. مَـعَ خُمُولِـهِ (٣). وَمِـنْ نَصْرِهِ (٤) أصحابَ طَالُوتَ في قَتْلِهِم. ولا يَقْدِرُ عَلَيهِ غَيْرُ الله ـ تَعَالى ـ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْـمُرْسَلِينَ﴾ (٥).

فَائِدَةُ الجَمْعِ بَيْنَهُما، أشياءُ. مِنْهَا:

الإخبَـارُ بِمَا تَقَدَّمَ مِـنَ الدَّلالَةِ عَلَى النَّـبِيِّ [ـ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ ـ] (٦)، والتَّصدِيقُ بِتِلْكَ الأُمورِ لِنُبُوَّتِهِ، وَأَنَّهُ أَوْحَى إليهِ، واسْتَدْعَى (٧) القِيامَ بِمَا أُرْسِلَ بِـهِ بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وأَنَّهُ ـ كَمَا نَصَبَ تِلْكَ الآياتِ ـ جَعَلَكَ مِنَ المُرْسَلينَ.

---

(١) البقرة: ٢٥٢

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ك) و(ح).

(٣) في (ك): حمولة. بالحاء المهملة والتاء المربوطة المتحرِّكة.

(٤) في (أ): يضرّه. بياء المضارعة المثنّاة من تحت والضاد المعجمة. وهو تصحيف.

(٥) البقرة: ٢٥٢.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(ح).

(٧) في (ح): استدعاء. بصيغة المصدر.

فَصَارَتْ هذِهِ الآياتُ دِلالَةً على النُّبُوَّةِ مِنْ جِهَةِ أَنَّها إخبارٌ عَنْ غُيُوبٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١].

جَاءَتْ[٢] «أَوْ» بَعْدَ مَا لا يَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَيهِ، قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ مَعْطُوفٌ على قَوْلِهِ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً﴾[٣].

وَالمَعْنى: إِنَّهُ ـ تَعَالى ـ عَجَّلَ لَكُم هذا النَّصْرَ[٤]، وَمَتَّعَكُمْ[٥] بِهِ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٦] أي: قِطْعَةً مِنْهُمْ. وطائِفَةً مِنْ جَمِيعِهِمْ ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾[٧] أي: يَغْلِبَهُمْ، فَيُخَيِّبَ سَعْيَهُمْ[٨]، أَوْ يَعْطِفَهُمْ[٩] ما يُرِيدُونَ مِنْ تَظَاهُرِ آياتِ الله

(١) آل عمران: ١٢٨.

(٢) في (ش): جاز.

(٣) آل عمران: ١٢٧.

(٤) في (هـ): الضرر. وهو تحريف.

(٥) في (ش) و(ك): منحكم. وفي (هـ): فتحكم. وفي (أ): بتعكم. وما أثبتناه هو الموافق للسياق.

(٦) آل عمران: ١٢٧.

(٧) آل عمران: ١٢٧.

(٨) في (أ): شعيهم. بالشين المعجمة.

(٩) في (هـ): يغطفهم. بالغين المعجمة.

المُوْجِبَةِ لِتَصدِيقِ نَبِيِّهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ فَيَتُوبُوا وَيُؤْمِنُوا، فَيَقْبَلُ[(١)] اللهُ ذلِكَ مِنْهُم، وَيَتُوبَ عَلَيْهِم، أو يَكْفُرُوا بَعْدَ قِيَامِ الحُجَجِ، فَيَمُوتُوا، أَوْ يُقْتَلُوا كَافِرِينَ، فَيُعَذِّبُهُم اللهُ ـ تَعَالى ـ فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ مَعْطُوفاً على قَوْلِهِ: ﴿وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[(٢)].

أي: لَيْسَ لَكَ، ولا لِغَيْرِكَ مِنْ هذا النَّصْرِ شَيءٌ، وَإِنَّما هُوَ مِنَ [عند][(٣)] الله.

وَيُقالُ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ، أَوْ مِنْ أَنْ يَتُوبَ[(٤)] عَلَيهِمْ. فَأَضْمَرَ[(٥)] «مِنْ» اكْتِفَاءً بالأُولى، وَأَضْمَرَ «أَنْ» بَعْدَهَا، لِدِلالَةِ الكَلامِ عَلَيها، وَهيَ مَعَ الفِعْلِ ـ الَّذي بَعْدَها ـ بِمَنْزِلَةِ المَصْدَرِ[(٦)].

وَتَقْدِيرُ الكَلامِ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيءٌ، وَمِنْ[(٧)] تَوْبَتِهِمْ، وَعَذَابِهِمْ.

وَيُقَالُ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ، حَتَّى يَتُوبَ عَلَيهِمْ.

---

(١) في (ك): فيتقبَّل.

(٢) البقرة: ١٢٦.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) في (أ): يتعب. وهو تحريف.

(٥) في (هـ): أضمروا. بإسناده إلى واو الجماعة.

(٦) في (أ): المصدور.

(٧) العبارة: «ومن توبتهم... شيء» ساقطة من (أ).

كما قَالَ امرؤُ القَيْسِ[١]:

فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّما نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرا

أَرَادَ: إِلّا أَنْ نَمُوتَ[٢].

فَيكُونُ تَقْدِيرُ الكَلامِ: لَيْسَ مَا تُرِيدُهُ مِنْ تَوْبَتِهِمْ، أَوْ عَذَابِهِمْ بِكَ[٣]، وَإِنَّما يَكُونُ ذلِكَ باللهِ[٤] ـ تَعَالى ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلاَ الإِيمانُ﴾[٥].

يَعْنِي: مَا كُنْتَ قَبْلَ المَبْعَثِ تَدْرِي: مَا الكِتَابُ، وَلا مَا[٦] الإِيْمَانُ. أَوْ[٧] قُلْتَ: قَبْلَ البُلُوغِ.

***

(١) ديوان امرئ القيس: ٦٦.

(٢) كتاب سيبويه: ٣: ٤٧. المقتضب: ٢: ٢٨.

(٣) في (هـ): بل.

(٤) في (أ): بأنّ الله.

(٥) الشّورى: ٥٢.

(٦) (ما) ساقطة من (ح).

(٧) في النسخ جميعها: أو قلتَ. ولعلّها: أوقات.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾[(١)]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾[(٢)]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٣)].

المَعْنَى: أمَا عَلِمْتَ؟ وَأَنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ [التَّقْدِيرِ[(٤)]، كَقَوْلِهِ: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾[(٥)].

قَالَ الجُبَّائِيُّ[(٦)]: إِنَّما قَالَ اللهُ ـ تَعَالى ـ لَهُ ذَلِكَ لأمْرَيْنِ:

أَحَدُهُما]: التَّقْرِيرُ[(٧)]، والتَّنْبِيهُ، الَّذي يَؤُولُ إلى مَعْنَى الإيجَابِ، كَما[(٨)] قَالَ الشَّاعِرُ[(٩)]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

وَأنْكَرَ الطَّبَرِيُّ[(١٠)] أَنْ يَدْخُلَ حَرْفُ الاسْتِفْهامِ عَلَى حَرْفِ الجَحْدِ، بِمَعْنى

---

(١) العلق. ١٤.

(٢) البقرة: ١٠٧.

(٣) البقرة: ١٠٦.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) المائدة: ١١٦.

(٦) القول في مجمع البيان: ١: ١٨٢ من دون عزوٍ إلى أحد.

(٧) في (ح): التقدير. بالدال المهملة بعد القاف.

(٨) (كما) ساقطة من (ك). وفي (ح): قال جرير.

(٩) هو جرير: أُنظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: ١: ٨٩.

(١٠) جامع البيان: ١: ٤٨١.

الإِثْبَاتِ.

وَالثَّاني: أَنَّهُ خِطَابٌ للنَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وَالمُرادُ بِهِ أُمَّتُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ (١).



(١) الطلاق: ١.

فصل [ـ ٣٢ ـ]

[في قصّة نبيِّنا محمّد ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[1].

اقْترحُوا أنْ يَأْتيَهُمْ بِهَا مِنْ جِنْسِ مَا شَاؤُوا، لَـمَّا قَـالُوا: ﴿فَلْيَأْتِنـا بِآيَـةٍ كَـما أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾[2]. يَعْنُونَ: فَلْقَ البَحْرِ، وَإِحْيَاءَ المَوْتَى.

وَإِنَّما قَالُوا ذلِكَ، حِيْنَ عَجِزُوا عَـنْ مُعَارَضَـةِ القُـرْآنِ[3]، فَقَـالَ ـ تَعَـالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْـكِتابَ﴾[4].

وَقَالَ ـ هاهُنَا ـ قُـلْ ـ يـا مُحَمَّـدُ ـ: إنَّ اللهَ قـادِرٌ عَـلَى أنْ يُنَـزِّلَ آيَـةً، وَلكِـنَّ أَكْثَرَهُمْ، لا يَعْلَمُونَ مَا في إِنْزَالِهَـا مِـنْ وُجُـوبِ الاسْتِئْصَـالِ / ١٤٠/ لَهُـمْ، إذْ لَمْ يُؤْمِنُوا عِنْدَ نُزُولِهَا. وَبَيَّنَ أَنَّهُ لَوْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ[5]، لَمْ يُؤْمِنُوا، قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّنا

---

(١) العنكبوت: ٥٠.

(٢) الأنبياء: ٥.

(٣) في (أ): القربان، وهو تحريف.

(٤) العنكبوت: ٥١.

(٥) (عليهم ما أنزل) ساقطة من (أ).

نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْـمَلائِكَةَ...﴾ [١] إلى قَولِهِ: ﴿... ماكانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾ [٢].

[مَعْنَاهُ: إلّا أنْ يَشاءَ اللهُ] [٣] أنْ يُكْرِهَهُمْ.

وَقالَ: ﴿وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ [٤].

يَعنِي: الآيَاتِ، الَّتي اقْترحُوها لِلْإِيمانِ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا لَـمَّا رَأَوْهَا، فَوَجَبَ اسْتِئْصالُهُمْ.

وَقَالَ: ﴿وَقالُوا لَوْ لا أُنزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّما الآياتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ...﴾ الآية [٥].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْـمَلائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ﴾ [٦].

---

(١) الأنعام: ١١١.

(٢) الأنعام: ١١١.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) الإسراء: ٥٩.

(٥) العنكبوت: ٥٠، ٥١.

(٦) الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

فِيهِ دَلالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى شُبْهَةٍ، لأنَّ العَارِفَ بالله ـ تَعَالى ـ لا يَقُولُ هَذَا، لأَنَّهُ لا يَجُوزُ عَلَيهِ ـ تَعَالى ـ المُقَابَلَةُ، وَلا لَهُمْ اسْتِعْمَالُ هَذَا عَلَى مَعْنَى دَلائِلِ آيَاتِ الله، إذْ لا دَلِيلَ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، فَلا يَشرِطُ الظَّاهِرُ مَا لَيْسَ فِيهِ، لأَنَّهُ لَمْ تَثْبُتْ مَعْرِفَتُهم، وَحِكْمَتُهُمْ، فَيَنْصَرِفُ ذلِكَ عَلَى الظَّاهِرِ(١)، فَلِذلِكَ أَجَابَهُمْ اللهُ ـ تَعَالى ـ بِقَوْلِهِ(٢): ﴿قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾(٣).

وَإِنَّمَا أَجَابَهُمْ بِذلِكَ، لأنَّ المَعْنَى، الَّذي يَقْتَرِحُونَ مِنَ الآيَاتِ، لَيْسَ أَمْرُهَا إِلَيَّ، وَإِنَّمَا هِيَ إِلَى الَّذي أَرْسَلَنِي، وَالَّذي هُوَ أَعْلَمُ بِالتَّدْبِيرِ مِنِّي، وَمَا يَنْصِبُهُ مِنَ الدَّلِيلِ، فَلا وَجْهَ لِطَلَبِكُمْ هذَا مِنِّي(٤).

وَلا يَلْزَمُ إِظْهَارُ المُعْجِزَاتِ بِحَسَبِ اقْتِرَاحِ المُقْتَرِحِينَ، لأَنَّهُ لَوْ لَزِمَ ذلِكَ، لَلَزِمَ فِي كُلِّ حَالٍ، لِكُلِّ مُكَلَّفٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾(٥).

رَدٌّ عَلَى المُجْبِرَةِ(٦) مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ لله عَلَى الكَافِرِ نِعْمَةٌ، لأَنَّهُ ـ تَعَالى ـ بَيَّنَ أَنَّ

---

(١) في (ك) و(أ): الظاهرة.

(٢) (بِقَوْلِهِ) ساقطة من (هـ).

(٣) الإسراء: ٩٣.

(٤) (منّي) ساقطة من (ك).

(٥) الأنبياء: ١٠٧.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٧: ٢٥٢.

إِرْسَالَ اللهِ(١) رَسُوْلَهُ، نِعْمَةٌ عَلَى العَالَمِينَ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيهِ.

وَوَجْهُ النِّعْمَةِ عَلَى الكَافِرِ، عَرْضُهُ الإِيْمَانَ، وَلَطُفَ لَهُ فِي تَرْكِ مَعَاصِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ(٢): هِيَ نِعْمَةٌ عَلَى الكَافِرِ بِأَنْ عُوْفِيَ مِمَّا أَصَابَ الأُمَمَ قَبْلَهُمْ مِنَ الخَسْفِ، وَالقَذْفِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(٣).

لَيْسَ فِيهِ مَا بَهَتُوهُ. والشَّرْحُ، غَيْرُ الشَّقِّ. وَلا يَحْيَا الحَيُّ(٤)، بَعْدَمَا شُقَّ صَدْرُهُ. وَالمَعْصُومُ قَلْبُهُ(٥)، خَالٍ(٦) مِنَ الرَّيْنِ(٧). وَلَيْسَ فِي الظَّاهِرِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَقَالِهِمْ.

و«الوِزْرِ» هُوَ الثِّقْلُ. وَسُمِّيَتِ الذُّنُوبِ أَوْزَاراً، تَشْبِيهاً بِالثِّقْلِ(٨). والمُرادُ

---

(١) في (ح): الله تعالى.

(٢) جامع البيان: ١٧: ١٠٦. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٦٧. الدر المنثور: ٥: ٦٨٧. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٣٥٠.

(٣) الإنشراح: ١.

(٤) (الحي) ساقطة من (هـ).

(٥) في (هـ) و(أ): قبله. بالباء ثم اللام.

(٦) في (هـ) و(أ): حال. بالحاء المهملة.

(٧) في (ك) و(هـ): الدين. بالدال المهملة.

(٨) في (ك): بالنقل. بالنون الموحّدة من فوق.

ـ هاهُنا ـ عَمَهُ(١) مِنْ قَوْمِهِ. يُوْضِحُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٢).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾(٣).

«الذَّنْبُ» مَصْدَرٌ. وَقَدْ يُضَافُ إلى فَاعِلٍ، وَمَفْعُولٍ. قَوْلُهم: أَعْجَبَنِي ضَرْبُ زَيْدٍ عَمْرَاً. إذا أَضَافُوهُ إلى الفَاعِلِ. وَأَعْجَبَنِي ضَرْبُ زَيْدٍ عَمْرٌو. إذَا أَضَافُوهُ إلى المَفْعُولِ. فَيَكُونُ هذا مُضَافاً إلى المَفْعُولِ.

وَالمُرادُ: مَا(٤) تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِمْ إِليكَ في مَنْعِهِمْ إِيَّاكَ مِنْ مَكَّةَ.

وَ«المَغْفِرَةُ»: الإزَالَةُ، والنَّسْخُ لأَحْكَامِ المُشْرِكِينَ عَلَيهِ. أي: يُزِيلُ [اللهُ](٥) ذلِكَ عَنْكَ ويَسْتُرُ عَلَيكَ تِلْكَ الوَصْمَةَ، بِمَا يَفْتَحُ لَكَ مِنْ مَكَّةَ، فَسَتَدْخُلُها ـ فِيمَا بَعْدُ ـ.

وَعَلَى هذا الوَجْهِ، تَكُونُ المَغْفِرَةُ، غَرَضَاً(٦) في الفَتْحِ، وَجَزَاءً عَلَى الجِهَادِ.

---

(١) في (ك) و(ح): غمة. بالغين المعجمة والتاء المتحرّكة، وفي (هـ): غمه. بالغين المعجمة والهاء غير المنقوطة.

(٢) الإنشراح: ٤.

(٣) الفتح: ٢.

(٤) في (ك): هنا. وفي (أ): منا. وهو تحريف. وفي (ح): والمراد هنا ما.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (هـ): عوضاً. بالعين المهملة بعدها واو.

وَلَوْ أَرَادَ مَغْفِرَةَ ذُنُوبِهِ، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ﴾ [١] مَعْنَىً مَعْقُولٌ.

وَقَالُوا: ﴿ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ أي: مَا تَقَدَّمَ زَمَانُهُ مِنْ فِعْلِهِمْ القَبِيحِ بِكَ، وَبِقَوْمِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ.

وَقَالُوا: مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِ أُمَّتِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ بِشَفَاعَتِكَ.

وَمَعْنَى «التَّقَدُّمِ» [٢]، و«التَّأَخُّرِ»: مَا تَقَدَّمَ زَمَانُهُ، وَتَأَخَّرَ، كَمَا تَقُولُ: صَفَحْتُ عَنِ السَّالِفِ، وَالآنِفِ مِنْ ذُنُوبِكَ. وَغَفَرْتُ لَكَ مَا قَدَّمْتَ، وَأَخَّرْتَ. كَمَا [٣] يُقَالُ [٤] لِرَجُلٍ [٥] مِنْ قَبِيلَةٍ: أَنْتُمْ فَعَلْتُم كَذَا، أو: قَتَلْتُمْ [٦] فُلاناً. وَإِنْ كَانَ المُخاطَبُ، غَيْرَ شَاهِدٍ.

وَحَسُنَتْ إِضَافَةُ ذُنُوبِ أُمَّتِهِ إليهِ، للإتِّصَالِ.

وَرُوِيَ أَنَّ [٧] الصَّادِقُ [٨] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ سُئِلَ عَنْها، فَقَالَ: وَاللهِ! مَا كَانَ لَهُ

(١) الفتح: ١، ٢.

(٢) في (أ): التقديم. وهو تحريف.

(٣) في (ح): وكما.

(٤) في (هـ): يقول.

(٥) في (هـ): الرجل. من دون (أل) ومن دون حرف الجر (اللام).

(٦) في النسخ جميعها: قلتم. وهو تحريف. وما أثبتناه من (ط).

(٧) (أنّ) ساقطة من (ك).

(٨) مجمع البيان: ٥: ١١٠.

ذَنْبٌ، وَلكِنْ لَهُ أنْ يَغْفِرَ ذُنُوبِ شِيْعَةِ[١] عَلِيٍّ؛ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِمْ، وَمَا تَأَخَّرَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً...﴾[٢].

حَدِيْثُ المِعْرَاجِ، عَلَى أرْبَعَةِ أوْجُهٍ:

مِنْهَا[٣]: مَا يَقْطَعُ عَلَى صِحَّتِهِ الكِتَابُ، والسُّنَّةُ: أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ عَلَى الجُمْلَةِ.

وَثَانِيهَا: مَا وَرَدَ في ذلِكَ مِمَّا تُجَوِّزُهُ[٤] العُقُولُ، وَلا تَأبَاهُ الأُصُولُ، فَنَحْنُ نُجَوِّزُهُ، ثُمَّ نَقْطَعُ عَلَى أَنَّ ذلِكَ، كَانَ في يَقْظَتِهِ[٥]، نَحْوُ مَا رُوِيَ[٦] أَنَّهُ[٧] طَافَ[٨] في السَّمَواتِ، وَرَأَى الأَنْبِيَاءَ، وَالعَرْشَ، وَسِدْرَةَ المُنْتَهى، وَالجَنَّةَ، وَالنَّارَ.

وَثَالِثُهَا: مَا يَكُونُ ظَاهِرُهُ[٩]، مُخَالِفاً لِبَعْضِ الأُصُولِ، إلّا أَنَّهُ يُمْكِنُ

---

(١) في (ك) و(هـ): شيعته. بإضافته إلى (هاء) الغائب.

(٢) الإسراء: ١.

(٣) في (ح): أوّلها.

(٤) في (ش): يجوزه. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) في (هـ): يقضته. بالضاد المعجمة.

(٦) مجمع البيان: ٥: ١٧٤ ـ ١٧٥: الدر المنثور: ٥: ١٨٢ فما بعدها. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٠٥ فما بعدها.

(٧) في (ح): أنّه صلى الله عليه وآله.

(٨) في (أ): طاق. بالقاف المثنّاة.

(٩) في (أ): ظاهرة. بالتاء المربوطة المتحرّكة.

تَأْوِيلُهُ(١) عَلَى وَجْهٍ(٢)، يُوَافِقُ المَعْقُولَ. فَالأَوْلَى أَنْ نُؤَوِّلَهُ(٣) عَلَى مَا يُطَابِقُ(٤) الحَقَّ، نَحْو: أَنَّهُ(٥) رَأَى قَوْمَاً في النَّارِ، يُعَذَّبُونَ، وَقَوْمَاً في الجَنَّةِ فَرِحِينَ، فَيُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ رَأَى صِفَتَهُمْ، وَأَسْمَاءَهُمْ.

وَرَابِعُهَا: مَا لا يَصُحُّ ظَاهِرُهُ، وَلا يُمكِنُ تَأْوِيلُهُ، إِلّا عَلَى(٦) التَّعَسُّفِ البَعِيدِ. فَالأَوْلَى أَلّا نَقْبَلَهُ(٧). نَحْوُ: أَنَّهُ(٨) كَلَّمَ اللهَ جَهْرَةً، وَرَآهُ، وَقَعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَأَنَّهُ شَقَّ بَطْنَهُ، وَغَسَلَ.

ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ في المِعْرَاجِ:

فَالخَوَارِجُ(٩)، يُنْكِرُونَهُ.

وَقَالَتِ الجَهْمِيَّةُ(١٠): عَرَجَ بِرُوحِهِ، دُوْنَ جِسْمِهِ عَلَى طَرِيقِ الرُّؤْيا.

---

(١) في (ك) و(ح): تأويلها.

(٢) في (أ): وجهة.

(٣) في (ك) تؤوله. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق. وفي (أ): تأويله.

(٤) في (أ): يطاق. وهو تحريف.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٣٩٥.

(٦) في (ك): على آلة التعسف.

(٧) في (ك): تقبله. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٨) مجمع البيان: ٣: ٣٩٥.

(٩) في (ك): فالخواج. بسقوط الراء. وهو تحريف.

(١٠) في الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٠٨: ذهبت طائفة. دون النصّ على الجهميّة، ونسبه إلى معاوية وعائشة والحسن وابن إسحاق.

وَقَالَتِ المُعْتَزِلَةُ: بَلْ عَرَجَ بِرُوحِهِ، وَجِسْمِهِ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ.

وَقَالَ أصْحَابُنَا[١]، وَجَمِيعُ أصْحَابِ[٢] الحَدِيثِ، وَالتَّأْوِيلِ[٣]، وَالجُبَّائِيُّ[٤]، وَالطُّوسِيّ[٥]: بَلْ عَرَجَ بِرُوحِهِ، وَبِجِسْمِهِ إلى السَّمَواتِ حَتَّى بَلَغَ سِدْرَةَ المُنْتَهى في السَّماءِ السَّابِعَةِ.

وَالَّذي يَشْهَدُ بِهِ القُرْآنُ: أنَّ الإسْرَاءَ[٦] مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ. وَالبَاقِي، يُعْلَمُ بِالخَبَرِ[٧].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ الله يَجْحَدُونَ﴾[٨].

وَهَلْ الجَحْدُ بِآيَاتِهِ، إلّا تَكْذِيبُ نَبِيِّهِ [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ][٩]؟

---

(١) مجمع البيان: ٥: ١٧٤. علل الشرائع: التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٤٤٦.

(٢) الدرّ المنثور: ٥: ١٨٢ فما بعدها. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٠٥ فما بعدها.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٤٤٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٠٨.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٤٤٦.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٤٤٦.

(٦) في (ك): الأسرى. وهو تحريف.

(٧) التفسير الكبير: ٢٠: ١٤٦، ١٥٠، ١٥١.

(٨) الأنعام: ٣٣.

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

نَفى تَكْذِيبَهُمْ بِقُلُوبِهِمْ تَدَيُّناً، وَاعْتِقَاداً، وَإِنْ كَانُوا يُظْهِرُونَ بِأَفْواهِهِمْ[(١)] التَّكْذِيبَ. كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

قَالَ أَبو زَيْدٍ[(٣)] المَدَنِيُّ: لَقِيَ أَبو جَهْلٍ النَّبِيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام[(٤)] ـ فَصَافَحَهُ أَبو جَهْلٍ، فَقِيلَ لَهُ في ذلِكَ، فَقَالَ: ـ وَالله ـ أَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلكِنْ مَتَى كُنَّا تَبَعاً لِبَنِي عَبْدِ مُنَافٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ.

وَقَالَ الأَخْنَسُ[(٥)] ـ وَقَدْ سُئِلَ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِالسِّرِّ ـ: وَالله إِنَّ مُحَمَّداً، لَصَادِقٌ، وَمَا كَذَبَ قَطُّ، وَلكِنْ إِذَا ذَهَبَ بَنُو قُصَيٍّ بِاللِّوَاءِ، وَالحِجَابَةِ، وَالسِّقَايَةِ، وَالنَّدْوَةِ، وَالنُّبُوَّةِ، مَاذَا يَكُونُ لِقُرَيْشٍ؟

«فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ»: لا يَفْعَلُونَ ذلِكَ بِحُجَّةٍ، وَلا يَتَمَكَّنُونَ مِنْ إِبْطَالِ مَا جِئْتَ بِهِ. يُقَالُ: فُلانٌ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُكَذِّبَنِي، وَلا يَدْفَعُ قَوْلِي.

«لا يُكَذِّبُونَكَ»: لا يَلْقَوْنَكَ[(٦)] مُتَقَوِّلاً[(٧)].

---

(١) في (أ): بأهوائهم.

(٢) البقرة: ١٤٦.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٢٩٤. الدر المنثور: ٣: ٢٦٤ وفيهما: أبو يزيد المدنيّ. وهو الصواب. وَهُوَ مرويّ في الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٤١٦ عن أبي ميسرة.

(٤) في (ك): صلّى الله عليه وآله، وكلا العبارتين غير موجود في (هـ) و(أ).

(٥) مجمع البيان: ٢: ٢٩٤. وفي جامع البيان: ٧: ١٨٢: الرواية عن الأخنس بن شريق والقول لأبي جهلٍ.

(٦) في (أ): يقلونك. بقاف ثم لام. وهو تحريف.

(٧) في (ك): متقاولاً.

كَمَا تَقُولُ: قَاتَلْتُهُ فَمَا أحيَيْتُهُ[١]. وَحَادَثْتُهُ فَمَا أَكْذَبْتُهُ.

قَالَ الكِسَائِيُّ[٢]: أي: لا يَنْسِبُونَكَ إلى الكَذِبِ، فِيمَا أَتَيْتَ بِهِ، لأَنَّهُ كَانَ ـ عِنْدَهُمْ ـ أَمِيْناً.

قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾[٣]. وَلَمْ يَقُلْ: وَكَذَّبَكَ قَوْمُكَ[٤].

المَعْنَى: في قَوْلِهِ: ﴿لا يُكَذِّبُونَكَ﴾: إنَّ تَكْذِيبَكَ، رَاجِعٌ إِلَيَّ، وَعَائِدٌ [عَلَيَّ][٥]، وَلَسْتَ المُخْتَصَّ بِهِ. لأَنَّهُ[٦] رَسُولُ الله، فَمَنْ كَذَّبَهُ، فَقَدْ[٧] كَذَّبَ اللهَ.

﴿لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في الأَمْرِ الَّذي تُوَافِقُ[٨] فيهِ كُتُبَهُمْ، وَإِنْ كَذَّبُوكَ في غَيْرِهِ.

وَقَالَ المُرْتَضى[٩]: ﴿لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ جَمِيعُهُمْ، وَإِنْ كَذَّبَكَ[١٠] بَعْضُهُمْ، وَهُمُ

---

(١) في (ش): أجبته. بجيم معجمة من تحت بعدها باء موحدة من تحت. وهو تصحيف.

(٢) أمالي المرتضى: ٢: ٢٦٧. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٤١٧، بلفظ مختلف.

(٣) الأنعام: ٦٦.

(٤) في (هـ): وقومك. مع الواو.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(أ).

(٦) في (ك): لأنَّ، من دون ضمير الغائب (الهاء).

(٧) (فقد) ساقطة من (ك) و(أ).

(٨) في (ك): نوافق. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٩) أمالي المرتضى: ٢: ٢٦٧.

(١٠) في النسخ جميعها: كذبوك. بإسناده إلى واو الجماعة.

الظَّالِمُونَ الَّذينَ ذَكَرَ(١) في الآيةِ أنَّهُمْ يَجْحَدُونَ بآياتِ الله. وَهذَا تَسْلِيةٌ لِلْنَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أنَّهُ(٢) إنْ كَذَّبَكَ(٣) بَعْضُهُم، فَإنَّ فِيهِمْ مَنْ يُصَدِّقُكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمى...﴾(٤).

الآيَاتُ، ظَاهِرُها، لا يَدُلُّ عَلَى أنَّها خِطَابٌ لَهُ، بَلْ هُوَ خَبَرٌ مَحْضٌ، لَمْ يُصَرِّحْ بِالْمُخْبَرِ عَنْهُ. يَدُلُّ عَلَيهِ أنَّهُ وَصَفَهُ بِالعُبُوسِ، وَلَيْسَ هذا مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ في قُرْآنٍ، وَلا خَبَرٍ، مَعَ الأَعْدَاءِ المُبَاينِينَ، فَضْلاً عَنِ المُؤْمِنِينَ، المُسْتَرشِدِينَ. بَلْ في القُرْآنِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٥).

ثُمَّ إنَّهُ نَفَى عَنْهُ العُبُوسَ(٦)، وَنَحْوَهُ بِقَوْلِهِ(٧): ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٨).

---

(١) في (هـ): ذُكِرُوا. بصيغة المبني للمجهول وبإسناده إلى واو الجماعة.

(٢) (أنّه) ساقطة من (هـ).

(٣) في (ش): كذّبوك. مسنداً إلى واو الجماعة.

(٤) عبس: ١، ٢.

(٥) القلم: ٤.

(٦) في (أ): العبوش. بالشين المعجمة.

(٧) في (هـ): بقولك.

(٨) آل عمران: ١٥٩.

ثُمَّ إِنَّهُ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ يَتَصَدَّى للأَغْنِيَاءِ، وَيَتَلَهَّى بِالفُقَرَاءِ، وَهذَا مِمَّا لا يُوْصَفُ بِهِ النَّبِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لأَنَّهُ كَانَ مُتَعَطِّفاً، مُتَحَنِّناً. وَقَدْ أَمَرَهُ اللهُ ـ تَعَالى ـ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[(١)].

وَكَيْفَ يَقُولُ: ﴿وَما عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾[(٢)] وَهُوَ مَبْعُوثٌ للدُّعَاءِ، وَالتَّنبِيهِ؟ وَكَيْفَ يَجُوزُ ذلِكَ عَلَيهِ وَكَانَ هذا القَوْلُ إِغْرَاءً بِتركِ حِرْصِهِ عَلَى إِيْمانِ قَوْمِهِ؟

وَإِنَّما «عَبَسَ» صَحَابِيٌّ، ذَكَرْنَا شَرْحَهُ في المَثَالِبِ[(٣)].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً وَاسْتَغْفِرِ اللهَ...﴾[(٤)].

الخِطَابُ ـ وَإِنْ تَوَجَّهَ إلى النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مِنْ حَيْثُ خَاصَمَ مَنْ وَرَاءَهُ / ١٤٢/ عَلَى ظَاهِرِ الإِيْمانِ، وَالعَدَالَةِ، وَكَانَ في[(٥)] البَاطِنِ بِخِلافِهِ.

ـ فَلَمْ يَكُنْ ذلِكَ مَعْصِيَةً، لأَنَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام[(٦)] ـ مُنَزَّهٌ عَنِ القَبَائِحِ. وَإِنَّما

---

(١) الأنعام: ٥٢.

(٢) عبس: ٧.

(٣) كتاب للمؤلّف مفقود ـ كما أشرنا قبل صفحات ـ.

(٤) النساء: ١٠٥، ١٠٦.

(٥) في (هـ): لي.

(٦) في (ح): صلّى الله عليه وآله.

ذَكَرَ ذلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّأدِيبِ لَهُ في ألّا يُبَادِرَ إلى دَفْعِ الخَصْمِ، إلّا بَعْدَ أنْ يُبِيْنَ الحَقَّ مِنْهُ. وَالمُرَادُ ـ بِذلِكَ ـ أُمَّتُهُ.

عَلَى أنَّا لا نَعْلَمُ[1] أنَّ مَا رُوِيَ ـ في هـذَا البَابِ ـ وَقَعَ مِنَ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لأنَّ طَرِيقَهُ الآحَادُ[2].

وَلَيْسَ تَوَجُّهُ النَّهْيِ إليهِ، بِدَالٍّ عَلَى أنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ ذلِكَ المَنْهِيُّ عَنْهُ، كَمَا قَالَ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[3]. وَلا يَدُلُّ ذلِكَ عَلَى وُقُوعِ الشِّرْكِ مِنْهُ.

وَخُلاصَةُ الحَدِيث[4] ـ في ذلِكَ ـ: أنَّ قَتَادَةَ البَدْرِيَّ، رَمَى بَنِي أُبَيْرِق بالسَّرَقِ، فَشَكَا قَوْمُهُ إلى رَسُولِ الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ـ وَزَكَّوا الأُبَيْرِقَ، فَقَالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: عَمَدْتَ إلى أهْلِ بَيْتِ حَسَبٍ، وَنَسَبٍ، وَرَمَيْتَهُمْ بِالسَّرَقِ. وَعَاتَبَهُ، فَنَزَلَتِ الآيَةُ.



(١) في (أ): يعلم. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٢) في (ش): الأداء. وهو تحريف.

(٣) الزّمر: ٦٥.

(٤) صحيح الترمذي: ١١: ١٦٦. جامع البيان: ٥: ٢٦٥ ـ ٢٦٦. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ١٠٥. الدر المنثور: ٢: ٦٧٠ ـ ٦٧١. الجامع لأحكام القرآن: ٥: ٣٧٥.

فصل [ـ ٣٣ ـ]

[في قصّة نبيِّنا محمّد ـ عَلَيهِ السَّلام]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْـعابِدِينَ﴾(١).

أي: مِنَ الغِضَابِ الآنِفِينَ. مِنْ: عَبِدَ فُلانٌ: يَعْبَدُ: عَبْدَاً. إذا غَضِبَ.

وَيُقالُ: (أَوَّلُ العَابِدِينَ) أي: الجَاحِدِينَ بِمَا يَقُولُونَ.

وَيُقَالُ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْبُدُ عَلَى الوِحْدَانِيَّةِ(٢).

وَيُقَالُ: «أَوَّلُ العَابِدِينَ»: لأَنِّي إِذَا كُنْتُ مِنَ العَابِدِينَ، فَقَدْ نَفَيْتُ ذلِكَ عَنِ الرَّحمنِ، لأَنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ وَلَدَاً، فَلَيْسَ بِعَابِدٍ.

وَيُقَالُ: إنْ كَانَ للرَّحمنِ وَلَدٌ. أي: مَا كانَ. قَال المُرَقِّش(٣):

مَتَى ما يَشَأْ ذُو الوَصْلِ يَصْرِمْ خَلِيلَهُ وَيَعْبَدْ عَلَيهِ ـ لا مَحَالَةَ ـ ظَالِما

***

(١) الزّخرف: ٨١.

(٢) في (ك): الواحدانية.

(٣) المفضلّيات: ٢٤٦. الأصمعيات: ٢٤٦. وفيه: ذو الودّ... وهو معزوٌّ فيهما إلى المرقّش الأصغر.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(١).

لَيسَ مِنَ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ شَكٌّ. وَلكِنَّهُ أَبْهَمَ عَلَيهِمْ. وَهُوَ يَعْلَمُهُ، كَقَوْلِنا: قُلْ: إنْ شَاءَ اللهُ. وَالحَقُّ عِنْدَكَ. فِي خِلافِ مَا قَالَ إِلّا أَنَّهُ. كَأَنَّكَ أَرَدْتَ الكِنَايَةَ عَنْ تَكْذِيبِهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أَرَادَ أَنْ يَسْتَعْطِفَهُمْ، وَلا يَغْلِظَ عَلَيْهِم.

وَقِيلَ: تَقْدِيرُهُ: وَإِنَّا لَعَلَى هُدَىً، وَأَنْتُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ.

وَقِيلَ: إِنَّما قَالَ عَلَى وَجْهِ الإنْصَافِ فِي الحِجَاجِ، دُوْنَ الشَّكِّ، كَما يَقُولُ القَائِلُ ـ لِغَيْرِهِ ـ: أَحَدُنَا كاذِبٌ. وَإِنْ كَانَ هُوَ عَالِماً بِالكَاذِبِ.

وَقَالَ أَبُو الأَسْوَدِ(٢):

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ ... وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيّا

وَقَالَ أَبُو عُبَيدَةَ(٣): «أَوْ» بِمَعْنَى: «الوَاوِ». كَما قَالَ الأَعْشَى(٤):

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسِ أَوْ رِيَاحَا ... عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والخِشَابَا(٥)

***

(١) سبأ: ٢٤.

(٢) ديوان أبي الأسود الدؤلي: ١٧٧. وفيه: وفيهم أسوة إنْ كانَ غيًّا.

(٣) مجاز القرآن: ٢: ١٤٨.

(٤) نسبة البيت للأعشى ليست صحيحة وإنما هو لجرير. أُنظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: ٢: ٨١٤.

(٥) في (هـ) و(ح): فالخشابا. مع الفاء.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَداً قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾[١].

أي: لا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الضَّرَرِ عَنْكُمْ، وَلا إِيْصَالِ الخَيْرِ إِلَيكُمْ، وَإِنَّما يَقْدِرُ اللهُ عَلَى ذلِكَ. وَإِنَّما أَقْدِرُ عَلَى أَنْ أَدْعُوكُمْ إلى الخَيْرِ، وَأَهْدِيَكُمْ إلى الحَقِّ.

ثُمَّ قَالَ: [قُلْ][٢] لَهُمْ ـ يا مُحَمَّدُ ـ لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ [أَحَدٌ][٣]. أي: لا يَقْدِرُ أَنْ يُجيرَ على اللهِ أَحَدٌ، حَتَّى يَدْفَعَ مَا يُرِيدُهُ مِنَ العِقَابِ.

وَلَنْ أَجِدَ ـ أيضاً ـ مِنْ دُونِ اللهِ مُلْتَحَداً. أي: مُلْتَجَأً، إليهِ الْجَأُ، أَطْلُبُ بِهِ السَّلامَةَ[٤] مِمَّا يُرِيدُ اللهُ ـ تَعَالى ـ فِعْلَهُ مِنَ العَذَابِ.

وَأَضَافَهُ إلى نَفْسِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: أُمَّتُهُ، لأَنَّهُ لا يَفعلُ قَبِيحاً، فَيَخَافُ العِقَابِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾[٥].

أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ ـ عَلَى وَجْهِ الإِنْكَارِ عَلَيهِمْ ـ: إِنِّي لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي

---

(١) الجن: ٢١، ٢٢.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) في (هـ): السلام. من دون (تاء).

(٥) يونس: ٤٩.

ضَرّاً، وَلا نَفْعاً مِنَ الثَّوابِ، وَالعِقَابِ، بَلْ ذلِكَ إلى الله. وَلا أَمْلِكَ إلّا مَا مَلَّكَنِي اللهُ، فَكَيْفَ أَمْلِكُ لَكُمْ؟

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾ أَنْ يُمَلِّكَنِي إِيَّاهُ مِنْ نَفْعٍ، أَوْ ضَرٍّ، فَيُمكِنُهُ ـ مِمَّا جَعَلَ لَهُ ـ أَخْذَهُ، أَوْ أَوْجَبَ عَلَيْهِ تَرْكَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾[١].

أي: مِنْ كَثْرَةِ الثَّوَابِ، وَمِقْدَارِ مَا لِي، وَلِلْمُؤْمِنينَ، وَكَثْرَةِ العِقَابِ للكَافِرينَ، وَالمُنَافِقِينَ.

وَلَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ يَقِينِ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِالله ـ تَعَالى ـ أَوْ جَهْلِهِ بِشَيْءٍ، لأنَّ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، لا يَعْلَمُهُ إلّا اللهُ [ـ تَعَالى ـ][٢] أَوْ مَنْ[٣] أَنْبَأَهُ.

وَسَبَبُ[٤] نُزُولِهِ أَنَّ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ كَانَ رَأَى في مَنَامِهِ، أَنَّهُ[٥] هَاجَرَ

(١) الأحقاف. ٩.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٣) (من) ساقطة من (ك) و(هـ) و(ح).

(٤) صحيح مسلم: ٧: ٥٧. سنن ابن ماجة: ٢: ١٢٩٢. أسباب النزول: ٢٥٤.

(٥) (أنّه) ساقطة من (أ).

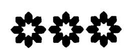
إلى أَرْضٍ، ذَاتِ نَخْلٍ، وَشَجَرٍ، فَقَصَّهَا[١] عَلَى أَصْحَابِهِ، فَاسْتَبْشَرُوا بِذلِكَ، وَكَانُوا في أَذَىً مِنَ الْمُشْرِكينَ، فَقَالُوا: مَتَى تُهَاجِرُ[٢] إلى الأرْضِ، الَّتي رَأَيْتَ؟ فَنَزَلَتِ الآيَةُ.

ثُمَّ[٣] قَالَ: إنَّما هُوَ شَيءٌ رَأَيْتُهُ في مَنَامِي. مَا أَتَّبِعُ إلّا مَا يُوْحَى إلَيَّ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾[٤].

يَقُولُ: لَهَيَّأْتُ لِسَنَةِ الجَدْبِ[٥] مَا يَكْفِينَا.



(١) في (أ): فقصَّهما.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): نهاجر. بنون المضارعة الموحّدة من فوق.

(٣) في (أ): ثُمَّ إنّه ثم قال إنّما.

(٤) الأعراف: ١٨٨.

(٥) في (ش) و(ك): الجذب. بالذال المعجمة.

فصل [ـ ٣٤ ـ]

[في قصّة نبيّنا محمّد ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعالى ـ : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[1].

المُرادُ بِهِ[2] أُمَّتُهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[3]: نَزَلَ القُرآنُ [المَجِيدُ][4] بِإِيَّاكِ أَعْنِي فاسْمَعِي / ١٤٣/ يا جَارَةُ. مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾[5].

قَالَ السَّيِّدُ عَبْدُالعَظِيمِ، وَالسَّيِّدُ المُرْتَضى : سَبَبُ نُزُولِ هذِهِ الآيَةِ أَنَّ النَّبِيَّ

---

(١) الزّمر: ٦٥.

(٢) (به) ساقطة من (هـ).

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٣٣. بلفظٍ مختلف. وهو في تفسير العيّاشي: ١: ١٠. وفي البرهان في تفسير القرآن: ١: ٢١ بلفظه منسوب إلى الإمام الصادق عَلَيهِ السَّلام.

(٤) ما بي المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ).

(٥) الطلاق: ١.

- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ - لَـمَّا نَصَّ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ - عَلَيهِ السَّلام - بِالإمَامَةِ في ابْتِدَاءِ الأَمْرِ، جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ[1] قُرَيشٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! إنَّ النَّاسَ، قَرِيبُو عَهْدٍ بالإسْلامِ، وَلا يَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونَ النُّبُوَّةُ فِيكَ، والإمَامَةُ في ابْنِ عَمِّكَ، فَلَوْ عَدَلْتَ بِهَا إلى غَيْرِهِ، لَكَانَ[2] صَوَاباً.

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ - عَلَيهِ السَّلام[3] -: مَا فَعَلْتُ ذلِكَ بِرَأْيِي، فَأَتَخَيَّرُ فِيهِ، وَلكِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِهِ، وَفَرَضَهُ عَلَيَّ.

فَقَالُوا: فَإذَا لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ مَخَافَةَ الخِلافِ عَلَى رَبِّكَ، فَأَشْرِكْ مَعَهُ فِي الخِلافَةِ رَجُلاً مِنْ قُرَيشٍ، لِيَسْكُنَ إليهِ النَّاسُ، لِيَتِمَّ لَكَ أَمْرُكَ، وَلا يُخَالِفُ النَّاسُ. فَنَزَلَتِ الآيَةُ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ ما يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ﴾[4].

نَهَى اللهُ - تَعَالى - نَبِيَّهُ، والمُرادُ بِهِ أُمَّتُهُ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا في شَكٍّ مِنْ عِبَادَةِ

---

(١) (مِنْ) ساقطة من (أ).

(٢) في (ك): لكانا. بإسناده إلى ألف الاثنين.

(٣) في (هـ): صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(٤) هود: ١٠٩.

الكُفَّارِ، المُقَدَّمِ ذِكْرُهُمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْـمُمْتَرِينَ﴾(١).

أي: في شَكٍّ يَلْزَمُكَ العِلْمُ بِهِ.

وَقَالَ الحَسَنُ(٢)، وَالجُبَّائِيُّ(٣): وَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ في الحَقِّ، الَّذِي تَقَدَّمَ إِخْبَارُ الله ـ تَعَالى ـ بِهِ، مِنْ أَمْرِ القِبْلَةِ، وَعِنَادِ مَنْ كَتَمَ النُّبُوَّةَ، وَامْتِنَاعِهِمْ مِنَ الاجْتِمَاعِ عَلَى مَا قَامَتْ بِهِ الحُجَّةُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْـجاهِلِينَ﴾(٤).

[نَهْيٌ](٥) مَحْضٌ عَنِ الجَهْلِ، وَلا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الجَهْلَ، كَانَ جَائِزاً عَلَيهِ، بَلْ يُفِيدُ كَوْنَهُ قَادِراً عَلَيهِ، كَمَا قَالَ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(٦) وَإِنْ كَانَ

---

(١) البقرة: ١٤٧. الأنعام: ١١٤. يونس: ٩٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٢٣.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٢٣.

(٤) الأنعام: ٣٥.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) الزمر: ٦٥.

الشِّرْكُ، لا يَجُوزُ عَلَيهِ. لكنْ لَـمَّا كَانَ قَادِراً عَلَيهِ، جَازَ أَنْ يَنْهَاهُ عَنْهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ...﴾(١) الآية.

الشَّكُّ، وقُوفُ الأَمْرِ عَلَى أَحَدِ المُعْتَقَدَيْنِ. والنَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِـهِ ـ مُبَرَّأٌ مِنْ ذلِكَ.

هذا(٢) ـ وَإِنْ كَانَ خِطَاباً للنَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ـ فَإِنَّ المُرَادَ بِـهِ، الَّـذِينَ كَانُوا شَاكِّينَ فِي نُبُوَّتِهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: فإنْ كُنْتَ ـ أَيُّها السَّامِعُ ـ في شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا عَلَى نَبِيِّنا إِلَيْكَ. كَمَا يَقُولُ القَائِلُ ـ لِعِبْدِهِ ـ: إنْ كُنْتَ مَمْلُوكي، فَانْتَهِ إلى أمْرِي. وَقَوْلِ الرَّجُلِ لابْنِـهِ: إنْ كُنْتَ ابْنِي، فَبُرَّنِي. وَقَوْلِهِ: إنْ كُنْتَ وَالِدِي، فَتَعَطَّفْ عَلَيَّ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ(٣): مَعْنَى «إِنْ»، مَعْنَى «مَا». وَالتَّقْدِيرُ: مَا كُنْتَ في شَـكٍّ مِمَّـا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ، فَاسْأَلِ الَّذِينَ... أي: لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَأْمُرَكَ، لأَنَّكَ شَاكٌّ، لكِـنْ لِتَـزْدَادَ بَصِيْرَةً. كَمَا قَالَ إبْرَاهِيمُ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(٤).

***

(١) يونس: ٩٤.

(٢) (هذا) ساقطة من (ح).

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٣: ٣٣.

(٤) البقرة: ١٦٠.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (١).

إِنَّمَا قَالَ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ (٢) مَعَ اعْتِقَادِهِمْ بُطْلانَ دِينِهِ، لأَنَّهُ عَلَى [وجُوهٍ (٣):

الأَوَّلُ]: وَجْهُ التَّقْدِيرِ.

وَالثَّانِي: إِنَّهُمْ فِي حُكْمِ الشَّاكِّينَ، للاضْطِرَابِ الَّذِي يَجِدُونَ نُفُوسَهُمْ عَلَيه عِنْدَ ورُودِ الآيَاتِ.

وَالثَّالِثُ: إنَّ فِيهِمْ، الشَّاكَّ (٤)، فَغَلَبَ ذِكْرُهُمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ (٥).

مَعْنَى ذلِكَ: أُمِرْتُ أنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ خَضَعَ، وَآمَنَ، وَعَرَفَ الحَقَّ مِنْ قَوْمِي، وَأنْ أَتْرُكَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ.

---

(١) يونس: ١٠٤.

(٢) العبارة: «فلا أعبد... من ديني» ساقطة من (ك).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ك) و(أ).

(٤) في (أ): الشان. وهو تحريف.

(٥) الأنعام: ١٤.

وَمِثْلُهُ: ﴿سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنا أَوَّلُ الْـمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وَمِثْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنا أَوَّلُ الْـعابِدِينَ﴾ (٢).

وَكَقَـوْلِ السَّحَـرَةِ : ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْـمُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ﴾ (٤).

أي: تُوَجِّهُ(٥) عِبادَتَكَ إليهِ. الخِطَابُ للنَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وَالْمُرادُ بِهِ أُمَّتُهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ (٦).

نَهْيٌ مِنَ اللهِ ـ تَعَالى ـ لِنَبِيِّـهِ ـ عَلَيـهِ السَّـلام ـ. وَالْمُـرادُ بِـهِ أُمَّتُـهُ. أَنْ يَعْتَقِـدَ مَذْهَبَ مَنْ اعْتَقَدَ مَذْهَبَهُ هَوىً.

***

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) الزّخرف: ٨١.

(٣) الشّعراء: ٥١.

(٤) الإسراء: ٢٢.

(٥) في (هـ): يوجِّه. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٦) الأنعام: ١٥١.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(١).

يَعْنِي: اتَّبِعْ مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ، وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الجُهَّالِ، وَذَلِكَ نَهْيٌ لَهُ عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِم فِي الحُكْمِ.

[وَلا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ اِتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ](٢).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ﴾(٣).

تَقْدِيْرُهُ: وَاعْصِ(٤) الكَافِرِينَ. لأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ عَلَيهِ أَمْرٌ، فَيَكُونُ لَفْظُهُ، لَفْظَ الخَبَرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٥).

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْـمُشْرِكِينَ ﴾(٦) ، وَقَوْلُهُ : ﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ

(١) الجاثية: ١٨.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) الأحزاب: ١.

(٤) في (هـ): اِعصِ. من دون الواو.

(٥) يونس: ١٠٦.

(٦) الأنعام: ١٤. يونس: ١٠٥. القصص: ٨٧.

الْـمُمْتَرِينَ﴾ (١).

يَعْنِي: لا تَدْعُهُ دُعَاءَ الإلهِ في العِبَادَةِ، بِدُعَائِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ما لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾ أي: نَفْعُ الإلـهِ، وَضَرُّهُ. هـذَا الخِطَـابُ وإنْ كَانَ مُتَوَجِّهاً إلى النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ فَالمُرادُ بِهِ أُمَّتُهُ. لأَنَّـهُ ـ عَلَيـهِ السَّـلام ـ كَانَ مُبَرَّأً قَبْلَ النُّبوَّةِ، / ١٤٤/ فَكَيْفَ بَعْدَهَا؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْـعِلْمِ مـا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (٢).

هذِهِ الآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ عَلِمَ اللهُ مِنْهُ أَنَّـهُ لا يَـعْصِي، لا يَتَنَاوَلُـهُ الوَعِيـدُ، وَالزَّجْرُ، لأَنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ عَلِمَ أَنَّ النَّبِـيَّ ـ عَلَيـهِ السَّـلام ـ لا يَعْصِـيهِ، وَلا يَتَّبِـعُ أَهْوَاءَهُمْ.



(١) البقرة: ١٤٧. الأنعام: ١١٤. يونس: ٩٤.

(٢) البقرة: ١٢٠.

فصل [ـ ٣٥ ـ]
[في قصّة نبيّنا محمّد ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾(١).

وهُمْ ـ وإِنْ يُكذِّبُوهُ، فَقَد كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبلِهِ.

قُلنا: إنَّ المعنى: لَقَد جَرَوا(٢) عَلَى عَادَةِ مَنْ قَبلَهُمْ في تكـذِيبِ أنبيَـائهِم. إلَّا أنَّه وَرَدَ عَلَى وَجهِ الإيجَاز. كَمَا يَقُولُونَ: إنْ أحسَنتَ إليَّ، فَقَد طَالَمَا أحسَنتَ(٣).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كـانَ اللهُ مُعَـذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٤).

المعنى: إنَّهُ لا يُعَذِّبُهُم، والنَّبيُّ بَينَ ظَهـرَانيهِمْ(٥)، كَـمَا كَـانَ في زَمَـانِ سَـائرِ

---

(١) آل عمران: ١٨٤.

(٢) في (أ): لَجَروا.

(٣) العبارة في (هـ): فطالما قَد أحسَنتَ. وفي (ح): أحسنت إليكَ.

(٤) الأنفال: ٣٣.

(٥) في (ك) و(ح): أظهرهم. وفي (هـ): أظهرانيهم.

الأنبِيَاءِ. ومَا كَانَ لِيُعَذِّبَهُم، إن اِستَغفَرُوا، وهُمْ لا يَستَغفِرونَ، فَقَد اِستَوجَبُوا العَذَابَ.

ثُمَّ قالَ: ﴿وَما لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾ (١) في الآخِرَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللهِ﴾ (٢).

ولا يَجوزُ أنْ يَكُونَ مَعنَاهُ الاستِبطَاءَ لِنَصرِ الله عَلَى حَالٍ، لأنَّ الرَّسولَ يَعلَمُ أنَّ اللهَ، لا يُؤَخِّرُهُ(٣) عَنِ الوَجهِ الَّذي تُوجِبُهُ الحِكمةُ.

فالمَعنَى الصَّحيحُ، الدُّعَاءُ لله بِالنَّصرِ (٤).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (٥).

إنَّهُ وعِيدٌ لَهُم. أي: إنْ كُنتُ افتريتُ فِيما أخبَرتُكم بِهِ، فَعَلَيَّ عَذَابُ جُرمي.

---

(١) الأنفال: ٣٤.

(٢) البقرة: ٢١٤.

(٣) في (أ): يؤخر. من دون (هاء).

(٤) في (أ): لنصر.

(٥) هود: ٣٥.

وإن كُنتُ صَدَقتُ، فَعَلَيكُم عِقَابُ تَكذِيبي، وسَتَعلَمُونَ صِدقَ قَولي، وأيُّنَا الأحَقُّ(١)؟

ثُمَّ إنَّهُ قَالَ ذلِكَ عَلَى وَجهِ الاحتِجاجِ بِصِحَّةِ أمرِهِ، وإنَّهُ لا يَتَقَوَّلُ مِثلَ هذا مَعَ ما فِيهِ مِنَ العِقَابِ في الآخِرَةِ، والعَارِ في الدُّنيَا.

﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾. أي: لَيسَ مِنْ إجرَامِكُمْ ضَرَرٌ، وإنَّما ضَرَرُ ذلِكَ عَلَيكُم.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾(٢).

قَالَ اِبنُ عَبَّاسٍ(٣)، والحَسَنُ(٤)، وقَتَادَةُ(٥)، وإبرَاهِيمُ(٦)، وابنُ جُرَيجٍ(٧)،

---

(١) في (ك): اللاحق.

(٢) الإسراء: ٦٠.

(٣) جامع البيان: ١٥: ١١٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٤. تفسير البغوي: ٣: ١٢١. الدر المنثور: ٥: ٣٠٨. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٨٢.

(٤) جامع البيان: ١٥: ١١٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٤. تفسير البغويّ: ٣: ١٢١. الدر المنثور: ٥: ٣٠٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٨٢.

(٥) جامع البيان: ١٥: ١١١. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٤. تفسير البغويّ: ٣: ١٢١. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٨٢.

(٦) جامع البيان: ١٥: ١١١. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٤.

(٧) جامع البيان: ١٥: ١١١. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٤. تفسير البغويّ: ٣: ١٢١.

وابنُ زَيدٍ[١]، والضَّحَّاكُ[٢]، ومُجَاهِدُ[٣]: أَرَادَ رُؤيةَ العَينِ لَيلَةَ الإسرَاءِ، فَلَـمَّا أخـبَرَ المُشرِكينَ بِمَا رَأى، كَذَّبُوا بِهِ.

ورُوِيَ عَـنِ اِبنِ عَبَّاسٍ[٤] رُوَايَـةٌ أُخـرَى : أَنَّـهُ رُؤيَـا نَـومٍ ، وأَنَّـهُ رأى أَنَّـهُ سَيَدْخُلُ مَكَّةَ ، فَلَمَّا صَدَّهُ المُشرِكُـونَ في الحُديبيَّـةِ ، شَـكَّ قَـومٌ ، ودَخَـلَ عَلَـيهِم الشُّبهَةُ.

فقالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أو لَيسَ قَدْ أخبَرتَنا أَنَّا نَدخُلُ المَسجِدَ؟

فَقَالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: قُلتُ لَكُمْ إنَّكُمْ تَدخُلُونَهُ السَّنَةَ؟

فَقَالوا: لاَ.

فَقَالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: لَتَدخُلَنَّـهُ إنْ شَـاءَ اللهُ. فَكَـانَ في ذلـكَ فِتنـةٌ. وفيـهِ حَديثُ[٥] عُمَرَ.

(١) جامع البيان: ١٥: ١١١. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٨٢.

(٢) جامع البيان: ١٥: ١١٢. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٨٢.

(٣) جامع البيان: ١٥: ١١٢. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٨٢.

(٤) جامع البيان: ١٥: ١١٢. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٤. الإرشاد: ٨٨. باختلاف الروايـة. الـدر المنثور: ٥: ٣١٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٨٢.

(٥) كتاب المغازي للواقدي: ٢: ٦٠٦ ـ ٦٠٧ وفيه حديث ردّ عمر بن الخطاب على رسول الله (صلى الله عليه وآله). وفي الدر المنثور: ٥: ٣١٠: وقال أناس: قدرُدَّ وقـد كـان حـدَّثنا أنـه سـيدخلها فكانت رجعته فتنتهم.

ورُويَ عَـنْ أبي جَعـفَرٍ(١)، وأبي عَبدِ(٢) الله [ـ عَلَيهِمَا السَّلام ــ](٣)، وعَـنْ سَهلِ(٤) بنِ سَعدٍ، وسَعِيدِ(٥) بنِ يَسارٍ: أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ رَأى في مَنَامِـهِ أنَّ قُرُوداً تَصعَدُ مِنبَرَهُ، وتَنزِلُ. فَسَاءَهُ ذلكَ... القِصَّةُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِ﴾(٦).

معنى قولِهِ: ﴿وَجْهِيَ﴾ يُرِيدُ: نَفسَهُ. وإنَّما أضَافَ الإسلامَ إلى الوَجهِ، لأنَّـهُ لَمَّا كانَ وَجهُ الشَّيءِ، أشرَفَ ما فِيهِ، ذُكِرَ بَدَلاً مِنهُ لِيَدُلَّ(٧) عَلَى شَرَفِ الذِّكرِ.

ومِثلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾(٨) أي: إلَّا هُوَ.

***

(١) مجمع البيان: ٣: ٤٢٤. نور الثقلين: ٣: ١٨١.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٤٢٤. نور الثقلين: ٣: ١٨١.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).

(٤) جامع البيان: ١٥: ١١٢. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٢٤. نور الثقلين: ١: ١٨١. الدر المنثور: ٥: ٣٠٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٨٢.

(٥) في النسخ جميعها: بشار ـ بالباء الموحدة من تحت والشين المعجمة المشدَّدة. انظر: مجمع البيان: ٣: ٤٢٤. نور الثقلين: ٣: ١٨١.

(٦) آل عمران: ٢٠.

(٧) في (أ): ليذلب. وهو تحريف.

(٨) القصص: ٨٨.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى﴾ (١).

إمَّا خَبَرٌ، أو نَهيٌ.

فإن قُلنَا: إنَّهُ خَبَرٌ، فالمعنى: إنَّا نَتَوَلَّى حِفظَهُ عَلَيك، ونَحرُسُكَ مِنَ النِّسيَانِ بِالألطَافِ، ونَعصُمكَ بِالتَّأييدِ، والتَّوفيقِ.

وإن قُلنَا: إنَّهُ نَهيٌ، فَالمعنى: اِنتَهِ(٢) عَنْ أنْ تَنسَخَ مِنهُ شَيئاً، إلَّا ما أمَـرَ(٣) اللهُ بِرَفعِهِ. يُعَاضِدُهُ قولهُ: ﴿ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها﴾ (٤). أي: نُزِيلُ حُكمَها.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾ (٥).

أي: حَظَّكَ مِنها، مِنْ عَمَلِكَ الَّذي يُقَرِّبُكَ مِنَ الآخِرَةِ.

أو قُلتَ: وَلَا تَنسَ شُكرَ نَصِيبِكَ مِنهـا. [مِثـلُ](٦):﴿وَسْئَلِ الْـقَرْيَةَ﴾ (٧)،

---

(١) الأعلى: ٦.

(٢) في (ش): انتهي. مَعَ الياء. وفي (ك) و(هـ): أنتهي.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): أمَرَهُ. مَعَ الضمير (الهاء).

(٤) البقرة: ١٠٦.

(٥) القصص: ٧٧.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٧) يوسف: ٨٢.

واسألِ العِيْرَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً...﴾ (١) إلى قولِهِ: ﴿...ضِعْفَ الْحَياةِ وَضِعْفَ الْمَماتِ﴾ (٢).

المعنى : إنَّ المُشرِكينَ ، كَادُوا النَّبيَّ (٣) ـ عَلَيهِ السَّلام ـ واحتَالُوا (٤) لَهُ ، لِيَفتُنُوهُ، والنَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لَا يَعلَمُ بِذلِكَ مِنهُم، ولا يَهُمُّ بِهِ، ولَا يَكَادُ يَرْكَنُ إليهِم (٥). كَمَا يُقَالُ: كادَ الأميرُ يَقطَعُ اللِّصَّ اليَومَ.

/ ١٤٥ / قالَ اِبنُ عَبَّاسٍ (٦): ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (٧): تُمَتِّعُهُمْ بِآلِهَتِهِمْ سَنَةً. يَعني: ثَقِيفاً.

❁❁❁

(١) الإسراء: ٧٣.

(٢) الإسراء: ٧٥.

(٣) في (هـ): للنبي. مَعَ حرف الجرّ (اللام).

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): إختالوا. بالخاء المعجمة من فوق.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٣٠٠.

(٦) جامع البيان: ١٥: ١٣٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٩٩.

(٧) الإسراء: ٧٤.

فصل [ـ ٣٦ ـ]

[في قصَّة نبيِّنا محمد ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْـكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾(١).

قالَ اِبنُ عَبَّاسٍ(٢)، ومُجَاهِدٌ(٣)، والضَّـحَّاكُ(٤)، وابـنُ زَيـدٍ(٥): إنَّـما أمَـرَهُ أنْ يَسألَ مَنْ آمَنَ مِنْ(٦) أهلِ الكِتَابِ، كَعَبدِ الله بنِ سَلَّامٍ.

وقيلَ: أي: سَلْهُم عَنْ صِفَةِ النَّبيِّ، المُبَشَّرِ بِهِ في كُتُبِهِمْ، ثُمَّ انظُرْ مَنْ وافَقَ في تِلكَ الصِّفَةِ.

وقالَ البَلخيُّ(٧): ذلِكَ رَاجِعٌ إلى قولِهِ: ﴿فَما اخْتَلَفُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ

---

(١) يونس: ٩٤.

(٢) جامع البيان: ١١: ١٦٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٣٣.

(٣) جامع البيان: ١١: ١٦٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٣٣.

(٤) جامع البيان: ١١: ١٦٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٣٣.

(٥) جامع البيان: ١١: ١٦٨.

(٦) (مِنْ) ساقطة من (أ).

(٧) في التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٣٠ قول البلخي هذا. وفي مجمع البيان: ٣: ١٣٣ من دون عـزو إلى أحد.

الْـعِلْمُ﴾(١). فأمَرَهُ أنْ يَسألَهُم: هَلِ الأمرُ عَلَى ذلِكَ؟ فَإنَّهُم لا يَمتَنِعُونَ مِنَ الإخبَارِ بِهِ، ولَمْ يَأمُرْهُ بِأنْ يَسألَهُم: هَلْ هُوَ مُحِقٌّ فِيهِ، أم لَا؟ ولَا أنَّ(٢) مَا أنزَلَهُ عَلَيهِ صِدقٌ أمْ لا؟

ويُقَالُ: إنَّما أمَرَهُ بِأنْ يَسألَهُم: إن كَانَ شَاكّاً؛ [وإنْ (٣)لَمْ يَكُنْ شَاكّاً، فَلَا يَجِبُ عَلَيهِ مَسألَتُهُم.

وهـذا مَعنى مـا رُويَ(٤) عَنـهُ ـ عَلَيـهِ السَّلام ـ(٥) : مَـا شَـكَكتُ] ، ولَا أسألُ.

وقالَ اِبنُ جُبيرٍ(٦)، والحَسَنُ(٧)، وقتادَةُ(٨)، وأبُو عبدِ(٩) الله ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: لَمْ يَشُكَّ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ ولَمْ يَسألْ ـ.

---

(١) الجاثية: ١٧.

(٢) (لا أنَّ) ساقطة من (ك).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) هو النبي (ص): علل الشرائع: نور الثقلين: ٢: ٣١٩. الدر المنثور: الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٣٨٢. ٤: ٣٨٩.

(٥) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٦) جامع البيان: ١١: ١٦٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٣٣.

(٧) جامع البيان: ١١: ١٦٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٣٣.

(٨) جامع البيان: ١١: ١٦٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٣٣. الدر المنثور: ٤: ٣٨٩.

(٩) مجمع البيان: ٣: ١٣٣. نور الثقلين: ٢: ٣٢٠.

ويُقوّي[١] ذلِكَ أنَّ الخِطَابَ، مُتَوَجِّهٌ إلى النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٢]، والمُرَادُ بِهِ غَيرُهُ، قولُهُ ـ بَعدَ[٣] هذا ـ: ﴿قُلْ يا أَيُّها النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي...﴾[٤].

ويُقَالُ: إنَّ قَولهُ: ﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ مثلُ قولهِ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ﴾[٥]. وإنَّما قَتَلَهُمْ آبَاؤهم، وأهلُ مِلَّتِهِم[٦]، قَبلهُم.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[٧].

يَعني: سَلْ أتباعَ[٨] مَنْ أرسَلنَا قَبلَكَ مِنْ رُسُلِنَا.

ويَجرِي ذلِكَ مَجرَى قَولِهِم: السَّخَاءُ، حَاتِمٌ، والشِّعرُ، زُهيرٌ. وهُم يُرِيدُونَ: السَّخاءُ، سَخَاءُ حَاتِمٍ. والشِّعرُ؛ شِعرُ زُهيرٍ. فَأقَامُوا «حَاتِماً» مَقَامَ السَّخَاءِ،

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٣٨٣.

(٢) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٣) العبارة: «بعد هذا... قوله» ساقطة من (أ).

(٤) يونس: ١٠٤.

(٥) البقرة: ٩١.

(٦) في (ك): متلهم. بتاء ثم لام.

(٧) الزخرف: ٤٥.

(٨) في (هـ) و(أ) و(ح): تباع.

و«زُهَيراً» مَقَامَ الشِّعرِ، المُضَافِ إليهِمَا. ومِثْلُهُ(١): ولكنَّ البِرَّ، بِرُّ مَن آمَنَ بِالله.

والمأمُورُ بِالسُّؤالِ(٢) - في(٣) الظَّاهِرِ - النَّبِيُّ - عَلَيهِ السَّلام - وهوَ في(٤) المعنى، لأمَّتِهِ. لأنَّهُ لَا يَحتَاجُ إلى السُّؤالِ، لكنَّهُ خُوطِبَ بِخطَابِ أمَّتِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿المص كِتابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ...﴾ الآيةُ(٥) فَأفرَدَهُ بِالمُخَاطَبَةِ، ثُمَّ رَجَعَ إلى خِطَابِ أمَّتِهِ، فَقَالَ: ﴿اتَّبِعُوا ما أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(٦) وفي مَوضِعٍ: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ﴾(٧)، وفي مَوضِعٍ: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ...﴾(٨).

ويُمكنُ أنْ يَكُونَ النَّبيُّ - عَلَيهِ السَّلام -(٩) المَأمُورَ بِالمَسألَةِ - عَلَى الحَقيقَةِ - وإن لَمْ يَكُنْ شَاكّاً في ذلِكَ، ولَا مُرتَاباً بِهِ. ويَكُونُ الوَجهُ فِيهِ تَقرِيرَ أهلِ الكِتَابِ، وَ إقَامَةَ الحُجَّةِ عَلَيهم، بِاعتِرَافِهِمْ، ولأنَّ بَعضَ المُشرِكينَ، أنكَرُوا حَقّاً في الكُتُبِ

(١) إشارة إلى الآية: ١٧٧ من سورة البقرة.

(٢) في (ح): في السؤوال.

(٣) (في) ساقطة من (ح).

(٤) (وهو في) ساقطة من (ح).

(٥) الأعراف: ١،٢.

(٦) الأعراف: ٣.

(٧) الأحزاب: ١.

(٨) الطلاق: ١.

(٩) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

المُتقَدِّمَةِ.

والسُّؤالُ(١) ـ إذا كَانَ مُتَوَجِّهاً إليهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ فالمَعنى: إذا لَقِيتَ النَّبيِّينَ في السَّماءِ، فاسْأَلْهُمْ عَنْ ذلِكَ. لِلرِوايَةِ الوَارِدَةِ بِأَنَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أَتى النَّبيِّينَ ـ في السَّماءِ ـ فَسَلَّمَ(٢) عَلَيهِم، وأَمَّهُمْ. كَما ذَكَرْناهُ في المَناقِبِ(٣).

ولَا(٤) يَكُونُ أَمَرَهُ بِالسُّؤالِ، لأَنَّهُ كَانَ شَاكّاً، لكنْ لِبَعضِ المَصالِحِ الرَّاجِعَةِ إلى الدِّينِ، إمَّا لِشَيءٍ يَخُصُّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ(٥) أَوْ يَتَعَلَّقُ بِبَعضِ المَلائكَةِ الحَاضِرِينَ [مَعَهُ](٦).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً﴾(٧).

الصَّحِيحُ أَنَّ شَرِيعَةَ نَبِيِّنَا، نَاسِخَةٌ لِشَرِيعَةِ كُلِّ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الأنبِياءِ، وأَنَّ نَبِيَّنَا، لَمْ يَكُنْ مُتَعَبِّداً بِشَرِيعَةِ مَنْ تَقَدَّمَ، وإِنَّما وافَقَتْ شَرِيعَتُهُ شَرِيعَةَ إِبراهِيمَ،

---

(١) في (ك) و(هـ) و(ح): السؤال. من دون (واو) الاستئناف.

(٢) في (ش): فسلهم. وهو تحريف.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ١: ٢٤٧.

(٤) في (هـ): فلا.

(٥) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٧) آل عمران: ٩٥.

فَلِذلِكَ قَالَ: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وإلَّا، فَاللهُ ـ تَعَالى ـ هُوَ الَّـذي أوحَـى بِهَـا[١] إليهِ.

فَإنِ قيلَ: إذَا كَانَتِ الشَّرَائعُ بِحَسَـبِ المَصَـالحِ، فَكَيـفَ رَغَّـبَ في شَرِيعَـةِ الإسلامِ، بِأنَّها مِلَّةُ إِبراهيمَ؟

قُلنَا: لأنَّ المَصَالِحَ، إذا وافقَتْ[٢] ما تَمِيلُ إليهِ النَّفسُ، ويَتَقَبَّلُهُ العَقـلُ بِغَـيرِ كُلفَةٍ، كَانَتْ أحَقَّ بِالرَّغبَةِ، كما أنَّها[٣] إذا وافَقَتِ الغِنَى، بَـدَلاً مِـنَ الفَقـرِ، كَانَـتْ أعظَمَ في النِّعمَةِ.

وكانَ المُشرِكُونَ[٤]، يَمِيلُونَ إلى اِتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبرَاهِيمَ، فَلِذلِكَ خُوطِبُوا بِذلِكَ.

و«الحَنِيـفُ»: المُسِـلمُ. و«الحنيفيَّـةُ»[٥]: الشَّرِيعَـةُ. وأصـلُ «الحَنَـفِ»[٦]: الاستِقامَةُ[٧].

***

(١) في (ك): بِهِ.

(٢) في (أ): وقفت. بقاف ثم فاء وسقوط الألف بعد الواو.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): كأنَّها.

(٤) في (أ): المشركين. بالياء.

(٥) في (ك): الحنيفة.

(٦) في (أ): الحيف. بياء مثناة من تحت. وهو تصحيف.

(٧) لسان العرب (حَنَفَ).

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ...﴾ (١) الآية(٢).

لَيسَ في ظَاهِرها مَا يَقتَضِي(٣) عِتَاباً. وكَيفَ يُعاتِبُهُ اللهُ ـ تَعَالى ـ عَلَى مَا لَيسَ بِذَنْبٍ؟ لأنَّ تَحرِيمَ الرَّجُلِ بَعضَ نِسَائهِ ـ لِسَبَبٍ، أو لِغَيرِ سَبَبٍ ـ لَيس بِقَبِيحٍ، ولَا دَاخِلٍ في جُمْلَةِ الذُّنُوبِ. فأَكثَرُ مَا فِيهِ أنَّهُ مُبَاحٌ.

لا يَمتَنِعُ أن يَكُونَ. قولُهُ: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ﴾ خَرَجَ مَخرَجَ التَّوَجُّعِ لَهُ، مِنْ حَيثُ تَحَمُّلُ المَشَقَّةِ في /١٤٦/ إرضَاءِ زَوجَاتِهِ، وإنْ كَانَ(٤) مَا فَعَل قَبِيحاً.

ولَو أنَّ أَحَدَنَا أرضَى بَعضَ نِسَائهِ بِتَطلِيقِ أُخرَى، أو تَحرِيمِهَا، لَحَسُنَ أنْ يُقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلتَ ذلِكَ؟ وإنْ كانَ ما فَعَلَ قَبِيحاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (٥)، وقولُهُ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (٦).

---

(١) التحريم: ١.

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): الآيات. بصيغة الجمع.

(٣) في (ش) و(ك): تقتضي. بتاء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) في (ح): وإن كانَ هو ما...

(٥) الأحزاب: ٥٣.

(٦) الأحزاب: ٣٣.

أمّا الآيةُ الأولَى، فقَدْ يَشهَدُ اللهُ ـ تَعَالى ـ[1] بِكَونِهَا لَهُ. وحَصَلَ الإجمَاعُ أنَّ النَّبِيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لَمَّا أتَى المَدِينَةَ، اِشترى مَكَاناً، يُسَمَّى «مربَداً»، وجَعَلَهُ بُيوتاً، ومَسجِداً.

ورَوَى الطَّبَرِيُّ[2]، والبَلَاذَرِيُّ[3] عَنِ ابنِ مَسعُودٍ خَبَراً يَذكُرُ فيهِ ودَاعَ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ قالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: إذَا غَسَّلتُموني، وكَفَّنتُموني، فَضَعُوني [على سريري][4] في بِيتِيَ هذا... الخَبرُ.

وأمَّا قَولهُ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فَيُستَعْمَلُ[5] مِنْ جِهَةِ السُّكنَى، لَا المِلْكِ. يُقَالُ: هذا بَيتُ فُلانٍ، ومَسكَنُهُ. وفي التَّنزِيلِ: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾[6].

وأمَّا[7] قَولُهُم: إنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ قَسَّمَ الحُجَرَ، بَينَ نِسَائِهِ، وبَنَاتِهِ، فَمِن أينَ: أنَّ[8] هذِهِ القِسمَةَ، تَقتَضِي التَّمليكَ دُونَ الإسكَانِ[9] والإنزَالِ؟

---

(١) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٢) تاريخ الطبريّ: ٣: ١٩٢.

(٣) أنساب الأشراف: ١: ٥٧٣، ٥٧٤ (ط. حميد الله) بلفظ مختلف.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٥) في (هـ): تستعمل. بتاء المضارعة المثناة من فوق. وفي(ش)و(ك)و(أ): يستعمل. من دون الفاء الرابطة.

(٦) الطلاق: ١.

(٧) في (ح): فأمَّا.

(٨) (أنَّ) ساقطة من (ك) و(هـ).

(٩) في (أ): الاسكال. باللام. وهو تحريف.

ولَو كَانَ مَلَّكَهُنَّ، لَكَانَ ظَاهِراً. فلَمَّا تُوفِّي ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[١] صَارَتْ لِفَاطِمَةَ ـ عَلَيْهَا السَّلام ـ بِالفَرضِ، وبِآيَةِ ﴿أُولُوا الأَرْحامِ...﴾[٢] سِوَى الثُّمْنِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ...﴾[٣]، و﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾[٤] وما أشْبَهَهُمَا مِنَ الأوَامِرِ المُتوَجِّهَةِ إلى النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ جَازَ مِنَ النَّبيِّ [ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ـ][٥] أن يَقُولَ: «قُلْ»، وَ«سَبِّحْ» لِلأُمَّةِ، كَمَا قِيلَ لَهُ، لأنَّ الأمرَ ـ وإن كَانَ مُتوجِّهاً إليهِ ـ فَالمُرَادُ بِهِ أمَّتُهُ مَعَهُ. فَكَأَنَّهُ خاطَبَ الجَميعَ بِأن يَقُولُوا ذلِكَ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ أمَرَهُ بِالفِعلِ الَّذي أمَرَهُم بِهِ، فَلَما كَانَ قَولُهُ: «قُلْ»، و«سَبِّحْ» مِنْ كَلَامِ اللهِ ـ تَعَالى ـ وَجَبَ عَلَيهِ أنْ[٦] يَتلُوهُ عَلَى وَجهِهِ. ولَو كَانَ مَأمُوراً بِالفِعلِ دُونَ التِّلَاوَةِ، لَمَا وَجَبَ أنْ يَأتِيَ بِلَفظَةِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٧] مَا[٨]

(١) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) الفلق: ١. النَّاس: ١.

(٤) الأعلى: ١.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش). وفي (ح): عَلَيهِ السَّلام.

(٦) (النون) ساقطة من (أنْ) في (أ).

(٧) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٨) في (هـ): على ما قبل.

قِيلَ لَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (١).

فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أنَّ آبَاءَهُ ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ كـانُوا مُسلِمينَ إلى آدَمَ. ولَمْ يكـنْ فِيهِمْ مَنْ يَعبُدُ غيرَ الله ـ تَعَالى ـ.

ولَوْ أرَادَ سَاجِدِي (٢) الأصنَام، لَمَا مَنَّ عَلَيهِ بِذلِكَ، لأنَّ المَنَّ عَلَيـهِ بِـالكُفرِ، قَبِيحٌ.

وَقَـالَ (٣) ـ عليه السلام ـ (٤) : لَمْ يَزَلْ يَنقُلُني اللهُ مِنَ الآباءِ الأخيَارِ، والأمَّهَاتِ الطَّواهِرِ.

والكافِرُ، لَا يُوصَفُ بِالطَّهَارَةِ، لِقَولِهِ: ﴿إِنَّمَا الْـمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (٥).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ (٦).

(١) الشعراء: ٢١٨، ٢١٩.

(٢) في (هـ): ساجدين. مَعَ نون الجمع.

(٣) أوائل المقالات: ٥٠. باختلاف يسير في اللفظ. اثبات الوصيَّة: ١٠٥ الدر المنثور: ٦: ٣٣٢.

(٤) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٥) التوبة: ٢٨.

(٦) الفتح: ٣.

النَّصرُ العَزِيزُ(١)، هُوَ الَّذي يَمنَعُ مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وعَاتٍ أثيمٍ.

وقَد فَعَلَ اللهُ ذلِكَ بِنَبِيِّهِ(٢) ـ عَلَيهِ السَّلام ـ فَصَارَ دِينُهُ أعَزَّ الأديَانِ، وسُلطَانُهُ أعظَمَ السُّلطَانِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ﴾(٣).

قالوا: إنَّ لَبِيدَ بنَ عَاصِمٍ، سَحَرَ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ في إحدَى عَشرةَ عُقدَةً. فَمَرِضَ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ... القِصَّةُ(٤).

قَدْ بَيَّنَّا أنَّهُ لَيسَ لِلسِّحرِ حَقيقةٌ. وإنَّما هُوَ تَموِيهٌ، ومَخرَقَةٌ(٥). ومُحَالٌ أنْ يَعقِدَ عُقَداً، فَيَحدُثَ لأجلِهَا أمرَاضٌ في غَيرِهِ مَعَ بُعدِ المَسَافَةِ.

والصِّحَّةُ، والمَرَضُ مِنْ فِعلِ الله ـ تَعَالى ـ. والفِعلُ ـ في غَيرِ مَحَلِّ القُدرَةِ ـ يَكُونُ مُختَرَعاً، ولَا يَقدِرُ عَلَيهِ غَيرُ الله ـ تَعَالى ـ.

واليَهُودِيُّ، كَيفَ يُسَلِّطُهُ اللهُ عَلَى خَيرِ البَشَرِ، حَتَّى يُمرِضَهُ؟ وحَاشَا النَّبيَّ

---

(١) (العزيز) ساقطة من (ح).

(٢) في (ك): تنبيه. بتاء مثناة من فوق بدلاً من حرف الجرّ (الباء).

(٣) الفلق: ٤.

(٤) أسباب النزول: ٣١٠. في الجامع لأحكام القرآن: ٢٠: ٢٥٩: الساحرات هنَّ بنات لبيد بن الأعصم.

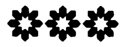
(٥) في (ح): مخرفة. بالفاء الموحدة بعد الراء المهملة.

ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مِنْ كُلِّ صِفَةِ نَقصٍ، إذْ تُنَفِّرُ عَنْ قَبُولِ قولِـهِ، لأنَّـهُ لَا [تَبقَـى][١] حُجَّةٌ لله عَلَى خَلقِهِ.

ثُمَّ إنَّ الله ـ تَعَالى ـ قالَ: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٢].

وقَد أكذَبَ اللهُ ـ تَعَالى ـ[٣] مَـنْ قَـالَ ذلِـكَ في قولِـهِ: ﴿وَقـالَ الظَّـالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾[٤].

وإنْ صَحَّ [الخَبَرُ][٥]، فتَأوِيلُهُ: أنَّ اليَهُودِيَّ، اِجتَهَـدَ في ذلـكَ، فَلَـم يَقـدِرْ عَلَيهِ. فَأطلَعَ اللهُ ـ تَعَالى ـ نَبِيَّهُ ـ عَلَى مَا فَعَلَهُ حتَّى اِستَخرَجَ مَا فَعَلَهُ، وكَـانَ دَلَالَـةً عَلَى صِدقِ مُعجِزَةٍ[٦] لَهُ.



(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ).

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) الفرقان: ٨.

(٥) مابين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (ح): معجز. من دون التاء المتحركة.

فصل [ـ ٣٧ ـ]

[في قصة نبيِّنا محمد ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُـهُ ـ تَعَـالى ـ: ﴿وَمـا كُنْـتَ تَتْلُـوا مِـنْ قَبْلِـهِ مِـنْ كِتـابٍ وَلا تَخُطُّـهُ بِيَمِينِكَ...﴾ الآيَةُ(١).

قالَ المُفسِّرُونَ: إنَّهُ لَمْ يَكُنْ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ يُحسِنُ الكِتَابَـةَ، والقَـراءَةَ. والآيَةُ، لَا تَدُلُّ عَلَى ذلِكَ، بَلْ فِيها أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكتُبُ الكتِابَ. وقَد لَا يَكتُـبُ مَـنْ يُحسِنُهُ، كَمَا لَا يَكتُبُ مَنْ لا يُحسِنُهُ.

ولَو أَفَادَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُحسِنُ الكِتَابَةَ ـ قَبلَ الإيحَـاءِ إليـهِ ـ لَوجَـبَ أَنَّـهُ كَـانَ يُحسِنُها بَعدَ الإيحَاءِ، إليهِ، لِيَكُونَ فَرْقاً بَـينَ الحـالَينِ، لأنَّ التَّطَـابُقَ في الكَـلامِ مِـنَ الفَصَاحَةِ.

ثُمَّ إنَّ ظَاهِرَ الآيَةِ، يَقتَضِي نَفيَ القِرَاءَةِ، والكِتَابَةِ، بِمَا قَبلَ النُّبُوَّةِ، لأَنَّهُم إنَّـما يَرتَابُونَ في كِتَابَتِهِ، لَوْ كَانَ يُحسِنُها قَبلَ النُّبُوَّةِ، فَأَمَّا بَعدَها، فَلَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالرِّيبَةِ.

ويَجُوزُ أَنْ يَتعلَّمَهَــا مِنْ جِبرِيلَ بَعـدَ(٢) النُّبُوَّةِ، ويَجوزُ أَلَّا يَتَعَلَّمَ. وقَدْ شَهَرَ

---

(١) العنكبوت: ٤٨.

(٢) في (أ): بعدة.

ـ يَومَ الحُديبيَّةِ[١] ـ أنَّهُ كَانَ لَا يَعرِفُها، لأنَّ سُهَيلَ اِبنَ عَمرٍو، قالَ: أُمْحُ: هـذا مَـا قَاضَى عَلَيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله [ـ صلى الله عليه وآله ـ][٢]، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: أُمحُهَا يَا عَلِيُّ. ثُمَّ قالَ: /١٤٧/ فَضَعْ يَدِي عَلَيها.

وقَد شَهَرَ ـ أيضاً ـ فِي الصِّحَاحِ، والسُّنَنِ، والتَّوَارِيخِ: اِئتُونِي بِكِتَابٍ، اكتُبُ لَكُمْ كِتَاباً، لَنْ تَضلُّوا بَعدَهُ. ومَنَعَ عُمرُ[٣].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾[٤].

فالأُمِّيُّونَ: العَرَبُ[٥]. قولهُ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّنَ...﴾[٦].

وقيلَ: الأُمِّيُّ، كُلُّ مَا يُرجَعُ إليهِ.

---

(١) صحيح البخاري: ٣: ٢٤١، ٢٤٢ / ٤: ١٢٦. باختلاف يسير. صحيح مسلم: ٥: ١٧٤. الكامل: ٣: ١٨٢. تاريخ الطبري: ٢: ٦٣٦. سنن الدارمي: ٢: ١٥٥. باختلاف اللفظ. الأرشاد: ٧٠. إعلام الوَرَى: ١٩٠،١٠٦. المسترشد في إمامة علي بن إبي طالب ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ٨٦ ـ ٨٧. أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ٣٤٩، ٣٦١.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) صحيح البخاري: ١: ٣٩/ ٤: ٨٥/ ٦: ١١، ١٢/ ٩: ١٣٧. صحيح مسلم: ٥: ٧٥، ٧٦. أنساب الأشراف (ط. حميد الله): ١: ٥٦٢.

(٤) الأعراف: ١٥٧.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٣٣ منسوباً إلى الفرَّاء وليس في كتابه (معاني القرآن).

(٦) الجمعة: ٢.

يُقَالُ: يُنسَبُ(١) إلى أُمَّةٍ لَا يُحسِنُونَ الكِتَابَةَ.

ووَجهُ الحِكمَةِ في جَعلِ النُّبُوَّةِ في أُمِّيٍّ، مُوَافَقَتُهُ البِشَارَةَ، المُتقَدِّمَةَ في كُتُبِ الأنبِيَاءِ السَّالِفَةِ، وأنَّهُ إذَا أتَى أُمِّيٌّ بِحِكمَةٍ، يَكُونُ أبهَرَ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ (٢).

قالَ أبو [الفتح](٣) مُحَمَّدٌ(٤) الكَرَاجِكي: العِلمُ بِحَالِ النَّبيِّ - عَلَيهِ السَّلام -(٥) في كَونِهِ عَالِماً بِكُلِّ مَعلُومٍ، وبِكُلِّ لُغَةٍ، وكِتَابَةٍ - إمَّا يُدرَكُ بِالعَقلِ، أوِ السَّمعِ.

فالعَقلِيُّ إمَّا أن يَكُونَ مُستَحِيلاً، أو واجِباً، أو جَائزاً.

ولَيسَ هُوَ مِن بَابِ المُستَحيلِ. ولَو كانَت وَاجِبَةً، كَانَت كَشَرَائطِ النُّبُوَّةِ الواجِبَةِ، الَّتي في عَدَمِها، بُطلانُ النُّبُوَّةِ، كالصِّدقِ، والعِصمَةِ، والمُعجِزِ. ولَيسَ كذلِكَ. وإنَّما هُوَ بِمَنزِلَةِ الطِّبِّ، والنُّجُومِ، والفَلسَفَةِ(٦) وسِرِّ(٧) كُلِّ صِنَاعةٍ.

---

(١) في (ش): يب. وهو تحريف.

(٢) النساء: ١١٣.

(٣) هو (أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (المتوفي سنة ٤٤٩ . هـ) وسقط ما بين المعقوفتين من النسخ جميعاً.

(٤) لم أقف على قول الكراجكي في كتابة كنز الفوائد المشتمل على رسائله.

(٥) في (ك) و(ح): صلى الله عليه وآله وسلم.

(٦) في (ك): الظلسفة. بالظاء المعجمة. وهو تحريفٌ.

(٧) في النسخ جميعها: شر. بالشين المعجمة. وما أثبتناهُ من (ط).

فَمعرفتُه بِهِ، جَائزَةٌ، غيرُ واجِبَةٍ، وقَالَ اللهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾[١].

وقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ[٢] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٣] رأى النَّاسَ، يُؤبِّرُونَ النَّخلَ، فَقَالَ: ما أظُنُّ هذا نَافِعَكُمْ. فتركُوا تَأبِيرَهُ، فَلَمْ تُثمِرْ في تِلكَ السَّنَةِ، فَقَالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: اِستَعِينوا عَلَى كُلِّ صَنعَةٍ بِأهلِهَا.

ولَوْ كَانَ عَالِمَاً بُكُلِّ مَعلُومٍ، لَمَا قالَ: ﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ﴾[٤] مَعَ قَولِهِ[٥]: إنَّ مِنَ الشِّعرِ لَحِكمَةً.

وإذَا لَمْ يَكُنْ وَاجِباً، ولَا مُستَحِيلاً، فَهوَ مِنْ بَابِ الجَائزِ، ولا يُعلَمُ إلَّا بِالسَّمعِ. فَيَجُوزُ أنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ عَرَّفَهُ ذلِكَ، ويَجُوزُ أنْ يُلهِمَهُ ـ وَقتَ الحاجَةِ ـ فَهمَ ما يَسمَعُهُ مِنهَا. ولا نَعلَمُ[٦]: هَلْ فَعَلَ مَعَهُ ذلِكَ، أم لَا؟

***

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) صحيح مسلم: ٧: ٩٥. باختلاف اللفظ. سنن ابن ماجة: ٢: ٨٢٥ باختلاف اللفظ.

(٣) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٤) يس: ٦٩.

(٥) صحيح البخاري: ٨: ٤٢. سنن أبي داود: ٢: ٥٩٨. سنن لبن ماجة: ٢: ١٢٣٥. صحيح الترمذي: ١٠: ٢٨٨. أمالي الصدوق: ٥٥٥. تاريخ بغداد: ٣: ٢٥٨، ٤٤٣/ ٨: ١٨.

(٦) في (هـ) و(ح): يعلم. بياء المضارعة المثناة من تحت مع البناء للمجهول.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ﴾(١)، وقوله: ﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ﴾(٢).

لَا يَجُوزُ أَنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ كَانَ شَاعِراً، إلَّا أَنَّهُ كَانَ عَالِماً بِمَعَاني الشِّعرِ، ومَقَاصِدِ الشُّعَراءِ.

وأُنشِدَ(٣) ـ عِندَهُ ـ:

قِفَانَبكِ مِنْ ذِكرَى حبيبٍ ومَنزِلِ [بِسِقطِ اللِّوَى بَينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ]

فَقَالَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: وقَفَ، واستَوقَفَ، وبكى، وأبكَى(٤)، وذَكَرَ الحبيبَ، والمَنزِلَ في نِصفِ بَيتٍ.

فَقَالُوا: يا رسُولَ الله ـ فَدَينَاكَ ـ أنتَ في هذا النَّقدِ، أشعَرُ(٥) مِنهُ.

وكَانَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ يَتَمَثَّلُ بِقَولِ طَرَفَةَ(٦):

سَتُبدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنتَ جَاهِلاً ويَأتِيكَ مَنْ تُزوِّدْ بالأخبَارِ

---

(١) يس: ٦٩.

(٢) الحاقة: ٤١.

(٣) هو مطلع معلقة اِمرئ القيس المشهورة. انظر ديوان اِمرئ القيس: ٨ ومنه تمام البيت.

(٤) في (ح): واستبكى.

(٥) في (ك): الشعر. وهو تحريف.

(٦) ديوان طرفة بن العبد البكري بشرح الأعلم الشنتمريّ: ٤٤.

والشعر فيه ـ كما قاله الشاعر ـ هو:

ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تُزوِّدِ

ويَتَمثَّلُ بِقَولِ سُحَيمٍ(١):

كفَى الإسْلَامُ والشَّيْبُ لِلمَرْءِ نَاهِيَا

فَجعَلَ يُقَدِّمُ، ويُؤَخِّرُ. [و](٢) الشِّعرُ إنَّما(٣) يَكُونُ عَلَى وُجُوهٍ مَخصُوصَةٍ.

وأمَّا مَا رُويَ(٤):

والله لَــولَا اللهُ مَــا اهتَــدَيْنَا   [ولا تَصَــدَّقنَا ولَا صَــلَّينَا]

وما رُوِيَ(٥):

لا هُــمَّ إنَّ العَــيْشَ عَــيْشُ الآخِــرَهْ(٦)   [فَــاغْفِرْ للأنصَــارِ وَالمُهَــاجِرَهْ]

وما رُوِيَ(٧):

---

(١) ديوان سحيم بن عبد بني الحسحاس: ١٦. والشعر ـ كما قاله الشاعر ـ هو:

عميرة ودِّعْ إنْ تجهَّـزتَ غاديـا   كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) في (ش): وإنَّما. مَعَ الواو.

(٤) وهو شعر لعبد الله بن رواحة، انظر ديوان عبدالله بن رواحة الخزرجي الأنصاريّ: ١٠٦ - ١٠٧. وفيه: ياربِّ لولا أنتَ... وقد أشار المحقق إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا. ومنه تمام البيت.

(٥) صحيح البخاري: ٨: ١٠٩. صحيح مسلم: ٥: ١٨٨. ومنهما تمام البيت. سنن أبي داود: ١: ١٠٧ وفيه: اللهّم لا خَيْرَ إلّا خير الآخره فانصُرْ...

(٦) في (ش): لا عيش إلا عيش الآخرة. وفي (ك): ولا عيش إلَّا عيش الآخرة.

(٧) صحيح البخاري: ٥: ١٩٤، ١٩٥. صحيح مسلم: ٥: ١٦٨. صحيح الترمذيّ: ٧: ١٨٤. ومنها تمام البيت.

أَنَــــا[١] النَّبِـــيُّ لَا كَـــذِبْ [أَنَـــا ابِــنُ عَبــدِ المُطَّلِــبْ]

ونَحوُها. فَإنَّ كُلَّهَا رَجزٌ. والرَّجزُ، لَا يُعَدُّ شِعرَاً[٢]. ولأَنَّ كُلَّ مَـا يُورِدُونَـهُ مِنْ هذا الجِنسِ، لَا يَكُونُ بَيتَاً إلَّا بِزِيَادَةٍ، أَوْ نُقصَانٍ، أو تَغييرٍ[٣]. فَيَخرُجُ ـ حينَئـذٍ ـ مِنْ صِيغَةِ الشِّعرِ. مَعَ أنَّ كُلَّها أخبَارُ آحَادٍ.

وأمَّا الآياتُ الوَارِدَةُ في القُرآنِ، مِثلُ قَولِهِ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[٤]، وقولهِ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[٥]، وقولِهِ: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[٦]، وقولهِ: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[٧]، وغَيرِ ذلِكَ مِنَ الآياتِ المَوزُوناتِ. إنَّما تَصِيرُ أبيَاتَاً بِزِيادَةٍ، أو حَذفٍ، أو تَسكِينٍ، لَا يُبِيحُهُ[٨] الشَّرعُ.

***

(١) في (ش) و(ك): أن من دون ألف.

(٢) في (هـ): شاعراً.

(٣) في (ك): تغيّر.

(٤) الماعون: ١، ٢.

(٥) الإنسان: ١٤.

(٦) سبأ: ٣٠.

(٧) التوبة: ١٤.

(٨) في (ك): يُبحه. بحالة الجزم.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَجِفانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ راسِياتٍ﴾(١) وقولهُ: ﴿وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾(٢)، وقولهُ: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ﴾(٣)، ونحوُها. آياتٌ مَوْزُوناتٌ، إذَا غُيِّرتْ عَنْ حَالَاتِها، وذلِكَ لَا يَجُوزُ أصْلاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(٤)، وقَوْلُهُ: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾(٥)، و[قوله](٦)﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾(٧)، وقَوْلُهُ ـ حِكَايَةً عَنِ الكُفَّارِ ـ: ﴿إِنَّ هؤُلاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولى وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ فَأْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾(٨).

وزَعَمُوا [أَنَّهُ](٩) سُئِلَ عَنْ هذِهِ المَسَائِلِ في القُرآنِ، فَلَمْ يُجِبْ بِجَوَابٍ،

---

(١) سبأ: ١٣.

(٢) الإنشراح: ٢، ٣.

(٣) الأحزاب: ١٠.

(٤) الإسراء: ٨٥.

(٥) الأعراف: ١٨٧.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٧) البقرة: ١٨٩.

(٨) الدخان: ٣٤ ـ ٣٦.

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

مُفِيدٍ، وأَنَّ الامتِنَاعَ مِنهَا، والتَّعلِيلِ، لِلجَهلِ(١) بِهَا.

أَمَّا الأَوَّلُ، فَإِنَّهُم كَانُوا سَأَلُوهُ، فَقَالُوا(٢): مَا هذا الَّذِي تَدَّعِي أَنَّـهُ مِـنَ الله؟ وما المعنى فيه؟

فَأَجَابَ: إِنَّهُ أمرُ الله لِعِبَادِهِ، وتَكلِيفُهُ(٣) إِيَّاهُمْ بِأَوَامِرِهِ، ونَوَاهِيهِ. يَـدُلُّ عَـلَى ذلِـكَ تَكرِيـرُهُ في مَوَاضِـعَ، فَقَـالَ: ﴿وَكَـذلِكَ /١٤٨/ أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ رُوحاً﴾(٤)، ﴿يُنَزِّلُ الْـمَلائِكَةَ بِـالرُّوحِ﴾(٥). وقـالَ ـ قَبـلَ الآيَـةِ ـ: ﴿وَلَـئِنْ شِـئْنَا لَنَذْهَبَنَّ﴾(٦). وعُقَيبَهَا: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْـجِنُّ﴾(٧).

وقالَ الحَسَنُ(٨): القُرآنُ مِنْ أمرِ رَبِّي، ومَـا أنزَلَـهُ عَـلَى نَبِيِّـهِ، إِلَّا لِيَجعَلَـهُ(٩) دِلَالَةً، وعَلَماً عَلَى صِدقِهِ، وَلَيسَ مِنْ فِعلِ المَخلُوقِينَ، ولَا يَدْخُلُ في إِمكَانِهِمْ.

---

(١) في (ك) و(هـ): للخمل. بالخاء المعجمة من فوق بعدها ميم.

(٢) في النسخ جميعها: فَقَالَ. وما أثبتناه مسنداً إلى واو الجماعة هو الموافق السِّياق.

(٣) في (ح): تكليفهم.

(٤) الشورى: ٥٢.

(٥) النّحل: ٢.

(٦) الإسراء: ٨٦.

(٧) الإسراء: ٨٨.

(٨) قول الحسن هذا في مجمع البيان: ٣: ٤٣٧ من دون عزو إلى أحد وكذلك في تفسير البغوي: ٣: ١٣٥. وهو في التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٥١٥ معزو إليه.

(٩) في (ك): يجعله. من دون (لام) التعليل.

قالَ الجُبّائيُّ(١): قالَتِ اليَهُودُ لِكُفّارِ قُرَيشٍ: سَلُوا مُحَمَّداً عَنِ الرُّوحِ، فَإِنْ أجَابَكُمْ، فَلَيس بِنَبيٍّ. وإنْ لَمْ يُجِبْكُمْ، فَهوَ نَبِيٌّ. فَإنَّا نَجِدُهُ(٢) في كُتُبِنَا ذلِكَ. فَأمَرَهُ بِالعُدُولِ عَنْ ذلِكَ، لِتَكُونَ دِلَالَةً عَلَى صِدقِهِ، تَكذِيباً لِلْيَهُودِ الرَّادِّينَ عَلَيهِ. وإنّهُم(٣) سَألُوهُ عَنِ الرُّوحِ: هَلْ هِيَ مُحْدَثَةٌ، أوْ قَدِيمَةٌ؟ فَأجَابَهُم: بِأنَّهَا [مِنْ](٤) أمرِ رَبِّي. وهذا جَوَابُهُم، لأنَّهُ لا فَرقَ بَينَ أنْ يَقُولَ: إنَّها(٥) مُحْدَثَةٌ، أو يَقُولَ: إنَّها مِنْ أمرِ رَبِّي.

وقالَ المُرتَضَى(٦): إنَّما عَدَلَ عَنْ جَوَابِهِم، لِعِلمِهِ بِأنَّ ذلِكَ، أدْعَى لَهُم إلى الصَّلاحِ في الدِّينِ، وأنَّ الجَوَابَ لَوْ صَدَرَ مِنهُ إليهِم، لَازْدادُوا فَسَاداً، وعِنَاداً؛ إذْ كانُوا بِسُؤالِهِمْ مُتَعَنِّتِينَ، لَا مُستَفِيدِينَ.

وأمّا الثّاني، فَجَوَابُهُ في قَولِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾(٧) خُصُوصِيَّةٌ بِهِ - تَعَالى - لأنَّهُ عِلمُ الغَيبِ.

---

(١) مجمع البيان: ٣: ٤٣٦.

(٢) في (ح): نجد. بسقوط ضمير الغائب (الهاء).

(٣) في (أ): فإنّهم.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) العبارة: «إنّها محدثة أو يقول» ساقطة من (ك).

(٦) أمالي المرتضى: ١: ١١.

(٧) لقمان: ٣٤.

وأمَّا الثَّالثُ، فَجَوابُهُ: ﴿قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [١] دِينيَّةٌ، ودُنيويَّةٌ [٢]، مِثْلُ الصَّلاةِ، والزَّكاةِ، والصَّومِ، والحجِّ، والأعيَادِ، والتَّواريخِ، وأزمَانِ الأنبيَاءِ، والمُلُوكِ، والإجَاراتِ، والدُّيُونِ، والزِّرَاعَاتِ، وإبَّانِ النِّتَاجِ، وأوَانِ الصِّرامِ، والقِطَافِ، والحَصَادِ، والعِمَاراتِ.

وأمَّا [٣] الرَّابعُ، فَجَوابُهُ: إنَّ مَنْ تَجَاهَلَ في الحِجَاجِ الَّذي يَجرِي مَجرَى الشَّغَبِ الَّذي لا يَعتَقِدُ ـ بِمِثْلِهِ ـ مَذهَبٌ، أوهِيَ الشُّبهَةُ فيهِ، فَإنَّهُ يَنبَغي أنْ يَعدِلَ عَنْ مُقَابَلَتِهِ إلى الوَعظِ لَهُ بِمَا هُوَ أعوَدُ عَلَيهِ، فِلهذا عَدَلَ [٤] ـ تَعَالى ـ [٥] عَنهُم إلى هذا الوَعيدِ الشَّدِيدِ، وقالَ: أهؤلاءِ الكُفَّارُ خيرٌ أمْ قَومُ تُبَّعٍ والَّذينَ مِنْ قَبلِهِمْ أهلَكنَاهُمْ لَمَّا جَحَدُوا الآياتِ وكَفَروا بِنِعَمِ الله؟ فَمَا الَّذي يُؤمِنُ هؤلاءِ [٦] مِن مِثْلِ ذلك؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ﴾ [٧].

---

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) في (ح): دنياوية.

(٣) (أمَّا) ساقطة من (أ).

(٤) في (هـ): أعدل.

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٦) في (ك): هؤلاي. بالياء.

(٧) الشورى: ١٥.

قالَ مُجاهِدُ[١]، وابنُ زَيدٍ[٢]: ـ أي: لا خُصُومَةَ بَينَنَا، وقَدْ[٣] ظَهَرَ الحَقُّ، فَسَقَطَ[٤] الجِدَالُ، والخُصُومَةُ.

وقِيلَ: مَعنَاهُ: لَا حُجَّةَ بَينَنَا، وبَينَكُم[٥]، لِظُهُورِ أمرِكُمْ في البَغيِ عَلَينا، والعَدَواَةِ لَنَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[٦].

قالَ الحَسَنُ[٧]، وقَتَادَةُ[٨]: مِنَ المِعلُومِ، أَنَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ كَانَ بِخلَافِ هذا الوَصفِ. وإنَّما الحِكمَةُ، أُخِذَتْ مِنهُ، وَمَا عُرِفَ لَهُ شِعرٌ. وقَد كَذَّبَهُم اللهُ في قولِهِ: ﴿بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٩].

***

(١) جامع البيان: ٢٥: ١٨. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٢٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ١٣.

(٢) جامع البيان: ٢٥: ١٨. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٢٥.

(٣) العبارة: «قد ظهر الحق... بيننا» ساقط من (ك).

(٤) في (ح): وَسقط. مَعَ الواو.

(٥) في (أ): بينهم.

(٦) الصافات: ٣٦.

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٤٥٢. وفي مجمع البيان: ٤: ٤٤٢ من دون عزو إلى أحد.

(٨) جامع البيان: ٢٣: ٥١. التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٤٥٢.

(٩) الصافّات: ٣٧.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَقالُوا ما لِهَذا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ﴾[١].

مِثلَنَا[٢] ﴿وَيَمْشِي فِي الأَسْواقِ﴾[٣] في طَلَبِ المَعَاشِ، كَما نَمشِي[٤]. فقَالَ ـ تعالى ـ: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ﴾[٥] يا مُحَمَّدُ ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْواقِ﴾[٦] طَلَباً لِلمَعَاشِ، كَما تَطلُبُهُ أنتَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿طه ما أَنْزَلْنا...﴾[٧].

أي: [يَا][٨] طَاهِراً مِنْ كُلِّ عَيبٍ، نَسَبُوكَ إليهِ، مِنَ الكاهِنِ، والسَّاحِرِ، والمجنُونِ، والشَّاعِرِ، والضَّالِّ[٩]، والأبترِ، والكَذَّابِ، والأشِرِ. فَأَجَابَهُم اللهُ ـ تَعَالى ـ عَنْ جَمِيعِ ذلكَ في القُرآنِ، وكَذَّبتهُمْ صِفَاتُهُ[١٠].

---

(١) الفرقان: ٧.

(٢) (مثلنا) ساقطة من (ك) و(ح).

(٣) الفرقان: ٧.

(٤) في (أ): يمشي. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) الفرقان: ٢٠.

(٦) الفرقان: ٢٠.

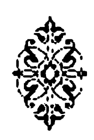
(٧) طه: ١، ٢.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ك).

(٩) في (أ): الضلال.

(١٠) في (ح): صفاته صلى الله عليه وآله.

وكَانُوا يُسمُّونَهُ بـ«اِبنِ أبي كَبشَةَ» نِسبَةً إلى: أبي كَبشَةَ الحارِثِ اِبنِ عَبدِ العُزَّى، زَوجِ حَليمَةَ، ظِئرِ[١] النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: أو تَشبِيهاً بِأبي كَبشَةَ الخُزاعيِّ. وكَانَ يُحالِفُ قُرَيشاً في عِبادَةِ الأوثانِ، ويَعبُدُ الشِّعرَى[٢] العَبُورَ. أوْ نِسبَةً إلى: وَهَبِ[٣] بنِ عَبدِ مُنَافٍ، جَدِّ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٤] لأُمِّهِ. وهُوَ: أبُو كَبْشَةَ، جَدُّ جَدِّ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٥].



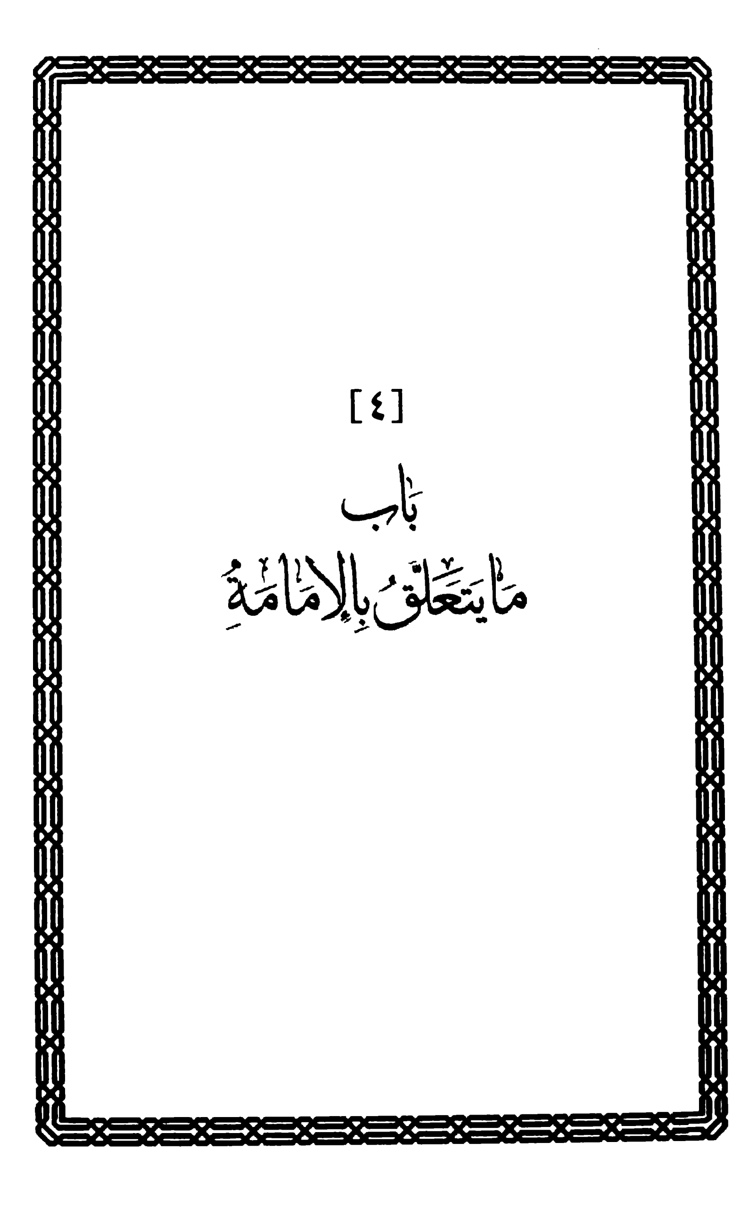
(١) الظِّئر: المرضعة لغير ولَدِها، ويطلق على زوجها أيضاً. (المعجم الوسيط ـ ظأر).

(٢) الشِّعرى: كوكب نيِّر يطلع عند شدَّة الحرِّ، وهما شِعريانِ: الشِّعري العبور، والشِّعرى القُميصاء. (المعجم الوسيط ـ شعر).

(٣) في (ح): رهب. بالراء المهملة. وهو تحريف.

(٤) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٥) في (ح): صلى الله عليه وآله.



[٤]

بَاب
مَا يَتَعَلَّقُ بِالإِمَامَةِ

فصل [ـ ١ ـ]
[وجود نبيٍّ أو إمامٍ في كلِّ أُمّةٍ وفي كلِّ زمان]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ﴾(١)، وقولهُ: ﴿فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً﴾(٢).

أخبَرَ ـ تَعَالى ـ أَنَّهُ يَأتي مِنْ كلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ، ويأتي بِهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ شَهيدَاً عَلَى أمَّتِهِ. فَيَجِبُ أنْ يَكُونَ الشُّهدَاءُ حُكمُهُمْ، حُكمَهُ في كَونِهِمْ حُجَجاً لله ـ تعَالى ـ وذلِكَ يَقتَضِي أنَّ في كُلِّ زَمَانٍ شَهِيَداً: إمَّا نَبيٌّ، أو إمَامٌ.

***

(١) النَّحل: ٨٩.

(٢) النساء: ٤١.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾[١].

وَهـذا عَـامٌّ في سَائِرِ الأُمَمِ. وعُمُومُهُ / ١٤٩/ يَقتَضِي أنَّ في كُـلِّ زَمَانٍ ـ حَصَلَتْ فِيهِ أمَّةٌ، مُكَلَّفَةٌ ـ نَذِيراً. فَفِي أزمِنَةِ الأنبِيَاءِ، [ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ][٢] هُمُ النُّذُرُ، لِلأُمَمِ، وفي غَيرِهَا، الأئمَّةُ ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾[٣].

ظاهِرُهُ، وعُمُومُهُ يَقتَضِي وُجودَ إمَامٍ في كُلِّ زَمَانٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِهـا بِكـافِرِينَ أُولئِـكَ الَّـذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٤].

دَلِيلٌ عَلَى أنَّهُ لَا يَخلُو كُلُّ زَمَانٍ مِنْ حَافِظٍ لِلدِّينِ، إمَّا نَبِيٌّ، أو إمَامٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلِ اللهُمَّ مالِكَ الْـمُلْكِ تُؤْتِي الْـمُلْكَ مَنْ تَشاءُ﴾[٥].

---

(١) فاطر: ٢٤.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٣) الإسراء: ٧١.

(٤) الأنعام: ٨٩، ٩٠.

(٥) آل عمران: ٢٦.

إِستَدَلَّتِ الإمامِيَّةُ بِهَا عَلَى أنَّ الإمَامَ، يَنبَغي أنْ يَكُونَ مَعصُوماً، ولا يَكـونَ ـ في بَاطِنِهِ ـ كَافِراً، ولَا فَاسِقَاً. لأنَّـهُ لَا يَجُـوزُ أنْ يُعطِـيَ اللهُ المُلْـكَ: مِـنَ النُّبُـوَّةِ، والإمَامَةِ، لِلفَاسِق، لأنَّهُ تَمليكُ الأمرِ العَظِيمِ، مِنَ السِّيَاسَةِ، والتَّدبِيرِ، لِقَولِهِ: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١)، وهذِهِ(٢) مِنْ أعظَمِ العُهُودِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ﴾ (٣).

قالَ مُجاهِدُ(٤): إبتَلَاهُ اللهُ بِالآياتِ، الَّتي بَعدَهَا، وهيَ: ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً﴾ (٥).

وقالَ البَلخيُّ(٦): يَدُلُّ(٧) على ذلِكَ أنَّ الكَلَامَ، مُتَّصِلٌ، ولَمْ يَفصُلْ بَينَ قَولِهِ: ﴿إِنِّي جاعِلُكَ﴾ وبَينَ مَا تَقَدَّمَهُ بِوَاوٍ.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (٨) بِأنْ أوجَـبَ بِهَـا عَـلَى الأُمَّـةِ طَاعَتَـهُ، ومَنَـعَ أنْ يَنَـالَ العَهـدُ

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) في (ح): وهذا.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) جامع البيان: ١: ٥٢٦. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٢٠٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٩٧.

(٥) البقرة : ١٢٤.

(٦) حقائق التأويل: ٦٧. مجمع البيان: ١: ٢٠١.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ح): يدل ذلك على.

(٨) البقرة: ١٢٤.

لِلظَّالمينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ.

وقـالَ لِبـنُ جَرِيـرٍ في «المسترشَـدِ»[١]: قـالَ: ﴿وَمِـنْ ذُرِّيَّتِـي﴾[٢]، و«مِـنْ» لِلتَّبعِيضِ، لِيُعلَمَ أنَّ فِـيهِمْ مَـنْ يَستَحِقُّها، فَقَـالَ ـ تَعَـالى ـ: ﴿لا يَنـالُ عَهْـدِي الظَّالِمِينَ﴾[٣]. والشِّركُ، أكبَرُ الظُّلمِ. قالَ: ﴿وَالْـكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤]، وقالَ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٥].

وقال أبو الحَسَنِ البَصريُّ[٦]: هذِهِ الآيَةُ لَا يَخلُو: إمَّا أنْ يَكُونَ اللهُ ـ تَعَالى ـ[٧] نَفَى أنْ يَنَالَ الإمَامَةَ الكَافِرُ في حَالِ كُفرِهِ. أو مَنْ كَانَ كافِراً، ثُمَّ أسلَمَ.

فالأوَّلُ، لَا يَجُوزُ بالإجمَـاعِ[٨]. وإِبـراهيمُ[٩] ـ عَلَيـهِ السَّـلام ـ[١٠] لَا يَسـأَلُ ذلِكَ. فَلَم يَبقَ إلَّا الثَّاني.

---

(١) هو ابن جرير الإماميّ: المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام): ١٩٧.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) البقرة: ٢٥٤.

(٥) لقمان: ١٣.

(٦) في (هـ): البصروي.

(٧) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٨) في (هـ): الإجماع. من دون حرف الجرّ (الباء).

(٩) في (أ): إبراهيم. بسقوط الواو.

(١٠) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

وقَد ثَبَتَ أنَّ أبابَكرٍ، والعَبَّاسَ، قَدْ أسلَمَا بَعدَ الكُفرِ، فَقَدْ خَرَجَا عَنِ الإمامَةِ، فَلَابُدَّ أن يَكُونَ الإمَامَ عَلِيٌّ. وقَدِ اِستَدَلَّتْ[١] أصحَابُنَا[٢] بِهذهِ الآيَةِ: أنَّ الإمَامَ، لَا يَكُونُ إلَّا مَعصُوماً مِنَ القَبَائحِ، لأنَّ اللهَ - تَعَالى - نَفَى أن يَنَالَ عَهدَهُ - الَّذي هُوَ الإمَامَةُ - ظَالِمٌ. ومَنْ لَيسَ بِمعصُومٍ، فَهوَ ظَالِمٌ: إمَّا لِنَفسِهِ، أوْ لِغَيرِهِ.

فَإذا ثَبَتَ وُجُوبُ عِصمَةِ الإمامِ، واختلَفَ النَّاسُ بَعدَ النَّبيِّ - عَلَيهِ السَّلام - في إمَامَةِ عَلِيٍّ، والعَبَّاسِ[٣]، وأبي بَكرٍ[٤]. وأجمَعُوا عَلَى أنَّ العَبَّاسَ، وأبَا بَكرٍ[٥]، غَيرُ مَعصُومَينِ[٦]، وأنَّ عَلِيّاً، مَعصُومٌ، ثَبَتَ إمَامَتُهُ بَعدَ النَّبيِّ - عَلَيهِ السَّلام - بِلَا فَصلٍ. وإلَّا خَرَجَ[٧] الحقُّ عَنِ الأُمَّةِ بِأسرِهَا.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٨].

---

(١) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): اِستدلَّ. من دون تاء التأنيث الساكنة.

(٢) تلخيص الشافي: ق٢ ح١: ٢٥٣ - ٢٥٥.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): أو العباس.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): أو أبي بكر.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): أبي. بالجرّ.

(٦) في (ح): ليسا بمعصومين.

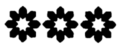
(٧) في (ش) و(أ): خراج. بألف ليّنة بين الراء والخاء.

(٨) الزُّمر: ٣٥.

لا يدُلُّ عَلَى انتِفَاءِ العِصمَةِ عَنْ أمِيرِ المُؤمنينَ [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ](١) بَلْ حُكمُهُ ـ في التَّأويلِ ـ مِثْلُ حُكمِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ(٢) في قَولِهِ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾(٣).

عَلَى أنَّ التَّكفِيرَ، إنَّما هُوَ تَوكِيدُ التَّطهيرِ لَهُ مِنَ الذُّنُوبِ. وهُوَ ـ وإنْ كَانَ ظَاهِرَ الخَبَرِ عَلَى الإطلاقِ، فَإنَّهُ مُشتَرَطٌ بوُقُوعِ الفِعلِ، لَوْ(٤) وَقَعَ. وإن كَانَ المَعلُومُ، أنَّهُ غَيرُ واقِعٍ ـ أبَدَاً ـ للعِصمَةِ. بِدَلَائلِ العُقُولِ، الَّتي لَا يَقَعُ فِيها إشتِرَاطٌ(٥).

ثُمَّ إنَّ التَّكفِيرَ فِيها، إنَّما تَعَلَّقَ بِالمُحسِنينَ، الَّذين أخبَرَ اللهُ ـ تَعَالى ـ بِجَزَائِهِم في التَّنزِيلِ، وجَعَلَهُ جَزَاءً بِالمِدحَةِ التَّصدِيقَ، دُونَ أن يَكُونَ مَتَوَجِّهاً إلى المُصدِّقِ المَذكُورِ.



(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ) و(ح).

(٢) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٣) الفتح: ٢.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): ألو. وهو تحريف.

(٥) في (أ): أشراط.

فصل [ـ ٢ ـ]

[وجوب كون الإمام أفضل من رعيّته]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ﴾(١) وقولُهُ: ﴿ذلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

يَدُلّانِ عَلَى أنَّ الإمامَ، يَنبَغي أنْ يَكُونَ أفضَلَ مِنْ رَعِيَّتِهِ، لِكونِهِ رَئيساً لَهُمْ في جميعِ الأشياءِ.

وحُصُولُ العِلمِ الأوّلِ بِقبحِ(٣) تَقدِيمِ المَفضُولِ عَلَى الفَاضِلِ، فِيما هُوَ أفضَلُ مِنهُ فِيهِ، [وَ](٤) وُجُوبُ تَعظِيمِهِ عَلَى كَافَّةِ الرَّعِيَّةِ، لِكونِهِ مُفتَرَضَ الطَّاعَةِ عَلَيهِمْ، كَاشِفٌ عَنِ [اِستِحقَاقِ الثَّوابِ.

فَإذا عَلِمنَا](٥) اِستِحقَاقَهُ مِنهُ أعلَى(٦) المَرَاتِبِ، عَلِمنَا كَونَهُ أكثَرَهم ثَوَاباً.

---

(١) الزخرف: ٣٢.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) في (ش): لقبح. مع حرف الجر (اللام).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (ش): إعلاء. مَعَ الهمزة المتطرفة وبصيغة المصدر.

وهذا مَعنَى قولِنَا: أفضَلُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾[2].

يَدُلَّانِ عَلَى أنَّ الإمَامَ، لَابُدَّ مِنْ كونِهِ أعلَمَ مِنْ رَعِيَّتِهِ بِأحكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَبِوُجُوهِ السِّياسَةِ، والتَّدبيرِ، لِكونِهِ إمَاماً فيها. وقَد عَلِمنَا قُبحَ تَقلِيدِ الجَاهِلِ مَا لَايَعلَمُهُ، وجَعلِهِ إمَاماً في شَيءٍ يَفتَقِرُ فيهِ إلى رَعيَّتِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[3]، وقولُهُ: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾ الآياتُ[4].

يَدُلَّانِ عَلَى أنَّ الإمَامَ / ١٥٠/ يَنبَغِي أنْ يَكُونَ شُجَاعَاً، لَا يَجُوزُ عَلَيهِ الجُبنُ، لِتَفزَعَ إليهِ الفِئةُ في الحَربِ، كَثُبُوتِ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[5] يَومَ أُحُدٍ،

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) البقرة: ٢٤٧.

(٤) النساء: ٩٥ وما بَعْدَها.

(٥) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

وحُنَينٍ - بَعدَ انهِزَامِ أصحَابِهِ - في نَفَرٍ يَسِيرٍ. وهذهِ[1] حَالُ أميرِ المؤمنينَ، والحُسَينِ[2] - عَلَيهِمَا السَّلام -.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾[3].

يَدُلُّ عَلَى أنَّ الإمَامَ، مِنْ شَرطِهِ أنْ يَكُونَ أزهَدَهُمْ، وأعبَدَهُمْ، لِكَونِهِ قُدوَةً في الأمرَينِ، ولَا يَستَحِقُّ قَولَهُ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ﴾[4].

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ﴾[5].

فيهِ دَلَالَةٌ عَلَى: أنَّ الإمَامَةَ، لا تَصلُحُ إلَّا في الرِّجالِ دُونَ النِّسَاءِ. وكذلِكَ حُكمُ النُّبُوَّةِ، قوله: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[6]. لأنَّ[7]

(١) في (ح): هذا.

(٢) في (ح): الحسَنين.

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) الصف: ٢، ٣.

(٥) النساء: ٣٤.

(٦) الأنبياء: ٧.

(٧) في (هـ): فالانز وهو تحريف.

الشَّكلَ إلى شَكلِهِ، آنَسُ، والأنَفَة مِنهُ، أبعَدُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾(١)، وقولُهُ: ﴿فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾(٢)، وقولُهُ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾(٣)، وقولُهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾(٤).

تَدُلُّ عَلَى أنَّ الإمَامَ، يَنبَغِي أنْ يَكُونَ وَاحِداً في الزَّمانِ بلَا ثانٍ، وأنَّهُ لَا [يَدَ](٥) فوقَ يَدِهِ، لأنَّهُ مُفترَضُ الطَّاعَةِ، ولَا يُشارِكُهُ أحَدٌ في ذلِكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَقالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(٦).

فَأتَى بِهِ كذلِكَ. رَدٌّ عَلَى المُعتَزِلَةِ، ومَنْ وافَقَهُمْ: أنَّ المُعجِزَ لَا يَكُونُ إلَّا لِنَبِيٍّ.

---

(١) النّحل: ٨٤.

(٢) النساء: ٤١.

(٣) الإسراء: ٧١.

(٤) فاطر: ٢٤.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق.

(٦) النَّمل: ٤٠.

وكذلِكَ قولُهُ: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾ الآيةُ[١]، فَفعَلَتْ مَا أُمِرَتْ بِهِ. فَالوَحيُ إِلَيْها، مُعجِزٌ. وَجَعْلُ وَلَدِهَا في التَّابُوتِ، وطَرْحُهُ في اليَمِّ، لَا يَكُونُ إِلَّا بَعدَ اليَقِينِ بِأنَّ الآمِرَ لَهَا بِذلِكَ، هُوَ القَدِيمُ ـ سبحانه ـ ولَا سَبِيلَ إلى ذلِكَ إِلَّا بِظُهُورِ مُعجِزٍ أنَّ الخِطَابَ، المُتَضَمِّنَ لِذلِكَ، وَحيٌ مِنهُ ـ سبحانه ـ. وكذلِكَ قَولُهُ ـ في مَريَمَ ـ: ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ...﴾ الآيَةُ[٢]. فَنُزُولُ الرِّزقِ مِنَ السَّماءِ، مُعجِزٌ. وَمَعَايَنةُ المَلَكِ المُبَشِّرِ لَهَا بِالمسِيحِ ـ في صُورَةِ بَشَرٍ ـ[٣] مُعجِزٌ.

وقوله: ﴿فَناداها مِنْ تَحْتِها...﴾ الآياتُ[٤]. النِّداءُ لَهَا، مُعجِزٌ. وكَلَامُ الطِّفلِ[٥]، مُعجِزٌ. وتَسَاقُطُ الرُّطَبِ مِنَ النَّخلَةِ اليابِسَةِ، مُعجِزٌ. وكَلَامُ عِيسَى بَعدَ مَا أَشَارَتْ إليهِ، ﴿قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ...﴾ الآياتُ[٦]، مُعجِزٌ.

وكذلِكَ قَولُهُ ـ في سَارَةَ، وقَدْ عَايَنَتِ المَلَائكَةَ ـ: ﴿فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾[٧] مُعجِزٌ.

---

(١) القصص: ٧.

(٢) آل عمران: ٣٧.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): بُشرى. وهو تحريف.

(٤) مريم: ٢٤. وما بعدها.

(٥) في (هـ): الصَّيقل. وهو تحريف.

(٦) مريم: ٢٩. وما بعدها.

(٧) هود: ٧١.

ولَا انِفِصَالَ مِنْ ذلِكَ بِقَولِهِمْ: إنَّ مُعجِزَ آصَفَ، لِسُلَيمانَ(١)، ومُعجِزَ أُمِّ مُوسَى، لِمُوسَى، ومُعجِزَ مَريمَ لِعِيسَى. لأنَّ المَعلُومَ، تَخَصُّصُ المُعجِزِ بِمَنْ(٢) ذَكرنَاهُ، تَصدِيقَاً لَهُمْ، أوْ تَشرِيفَاً يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مَنازِلِهِم.



(١) في (أ): سليمان. من دون حرف الجرّ (اللام).

(٢) في (ح): بما.

فصل [ـ ٣ ـ]

[آيات أُنزلت في عليٍّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ [1].

أجمَعَتِ[2] الأُمَّةُ أنَّها نَزَلَتْ في حَقِّ[3] أمِيرِالمؤمنِينَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لَمَّا تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ، وهوَ راكِعٌ. ولا خِلَافَ بَينَ المُفَسِّرِينَ[4] في ذلِكَ. وأكَّدهُ إجماعُ أهلِ البيتِ ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ، فَثَبَتَتْ ولَايتُهُ عَلَى وَجهِ التَّخصِيصِ[5]، ونُفِيَ معناهَا عَنْ غَيرِهِ.

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) في (ك) و(هـ) و(ح): إجتمعتْ.

(٣) (حقّ) ساقطة من (أ).

(٤) أنظر ـ مثلاً ـ: جامع البيان: ٦: ٢٨٨. أيضاً مجمع البيان: ٢: ٢١٠. أسباب النزول: ١٣٣ ـ ١٣٤. نور الثقلين: ١: ٦٣٣ ـ ٦٣٧. تفسير البغوي: ٢: ٤٧. شواهد التنزيل: ١: ١٦١. التفسير الكبير: ١٢: ٢٦. تفسير الكشاف: ١: ٦٤٩. الدرّ المنثور: ٣: ١٠٤ ـ ١٠٦ خصائص العشرة الكرام البررة: ٩٥. كفاية الطالب: ٢٢٨ ـ ٢٢٩، ٢٥٠. فرائد السمطين: ٦٦ الرياض الناضرة: ٣: ١٧٨.

(٥) في (أ): التخصُّص.

وإنَّما عَنَى بـ«وَليّكمْ» القـائمَ بِـأُمُورِكُمْ، ومَـنْ يَلـزَمُكُمْ طَاعَتُـهُ. وفَـرضُ الطَّاعَةِ ـ بَعدَ النَّبيِّ ـ لَا يَكونُ[1] إلَّا للإمَامِ.

وثَبتَ ـ أيضاً ـ عِصمتُهُ، [لأنَّـهُ][2] ـ تَعَالى ـ إذا أوجَـبَ لَـهُ مِـنْ فَـرضِ الطَّاعَةِ، مِثلَ مَا أوجَبَهُ لِنَفسِهِ ـ تَعَالى ـ وَلِنَبيِّهِ ـ عَلَيهِ السَّـلام ـ اِقـتَضَى [ذلِكَ][3] طَاعَتَهُ في كُلِّ شَيءٍ.

وهذا بُرهَانُ عِصمَتِهِ، لأنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُـنْ كـذلِكَ، لَجَـازَ مِنـهُ الأمـرُ بِـالقَبِيحِ، فَتَقبُحُ[4] طَاعَتُهُ، وإذا قَبُحَتْ، كَانَ ـ تَعَالى ـ أوجَبَ فِعلَ القَبيحِ.

وفي عِلمِنَـا بِأنَّ ذلـكَ لَا يَجُـوزُ عَلَيـهِ ـ سُبحَانَـهُ ـ دَلِيـلٌ عَـلَى وُجُـوبِ عِصمَتِهِ[5].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الْـيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآية[6].

---

(١) في (ح): تكون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) ما بين المعقوفتين مطموس في (ش).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): فيقبح. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) في (ك) و(هـ) و(ا) و(ح): العصمة.

(٦) المائدة:٣.

أَبُو سَعِيدٍ(١) الخُدرِيُّ، وجَابِرُ الأنصَارِيُّ(٢)، وجَمَاعَةٌ مِنَ(٣) المُفَسِّرِينَ، وسَائِرُ(٤) العِترَةِ: إنَّ هذِهِ الآيَةَ مِنْ قولِهِ: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ نَزَلَتْ يَومَ عَرَفَةَ، بَعدَ العَصرِ في حِجَّةِ الوَدَاعِ(٥)، سَنَةَ عَشرٍ. والنَّبِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ واقِفٌ بِعَرَفَاتَ.

ورُوِيَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى نَاقَتِهِ العَضْبَاءِ(٦). ورُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يَنزِلْ بَعدَهَا شَيءٌ(٧).

وعَاشَ النَّبِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بَعدَهُ أَحَدَاً(٨) وثَمانِينَ يوماً، فَلَابُدَّ أن يَكُونَ

---

(١) مجمع البيان: ٢: ١٥٩. شواهد التنزيل: ١: ١٥٧، ١٥٨. فرائد السمطين: ٦١، ٦٢. للدر المنثور: ٣: ١٩. المناقب للخوارزمي: ٨٠. مناقب الأمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ٢٠.

(٢) مناقب الأمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ٢٥ الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٦١. الدر المنثور: ٣: ١٧ ـ ٢٠.

(٣) أسباب النزول: ١٢٦ ـ ١٢٧ صحيح مسلم: ٨: ٢٣٨، ٢٣٩. مجمع البيان: ٢: ١٥٨ ـ ١٥٩. تفسير القمّي: ١: ١٦٢.

(٤) تفسير العيّاشي: ١: ٢٩٢ ـ ٢٩٣. نور الثقلين: ١: ٥٨٧ ـ ٥٨٨. البرهان في تفسير القرآن: ١: ٤٣٤. الدر المنثور: ٣: ١٩ عن عليّ (عليه السلام).

(٥) في (ك): الداع. وهو تحريف.

(٦) أسباب النزول: ١٢٦ـ ١٢٧. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٦١.

(٧) تفسير العيّاشي: ٢٩٣. الكافي: تفسير البغويّ: ٢: ١٠ ـ ١١ تفسير نور الثقلين: ١: ٥٨٧، ٦٥٢ البرهان: في تفسير القرآن: ١: ٤٣٤ الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٦١.

(٨) في (ش) و(أ): أحد. من دون تنوين النَّصب.

ذلِكَ أمراً عَظِيماً[١] مَا[٢] مَنَّ عَلَى المُسلِمينَ بِهِ، وتَمَّمَ دِينَهُم بِبَيانِهِ.

ومَعلُومٌ أَنَّهُ ـ تَعَالى ـ قَد شَرَّعَ جَمِيعَ الشَّرائعِ، قَبلَ ذلِكَ، فَلَمْ يَبقَ إلَّا أَنَّهُ أمَرَهُ أنْ يَنُصَّ عَلَى عَلِيٍّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِالإمامَةِ. كَما قَالَتِ الشِّيعَةُ[٣].

وبَطَلَ قَولُ المُشرِكينَ أَنَّهُ أبترُ، لا يَقُومُ مَقَامَهُ ـ بَعدَ[هُ][٤] ـ أحَدٌ؛ إذْ لا وَلَدَ لَهُ. فَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُم يَئسوا مِنْ ذلِكَ حَيثُ / ١٥١/ نَصَّ عَلَيهِ، وتَمَّ بِهِ الدِّينُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٥].

ذَكَرَ أَبو عُبيد[٦]، والنَّقَّاشُ، وسُفيَانُ بنُ عُيينَةَ، والوَاحِدِيُّ[٧]، وابنُ جُرَيج، والثَّوريُّ، وعَطَاء، وابنُ عبَّاسٍ[٨]،

---

(١) في (ش) و(ك) و(أ): أمرٌ عظيمٌ. بالرفع والتنوين للصفة والموصوف.

(٢) (ما) ساقطة من (ح).

(٣) تفسير العيَّاشي: ١: ٢٩٢. نور الثقلين: ١: ٥٨٧، ٥٨٨. البرهان في تفسير القرآن: ١: ٤٣٤.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) المائدة: ٦٧.

(٦) في (ك) و(هـ) و(ح): أبو عبيدة.

(٧) أسباب النزول: ١٣٥.

(٨) شواهد التنزيل: ١: ١٨٩. ينابيع المودّة: ١: ١١٩، مجمع البيان: ٢: ٢٢٣.

والكَلبيُّ[١]، وأَبُو صَالِحٍ[٢]، والمرزُبانيُّ، وإبراهيمُ الثَّقَفِيُّ، وابنُ عُقدَةَ، وغَيرُهُم - في رُواياتٍ مُتَّفِقَاتِ المَعَاني - أنَّها نَزَلَتْ في أميرالمؤمنينَ - عَلَيهِ السَّلام -. وقَد رَوَاهُ أكثرُ النَّاقِلِينَ، مِنهم: أحمدُ بنُ[٣] حَنبَلَ، وابنُ بَطَّةَ[٤]، وأبو بَكرِ بنِ[٥] مَالِكٍ، وأبُو سَعِيدٍ[٦] الحَرْكُوشِي، وأبُو المُظَفَّرِ[٧] السَّمعانيُّ، وأبُو بَكرِ البَاقِلَاني، مِمَّا يَطُولُ بِذِكرِهِ الكِتَابُ.

ويُؤَيِّدُهُ إجماعُ أهلِ[٨] البَيتِ - عَلَيْهِم السَّلام - فَقَولُهُ - عَلَيهِ السَّلام - عِندَ ذلِكَ - يومَ غَدِيرِ خُمٍّ - وقَدْ جَمَعَ الأُمَّةَ لِسَماعِ الخِطَابِ:

أَلَستُ أولَى مِنكُم بِأنفُسِكُمْ؟

فَقَالوا: اللَّهمَّ! بَلَى!

---

(١) شواهد التنزيل: ١: ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢. مجمع البيان: ٢: ٢٢٣.

(٢) شواهد التنزيل: ١: ١٨٩، ١٩٢. ينابيع المودّة: ١: ١١٩. مجمع البيان: ٢: ٢٢٣.

(٣) مسند الأمام أحمد بن حنبل: ٤: ٢٨١.

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من كتابه الإبانة.

(٥) لم أقف عليه في مصورَّة كتابه (شرف النبيّ).

(٦) فضائل الصحابة: ٢: ٦١٠ - ٦١١، ٦١٣.

(٧) فرائد السمطين: غاية المرام: ٣٣٤.

(٨) تفسير العَيَّاشي: ١: ٣٢٧ - ٣٢٩. نور الثقلين: ١: ٦٥٢ - ٦٥٧ نقلاً عن عدّة مصادر. سنن ابن ماجة: ١: ٤٣. باختلاف في اللفظ يسير. الإرشاد: ١١، ١٠٢. تاريخ بغداد: ٧: ٣٧٧/ ٨: ٢٩. إعلام الورى: ١٣٩، ١٦٩.

فَقَالَ لَهُمْ ـ عَلَى النَّسَقِ مِنْ غَيرِ فَصلٍ ـ: فَمَنْ كُنتُ مَولَاهُ، فَعَلِيٌّ مَولَاهُ.

اللَّهُمَّ! والِ مَنْ والَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وانصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، واخذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.

وأنشَدَ حسَّان بنُ[1] ثَابِتٍ ـ رضيَ اللهُ عَنهُ ـ:

يُنَادِيهُمُ ـ يَومَ الغَدِيرِ ـ نَبِيُّهُمْ بِخُمٍّ، وأَسمِعْ بِالنَّبِيِّ مُنادِيَا
يَقُولُ: فَمَنْ مَولَاكُمُ، ووَلِيُّكم؟ فَقَالُوا ـ ولَمْ يُبدُوا هُنَاكَ التَّعامِيا ـ:
إلهُكَ مَولَانا، وأنتَ وَلِيُّنَا ولَنْ تَجِدَنْ مِنَّا لَك ـ اليَومَ ـ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ: قُم يا عَلِيُّ فَإنَّني رَضِيتُكَ مِن بَعدِي إمَاماً، وهَادِيَا
هُنَاكَ دَعَا: اللَّهُمَّ! وَالِ وَلِيَّهُ وَكُنْ لِلَّذي عَادَى عَلِيَّاً مُعَادِيَا

فَأوجَبَ لَهُ مِنْ فَرْضِ الطَّاعَةِ، والوِلَايةِ، مَا كَانَ عَلَيهم مِمَّا قَدَّرَهُم بِهِ مِنْ ذلِكَ، فَلَم يُنَاكِرُوهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[2].

---

(١) أخلَّ بها ديوانه في طبعاته المختلفة. ثم انظر: أمالي الصدوق: ٥١٤. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام): ١١٩. إعلام الورى: ١٣٩ ـ ١٤٠. مناقب آل أبي طالب: ٢: ٢٣٠. كتاب الجمل ١١٧ كنز الفوائد: ١٢٣. المناقب للخوارزمي: ٨٠ ـ ٨١ فرائد السمطين: ٦١، ٦٢. وفيها جميعها معزوّة إلى حسان بن ثابت.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

إجماعُ الأُمَّةِ(١) أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ(٢) عِندَ نُزُولِ هذهِ الآيـةِ، جَمَـعَ بَنـي عَبد المُطلِبِ ـ خاصَّةً فِيها ـ للأنذارِ، وقالَ:

مَنْ يُؤازِرُني عَلَى هذا الأمرِ، يَكونُ أخـي، ووَصِـيِّي، ووزيـري، ووَارِثـي، وخَليفَتي مِنْ بَعدي؟

فَقَامَ أميرُ المؤمنينَ مِنْ بَينِ جَمَاعَتِهم ـ وهوَ أصغَرُهُمْ يَومئذٍ سِنّاً ـ فقالَ: أنَـا أُوَازِرُكَ يا رَسولَ الله!

فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: اِجلِس! فَأنتَ أخي، ووصـيِّي، ووَزِيـرِي، وَارِثي، وخَلِيفتي مِنْ بَعدِي..

وهذا صَرِيحُ القَولِ في الاستِخلَافِ.

وفي الآيةِ، دَلَالَةٌ عَلَى: أَنَّهُ ـ تَعَالى ـ أمَرَهُ بِدُعَاءِ أهـلِ بَيتِـهِ، وعُترَتِـهِ. وقَصَر ذلِكَ عَلَيهِم قَبلَ النَّاسِ، فكَانَ لِعَلِيٍّ، ثَلَاثُ دَعَواتٍ:

دَعوَةُ أهلِ البَيتِ الَّذينَ كانُوا في بَيتِ خَدِيجَـةَ ـ [واجتَمَـعَ العُلَـماءُ عَـلَى أنَّ

---

(١) جامع البيان: ٩: ١٢١. علـل الشَّرائـع: ١٧٠. الإرشـاد: ١١، ٣٢ ـ ٣٣. شـواهد التَّنزيـل: ١: ٤٢٠ ـ ٤٢١. إعلام الـورى: ١٦٧. مجمـع البيـان: ٧: ٢٠٦. تهـذيب الآثـار (مسند عـلي بـن أبي طالب): ٦٢ ـ ٦٣ فضائل الصحابة: ٢: ١١١، ٦٨٤، ٧٠٠، ٧١٣. مسند أحمد: ١: ١١١ إثبات الوصيَّة: ٩٣. كفايـة الطالـب: ٢٠٤ ـ ٢٠٧. تـاريخ الطـبري: ٢: ٣٢١ ـ ٣٢٢. فرائـد السمطين: ٧١ ـ ٧٢. غاية المرام: ٣٢٠ ـ ٣٢٣. الرياض النضرة: ٣: ١٢٥.

(٢) في (ح): صلى الله عليه وآله.

الإسلامَ، لَمْ يَخرُجْ مِنْ بَيتِ خَديجَةَ](١)، حَتَّى أسْلَمَ كُلُّ مَنْ فيهِ ـ، وَدَعوَةُ بني هَاشِمٍ، ودَعوَةُ العَامَّةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى﴾(٢). وقولهُ: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٣).

فَثَبَتَ لَهُ خِلَافَتُهُ بِمُحكَمِ التَّنزِيلِ(٤).

ثُمَّ: إنَّهُ قَدْ اِجتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى قَولِ النَّبيِّ(٥) ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لِعَلِيٍّ: أنتَ

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) طه: ٢٩، ٣٦.

(٣) الأعراف: ١٤٢.

(٤) أنظر فضائل الصحابة: ٢: ٦٧٨.

(٥) مسند أحمد (ط. شاكر): ٣: ٣٧، ٥٠، ٥٦، ٥٧، ٦٧، ٧٤، ٨٨، ٩٤، ٩٧/ ٥: ٢٦. صحيح البخاري: ٥: ٢٤. باختلاف يسير. صحيح مسلم: ٧: ١٢٠. سنن ابن ماجة: ١: ٧٥. المعجم الكبير: ٥: ٢٢٠، ٢٢١. علل الشرائع: ٤٧٤. الإرشاد: ١١. شرف المصطفى: ق: ١٩٧. تاريخ بغداد: ٣: ٢٨٩، ٤٠٦/ ٤: ٢٠٤/ ٧: ٤٥٣/ ٨: ٥٣/ ١٠: ٤٣. إعلام الوَرَى: ١٦٩ ـ ١٨٨. المعجم الصغير: ٢: ٢٢، ٥٤ مسند أبي داود الطيالسيّ: ٢٨، ٢٩. مسند أبي يعلى الموصليّ: ١: ٢٨٦/ ٢: ٥٧، ٦٦، ٧٣، ٨٦، ٨٧، ٩٩. خصائص العشرة الكرام البررة: ٩٤. شرح الأصول =

مِنِّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى. إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي. فَأَوجَبَ لَهُ الوِزَارَةَ، والخِلَافَةَ، والأُخُوَّةَ، والشِّرْكَةَ في الأمرِ، وشَدَّ الأَزرِ بِالنُّصرَةِ، والفَضْلَ، والمحبَّةَ، وكُلَّ مَا تَقتَضِيهِ الآيَةُ.

ثُمَّ الخَلَافَةَ في الحيَاةِ ـ بالصَّرِيحِ ـ بَعدَ النُّبُوَّةِ، بِتَخْصِيصِ الاستِثْنَاءِ، لَمَّا خَرجَ مِنها بِذِكرِ الـ«بَعْد»[1].

عَلَى أَنَّهُ لَا يَخلُو الكَلَامُ فيهِ مِنْ ثَلَاثَةِ مَعَانٍ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا، مِثْلَ هَارونَ، أَوْ أَخَاهُ[2] لِأَبِيهِ، وأُمِّهِ، أَوْ خَلِيفَتَهُ في أُمَّتِهِ. إذْ لَمْ نَجِدْ[3] لَهُ مِنْ مُوسَى إِلَّا هذهِ المَنَازِلَ. فَلَمَّا بَطلَتْ[4] مَنزِلَةُ النُّبُوَّةِ، والأُخُوَّةِ، لأَبٍ، وأُمٍّ، ثَبَتَتْ لَهُ المَنزِلَةُ الثَّالِثَةُ، وهيَ أَنَّهُ خَلِيفَتُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾.

= الخمسة: ٧٦٦. فضائل الصحابة: ٢: ٥٦٧ وفي مواضع أخرى. معرفة الصحابة: ٢: ١٥. كفاية الطالب: ٢٨١ ـ ٢٨٧. مصابيح السنَّة: ٢: ١٩٩. المناقب للخوارزمي: ٦٠، ٧٤، ٨٣ فردوس الأخبار: ٣: ٨٨/ ٥: ٤٠٦ ع عمر بن الخطاب. المغني في أبواب التوحيد والعدل: ج ٢٠. ق ٢ (في الأمامة): ١٥٨. مناقب الأمام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٢٧ ـ ٣٧. فرائد السمطين: ١٠٧ ـ ١١١ الرياض الناضرة: ٣: ١١٧ ـ ١١٩.

(١) في (أ): العدّ. وهو تحريف.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): أخوه.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يجد. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) في (ش): أبطلت.

وكُلُّ كَلَامٍ جَاءَ عَلَى وَجهٍ، واثنَينِ، وثَلَاثَةٍ، فَسَدَ مِنها خِلَّةٌ، وَخِلَّتانِ[١]، ثَبَتَتِ الثَّالِثَةُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٢].

فَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الإجمَاعِ. والأُمَّةُ مُجمِعَةٌ عَلَى أنَّ النَّبيَّ[٣] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ اِستَخلَفَ عَلِيّاً بِالمَدِينَةِ، عِند خُرُوجِهِ إلى تَبُوكَ، وَلَمْ يَثبُتْ ـ بَعدَ ذلِكَ ـ عَزلُهُ.

واجتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ للنَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ خَلِيفَتَانِ: أحَدُهُما في المدينَةِ، والآخَرُ[٤] في بَقِيَّةِ الأُمَّةِ، فَيَجِبُ أنْ يَكُونَ هُوَ الإمَامَ بَعدَهُ، لِثُبُوتِ وِلَايتِهِ عَلَى المَدِينَةِ إلى بَعدِ وَفَاتِهِ، وحُصُولِ الإجمَاعِ عَلَى أَنَّهُ لَيسَ لَهُ إلَّا خَلِيفَةٌ[٥] واحِدٌ[٦].



(١) في (ح): أوْ خلتان.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) انظر تخريج موارد حديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى...» ففيها تفصيل الاستخلاف.

(٤) في (ك): الأُخرى.

(٥) في (أ): خليفته.

(٦) في (ش) و(هـ): واحدة. مَعَ التاء المدوّرة المنقوطة.

فصل [ـ ٤ ـ]

[عليٌّ السابق للإسلام وهو أفضلهم بعد النبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْـمُقَرَّبُونَ﴾[١].

تَفسيرُ اِبنِ عَبَّاسٍ[٢]، ومُجَاهِدُ[٣]، وقتادَةُ[٤] والضَّحَّاكُ[٥]، وَالسُّدِّي[٦]، وعَطَاءُ[٧]، الخراسانيُّ، ويوسفُ[٨] القَطَّانُ، ووَكيعُ[٩]، والقاضي[١٠]، والثَّعلبيُّ[١١]

---

(١) الواقعة: ١٠، ١١.

(٢) شواهد التنزيل: ٢: ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧ أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٧٠ ينابيع المودَّة: ١: ٦٠.

(٣) شواهد التنزيل: ٢: ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥. ينابيع المودّة: ١: ٦٠. أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٧٠.

(٤) الرياض النضرة: ١: ٨٨ المناقب للخوارزمي: ٢٠ أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٧٠.

(٥) شواهد التنزيل: ٢: ٢١٥. أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٧٠.

(٦) شواهد التنزيل: ٢: ٢١٦.

(٧) شواهد التنزيل: ٢: ٢١٧.

(٨) المناقب للخوارزمي: ١٦.

(٩) أنساب الأشراف (ط. المحمّودي): ١٠٤.

(١٠) المغني في أبواب العدل والتوحيد: ج ٢٠ ق ٢ (الأمامة): ١٣٩ فَمَا بعدها.

(١١) ينابيع المودَّة: ١: ٦٠. نقلاً عن الثعلبي.

/ ١٥٢/ والواقديُّ، وتَاريخُ[١] الطَّبَرِيِّ. والنّسَائي[٢]، والخَطِيبُ[٣]، ومُسندُ[٤] أحْمَدَ وأبي يَعلَى[٥]، وفَضَائلُ العُكبُرِيِّ، والسَّمعَانيُّ، والاصفهَانيُّ[٦]، وجامِعُ[٧] الترمَذِيِّ، وإبانةُ[٨] العُكبَرِيِّ ، وحِليةُ الأصفَهانيِّ ، ومَعَاني[٩] الزَّجَّاجِ ، وضِيَاءُ الأقليشي، ومَعرِفةُ[١٠] أُصُولِ الحديثِ ، عَنِ ابنِ البيع ، وكِتابُ الشِّيرازيِّ ، وأسبَابُ[١١] الواحِدِيِّ ، [وَ] [١٢] محمَّدُ بنُ[١٣] سعدٍ ، ومَعَارفُ[١٤] القُتَيبيّ ، وأربعين[١٥]

(١) تاريخ الطبري: ٢: ٣٠٩ ـ ٣١٤.

(٢) خصائص أمير المؤمنين: ٢، ٣.

(٣) تاريخ بغداد: ١: ١٣٣/ ٢: ٨١، ٢٣٣.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ١: ٩٩.

(٥) في (هـ): أبو يعلى. بالرفع. ثُمَّ انظر: مسند أبي يعلى الموصليّ: ١: ٣٤٨/ ٣: ١١٧ ـ ١١٨.

(٦) الأصفهاني. انظر مناقب الخوازمي: ١٨ هو ابن مَرْدَويهِ.

(٧) صحيح الترمذي: ١٣: ١٧٧.

(٨) لم نقف عليهِ في المطبوع من كتاب الأبانة.

(٩) لم نقف عليهِ في معاني الزجاج.

(١٠) معرفة أصول الحديث: ٢٢.

(١١) لم نقف عليه في أسباب النزول بطبعته التي بين أيدينا.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(١٣) الطبقات الكبرى: ٣: ٢١.

(١٤) المعارف: ١٦٨.

(١٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): أربع. وكتاب (الأربعين في مناقب الأربعين ووصيه الأمين) مفقود. والقول في مناقب الخوارزمي: ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٢ عن جماعة.

الخَوارزميِّ، وفِردوسُ[١] الدَّيلَمِيِّ، وخَصَائصُ النَّطنزيِّ، وكِتابُ مُحمَّدِ بنِ[٢] إسحاقَ، وشَرَفُ[٣] النَّبيِّ: أنَّ عليّاً ـ عَلَيهِ السَّلام ـ السَّابِقُ إلى الإسلامِ.

رَوَوا ذلكَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وأبي ذَرٍّ، وسَلمانَ، والمِقدَادِ، وعَمَّارٍ، وزَيدِ بنِ صَوحَانَ، وحُذَيفَةَ بنِ اليَمانِ، وأبي الهَيثَمِ بنِ التّيهَانِ، وأبي الطُّفَيلِ الكِنَانيِّ، وأبي أيُّوبَ الأنصاريِّ، وأبي سَعِيدٍ الخُدَريِّ، وجَابرِ بن عَبدِ الله، وزَيدِ بن أرقَمَ، وأبي رَفعٍ، وجُبيرِ بنِ مُطعِمٍ، وعَمرو بنِ الحَمَقِ، وحِبَّةَ العَرَنيِّ[٤]، وسَعيدِ بنِ قَيسٍ، وعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وسَعَدِ بنِ أبي وقَّاصٍ، وأنَسِ بن مَالكٍ.

وقَد رَوَاهُ الوَاقِدِيُّ، وأبُو صَالحٍ، والكَلبِيُّ، ومُحمَّدُ بنُ المُنكَدِرِ، وعَبدُ الرَّزَّاقِ، ومَعمَرُ، والشَّعبيُّ، وشُعبَةُ بنُ الحَجَّاجِ، وأبُو حَازِمِ المَدنِيُّ، وعَمرو بنُ مُرَّةَ[٥]، والحَسَنُ البَصرِيُّ، أبُو البُختريُّ.

والكُتُبُ ـ بِذلِكَ ـ مَشحونَةٌ. يؤَكِّدُهُ إجمَاعُ أهلِ[٦] البيتِ ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ.

---

(١) فردوس الأخبار: ٥: ٤٠٦.

(٢) السير والمغازيّ: ١٣٨.

(٣) شرف المصطفى: ق: ١٩٧.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): القرني. بالقاف المثنّاة.

(٥) في (ك): مسرة. بميم بعدها سين مهملة. وهو تحريف وفي (ح): عمر بن سبرة.

(٦) تفسير فرات الكوفيّ: ١٧٧. شواهد التنزيل: ٢: ٢١٣ ـ ٢١٧. البرهان في تفسير القرآن: ٤: ٤٧٦. مجمع البيان: ٥: ٢١٥. عن أبي جعفر الباقر (ع).

وفي تاريخِ[١] الطَّبرِيِّ: قالَ مُحَمَّدُ بنُ سَعدٍ: قُلتُ لأبي: أكَانَ أبو بَكرٍ، أوَّلَكُمْ إسلاماً؟

فقَالَ: لَا! ولَقَدَ أسلَمَ ـ قبلَهُ ـ أكثَرُ مِنْ خَمسينَ رَجُلاً.

أمَّا إسَلَامُ عَلِيٍّ ـ في صِغَرِه ـ فَهوَ مِنْ[٢] فَضَائلِهِ، لأنَّ الله ـ تَعَالى ـ رَفَعَ التَّكليفَ عَنِ الصَّبِيِّ، ولا يَجرِي عَلَيهِ حُكمٌ. والنَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٣] لَا يَفرَغُ مِنهُ لِدُعَاءِ غَيرِهِ، لِتَرَدّدِ الصَّبِيِّ بَينَ الإسلامِ، والارتِدَادِ.

ثُمَّ إنَّ إسلامَهُ، لَا يَخلُو: إمَّا أنَّهُ بايَعَهُ عَلَى مَا عَلِمَ[٤] في نَفسِ رَسُولِ الله أو دَعَاهُ، النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٥] حَتَّى يُفَضِّلَ اِبنَ عَمِّهِ، مُحَابِيَاً[٦] لَهُ. وكِلَاهُما، بَاطِلٌ. أو دَعَاهُ بِأمرِ الله ـ تَعَالى ـ، لأنَّهُ ﴿ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى﴾[٧] ﴿وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾[٨].

---

(١) تاريخ الطبري: ٢: ٣١٦.

(٢) (من) ساقطة من (ك).

(٣) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٤) (علم) ساقطة من (ك) و(ح).

(٥) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٦) في (ك): مجانباً. بجيم معجمة من تحت ونون موحدة من فوق بعدها باء موحَّدة من تحت.

(٧) النَّجم: ٣.

(٨) الرعد: ٣٨.

أَنَّهُ لَمَّا دعَاهُ، إمَّا رَدَّ عَلَيهِ إسلامَهُ، أو قَبِلَ؛ عَلَى أنَّ إيمَانَهُ، إيمَانٌ. فَصَحَّ أنَّ الله ـ تَعَالى ـ قَدْ فَضَّلَهُ عَلَى الخَلقِ، لأنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[١] لَمْ[٢] يَدْعُ صَبِيّاً، ولا قَبِلَ إلَّا مِنْ عَلِيٍّ، ووَلَدَيهِ[٣]، فكَانُوا مِثْلَ آدَمَ، آمَنَ، وهُوَ ابنُ سَاعَةٍ، وعِيسَى، وهوَ ابنُ يَومٍ، ولَيلَةٍ، ويَحيَى، وهُوَ طِفْلٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾[٤].

اِستَدَلَّ الفَضلُ بنُ شَاذَانَ ـ بِهذِهِ الآيَةِ ـ: أنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ إذَا أوجَبَ ـ لِلأقرَبِ بِرَسُولِ الله ـ الولَايةَ، وحَكَمَ بِأنَّهُ أولَى مِنْ غَيرِهِ، فَإنَّ عَليّاً، كَانَ أولَى بِمَقَامِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مِنْ كُلِّ أحَدٍ، لأنَّ الإمَامَةَ، فَرعُ الرِّسَالةِ.

وأمَّا العَبَّاسُ، فَخَارِجٌ عَنهُ، لأنَّ الآيَةَ، مُتَعَلِّقَةٌ بِوَصفَينِ: الإيمانِ، والهِجرَةِ. ولَمْ يَكُنْ العَبَّاسُ، مُهاجِراً، بِالإجماعِ ـ وإنَّهُ لَمْ يَدَّعِ الإمامَةَ، ولَمْ[٥] تُدَّعَ لَهُ. وأنَّ عَلِيّاً، كَانَ اِبنَ عَمِّهِ لأبيهِ، وأُمِّهِ، والعَبَّاسُ، عَمَّهُ خاصَّةً. ومَنْ تَقَرَّبَ بِسَبَبينِ، كَانَ

(١) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٢) (لم) ساقطة من (ك).

(٣) في (أ): وولده.

(٤) الأنفال: ٧٥.

(٥) (لَمْ) كُرِّرت في (هـ).

أولَى مِمَّنْ يَتَقَرَّبُ بِسَبَبٍ واحِدٍ(١).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿...وَالَّذِينَ أُوتُوا الْـعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾(٢) وقولهُ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

قالَ الجَاحِظُ(٤): اِجتَمَعَتِ الأُمَّةُ أنَّ الصَّحَابةَ، كَانُوا يَأخُذُونَ العِلمَ مِنْ أربَعَةٍ: عَلِيٍّ، وابنِ عبَّاسٍ، وابنِ مَسعُودٍ، وزَيدِ بنِ ثَابِتٍ. وقَالَتْ طَائفَةٌ: وعُمَرَ(٥) بنِ الخَطَّابِ.

ثُمَّ أجمَعُوا عَلَى أنَّ الأربَعَةَ، كانُوا أقرَأَ لِكِتابِ الله مِنْ عُمَرَ. وقالَ(٦) ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: يَؤُمُّ النَّاسَ أقرَؤُهُمْ. فَسَقَطَ عُمَرُ.

---

(١) في (أ): واحدة. بالتاء المربوطة المنقولة.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) الزمر: ٩.

(٤) رسائل الجاحظ: رسالة استحقاق الإمامة: ٤: ٢٠٨. أيضاً: رسالة مقالة الزيديَّة والرافضة: ٤: ٣١٢.

(٥) في (ك): عمرو.

(٦) صحيح مسلم: ٢: ١٣٣. سنن النسائي: ١: ١٢٦. صحيح الترمذي: ٢: ٣٤. سنن أبي داود: ١: ١٣٧. تاريخ بغداد: ٧: ٤٥١. سنن ابن ماجه: ١: ٣١٣ ـ ٣١٤ باختلاف يسير. الكافي: ٣: ٣٧٦ وفيه: يتقدّم القوم أقرؤهم للقرآن. مسند أبي داود الطيالسي: ٨٦. أمالي الصدوق: ٥٧٥. بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ١: ١٣٩.

ثُمَّ أجمَعُوا عَلَى أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ قالَ: الإئمَّةُ مِنْ قُـرَيشَ[1]. فَسَـقَطَ اِبنُ مَسعُودٍ، وزَيدُ بنُ ثَابِتٍ.

ثُمَّ أجمَعُوا عَلَى أنَّ النَّبيَّ[2] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ قـالَ: إذا كَانَـا عَـالِمَينِ فَقِيهَـينِ، قَرَشِيينِ، فَأكبَرُهُما سِنّاً، وأقدَمُهُما هِجرَةً. فَسَقَطَ اِبنُ عَبَّاسٍ، وبَقِـيَ عَـلِيٌّ ـ عَلَيـهِ السَّلام ـ أحَقَّ بِالإمَامَةِ بالإجمَاعِ.

وقَد صَحَّ أنَّ الصَّحَابَةَ، كَانُوا يَرجِعُونَ إلى قَولِهِ عِنـدَ الاختِلَافِ، وهـوَ لَمْ يَسألْ أحَداً. وقَد قَالَ[3] النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِالأجماعِ ـ: أنَا مَدِينَةُ العِلـمِ، وعَـلِيٌّ بَابُها. ومَن أرَادَ العِلمَ، فَليَأتِ البَابَ[4]. أبَانَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وِلَايةَ عَلِيٍّ، وإمَامَتَهُ، وأنَّهُ/ ١٥٣/ لَا يَصُحُّ أخْذُ العِلْمِ، والحِكْمَةِ في حَيَاتِهِ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، إلّا مِنْ قِبَلِـهِ،

---

(١) الجامع الصحيح: ٤: ٥٠١، ٥٠٣ بلفظ مختلف. عيون أخبار الرضا: ٢: ٦٣ صحيح مسلم: ٦: ٣، ٤ بزيادة في اللفظ. المعجم الصغير: ١: ١٥٢. مسند أبي داود الطيالسي: ١٢٥ مسند أبي يعلى الموصليّ: ٦: ٣٢١.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ١: ١٣٩ تاريخ بغداد: ٧: ٤٥١. مسند أبي داود الطيالسي: ٨٦ المعجم الكبير: ١٧: ١٩٧ ـ ٢٠١ فردوس الأخبار: ٥: ٤٤٠.

(٣) (قال) ساقطة من (أ).

(٤) أمالي الصدوق: ١١١، ٢٣٨ وفيه: (مدينة الحكمة). عيون أخبار الرِّضا: ١: ٢٣٣. إعلام الوَرَى: ١٦٥. تاريخ بغداد: ٤: ٣٤٨. المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٢٦ ـ ١٢٧. فردوس الأخبار: ١: ٧٦. معرفة الصحابة: ١: ٣٠٨. المناقب للخوازمي: ٤٠. مناقب الأمام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٨٠ ـ ٨٥. فرائد السمطين: ٨٣. الرياض النضرة: ٣: ١٥٩.

وَرِوَايتِهِ عَنْهُ. كَمَا قَالَ: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾[1].

وَفِيْهِ دَلِيلٌ عَلَى عِصْمَتِهِ، لأنَّ مَنْ لَيْسَ بِمَعْصَومٍ، يَصُحُّ مِنْهُ وقُوعُ القَبِيحِ. فَإِذَا قَدَّرْنَا أَنَّهُ وَقَعَ، كَانَ الاقْتِدَاءُ بِهِ قَبِيحاً، فَيُؤَدِّي إِلى أَنْ يَكونَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ قَدْ أَمَرَ بالقَبيحِ. وذلِكَ لا يَجُوزُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ...﴾ الآية[2].

إجْمَاعٌ عَلَى أنَّهـا نَزَلَـتْ[3] في النَّبـي ـ عَلَيـهِ السَّـلام ـ وَفِي عـليٍّ، والحَسَـنِ، والحُسـينِ، وَفَاطمـةَ[4] ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ فَاسْتَدَلَّ أصحابُنا بِهَا على أنَّ أَمِيرَ المؤمِنِينَ، أفْضَلُ الصَّحابَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

---

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) أسباب النزول: ٦٨. صحيح مسلم: ٧: ١٢١. صحيح الترمذي: ١١: ١٢٦ / ١٣: ١٧٢. شرف المصطفى: ق: ١٧٦. فضائل الصحابة: ٢: ٧٧٦ ـ ٧٧٧. دلائل النبوّة لأبي نعيم: ٢٩٨ ـ ٢٩٩. المستدرك عن الصحيحين: ٣: ١٥٠. أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ١٠٤. مجمع البيان: ١: ٤٥١ ـ ٤٥٣. تفسير العياشي: ١: ١٧٥ ـ ١٧٧. مصابيح السنّة: ٢: ٢٠١. المناقب للخوارزمي: ٢٣، ٩٦ ـ ٩٧. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٢٦٣. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ١٠٤.

(٤) في (ك): في عليٍّ، وفاطمة، والحسن، والحسين.

أَحَدِهِما: إنَّ مَوْضِعَ[1] المُباهَلَةِ، لِيَتَمَيَّزَ المُحِقُّ مِنَ المُبْطِلِ. وذلِكَ لا يَصُحُّ أَنْ يُفْعَلَ إلّا بِمَنْ هُوَ مَأْمُونُ البَاطِنِ، مَقْطُوعٌ عَلَى صِحَّةِ[2] عَقِيدَتِهِ، أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ ـ تَعَالى ـ.

وَلَوْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسَلَّم ـ وَجَدَ مَنْ يَقُومُ مَقامَهُم، لَبَاهَلَ بِهِم. وَهذا دَالٌّ[3] عَلَى فَضْلِهِم. وَنَقْصِ غَيْرِهِم.

والثّاني: إنَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام[4] ـ جَعَلَهُ مِثْلَ نَفْسِهِ في قَوْلِهِ: ﴿وَأَنفُسَنا وَأَنفُسَكُمْ﴾[5] لأَنَّهُ أَرادَ بِقَولِهِ: ﴿أَبْناءَنا﴾[6]: الحَسَنَ، والحُسينَ، ﴿وَنِساءَنا﴾[7]: فاطِمَةَ. بِلا خِلافٍ.

وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: إنَّهُ أَرادَ بِهِ نَفْسَهُ. باطِلٌ. لأَنَّ مِنَ المُحَالِ أَنْ يَدْعُوَ الإنسانُ نَفْسَهُ. فالمرادُ بِهِ مَنْ يَجْري مَجْرى أنفُسِنا.

وَلَوْ لَمْ يُرِدْ عَلِيّاً ـ وَقَدْ حَمَلَهُ[8] مَعَ نَفْسِهِ ـ لَكَانَ لِلْكُفَّارِ أَنْ يَقُولُوا:

---

(١) في (هـ): وَضع. وفي (ط): موضوع.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): صحته. بإضافته إلى ضمير الغائب (الهاء).

(٣) في (ش): دلّ بصيغة الماضي.

(٤) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٥) آل عمران: ٦١.

(٦) آل عمران: ٦١.

(٧) آل عمران: ٦١.

(٨) في (هـ): جمله. بالجيم المعجمة من تحت.

حَمَلْتَ(١) مَنْ لم تَشْتَرِطْ، وَخَالَفْتَ شَرْطَكَ.

فَصَحَّ أنَّ أهْلَ العَبَا، نَفْسٌ واحِدَةٌ، وَأنَّ عَلِيّاً، آكَدُ الجَمَاعَةِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْفُسَنا﴾ وَإذْ جَعَلَهُ مَعَ نَفْسِهِ، وَجَبَ ألّا يُدَانِيَهُ أحدٌ في الفَضلِ، ولا يُقارِبَهُ.

وَمِمَّا يَدّلُّ على أنَّهُ أفضَلُ النَّاسِ، وَخَيْرُهم، وأكْثَرُهُمْ(٢) ثَواباً بَعْدَ النَّبِيِّ - عَلَيهِ السَّلام - إجماعُ الإماميَّةِ، وثُبُوتُ كونِهِ مَعْصوماً، والنَّصُّ(٣) في جَعْلِ النَّبِيِّ - عَلَيهِ السَّلام - في خَبَرَ تَبُوكَ - جَمِيعَ مَنَازِلِ هارونَ مِنْ مُوسى. وَهارُونُ كَانَ أفضَلَ أُمّتِهِ، قَوْلُهُ: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي﴾(٤) وَقَوْلُهُ: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً﴾(٥).

وَثُبُوتُ المحَبَّةِ في خَبَرِ الطَّائِرِ(٦) . وَهِيَ إذا أُضِيفَتْ إلى الله - تَعَالى -

---

(١) في (هـ): جملت. بالجيم المعجمة من تحت.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): أكثر. بسقوط الضمير (هم).

(٣) في (ش) و(ك): ونصاً وجعل... وفي (هـ): والنص وجعل... وفي (ط): ونصاً في جَعْلِ...

(٤) طه: ٢٩، ٣٠.

(٥) القصص: ٣٥.

(٦) ذلك إنّه كان عند النبي - صلى الله عليه وآله - طير، فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك عليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي (ع) فأكل معه. صحيح الترمذي: ١٣: ١٧. تاريخ بغداد: ٨: ٣٨٢. شرف المصطفى: ق: ١٩٨. مسند أبي يعلى الموصلي: ٧: ١٠٥ - ١٠٦. المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٣٠ - ١٣٢. أنساب الأشراف (ط. المحمودي) ٢: ١٤٣. فضائل الصحابة: ٢: ٥٦٠ - ٥٦١. المناقب للخوارزمي: ٥٩، ٦٥. كفاية الطالب: ١٤٤ - ١٥٦. مصابيح السنة: ٢: ١٩٩. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن المغازلي: ١٥٦ - ١٧٥. الرياض النضرة: ٣: ١١٤ - ١١٦.

تُفِيدُ(١) الدِّينَ، وَكَثْرَةَ الثَّوابِ. فالأحَبُّ، هوَ الأفضَلُ.

وَمَنْ أيقَنَ صِحَّةَ هذا الحديثِ، ثُمَّ زَعَمَ أنَّ أحداً، أفْضَلُ مِنْ عليٍّ، لا يَخْلُو مِنْ أنْ يَقُولَ: دُعَاءُ النَّبِيِّ، مَرْدُودٌ. أو يَقُولَ: إنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ لَمْ يَعْرِفِ الفاضِلَ مِنَ المفضُولِ. أو يَقُولَ: إنّ اللهَ ـ تَعَالى ـ عَرَفَ الفاضِلَ مِنْ خَلْقِهِ، فَكانَ المفضُولُ أحبَّ إليهِ مِنْهُ(٢).



(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يفيد. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) في (ك): مِنَ الفاضل. وكتب فوقها: مِنْهُ.

فصل [ـ ٥ ـ]

[عليّ السابق في الإيمان والجهاد والهجرة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ...﴾ إلى آيتَينِ(١).

ذَكَرَ المُؤمِنينَ، ثُمَّ المُهَاجِرِينَ، ثُمَّ المجَاهِدِينَ. فَعَلِيٌّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ سَبَقَهُمْ بالإيمانِ، ثُمَّ بِالهِجرَةِ إلى الشِّعبِ، ثُمَّ بِالجِهَادِ. ثُمَّ سَبَقَهُمْ ـ بَعدَ هذِهِ الثَّلاثِ ـ بِكَونِهِ مِنْ ذَوِي الأرحَامِ.

ولِلصَّحَابَةِ، الهِجرَةُ، أوَّلُها: إلى شِعبِ أبي طَالِبٍ. وكَانُوا بَنِي هَاشِمٍ بِالإجمَاعِ. وقالَ اللهُ ـ تَعَالى ـ فِيهِمْ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالأَنصارِ﴾(٢).

وثانِيَها: هِجرَةُ الحَبَشَةِ. خَرَجَ جعفَرُ الطَّيَّارُ، وعَمَّارُ بنُ ياسِرٍ، والمِقدَادُ بنُ الأسوَدِ، وعَبدُاللهِ بنُ مَسعُودٍ، وعُثمانُ بنُ مَظعُونٍ إلى اثنَينِ، وثَمانِينَ رَجُلاً. قالَ

---

(١) التوبة: ٢٠ ـ ٢٢.

(٢) التوبة: ١٠٠.

الوَاحِدِيُّ: نَزَلَ فِيهِم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)].

وثَالِثُها: للأنصَارِ العقبِيينَ. إجماعُ أهلِ الأثرِ. وهُم أربعُونَ رَجُلاً. وأوَّلُ مَنْ بَايَعَ فِيهِ أَبُو الهَيْثَم.

ورابِعُهَا: لِلمُهَاجِرِينَ إلى المدينَةِ. والسَّابِقُ[(٢)] فِيهِ مُصعَبُ بنُ عُمَيرٍ، وعَمَّارُ بنُ ياسِرٍ، وابنُ مَسعُودٍ، وبِلَالٌ.

وفي هذِهِ الهِجرَةِ لِعَلِيٍّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مَزَايَا عَلَى غَيرِهِ مِنْ بَذلِ[(٣)] نفسِهِ، فِدَاءً لِرَسُولِ اللهِ، حَتَّى تَخَلَّصَ مِنْ أيدِي الكُفَّارِ، ورَدِّهِ وَدَائعَ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ وحَمْلِ نِسَاءِ النَّبيِّ [صلى الله عليه وآله][(٤)] وأولَادِهِ ـ بَعدَهُ ـ إليهِ.

ويَدُلُّ عَلَى شَجَاعَتِهِ، وعَلَى اِستخِلَافِهِ بَعدَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ﴾[(٥)].

مَعنَى «البَيعَةِ» أنْ يَبِيعَ نَفسَهُ، ويَشتَرِيَ بِهَا الجَنَّةَ، لَا يَفِرُّ حَتَّى يُقتَلَ، أو يَقتِلَ.

---

(١) الزُّمر: ١٠.

(٢) في (ح): السابقون فيهم.

(٣) في (ك): بدل. بالدال المهملة. وفي (أ): يدل. بياء المضارعة المثناة من تحت وَدال مهملة.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٥) التوبة: ١١١.

وقَدْ صَحَّ هذا لِعَلِيٍّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لأنَّـهُ لَمْ يَفِـرَّ في مَوضِـعٍ قَـطُّ ولَمْ يَصُـحَّ ذلِكَ لِغَيرِهِ.

وقَدْ ذَمَّهُمْ اللهُ ـ في يومِ أُحُدٍ ـ في قَولِهِ: ﴿وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبارَ﴾[١].

وفي يومِ حُنَينٍ: ﴿وَضاقَتْ / ١٥٤/ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[٢].

وفي يَومِ أُحُدٍ، [قَولُهُ][٣]: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ﴾[٤].

وقَدْ صَحَّ عِندَ أهلِ الحَدِيثِ[٥]، فِرَارُهُمَا في يومِ خَيبَر.

وقالَ الله ـ تَعَالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾[٦].

---

(١) الأحزاب: ١٥.

(٢) التوبة: ٢٥.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ). وفي (ح): بِقَولِهِ.

(٤) آل عمران: ١٥٣.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ق ٢: ٣٣٤. تاريخ الطبري: ٣: ١٢ مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن المغازلي: ١٨١.

(٦) النحل: ٩١.

وقالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[1].



(١) الفتح: ١٠.

فصل [ـ ٦ ـ]
[عليّ أفضل الأُمّة بعد النبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾ (١).

أجمَعُوا عَلَى أنَّ خِيرَةَ الله مِنْ خَلقِهِ، المُتَّقُونَ. ثُمَّ أجمَعُوا عَلَى أنَّ خِيرَةَ المُتَّقينَ، الخَاشُونَ(٢)، لِقولِهِ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْـجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ...﴾ (٣) إلى قَولِهِ: ﴿...مُنِيبٍ﴾ (٤).

ثُمَّ أجمَعُوا عَلَى أنَّ أعظَمَ النَّاسِ خَشيةً، العُلَماءُ، لِقَولِهِ: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِـنْ عِبادِهِ الْـعُلَماءُ﴾ (٥).

وأجمَعُوا عَلَى أنَّ [أعدَلَ](٦) النَّاسِ، أهدَاهُم إلى الحَقِّ، وأحقُّهُـم أنْ يَكُـونَ مُتَّبَعَاً، لَا تا بِعَاً، لِقَولِهِ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (٧).

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) في (ك): الخاشعون. وفي (أ): الخاشيون.

(٣) ق: ٣١.

(٤) ق: ٣٣.

(٥) فاطر: ٢٨.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ك) و(أ).

(٧) المائدة: ٩٥.

وأجمَعُوا عَلَى أنَّ أعلَمَ النَّاسِ بِالحَقِّ، وبِالعَدلِ[١]، أدَلُّهُم عَلَيهِ، وأحقُّهم أن يَكونَ مُتَّبَعاً، ولَا يَكُونُ تَابِعاً، لِقَولِهِ: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى﴾[٢].

فَدَلَّ كِتَابُ الله، وسُنَّةُ نَبِيِّهِ، وإجماعُ الأمَّةِ عَلَى أنَّ أفضَلَ هذِهِ الأُمَّةِ ـ بَعدَ نَبِيِّها ـ عَلِيٌّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

ومِنْ زُهدِهِ: أنَّهُ لَمْ يَحفلْ بِالدُّنيَا، ولَا الرِّئاسَةِ فِيها، يَومَ تُوفِّيَ رَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دُونَ أنْ عَكَفَ عَلَى تَغسِيلِهِ، وتَجهِيزِهِ[٣]. وقَولِ[٤] الصَّحَابَةِ: مِنَّا أمِيرٌ، ومِنكُم أمِيرٌ. إلى أنْ تَقَمَّصَهَا أبُو بَكرٍ.

وقَالَ اللهُ تَعالى[٥]: ﴿لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ...﴾ الآيةُ[٦].

اِجتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى أنَّ عَلِيّاً [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ][٧] كانَ مِنْ فُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ

---

(١) في (ح): العدل. بسقوط حرف الجر (الباء).

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) أنساب الأشراف: (ط. حميد الله): ١: ٥٦٩. المستدرك على الصحيحين: ٣: ١١١.

(٤) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: ٢: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٦) الحشر: ٨.

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

وأجمَعُوا عَلَى أنَّ ابَا بَكرٍ، كَانَ غَنِيّاً. وقَدْ صُنِّفَ في زُهدِهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ كِتَابٌ[١].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

لَقَدْ عَاتَبَ اللهُ أصحَابَ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ في إيذائهِ، في غَيرِ آيٍ مِنَ القُرآنِ، وما ذَكَرَ عَلِيّاً، إلّا بِخَيرٍ. وذلِكَ نَحوُ قَولِهِ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[٣]، وقولِهِ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ...﴾ الآية[٤]، وقولِهِ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ﴾[٥]، وقولِهِ: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾[٦].

البُخارِي[٧]: قالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: تُوفِّيَ رَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وَهوَ عَنهُ رَاضٍ. يَعني: عنْ عَلِيٍّ. وَلَم يَثبُتْ ذلِكَ لِغَيرِهِ[٨].

***

(١) في (ش) و(ك) و(أ): كتاباً. بتنوين النَّصب. وفي (ح): كتب. بصيغة الجمع.

(٢) الفتح: ١٨.

(٣) آل عمران: ١٢٣.

(٤) التوبة: ٢٥.

(٥) آل عمران: ١٥٣.

(٦) المجادلة: ١٣.

(٧) صحيح البخاريّ: ٥: ٢٢.

(٨) في (هـ): مِنْ غيرِه.

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً...﴾[1].

الآيَةُ، فِيها دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مِنْ شَرطِ الإِمَامِ أَنْ يَكُونَ أعلَمَ رَعِيَّتِهِ، وأفضَلَهُم في خِصَالِ الفَضلِ، لأنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ عَلَّلَ تَقدِيمَهُ عَلَيهِم بِكونِـهِ أعلَـمَ، وأقـوَى، وأشجَعَ.

[فَلَوْلَا[2] أَنَّهُ شَرطٌ، وإِلَّا[3] لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعنَى.

واجتَمَعَتِ الأُمَّةُ أَنَّ عَلِيّاً، أَشَدُّ مِنْ أبي بَكرٍ، وأشجَعُ].

واجتَمَعَتْ ـ أيضاً ـ عَلَى عِلمِهِ، واختَلَفُوا في عِلمِ أبي بَكرٍ. ولَيسَ المُجمَعُ عَلَيهِ، كَالمُختَلَفِ فِيهِ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً...﴾ الآية[4].

أجمَعَتِ[5] الأُمَّـةُ عَلَى أَنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طَالِبٍ [ـ عَلَيـهِ السَّلام ـ][6] رَأسُ

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) في (أ): أو إلَّا.

(٤) النساء: ٩٥.

(٥) في (ك) و(أ): اجتمعت.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(ح).

المجاهِدِينَ، وكاشِفُ الكرُوبِ عَنِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ. ولَمْ يُروَ[1] لأحَدٍ مَا رُويَ لَهُ مِنْ مَقَامَاتِهِ، المَشهُورَةِ، وجَهَادِهِ في غَزَوَاتِهِ، المأثُورَةِ، فَثَبَتَ أنَّهُ أفضَلُ الخَلقِ.

ثُمَّ أجمَعَتِ[2] الأُمَّةُ، ووَافَقَ الكِتَابَ، والسُّنَّةَ: أنَّ لله خِيرَةً مِنْ خَلقِهِ، وأنَّ خِيرَتَهُ مِنْ خَلقِهِ، المُتَّقُونَ، قولُهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]. وأنَّ خِيرَتَهُ مِنَ المُتَّقِينَ، المُجَاهِدُونَ، قوله: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ...﴾[4]. وأنَّ خِيرَةَ المُجَاهِدِينَ، السَّابِقُونَ إليهِ، قوله: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ...﴾[5]. وأنَّ خِيرَتَهُ مِنَ المجاهِدينَ، أكثَرُهُمْ[6] عَمَلاً في الجِهَادِ.

واجتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى أنَّ السَّابِقِينَ إلى الجِهَادِ، هُمُ البَدرِيُّونَ، وأنَّ خِيرَةَ البَدرِيينَ، عَلِيٌّ.

فَلَمْ يَزَلِ القُرآنُ يُصَدِّقُ بَعضُهُ بَعضاً بِإجمَاعِهِمْ، حَتَّى دَلُّوا عَلَى أنَّ عَلِيّاً، خَيرُ هذِهِ الأُمَّةِ، بَعدَ نَبِيِّهَا.

***

---

(١) في (ك): يروا. بصيغة المبني للمعلوم وباسناده إلى واو الجماعة.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): إجتمعت.

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) النساء: ٩٥.

(٥) الحديد: ١٠.

(٦) في (ش): أكرمهم.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١).

فَوَجَدنا عَلِيّاً(٢) بِهذِهِ الصِّفَةِ، لِقَولِهِ: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ (٣). يَعني(٤): الحَربَ. ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٥).

فَوَقَعَ الإجماعُ بِأنَّ عَلِيّاً. أولَى بالإمَامَةِ مِنْ غَيرِهِ، لأَنَّهُ لَمْ يَفِرَّ مِنْ زَحفٍ، كَما فَرَّ غَيرُهُ، في غَيرِ مَوضِعٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً﴾ (٦).

اِبنُ عَبَّاسٍ(٧)، والسُّدِّيُّ(٨)،

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) في (أ): عليها. وهو تحريف.

(٣) البقرة: ١٧٧.

(٤) في (ح): نعني. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٥) البقرة: ١٧٧.

(٦) البقرة: ٢٧٤.

(٧) مجمع البيان: ١: ٣٨٨. تفسير ابن عباس: ٣٨. شواهد التنزيل: ١: ١٠٩. تفسير البغويّ: ١: ٢٦٠. للدر المنثور: ٢: ١٠٠. الرياض الناضرة ٣: ١٧٨ تفسير فرات الكوفي: ٢ الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٣٤٧.

(٨) في (ك): السندي.

ومُجَاهِدُ[١]، والكَلبيُّ[٢]، وأبُو صالحٍ[٣]، والوَاحِديُّ[٤]، والطُّوسيُّ[٥]، والثَّعلبيُّ[٦]، والطَّبَرسيُّ[٧]، والماوَرِديُّ[٨]، والقُشيريُّ[٩]، والثّماليُّ[١٠]، والنَّقّاشُ[١١]، وعبدُالله[١٢] بنُ الحُسينِ، وعليُّ بنُ جَريرٍ[١٣]، الطَّبرِيُّ في تَفاسِيرِهِم:

أنَّهُ كَانَ عِندَ عَلِيٍّ / ١٥٥/ بنِ أبي طَالِبٍ أربَعَةُ دَرَاهِمَ مِنَ الفِضَّةِ، فَتَصدَّقَ بِوَاحِدٍ لَيلاً، وبِوَاحِدٍ نَهَاراً، وبِوَاحِدٍ سِرّاً، وبِوَاحِدٍ جَهراً، فَنَزَلَتِ الآيةُ.

---

(١) شواهد التنزيل: ١: ١١٣. ينابيع المودّة: ١: ٩٠. تفسير فرات الكوفي: ٦ الدر المنثور: ٢: ١٠٠ الرياض الناضرة: ٣: ١٧٨ الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٣٤٧.

(٢) شَوَاهد اللتنزيل: ١: ١١٤، ١١٥. تفسير فرات الكوفي: ٢.

(٣) شواهد التنزيل: ١: ١١٣، ١١٥. تفسير فرات الكوفي: ٢.

(٤) أسباب النزول: ٥٨. تفسير الوسيط بين الوجيز والبسيط: ق: ٥٠/ ب.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٣٥٧.

(٦) تفسير البغوي (وهو اختصار لتفسير الثعلبي): ١: ٢٦٠. غاية المرام: ٣٤٧ نقلاً عن تفسير الثعلبي.

(٧) مجمع البيان: ١: ٣٨٨.

(٨) النكت والعيون (تفسير الماوردي): ١: ٢٨٧.

(٩) غاية المرام: ٣٤٨.

(١٠) غاية المرام: ٣٤٨.

(١١) غاية المرام: ٣٤٨.

(١٢) غاية المرام: ٣٤٨.

(١٣) (علي بن جرير) ساقطة من (أ). وفي (ك) و(ح): بن حُرَيز الطائي. علي بن حرب الطائي).

رَوَاهُ الغَزَأليُّ في الإحيَاءِ، والوَاحِدِيُّ في أسبَابِ[1] النُّـزُولِ، والاقلـيشي في ضِيَاءِ الأولِيَاءِ.

سَمَّى كُلَّ دِرَهمٍ مَا لاً، وبَشَّرَهُ بِالقَبُولِ، والأجرِ، وزَوالِ الخَوفِ، والحُزنِ.

ابِـنُ عَبَّـاسٍ[2]، ومُجَاهِـدٌ[3] وقتَـادَةُ[4]، والضَّـحَّاكُ، وأبُـو صَـالِحٍ[5]، والثَّعْلَبيُّ[6]، والوَاحِدِيُّ[7] والترمُذِيُّ[8]، وأبُو يَعْلَى [الموصلي][9]، وَسُـفيانُ[10]، وَشَرِيكُ[11]، واللَّيثُ[12] في كُتُبِهِمْ، في تَفسِيرِ قَوْلِـهِ: ﴿يـا أَيُّهـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِذا

(١) أسباب النزول: ٥٨.

(٢) شواهد التنزيل: ٢: ٢٣٩. تفسير الغوي: ٤: ٣١٠. بتابيع المودّة: ١: ٩٩. الدر المنثور: ٨: ٨٤.

(٣) مجمع البيـان: ٥: ٢٥٢. شـواهد التنزيـل: ٢: ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩. تفسير البغـوي: ٤: ٣١٠.

(٤) مجمع البيان: ٥: ٢٥٢.

(٥) ينابيع المودّة: ١: ٩٩. غاية المرام: ٣٤٩ عن أبي نعيم الأصفهاني.

(٦) تفسير البغوي المسمّى بمعالم التنزيل: ٤: ٣١٠ ـ ٣١١ وهـو اختصـار لتفسـير الثعلبـي. ينـابيع المودّة: ١: ٩٩ نقلاً عن الثعلبي. غاية المرام: ٣٤٩ عن تفسير الثعلبي.

(٧) أسباب النزول: ٢٧٦.

(٨) صحيح الترمذي: ١٢: ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(١٠) شواهد التنزيل: ٢: ٢٣٢، ٢٣٩. خصائص أميرالمؤمنين: ٥٦. كفاية الطالب: ١٣٥.

(١١) شواهد التنزيل: ٢: ٢٣٧.

(١٢) جامع البيان:٢٨: ١٤. مناقب علي بن أبي طالب(ع) لابن المغازلي:٣٢٦. غاية المرام: ٣٢٩.

ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً﴾ [١]: إنَّهُ كانتِ الأغْنِياءُ، يُكْثِرُونَ مُناجَاةَ الرَّسُولِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ فلَمّا نَزَلَتِ الآيةُ، إنْتَهوا. فاسْتَقْرَضَ عَلِيٌّ دِينَاراً، وَتَصَدَّقَ بِهِ، فَنَاجَى النَّبِيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ عَشْرَ نَجَواتٍ، ثُمَّ نَسَخَتْهُ الآيةُ الَّتي بَعْدَها، وَبِهِ خَفَّفَ اللهُ ذلِكَ عَنِ هذِهِ الأُمَّةِ، وَكانَ سَبَباً للتَّوبَةِ عَلَيْهِم.

وَكُلُّهُمْ عَصَوْا في ذلِكَ، سِوَاهُ. يَدُلُّ عَلَيهِ: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ [٢]. وَلَقَدْ اِسْتَحَقُّوا العِقَابَ لِقَوْلِهِ: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾ [٣].

وَفِي ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنسانِ...﴾ [٤] بَيَّنَ فَضَائِلَهُمْ، وَذَكَرَ إنْفَاقَهُمْ [٥]، وأوْضَحَ تَقَرُّبَهُمْ، وَعَرَفَ سَرِيرَتَهُمْ، وَأَوْجَبَ مَحَبَّتَهُمْ، وَشَرَحَ عِصْمَتَهُمْ.

ثُمَّ سَأَلْنَا الأُمَّةَ: عَنْ أَوَّلِ مَنْ سَبَقَ إلى الإسْلامِ؟ فَقَالُوا: عَلِيٌّ، وَأبو بكرٍ، وَزَيْدٌ.

وَسَأَلْناهُمْ: عَنْ أعْلَمِهِمْ؟ فَقَالُوا: عَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَمَعَاذٌ.

وَسَأَلْناهُمْ: عَنِ الجِهادِ؟ فَقَالُوا عَلِيٌّ، والزُّبَيرُ، وَأَبُو دُجَانَةَ.

وَسَأَلْناهُمْ: عَنِ القَرَابَةِ؟ فَقَالُوا عَلِيٌّ، وَالعَبَّاسُ، وَعَقِيلٌ.

---

(١) المجادلة: ١٢.

(٢) المجادلة: ١٣.

(٣) المجادلة: ١٣. ثم انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٣٠٢.

(٤) الإنسان: ١.

(٥) في (ك): اِتفاقهم. بتاء مثناة من فوق بعد الهمزة. وهو تصحيف.

وَسَأَلْناهُمْ: عَنِ الزُّهْدِ؟ فَقَالُوا عَلِيٌّ، وَعُمَرُ، وَسَلْمَانُ.

فَرَأَيْنا عَلِيّاً[1] ـ في هذِهِ الخِصَالِ ـ ثَالِثَ ثَلاثَةٍ. وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هذِهِ الخِصَالُ كُلُّها. وَلَمْ تَجْتَمِعْ[2] خَصْلَتانِ في رَجُلٍ مِنْهُمْ. فَثَبَتَ أَنَّهُ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ رَسُولِ الله، وَأَحَقُّهُمْ بالإِمَامَةِ.

فَهذِهِ خِصَالٌ، اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى أنَّ التَّفْضِيلَ فِيهَا، وَقَدْ سَبَقَ عَلِيٌّ الكُلَّ في ذلِكَ.

وَالدَّلِيلُ السَّمْعِيُّ ـ الَّذي يُوجِبُ كَثْرَةَ الثَّوابِ ـ فَفِي حَدِيثِ تَبُوكَ[3]، وَحَدِيثِ[4] الطَّيْرِ، وَغَيْرِهما.



(١) في (هـ): عليّ. من دون تنوين النصب.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): يجتمع. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) وهو حديث المنزلة. قال النبي (صلّى الله عليه وآله) لعليٍّ ـ حينما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك: أنتَ منّي بمنزلة هارون من موسى...

(٤) مرّ نصُّ حديث الطير وتخريجه آنفاً.

فصل [ـ ٧ ـ]

[في فضائل عليٍّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْـهَوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[١].

دَالٌّ عَلَى أنَّ النَّبِيَّ، لَمْ يَنْطِقْ عَنْ هَوَىً، وَلا فَعَلَ في الدِّينِ، إلّا بِوَحْيٍ[٢].

فَلَوْلا أنَّ عَلِيّاً ـ عَلَيهِ السَّلام ـ كَانَ الأَفْضَلَ عِنْدَ الله ـ تَعَالى ـ لَـمَا قَدَّمَهُ في أفْعَالِهِ ـ عَلَى الكافَّةِ، وَلا عَظَّمَهُ ـ بِمَقَالِهِ ـ عَلَى الجَماعَةِ، لأَنَّهُ[٣] لَوْ لَمْ يَكُنْ كَـذلِكَ، لَكَانَ خَائِناً[٤] لَهُ، أوْ بَاخِساً لِغَـيْرِهِ حَقَّـهُ، أوْ غَـيْرَ عَـالِمٍ بِحَقِيْقَـةِ وَضْـعِ الأمْـرِ في مُسْتَحِقِّـهِ . وذلِكَ كُلُّـهُ مُحَـالٌ . فَثَبَتَ أنَّ تَفْضِيلَ النَّبِيِّ [ـ صلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ ـ][٥] عَلِيّاً [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ][٦] بِأمْرِ الله ـ تَعَالى ـ.

فَمِنَ الأفْعَالِ المُجْمَعِ عَلَيْهَا:

---

(١) النجم: ٣، ٤.

(٢) في (ك): يُوحى. بصيغة المضارع المبني للمجهول.

(٣) في (ك) و(أ): لأنهم.

(٤) في (ش) و(ك) و(ح): حابياً. وفي (هـ): خايناً.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(ح).

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(ح).

تَقْدِيمُهُ لِلْمُبارَزَةِ[١] في بَدْرٍ، وَخَيْبَرٍ، والأَحْزَابِ، وَذَاتِ السَّلاسِلِ، وَبَنِي زُهْرَةَ.

وَإِنْفَاذُهُ[٢] إلى اليَمَنِ قَاضِياً.

وَأَمَّرَهُ عَلَى وُجُوهٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَفَتْحِ الطَّائِفِ. وَلَمْ يُوَلِّ[٣] عَلَيهِ[٤] أحداً[٥] قَطُّ، وَمَا أَخْرَجَهُ إلى مَوضِعٍ، [وَلَا][٦] تَرَكَهُ[٧] في قَومٍ، إلّا وَلَّاهُ عَلَيهِم. وكَانَ الشَّيخَانِ تَحتَ رَايَةِ عَمرِو بنِ العَاصِ، وأُسَامَةَ ابنِ زَيدٍ.

وعَزَلَ بِهِ جَمَاعَةً. مِنهُم: سَعدُ بنُ عَبَادَةَ ـ عِندَ فَتحِ[٨] مَكَّةَ ـ وأعطَاهُ الرَّايَةَ، وأبا بَكرٍ ـ عِندَ نَبذِ[٩] العَهدِ في مَكَّةَ ـ وأعطَاهُ بَرَاءَةَ.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣: ٢٣، ٢٥. تاريخ الطبري: ٢: ٤٤٥/ ٢: ٥١٤ / ٣: ١٢.

(٢) فضائل الصحابة: ٢: ٥٨١، ٦٤٦، ٧٠٠. خصائص العشرة الكرام البررة: ٩٦. الطبقات الكبرى: ٢: ٣٣٧. مسند أحمد: ١: ١٤٩.

(٣) في (ك): يدل. بالدال المهملة.

(٤) في (ح): عليها.

(٥) في (ش): أحد. من دون تنوين النصب.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٧) في (ك) و(ح): يتركه. بصيغة المضارع.

(٨) تاريخ الطبري: ٣: ٥٦.

(٩) تاريخ الطبري: ٣: ١٢٣ المناقب للخوارزمي: ١٠٠، ١٠١. أنساب الأشراف (ط المحمودي): ٢: ١٠٧. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢: ٦٤٠ ـ ٦٤١، ٦٨٤، ٧٠٤. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ٦٣ ـ ٦٤. الإرشاد: ٤١.

واستَخلَفَهُ في مَبيتِهِ(١)، وعَلَى أهلِهِ، وعَلَى رَدِّ الوَدَائعِ، ونَقلِ الحَرَمِ إلى المَدينةِ عِندَ الهِجرَةِ.

واختَصَّهُ لإيدَاعِ أسرَارِهِ، مِثلِ حَديثِ(٢) مَارِيَةَ، وغَيرِهِ.

وكَتَبَ عُهُودَهُ(٣)، ووَحيَهُ. ولَا يُوجَدُ ـ الآنَ ـ عَهدٌ للنَّبيِّ(٤) ـ عَلَيهِ السَّلام ـ إلَّا بِخَطِّهِ.

وهذا الاحتِرَامُ، والتَّقرِيبُ، لَا يَخلُو: إمَّا أنْ يَكُونَ مِنَ اللهِ ـ تَعَالى ـ، أو مِنْ قِبَلِ نَفسِهِ.

وعَلَى الحالَينِ ـ جَمِيعاً ـ أظهَرَ لِلنَّاسِ دَرَجَتَهُ عِندَ اللهِ ـ تَعَالى ـ، ومنزِلَتَهُ عِندَ رَسُولِهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ. وذلِكَ يُوجِبُ أنْ يَكُونَ وَلِيَّ عَهدِهِ.

واختَارَهُ لُمجالَسَتِهِ في اللَّيالي ذُكِرَ في تَاريخِ(٥) البَلَاذِرِيِّ، ومُسنَدِ(٦) أحمَدَ،

---

(١) الطبقات الكبرى: ١: ٢٢٨/ ٣: ٢٢. أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ١٠٦ ـ ١٠٧. كفاية الطالب: ٢٤٢ ـ ٢٤٣. تاريخ الطبري: ٢: ٣٧٢. الرياض النضرة: ٢: ١٣١ ـ ١٣٣. فرائد السمطين: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) دلائل الإمامة: ٢٠٢ ـ ٢٠٤.

(٣) تاريخ الطبري: ٣: ١٧٣. كفاية الطالب: ٢٦٣.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): النَّبي. من دون حرف الجر (اللام).

(٥) أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ٩٨.

(٦) مسند أحمد: ٢: ٢٦.

وأبي يَعلَى ، وسُنَنِ[١] اِبنِ مَاجَةَ، وكِتَابِ[٢] أبي بَكرٍ عَيَّاش، ومُسنَدِ أبي رَافِعٍ: أنَّهُ كانَت لِعَلِيٍّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ كُلَّ لَيلَةٍ ـ دَخلَةٌ ـ وفي رِوَايَةٍ: دَخلَتَانِ ـ لَم يَكُن لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. وَلَمْ يَكُنْ لِأحَدٍ أنْ يَدخُلَ عَلَى أزوَاجِ رَسُولِ الله ـ صلى الله عليه وآله ـ بَعدَ آيَةِ الحِجَابِ، إلَّا لَهُ. وهذِهِ مَرتَبَةُ القُربَى، كَمَا قالَ: ﴿إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ/ ١٥٦/ أَوْ آبائِهِنَّ﴾[٣].

واصطَفَاهُ مِنَ القَرَابَةِ كُلِّهِمْ. والقُربَى، نَوعَانِ: نَسَبِيٌّ، وحُكمِيٌّ. وقَدْ اِجتَمَعَا في عَليٍّ.

أمَّا النَّسبِيُّ، فَإنَّهُ لَمْ يَكُنْ في أولَادِ عَبدِ المُطَّلِبِ مَنْ هُوَ أخُو عَبدِ الله، لأبيهِ، وأُمِّهِ، إلَّا أبُو طَالِبٍ. كَمَا قالَ[٤]:

[لَا تَخـذِلَا وانصُرَا اِبـنَ عَمِّكُـمَا] أخـي لأُمّـي مِـنْ بَيـنِهِم وَأَبي

وقالَ يوسُفُ لابنِ يَامِينَ[٥]: ﴿أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾[٦].

وأمَّا الحكميُّ، مِثلُ التربِيَةِ، والمُؤاخاةِ، والمُصَاهَرَةِ، والأولَادِ، والجِوَارِ.

---

(١) سنن ابن ماجة: ٢: ١٢٢٢.

(٢) بسقوط واو العطف من (ش) و(ك).

(٣) النور: ٣١.

(٤) ديوان شيخ الأباطح أبي طالب: ٣٦. ومنه صدر البيت.

(٥) في (ك): لا يرتامين. وفي (هـ): لابن امّه.

(٦) يوسف: ٦٩.

والقُربَى بِالحُكمِ، آكَدُ مِنَ القُربَى بِالنَّسَبِ، لأنَّ النَّسَبَ، لَا يَدُلُّ عَلَى الاختِصَاصِ بِنَفسِهِ، والقُربَى بِالحُكمِ يَدُلُّ عَلَى غَايَةِ الاختِصَاصِ، والمِيزَةِ.

والقَرَابَةُ، لَحمٌ، ودَمٌ. وَالقُربَى[1]، رُوحٌ، ونَفْسٌ. وقَد اِجتَمَعا فِيهِ. ولَيسَ في العَقلِ، والشَّرعِ، تَفرِيقٌ بَينَ اللَّحمِ، والدَّمِ، والرُّوحِ، والنَّفْسِ.

ولا يَجُوزُ تَبعِيدُ القَرِيبِ، وتَقرِيبُ البَعِيدِ، إلَّا للكُفرِ، أوِ الفِسقِ. وصَاهَرَهُ بَعدَ مَا رَدَّ أبَا بَكرٍ، وعُمَرَ ـ وهوَ في الصَّحيحينِ ـ فَقِيلَ لَـهُ في ذلِكَ. فَقَالَ: لَوْ لَمْ يَخلُقِ اللهُ عَلِيَّ بنَ أبي طالِب، لَمَا كَانَ لِفَاطِمَةَ كُفوٌ.

ولَا يُقَاسُ هذا بِتَزوِيجِ النَّبيِّ [ـ صلى الله عليه وآله ـ][2] في الشَّيخَينِ، أوِ الزَّوَاجِ مِن عُثمانَ بِبنتَينْ، لأنَّ التَّزويجَ المُطلَقَ، لَا يَدُلُّ عَلَى الفَضلِ، وإنَّما هُوَ مَبنِيٌّ عَلَى إظهَارِ الشَّهَادَتينِ.

ثُمَّ إنَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[3] تَزَوَّجَ في جَمَاعَةٍ.

وأمَّا عُثمانُ، فَفِي زَوَاجِهِ، خِلَافٌ كَثِيرٌ، وأنَّهُ[4] زَوَّجَهُما مِنْ كافِرِينِ قَبلَهُ.

وأمَّا فاطِمَةُ [ـ عَلَيْهَا السَّلام ـ][5] فَإنَّها وَلِيدَةُ الإسلامِ، وَمِنْ أهلِ العَبَا،

---

(١) في (ش) و(ك): القربة.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٣) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٤) في (ح): إنه ـ صلى الله عليه وآله ـ كانَ زَوَّجها...

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

والمُبَاهَلَةِ[١]، والمُهَاجَرَةِ، في أصعَبِ وَقتٍ، وَوَرَدَ فِيها[٢] آيَةُ التَّطهِيرِ، وافتَخَرَ جِبرِيلُ[٣] بِكَونِهِ مِنهُم، وأمُّ الحَسَنِ، والحُسِينِ، ومِنهَا عَقِبُ[٤] النَّبيِّ - عَلَيهِ السَّلام -[٥].

وَجَعَلَهُ صَاحِبَ سِرِّهِ.

رَوَى الترمِذِيُّ في الجَامِعِ[٦]، وأبُو يَعلَى في المُسنَدِ[٧]، والاقليشي في الضِّياءِ، وأبُو بَكرِ بنُ[٨] مَهرَوَيهِ في الأمَالي، والخَطِيبُ في الأربعينَ[٩]، والسَّمعَانيُّ في الرِّسَالَةِ[١٠] مُسنَدَاً إلى جَابِرٍ. قالَ: نَاجَى النَّبيُّ - عَلَيهِ السَّلام -[١١] يَومَ الطَّائفِ عَلِيَّاً، فَأطَالَ نَجوَاهُ. فَقَالُوا: لَقَدْ طَالَ نَجوَاهُ. فَبَلَغَ ذلِكَ النَّبيَّ - عَلَيهِ السَّلام -

---

(١) في (هـ): المبهالة. وهو تحريف.

(٢) في (أ): عليها.

(٣) في (ح): جبرائيل.

(٤) في (أ): أعقب. بهمزة التعدية وبصيغة الماضي.

(٥) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٦) صحيح الترمذي: ١٣: ١٧٣.

(٧) مسند أبي يعلى: ٤: ١١٨.

(٨) (ابن) ساقطة من (ح).

(٩) كتاب (الأربعين في مناقب النبيّ الأمين ووصيه أمير المؤمنين) للخطيب الخوارزمي مفقود والحديث بلفظه في كتابه (المناقب): ٨٢.

(١٠) غاية المرام: ٥٢٧ نقلاً عن السمعاني في فضائل الصحابة.

(١١) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

فَقَالَ: مَا اِنتَجَيتُهُ، ولكنَّ اللهَ اِنتَجَاهُ[1]. أي: أمَرَني أنْ انتَجِي مَعَهُ.

وكَانَ صَاحِبَ لِوَائِهِ، ورَايَتِهِ.

في تَاريخَيْ: الطَّبَرِيِّ[2]، والبَلَاذِرِيِّ[3]، وصَحِيحيْ مُسلِمٍ، والبُخَارِي: أنَّهُ لَمَّا أرَادَ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أنْ يَخرُجَ إلى بَدرٍ، اِختَارَ كُلُّ قَومٍ رايَةً. فاختَارَ حَمزَةُ حَمرَاءَ، وبَنُو أُمَيَّةَ خَضرَاءَ، وعَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ صَفرَاءَ. وكانَتْ رَايَةُ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بَيضَاءَ. فَأعطَاهَا عَلِيّاً يَومَ خَيبَرَ، لَمَّا قَالَ[4]: لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ ـ غَداً ـ رَجُلاً...

وقالَ أصحَابُ[5] السِّيَرِ: كَانَتْ رَايةُ قُرَيشٍ، ولُواؤُها ـ جميعاً ـ بِيَدَيْ قُصَيٍّ

---

(١) (ولكنَّ الله انتجاه) ساقطة من (ك).

(٢) تاريخ الطبري: ٣: ١٢ ـ ١٣.

(٣) أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ٩١ ـ ٩٢، ٩٣ ـ ٩٤، ١٠٦.

(٤) صحيح البخاري: ٥: ٢٣، ١٧١. صحيح مسلم: ٥: ١٩٥/ ٧: ١٢٠، ١٢١، ١٢٢. مسند أحمد (ط. شاكر): ١: ٦٢. سنن ابن ماجة: ١: ٤٣، ٤٥. تاريخ الطبري: ٣: ١٢ ـ ١٣. الإرشاد: ٤٠. تاريخ بغداد: ٨: ٥. شرف المصطفى: ق: ١١٨. إعلام الورى: ١٠٧. شرح القصيدة المذهَّبة: ١٣٠، ١٣١، ١٣٢. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢: ٥٦٥ وفي اكثر من موضع في الكتاب، مسند أبي يعلى الموصلي: ١: ٢٩١/ ٢: ٥٠٠. خصائص أمير المؤمنين: ٦ـ ١٠. معرفة الصحابة: ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٨. دلائل النبوّة للبيهقي: ٤: ٢٠٥ ـ ٢١٣. الرياض النضرة: ٣: ١٤٧ ـ ١٥١.

(٥) الإرشاد: ٤٧ ـ ٤٨. كفاية الطالب: ٣٣٥ ـ ٣٣٧.

ابنِ كِلَابٍ، ثُمَّ لَمْ تَزَلِ الرَّايةُ في يَدَي عَبدِ المُطَّلِب، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[١] دَفعَهَا في أوَّلِ غزَاةٍ حُمِلَتْ فِيهَا ـ وَهيَ ودَّانُ[٢] ـ إلى عَلِيٍّ.

وكَانَ اللِّوَاءُ ـ يومئذٍ ـ في بني عَبدِ الدَّارِ، فَأعطَاهَا النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٣] مُصعَبَ بنَ عُمَيرٍ، فَاستُشهِدَ يومَ أُحُدٍ، فَأخَذَها النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ ودَفَعَهَا إلى عَلِيٍّ. فَجَمَعَ لَهُ ـ يومئذٍ ـ الرَّايَةَ، واللِّوَاءَ. هُمَا أبيَضَانِ. ذَكَرَهُ الطَّبرِيُّ في تَارِيخِهِ[٤]، والقُشَيرِيُّ في تَفسِيرِه.

وفي تَنبيهِ[٥] المذكُورِينَ: أنَّهُ سَقَطَ اللِّوَاءُ مِنْ يَدِ عَلِيٍّ ـ يَومَ أُحُدٍ ـ مِنْ جِرَاحَةٍ، فَتَحَامَاهُ المُسلِمُونَ، فَقَالَ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: خُذُوهُ، فَضَعُوهُ في يَدِهِ الشِّمَالِ[٦]. فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: بَارَكَ اللهُ فِيكَ في الدُّنيَا، والآخِرَةِ.

وأوصَى إليهِ: ألَّا يُفَارِقَهُ في مَرَضِهِ.

وأمَرَهُ بِقَضَاءِ دُيونِهِ، وغَسلِهِ، وتَكفِينِهِ، والصَّلاةِ عَلَيهِ، ودَفنِهِ.

وشَارَكَهُ في ذَبحِ بَاقي إبِلِهِ، وكانتَ مَائةً.

---

(١) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٢) المغازي للواقدي: ١ : ٣٨٨.

(٣) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٤) تاريخ الطبري: ٢ : ٥١٦.

(٥) لم أقف على كتاب «تنبيه المذكورين» والخبر في مصادر أُخرى. انظر: الرياض النضرة: ٣ : ١٥٦.

(٦) (الشمال) ساقطة من (ك).

رَوَاهُ البُخاريُّ[١]، والسِّجستَانيُّ[٢]، والعُكبرِيُّ[٣]، والمُوصِلِيُّ[٤]، وأحمَدُ بـنُ حَنبَلَ[٥]. ورَخَّصَ لَهُ في الجَمعِ بَينَ اِسمِهِ، وكُنيَتِهِ.

رَوَاهُ الثَّعلَبِيُّ[٦] في تفسيرِهِ، ولبنُ البَيعِ[٧] في مَعرِفَةِ أُصُولِ الحَدِيثِ، والسَّمعَانيُّ في رِسَالَتِهِ، والخَطِيبُ[٨]، والبَلَاذريُّ[٩] في تَأريخِهَا. فَسَمَّى اِبنَهُ: أَبَاالقَاسِمِ مُحَمَّدَ بنَ الحَنفِيَّةِ.

واختَارَهُ عِندَ كَسرِ الأَصنَامِ في مَكَّةَ.

رَوَاهُ أحمَدُ[١٠] بنُ حَنبَلَ، وأبُو يَعلَى[١١] المَوصِلِيُّ في مُسنَدَيهِمَا، وأبُو بَكرِ الخَطِيبُ في تَأريخِهِ[١٢]، وأبُو الصَّباحِ الزَّعفَرَانيُّ في الفَضَائِلِ، والخَطِيبُ الخَوَرزميُّ

---

(١) صحيح البخاري: ١: ١٩٠ (ط. الميمنية). بلفظ مختلف.

(٢) سنن أبي داود: ١: ٤١٧/ ٢: ٨٥.

(٣) لم أقف عليه في المطبوع من كتابه الإبانة.

(٤) مسند أبي يَعلَى الموصلي: ٤: ٢٧، ٩٥.

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١: ١٦٠.

(٦) تفسير الثعلبي من الكتب المخطوطة ولم يتيسر لنا وقوع احدى نسخهِ للإطلاع عليه.

(٧) معرفة علوم الحديث، ١٨٩، ١٩٠.

(٨) تاريخ بغداد: ١١: ٢١٨.

(٩) أنساب الإشراف (ط. المحمودي) ٢: ٢٠٠، ٢٠١.

(١٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١: ٨٤، ١٥١، ١٥٦.

(١١) مسند أبي يعلى الموصلي: ١: ٣٩٠ـ ٣٩١.

(١٢) تاريخ بغداد: ١٣: ٣٠٢.

في الأربَعِينَ[١]، وأبُو عبدِالله النَّطنزيُّ في الخَصَائصِ، وأبو بَكرِ الشيرازيُّ في نُزُولِ[٢] القُرآنِ، وأبُو بَكرِ البَيهقيُّ في كِتَابِهِ[٣].

وخَصَّ لَهُ فَتحَ بَابِهِ في المَسجِدِ، وسَدَّ أبوَابَ الأقارِبِ، والأجانِبِ.

رَوَاهُ الترمِذيُّ[٤]، والبلاذِريُّ[٥] وابنُ حَنبَلٍ[٦]، والمَوصِلِيُّ[٧]، وأبُو نُعيمٍ[٨]، والبيهَقِيُّ، وأبُوبَكرٍ[٩] الخَطِيبُ، وشِيرَوَيهِ[١٠] الدَّيلميُّ، وأبُوالمُظفَّرِ السَّمعَانيُّ[١١]، والحَركَوشِيُّ[١٢]، والعُكبَرِيُّ[١٣]، وابنُ المؤَذِّنِ، والإقليشيُّ، وغَيرُهُمْ عَنْ

(١) كتاب (الأربعين في مناقب النبيّ الأمين ووصيه أمير المؤمنين) للخطيب الخوارزمي مفقود، والخبر في كتابة (المناقب): ٧١.

(٢) غاية المرام: ٦٥٠.

(٣) كفاية الطالب عن البيهقي: ٢٥٧. المناقب للخوازمي: ٧١. عن البيهقي أيضاً

(٤) صحيح الترمذي: ١٣: ١٧٦.

(٥) أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ١٠٦.

(٦) فضائل الصحابة: ٢: ٢: ٥٦٧، ٥٨١ ـ ٥٨٢، ٦٨٤. مسند أحمد: ٤: ٣٦٩.

(٧) مسند أبي يعلى الموصلي: ٢: ٦١ ـ ٦٢.

(٨) حليه الأولياء: ٤: ١٥٣.

(٩) تاريخ بغداد: ٧: ٢٠٥.

(١٠) لم أقف عليه في فردوس الأخبار للديلمي. وهو في غاية المرام: ٦٤١ نقلاً عن فردوس الأخبار.

(١١) غاية المرام: ٦٤١ نقلاً عن مناقب الصحابة للمسمعاني.

(١٢) لم أقف عليه في مصوّرة كتابه (شرف النّبيّ).

(١٣) لم أقف عليه في المطبوع من كتابه (الإبانة).

ثَلاثِينَ رَجُلاً / ١٥٧/ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنهُمْ: إِبنُ عَبَّاسٍ، والخُدرِيُّ، وأبُو الطُّفَيلِ، وإِبنُ أرقَمَ، وإبنُ عُمَرَ، وسَعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وحُذَيفَةُ بنُ أُسَيدٍ، وأُمُّ سَلَمَة.

فَخُصُوصِيتُهُما بِفَتحِ بِابَيهِما، دَلِيلٌ عَلَى زِيَادَةِ دَرَجَاتِهِمَا، ورِضَى الله عَنهُما.

والمُقَامُ في المسجِدِ ـ وهُمَا جُنُبَانِ ـ دَلِيلٌ عَلَى طَهَارَتِهِمَا، وَعِصمَتِهِمَا.

وآخَاهُ[1] بَعدَ مَا آخَى بَينَ الأشكَالِ، والأمثَالِ، وجَعَلَهُ شكلاً لِنَفسِهِ. يَقُولُ[2] العَرَبُ: هذا أخُو الشَّيءِ. إذا أشبهَهُ، أو قَارَبَهُ.

ولَمْ يَكُونَا أخوَينِ مِنَ النَّسَبِ تَحقِيقَاً، وإِنَّما أبَانَ[3] مِنزِلَتَهُ، ودَرَجَتَهُ عَلَى الخَلقِ أجمَعِينَ، لِئَلَّا يَتقَدَّمَ عَلَيهِ أحَدٌ.

والأُخُوَّةُ في النَّسَبِ، لَا يُوجِبُ ذلِكَ، لأنَّهُ قَد يَكُونُ المُؤمِنُ أخَاً لِلكَافِرِ، والمُنَافِقِ. وهذا يُوجِبُ الإمامَةَ.

وخَرَّجَ حَدِيثَ الإخَاءِ الإقلِيشيُّ في ضِيَاءِ الأولِيَاءِ، وابنُ صَخرٍ في الفَوَائِدِ.

ولَمْ يَزَلْ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ يُصلِحُ بِهِ مَا كَانَ يُفسِدُهُ غَيرُهُ، مِثلُ

---

(١) أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ٩١. كفاية الطالب: ١٩٢ ـ ١٩٦. مناقب الإمام علي ابن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٣٧ ـ ٣٩. فرائد السمطين: ٩٦، ١٠٠.

(٢) في (هـ): تقول. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) في (ش) و(هـ): أبانه. وفي (أ): أباه.

حَدِيثِ[1] خَالِدٍ.

وقالَ أَنَسُ[2]: بَعَثَ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ عَلِيّاً إلى قومٍ، عَصَوهُ، فَقَتَلَ المُقَاتِلَةَ[3]، وسَبَى الذُّرِّيَّةَ. فَتَلقَّاهُ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[4] لَمَّا جَاءَ[5]، واعتَنَقَهُ، وقَبَّلَ بَينَ عَينَيهِ، وقالَ: بِأبي، وأُمِّي مَنْ شَدَّ الله بِهِ عَضُدِي.

وفي حَدِيثِ[6] عَبدِالله بن شَدَادٍ: أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[7] قالَ لِوَفدِ اليَمَنِ: لِتُقِيمُنَّ الصَّلَاةَ، وتُؤتُنَّ الزَّكاةَ، أولأبعَثَنَّ عَلَيكُم رَجُلاً كَنَفسِي.

وفي حَديثِ جَابِرٍ لِوَفدِ هَوازِنَ: أمَا والَّذي نَفسي بِيدِهِ، لَتُقيمُنَّ الصَّلاةَ، وتؤتُنَّ الزَّكاةَ... الخَبَرُ سَواءٌ. رَوَاهُ الاقليشيُّ.

---

(١) المغازي للواقديّ: ٣: ٨٧٥ ـ ٨٨٤. وذلك في غزوة بني جذيمة. المسترشد في إمامة علي ابن أبي طالب (ع): ٨٥. الطبقات الكبرى: ٢: ١٤٨ أنساب الأشراف (ط. المحمودي) ٢: ١٠٥. دلائل النبوّة للبيهقي: ٥: ١١٤. السيرة النبوية لابن هشام: ق٢: ٤٢٩ تاريخ الطبريّ: ٣: ٦٧.

(٢) تهذيب الآثار (مسند علي بن أبي طالب): ٢٢٣. باختلاف في اللفظ.

(٣) في (أ): المقابلة. بباء موحّدة من تحت بعد الألف.

(٤) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٥) في (ش) و(ك): جاؤوا. مسنداً إلى واو الجماعة.

(٦) أمالي الصدوق: ٤٧١. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢: ٥٧٢، ٥٩٣، ٦٠٠. فرق الشيعة: ١٩. ينابيع المودّة: ١: ٥٨. الرياض النَّضرة: ٢: ٦٤.

(٧) في (ح): صلى الله عليه وآله.

أَبَانَ رَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وآلـه ـ[١] بـذلِكَ ولَايتَـهُ، وأنَّـهُ وَلِيُّ الأمـرِ بَعدَهُ.

وحَصَلَ الإجمَاعُ عَلَى حَدِيثِ[٢] اِبنِ[٣] عَبَّاسٍ في وَفَاةِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ أَنَّهُ قالَ: يا عَبَّاسُ! يا عَمَّ رَسُولِ الله! تَقبَـلُ وَصِيَّتي، وتُنجِزُ. عِـدَتِي، وتَـقضِي دَيني؟ فَأبَى. فَأقبَلَ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: يا أخي! تَقبلُ وَصِيَّتي، وتُنجِزُ عِدَتِي، وتَقضِي دَيني؟ فَقَالَ: نَعَمْ! فَقَال: أُدنُ مِنِّي. فَدَنَا مِنهُ، فَضَمَّهُ إليهِ، فَأعطَاهُ خَاتَمَهُ، وعِمَامَتَهُ، وسَيفَهُ، ودِرعَهُ، وبَغلَتَهُ، وسَرجَهَا. فَقَالَ لَهُ: اِقبَضْ هذا في حَيَاتي. ثُمَّ قالَ: اِمضِ عَلَى اِسمِ الله إلى مَنزِلِكَ.

يُؤَكِّدُ ذلِكَ مَا رَوتهُ الأُمَّةُ[٤] بِأجمَعِها عَنْ أبي رَافِعٍ، وغَـيرِهِ أنَّ عَلِيّـاً، نَـازَعَ العبَّاسَ إلى أبي بَكرٍ في تَرِكَةِ النَّبـيِّ ـ عَلَيـهِ السَّـلام ـ فَقَـالَ أَبُـو بَكـرٍ: أيـنَ كُنـتَ ياعبَّاسُ حِينَ جَمَعَ رَسُولُ الله بَني عَبـدِ المُطَّلِـبِ ـ وأنـتَ أحَـدُهُم ـ فَقَـال: أيُّهُـم

---

(١) في (ح): عَلَيهِ السَّلام.

(٢) مسند أحمد (ط. شاكر): ٢: ١٦٦، ٣٥٣. باختلاف اللفظ. الإرشاد: ١٠٨ بلفظه. إعلام الوَرَى: ١٤٢. فضائل الصحابة: ٢: ٦١٥. شواهد التنزيل: ١: ٣٧٢، ٤٢٠. جامع البيان: ١٩: ١٢١. تفسير فرات الكوفيّ: ١٠٨، ١١٣.

(٣) (ابن) ساقطة من (ح).

(٤) الاحتجاج: ١: ١١٦ ـ ١١٧. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ١٧١. بلفظ مختلف. وهذا الحديث يسّمى حديث يوم الدار انظر تاريخ الطبري: ٢: ٣٢١ ـ ٣٢٢. وقد مرّ تخريج هذا الحديث من مصادر عدّة آنفاً.

يُؤازِرُني، فَيكُونَ وَصِيي، وخَلِيفتي في أهلِي، ويُنجِزُ مَوعِدِي، ويَقضِي دَيني؟

فقَالَ لَهُ العَبَّاسُ: فَمَا أقعَدَكَ هَا هُنَا ...؟ الخَبَرُ. وهذا نَصٌّ جَلِيٌّ(١)، يُوجِبُ الإمامَةَ.



(١) في (ك) حلبي. بالحاء المهملة والباء الموحّدة بعد اللام. وهو تحريف.

فصل [ـ ٨ ـ]

[في فضائل أمير المؤمنين علي ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1].

منها: قولـهُ ـ عَلَيـهِ السَّـلام ـ وقَـدْ نَـزَلَ: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[2]ـ: أَنَا المُنذِرُ، والهَادِي، عَلِيٌّ[3].

رَوَاهُ حُذَيفَـةُ، وابـنُ عَبَّـاسٍ، وأبـو بَـرزَةَ، وأبـو هُرَيـرَةَ. وذَكَـرَ[هُ][4] الضَّحَّاكُ[5]، والزَّجَّاجُ[6]، وابنُ جُبَيرٍ[7]، وابنُ المُسَيَّبِ[8]،

---

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) شواهد التنزيل: ١: ٢٩٤ ـ ٣٠٣. المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٣٠. الدر المنثور: ٤: ٦٠٨.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٧٨.

(٦) في مجمع البيان: ٣: ٢٧٨. نسب إلى الزجاج غير هذا القول.

(٧) شواهد التنزيل: ١: ٢٩٤. جامع البيـان: ١٣: ١٠٨. ينـابيع المـودّة: ١: ٩٧. مجمـع البيـان: ٣: ٢٧٨.

(٨) شواهد التنزيل: ١: ٢٩٦، ٢٩٧. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٢٣.

وعَبدُخَيرٍ[(١)]، وعَطَاءُ[(٢)] بنُ السَّائبِ، والثَّعلَبِيُّ[(٣)]، وأَبُو نُعيمٍ[(٤)]، والفَلَكِيُّ، والحَسَكَانيُّ[(٥)]، وشِيرَوَيهِ[(٦)].

وَصنَّفَ أَحمَدُ بنُ محمَّدِ بنِ سَعيدٍ كِتَاباً[(٧)] فِيهِ.

يُقَوِّيهِ[(٨)] إجمَاعُ الإمَامِيَّةِ.

وقولُهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: مَا أنزَلَ اللهُ في القُرآنِ آيَةً فِيهَا: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلَّا وَعَلِيٌّ أمِيرُها.

رَوَاهُ أَحمَدُ[(٩)] بنُ حَنبَلٍ، وابنُ بَطَّةَ[(١٠)] العُكبَرِيُّ، وإبرَاهِيمُ[(١١)] الثَّقَفِيُّ،

---

(١) شواهد التنزيل: ١: ٢٩٩، ٣٠٠. مسند الأمام أحمد بن حنبل: ١: ١٢٦.

(٢) ينابيع المودّة: ١: ٩٧. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٢٣. كفاية الطالب: ٢٣٢.

(٣) ينابيع المودّة: ١: ٩٨. نقلاً عن الثعلبي، وكذا في كفاية الطالب: ٢٣٣، وغاية المرام: ٢٣٥.

(٤) معرفة الصحابة: ١: ٣٠٦.

(٥) شواهد التنزيل: ١: ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨. المستدرك: ٣: ١٣٠.

(٦) فردوس الأخبار: ١: ٧٥.

(٧) لم نقف عليه. وأحمد بن محمد بن سعيد هذا هو المعروف بابن عقدة. ذكر كتابه هذا ابن شهرآشوب في معالم العلماء: ١٦ ط النجف.

(٨) في (أ): بقوّته. بباء موحدة من تحت وتاء مثناة من فوق. ثم انظر: غاية المرام: ٢٣٤.

(٩) فضائل الصحابة: ٢: ٦٥٤.

(١٠) لم اقف عليه في المطبوع من الإبانة.

(١١) في (ش): والثقفي. مَعَ الواو.

و[أبو][(١)] عَبدُالله الإقلِيشيُّ[(٢)]، وابنُ جُـرَيجٍ، وعَطَـاء، وعِكرِمَـةُ[(٣)]، وسَـعِيدُ بـنُ جُبَيرٍ. كُلُّهُم عَنِ اِبن عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

ورَواهُ السُّدِّيُّ[(٤)] عَنْ أبي[(٥)] مالكٍ. يُؤيِّدُهُ إجمَاعُ[(٦)] الإمَامِيَّةِ.

وقولهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لَمَّا اِنقَطَعَ شِسْعُ نَعلِهِ، فَتَنَاوَلَها عَلِيٌّ ـ عَلَيـهِ السَّـلام ـ ثُمَّ مَشَى ـ فَقَالَ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: إنَّ مِنكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأوِيلِ القرآن، كَـمَا قَاتَلتُ عَلَى تَنزِيلِهِ.

قَالُوا: مَنْ هُوَ يَا رسُولَ الله؟

قَالَ: خَاصِفُ النَّعلِ.

والخَبَرُ في جَـامِعِ[(٧)] الترمـذِيِّ، وتَـارِيخِ[(٨)] الخَطِيـبِ، وإبَانَـةِ[(٩)] اِبـنِ بَطَّـةَ،

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخ جميعها.

(٢) في (ش): والإقليشي. مَعَ الواو.

(٣) شـواهد التنزيـل: ١: ٤٩. تفسـير فـرات الكـوفي: ٣ ـ ٤. فضـائل الصـحابة: ٢: ٦٥٤. كفايـة الطالب: ١٤١

(٤) فضائل الصحابة: ٢: ٦٥٤.

(٥) في (هـ): ابن مالك.

(٦) تفسير فرات الكوفي: ٣ ـ ٤. شواهد التنزيل: ٢٠٢ ـ ٣٠٣.

(٧) الجامع الصحيح: ١٣: ١٦٧. بلفظ مختلف.

(٨) تاريخ بغداد: ١: ١٣٤/ ٨: ٤٣٣.

(٩) لم نقف عليه في المطبوع من الإبانة.

ومُسنَدِ[١] أحمَدَ، وَحِليَةِ[٢] أبي نُعِيمِ، وضِيَاءِ الإقليشي، وفَضَائلِ[٣] السَّمعانيِّ، وأربَعينَ[٤] الخَوَارِزميِّ. وعَلَيهِ إجمَاعُ[٥] الطَّائفَةِ.

وقَولُهُ[٦] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: أنَا سَيِّدُ النَّبيِّينَ، وعَلِيٌّ سَيِّدُ الوَصِيِّينَ.

وقولهُ[٧] ـ للحُسَينِ ـ: أنتَ السَّيِّدُ، وابنُ السَّيِّدِ، وأخُو السَّيِّدِ.

وقولهُ[٨]: مَرحَباً بِسَيِّدِ المُسلِمينَ، وإمَامِ المُتَّقِينَ.

وقولُهُ[٩]: أُدعُوا إليَّ سَيِّدَ العَرَبِ.

---

(١) مسند أحمد (ط. شاكر): ١: ٦٧.

(٢) حلية الأولياء: ١: ٦٧. باختلاف اللفظ.

(٣) ينابيع المودّة: ١: ٥٨. نقلاً عن فضائل السمعاني، وكذا في غاية المرام: ٦٥١.

(٤) كتاب «الأربعين في مناقب النبي الأمين ووصيه أميرالمؤمنين» للخوارزمي مفقود، والحديث في كتابه المناقب: ١٨٣.

(٥) الجمل أو النصرة في حرب البصرة: ٣٥. الافصاح في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ٦٦. غاية المرام: ٦٥٢.

(٦) عيون أخبار الرضا: ١: ٦٤. إعلام الورى: ٣٧٥. وفيهما: من جملة حديث. ينابيع المودّة: ٢: ٨٣.

(٧) الخصال: ٢: ٤٧٥. الاختصاص: ٢٠٧ ـ ٢٠٨. وفيهما: من جملة حديث.

(٨) حلية الأولياء: ١: ٦٦. ينابيع المودّة: ٢: ٥. كفاية الطالب: ٢١٢. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٦٥. فرائد السمطين: ١٢٣.

(٩) حلية الأولياء: ١٠: ٦٣. تلخيص الشافي: ٣: ١٦. ذخائر العقبى: ٧٠. كفاية الطالب: ٢١٠ ـ ٢١١. الرياض النضرة: ٢: ١٣٨.

وقولهُ[١] ـ لِفَاطِمَةَ ـ: زَوَّجتُكِ سَيِّدَاً في الدُّنيَا، وإنَّهُ ـ في الآخرَةِ ـ لِمِنَ الصَّالِحِينَ.

ذُكِرَ ذلِكَ في تَارِيخي الطَّبَرِيِّ / ١٥٨ / ، والبلاذِرِيِّ[٢]، وحِليَةِ[٣] أبي نُعِيمٍ، وإبانَةِ[٤] اِبنِ بَطَّةَ، وكِتَابِ الطَّبَرَانِيِّ، والإقلِيشِيِّ[٥]، والنَّطنَزِي.

وقَد تَوَاتَرَتِ الشِّيعَةُ بِنَقلِهَا. ولَيسَ في عُلَمَاءِ المُخَالِفِينَ جاحِدٌ لهَا، فَهوَ مِنَ النَّصِّ الجَلِيِّ.

وقوله ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: إنَّ عَلِيّاً، صِدِّيقُ هذِهِ الأُمَّةِ... الخَبَرُ.

رَوَاهُ أَبُو سُخَيلَةَ[٦] عَن أبي ذَرٍّ، وعَلِيُّ بنُ الجَعدِ، عَنْ قَتَادَةَ، والحَسَنُ عَنِ اِبنِ عَبَّاسٍ، ومَالِكُ بنُ سَميٍّ[٧] عن أبي صَالِحٍ عَنِ اِبنِ عَبَّاسٍ.

ورَوَى اِبنُ بَطَّةَ في الإبانةِ[٨]،

(١) تاريخ بغداد: ٤: ١٢٩. ذخائر العقبى: ٤٣، ٤٤. ينابيع المودّة: ٢: ٢٣. أنساب الإشراف (ط المحمودي): ٢: ١١٩.

(٢) أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ١١٩.

(٣) حلية الأولياء: ١: ٦٣، ٦٦/ ٢: ٤٢.

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من الإبانة.

(٥) في (ك): اقليشي. من دون (أل).

(٦) أمالي الشيخ الطوسي: ١: ١٤٧، ٢١٣. ٢٥٦. فرائد السمطين: ٢٨.

(٧) في (ش) و(أ): تيمي.

(٨) لم أقف عليه في المطبوع من الإبانة، وهو في كفاية الطالب: ١٢٤. منسوب إليه.

وأحمَدُ في الفَضَائل[١] عَنْ عَبدِالرَّحمنِ لِبنِ أبي لَيلَى عَنْ أبيهِ، وشِيرَوَيهِ في الفِردَوسِ[٢] عَنْ دَاوُدَ بنِ بِلَالٍ: قالَا: قالَ النَّبيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: الصِّدِّيقُونَ، ثَلَاثَةٌ: عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ، وحَبِيبُ النَّجَّارُ، ومُؤمنُ آلِ فِرعَونَ. وعَلَيهِ إجمَاعُ[٣] الطَّائفَةِ.

وقولُهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: عَلِيٌّ خَيرُ البَشَرِ.

رَوَاهُ مُجَاهِدٌ في التَّاريخِ، والطَّبَرِيُّ في الوِلَايةِ[٤]، وأحمَدُ في الفَضَائل[٥]، والدَّيلَميُّ في الفِردَوسِ[٦]، والدَّارِميُّ في المجمُوعِ عَنِ الأعمَشِ، عَنْ أبي وائلٍ عَنْ عَطِيَّةَ، وعَنِ الأصبَغِ، وعَنْ جَميعِ التَّيميِّ عَنْ عَائشَةَ.

وَرَوَاهُ أبُو وائلٍ عَن وَكيعٍ، وأبُو مُعَاوِيةَ عَنِ الأعمَشِ، وشَرِيكٍ، ويُوسُفَ القَطَّانِ، وأبُو الزُّبيرِ، وعَطِيَّةُ العوفي، وخوَّاتُ[٧] عَنْ جَابِرٍ.

---

(١) فضائل الصحابة: ٢: ٦٢٨، ٦٥٦. وفيه: وهو أفضلهم.

(٢) فردوس الأخبار: ٢: ٥٨١.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ١٣٠. أمالي الصدوق: ٤٢٧.

(٤) لمحمد بن جرير الطبريّ كتاب أفرده لحديث الغدير سمّاه (الولاية) وهو مفقود اورد فيه خمساً وسبعين طريقاً لحديث الغدير.

انظر: هامش مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ١٨.

(٥) فضائل الصحابة: ٢: ٦٧٢.

(٦) فردوس الأخبار: ٣: ٨٩.

(٧) في (أ): حوات. بالحاء المهملة والثاء المثلثة.

ورَوَاهُ سَالِمُ بنُ الجَعدِ بِإحدَى عَشرَةَ[١] طَرِيقَةً.

يُؤَكِّدُهُ إجماعُ أهلِ البيتِ[٢] [ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ][٣].

وَقَوْلُهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: عَلِيٌّ خيرُ البَرِيَّةِ.

رَوَاهُ أبو بَكْرٍ الشِّيرَازِيُّ: أَنَّهُ حَدَّثَنِي مَالِكُ بنُ أَنسٍ عَنْ حميدٍ، عَنْ أنسِ بنِ مَالِكٍ، وَالأَعْمَشُ عَنْ عَطِيَّةَ عَنِ الخُدرِيِّ، وَأَبو بَكْرٍ الهُذَلِيُّ عَنِ الشَّعْبِيِّ ـ مَرْفُوعاً ـ وابنُ عَبَّاسٍ، وَأبو بَرْزَةَ[٤]، وابنُ شَرَاحِيلَ.

يُؤَيِّدُهُ إجماعُ الطَّائِفَةِ[٥].

وَقَوْلهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: مَنْ لَمْ يَقُلْ: عَلِيٌّ خَيْرُ النَّاسِ، فَقَدْ كَفَرَ.

رَوَاهُ الخَطِيبُ فِي تَارِيخِ[٦] بَغْدَادَ، عَنْ عَلِيٍّ، وَعَنْ سَلْمَانَ، وَالبَلاذِرِيُّ فِي تَارِيخِهِ[٧] عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ جَابِرٍ.

وَعَلَيهِ إجْمَاعُ الطَّائِفَةِ[٨].

---

(١) في ش(ح): أحد عشر طريقاً.

(٢) تلخيص الشافي: ٣: ١٧.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) في (هـ): برز. من دون التاء المربوطة المثناة.

(٥) تلخيص الشافي: ٣: ١١، ١٧. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عَلَيهِ السَّلام: ٤٧، ٤٨، ٤٩.

(٦) تاريخ بغداد: ٣: ١٩٢.

(٧) أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ١٠٣، ١١٣.

(٨) تلخيص الشافي: ٣: ١٧. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عَلَيهِ السَّلام: ٤٧، ٤٨، ٤٩.

وَقَوْلُهُ - عَلَيهِ السَّلام[1] - ذُو الثُّدْيةِ، شَرُّ الخَلْقِ، والخَلِيقَةِ، [يَقْتُلُهُ خَيْرُ الخَلْقِ، وَالخَلِيقَةِ][2].

رَوَاهُ جَماعةٌ[3] عَنْ عائِشَةَ.

وَقَالَ المَأْمُونُ: أفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله، عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ في تَأرِيخِهِ[4]. وَهْوَ قَوْلُ البَغْدَادِيينَ[5]، وَاخْتِيارُ أبي عَبْدِالله[6] البَصْرِيِّ.

وَقَوْلُهُ - عَلَيهِ السَّلام[7] - لِعَلِيٍّ - لَـمَّا نَزَلَ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾[8]: أَمَرَني رَبِّي أنْ أُدْنِيَكَ، وَلا أُقْصِيكَ، وَأنْ تَسْمَعَ، وَتَعِي.

---

(١) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) تاريخ بغداد: ١: ١٦، ١٧٤، ١٩٩، ٢٠٦. تلخيص الشافي: ٣: ١٦، ١٨. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عَلَيهِ السَّلام: ٤٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١: ٨٧. المغني في أبواب العدل والتوحيد: ج٢٠، ق٢ (الإمامة): ١٢٨.

(٤) تاريخ الطبري: ١٠: ٥٩.

(٥) فرق وطبقات المعتزلة: ٩١، ١١٣. المغني في أبواب العدل والتوحيد: ج٢٠، ق٢. (الإمامة): ١٢٢ فما بعدها. مناقب الإمام علي بن أبي طالب عَلَيهِ السَّلام لابن المغازلي: ٥٦.

(٦) شرح الأُصول الخمسة: ٧٦٧. فرق وطبقات المعتزلة: ١١٣. المغني في أبواب العدل والتوحيد: ج٢٠، ق٢ (الإمامة): ١٢٢.

(٧) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٨) الحاقّة: ١٢.

وَفي رِوَايَةٍ: اللّهمَّ اجْعَلْهَا أُذُنَ عَلِيٍّ.

رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ[١]، والوَاحِديُّ[٢]، وأبو القاسِم بِنُ حَبِيبِ القُشَيريُّ في تَفَاسِيرِهِم، والرَّاغِبُ في المُحاضَرَاتِ[٣]، والإقلِيشيُّ في ضِياءِ الأولياءِ، والنَّطنَزِيُّ في الخَصَائصِ، والعَزِيزيُّ في الغَرِيبِ[٤]. رَوَوا عَنْ بُرَيدَةَ، وابنِ عَبَّاسٍ، ومَكحُولٍ[٥]، وأبي رَافِعٍ.

قَوَّاهُ إجمَاعُ أهلِ[٦] البَيتِ.

وقوله ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: عَلِيٌّ مَعَ الحَقِّ، والحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ، يَدُورُ حَيثُما دَارَ عَلِيٌّ.

ذَكَرَهُ الخَطِيبُ في تَأريخِ[٧] بَغدَادَ، والأَشنَهيُّ في اِعتقَادِ أهلِ السُّنَّةِ، وأبويَعلَى المَوصِلِيُّ في المُسنَدِ[٨]، والقَاضِي أبو الحَسَن الجُرجاني في صَفوةِ التأريخِ،

---

(١) ينابيع المودّة: ١: ١١٩. عن الثعلبي عن بريدة الأسلمي، وكذا: في غاية المرام: ٣٤٧. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٢٦٤. عن الحسن.

(٢) أسباب النزل: ٢٩٤.

(٣) محاضرات الأُدباء: ٢: ٤٧٧.

(٤) لم نقف عليه في المطبوع من (غريب القرآن) لمحمد بن عزيز السجستاني.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٢٦٤. نقلاً عن الماوردي عن مكحول.

(٦) شواهد التنزيل: ٢: ٢٨٤. البرهان في تفسير القرآن: ٤: ٣٧٥ـ٣٧٦. مجمع البيان: ٥: ٣٤٥ـ٣٤٦. غاية المرام: ٣٤٧.

(٧) تاريخ بغداد: ١٤: ٣٢١.

(٨) مسند أبي يعلى الموصليّ: ١: ٤١٩/ ٢: ٣١٨.

والسَّمعَانيُّ في فَضَائلِ[١] الصَّحابةِ عن أبي سَعيدِ الخُدرِيِّ، وأبي ذَرٍّ الغَفاريِّ، وسَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ، وأمِّ سَلَمَةَ.

يُقوِّيهِ إجمَاعُ الطَّائفةِ[٢].

وظاهِرُ الخَبَرِ يَقتَضِي عِصمَتَهُ ووُجوبَ الإقتِدَاءِ بِهِ، لأنَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام[٣] ـ لَا يَجُوزُ أن يُخبِرَ ـ بِالإطلَاقِ ـ أنَّ الحَقَّ مَعَهُ، والقَبيحُ جَائزٌ وقُوعُهُ مِنهُ، لأنَّهُ إذا وقَعَ مِنهُ، كَانَ الخَبَرُ كَذِباً.

ودُعَاؤهُ[٤] لَهُ في مَوَاضِعَ مِنها: مَا جَاءَ في جَامِعِ[٥] الترمِذِيِّ، وإبَانَةِ[٦] العُكبَرِيِّ، ومُسنَدِ أحمَدَ، وفَضَائلِهِ[٧]، وكِتابِ ابنِ مَردَوَيهِ، وضِياءِ الأقليشيِّ ـ مَرفوعاً إلى عَبدِالرَّحمنِ بنِ أبي لَيلَى، وأبي هُرَيرَةَ، وأمِّ عَطِيَّةَ ـ أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بَعَثَ عَلِيّاً في سَرِيَّةٍ، قالَ كُلُّ واحِدٍ مِنهُم: فَرَأيتُهُ[٨] رَافِعاً يَدَيهِ، يَقُولُ:

---

(١) غاية المرام: ٥٣٩. نقلاً عن فضائل الصَّحابة.

(٢) تلخيص الشافي: ق ٢ حـ ١: ١٣٦. الجمل: ٣٦.

(٣) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٤) في (ك) و(هـ): دَعَاله، بصيغة الماضي ثم الجارو المجرور. وفي (ح): ودعا صلى الله عليه وآله له عَلَيهِ السَّلام.

(٥) صحيح التر مذي: ١٣: ١٧٨.

(٦) لم أقف عليه في المطبوع من الإبانة.

(٧) فضائل الصحابة: ٢: ٦٠٩، ٦٥٥.

(٨) في (ح): رأيته. بسقوط الفاء.

لَا تُمِتنِي حتَّى تُرِيني عَلِيّاً.

ورَوَى الخَطِيبُ في الأربعينَ[١]: أنَّهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ قالَ يَومَ الخَندَقِ اللَّهُمَّ! إنَّكَ أخَذتَ مِنِّي عُبيدَةَ بنَ الحارثِ يَومَ بَدرٍ، وحَمزَةَ بنَ عبدِالمُطَّلِبِ يَومَ أُحُدٍ، وهذا عَلِيٌّ فَـ ﴿لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ﴾[٢].

وهذا يُوجِبُ أنَّهُ أفضَلُ الخَلقِ.

ودَعَا لَهُ[٣] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِالإجمَاعِ ـ يَومَ المُبَاهَلَةِ:

اللَّهُمَّ! هؤلَاءِ أهلُ بَيتي، وخَاصَّتي، فَأذهِبْ عَنهُمُ الرِّجسَ، وطَهِّرهم تَطهِيراً[٤].

ويَومَ الغَديرِ: اللَّهُمَّ! وَالِ مَنْ والَاهُ، وعَادِ مَنْ عَادَاهُ / ١٥٩ / ، وانصُرْ مَنْ

(١) كتاب الأربعين في مناقب النبيّ الأمين، ووصيّه أمير المؤمنين، للخطيب الخوارزمي مفقود، والحديث ـ بلفظه ـ في تاب المناقب: ص٨٧.

(٢) الأنبياء: ٨٩.

(٣) (له) ساقطة من (أ).

(٤) صحيح الترمذي: ١١: ١٢٦/ ١٣: ١٧٢. شرف المصطفى: ق: ١٧٢. فضائل الصحابة لاحمد بن حنبل: ٢: ٧٧٦ ـ ٧٧٧. دلائل النبوّة: ٢٩٨، ٢٩٩. المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٥٠. كفاية الطالب: ١٤١ ـ ١٤٤. مصابيح السنّة: ٢: ٢٠١. المناقب للخوارزمي: ٩٦ ـ ٩٧. المغني في أبواب العدل والتوحيد: ح ٢٠ ق ٢ (الأمامة): ١٣١. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٢٦٣. الرياض النضرة: ٣: ١٥٢ ـ١٥٣. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ١٠٤.

نَصَرَهُ، واخذُلْ مَنْ خَذَلَهُ(١).

ودُعاؤُهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِالنَّصرِ، والوِلَايَةِ، لَا يَجُوزُ(٢) إلَّا لِوَليِّ الأمرِ.

ومِنَ النَّصِّ الجَليِّ: مَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقلُ، ورَوَاهُ العَامَّةُ، والخَاصَّةُ، قولُهُ(٣) ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لأمِيرِ المؤمنينَ: أنتَ أخي، وَوَصِيِّي، وخَلِيفَتِي مِنْ بَعدِي، وَقَاضِي دَيْنِي.

ظَاهِرُ لَفظَةِ «الخَلِيفَةِ» في العُرفِ، مَن قَامَ مَقَامَ المُستَخلِفِ في جَمِيعِ مَا كَانَ إليهِ.

وقوله ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: ﴿وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤): عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ.

---

(١) مسند أحمد: ٢: ٥٧، ٧٥، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٣٢٨/ ٥: ٢٧. سنن ابن ماجة: ١: ٤٣. عيون أخبار الرضا: ١: ٥٥/ ٢: ٤٧، ٥٩. الخصال: ١: ٦٦، ٢١١، ٣١١. معاني الأخبار: ٦٧، أمالي الصدوق: ٢. تاريخ بغداد: ٧: ٣٧٧. إعلام الورى: ١٣٩. شرح القصيدة المذهبة: ١٥٦، ١٥٧. الجمل أو النصرة في حرب البصرة: ٣٦. فضائل الصحابة: ٢: ٥٦٣. وفي أكثر من موضع. كفاية الطالب: ٥٠ ـ ٦٤. مسند أبي يعلى: ١: ٤٢٩/ ١١: ٣٠٧. مصابيح السنّة: ٢: ١٩٩. خصائص العشرة الكرام البررة: ٩٦.

(٢) في (ك): تجوز. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) فضائل الصحابة: ٢: ٦٥١. مسند أحمد (ط. شاكر): ٢: ١٦٦، ٣٥٣. الإرشاد: ١٠٨. إعلام الورى: ١٤٢. المناقب للخوارزمي: ٦٢. المغني في أبواب العدل والتوحيد: حـ ٢٠ ق ٢ (الإمامة): ١٢٩. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٣: ٨٨، ٣٨٢. فرائد السمطين: ٤٩ أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٣٤٣.

(٤) التحريم: ٤.

رَوَاهُ السُّدِّيُّ[١] عَن أبي مَالِكٍ عَنِ اِبنِ عَبَّاسٍ، وأَبُو اِسحَاقَ الثَّعلَبِيُّ[٢]، وأبو نُعِيمٍ الأصفهَانيُّ[٣] عَن أسمَاءَ بِنتِ عُمَيسٍ. وأكَّدَهُ إجماعُ أهلِ البَيتِ[٤].

فقَد[٥] رَتَّبَ اللهُ ـ تَعَالى ـ في هذهِ الآيةِ ـ نَاصِرَهُ أربعَ مَرَاتِبَ، وجَعَلَ عَلِيّاً في وَسَطِهِ[٦]. ولَا يَجُوزُ أنْ يُذكَرَ إلَّا مَنْ كَانَ أقوَى الخَلقِ نُصرَةً لِنَبِيِّه ـ عَلَيهِ السَّلام ـ[٧] وأمنَعَهُم جَانِباً في الدِّفَاعِ.

فَإذَا اثبَتَ أنَّهُ ﴿صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَيَنبَغي كَونُهُ أصلَحَ مِنْ جَمِيعِهِم، بِدِلالَةِ العُرفِ. والاستِعمَالِ، كَقَولِهِم: فُلَانٌ عَالِمُ قَومِهِ، وشُجَاعُ قَبِيلَتِهِ.

وَقَولُهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ ـ غَداً ـ رَجُلاً، يُحِبُّ اللهَ، ورَسُولَهُ،

---

(١) شواهد التنزيل: ٢: ٢٦١. غاية المرام: ٣٤٦. وفي الدر المنثور: ٨: ٢٢٤. عن ابن مردويه عن اِبن عباس.

(٢) ينابيع المودَّة: ١: ٩١. نقلاً عن الثعلبي، وكذا: غاية المرام: ٣٤٦.

(٣) لم أقف عليه في (الحلية) ولا في (معرفة الصحابة). وهو في الدر المنثور: ٨: ٢٢٤. عن أسماء بن عميس. وكذا في كفاية الطالب: ١٣٨. وفي غاية المرام: ٣٤٦. نقلاً عن أبي نعيم الأصفهاني عن أسماء.

(٤) شواهد التنزيل: ٢: ٢٥٤ ـ ٢٥٦. تلخيص الشافي: ٣: ٩. كفاية الطالب: ١٣٨. غاية المرام: ٣٤٦.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): قد. بسقوط الفاء.

(٦) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ﴾ التحريم: ٤.

(٧) في (ح): عليهم.

ويُحِبُّهُ اللهُ، ورَسُولُهُ.

رَوَاهُ البُخارِيُّ[١]، ومسلِمٌ[٢]، والترمُذِيُّ[٣]، وأحمَدُ[٤]، والطَّبَرِيُّ[٥]، والبلاذريُّ[٦]، وأبويَعلَى[٧]، وأبُو نُعِيمٍ[٨]، والثَّعلبيُّ[٩]، والوَاحِدِيُّ، وابنُ مَاجَةَ[١٠]، والإقليشيُّ، والبَيهَقِيُّ[١١].

وقد رَوَاهُ اِبنُ بَطَّةَ[١٢] مِن سَبعَةَ عَشَرَ طَرِيقاً، وأجمَعَ عَلَى صِحَّتِهِ أهلُ البَيتِ.

---

(١) صحيح البخاري: ٥: ٢٣، ١٧١. باختلاف في اللفظ يسير.

(٢) صحيح مسلم: ٥: ١٩٥/ ٧: ١٢٠، ١٢١.

(٣) صحيح الترمذي: ١٣: ١٧٢.

(٤) مسند أحمد (ط. شاكر): ١: ٦٢. وفي مواضع أخرى. فضائل الصحابة: ٢: ٥٦٥. وفي أكثر من موضع من الكتاب.

(٥) تاريخ الطبري: ٣: ١٢ ـ ١٣.

(٦) أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ٩٣، ٩٤، ١٠٦.

(٧) مسند أبي يعلى الموصلي: ١: ٢٩١/ ٢: ٥٠٠.

(٨) حلية الأولياء: ١: ٦٢. معرفة الصحابة: ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٩) تفسير البغوي (المسمّى معالم التنزيل) وهو اختصار لتفسير استاذه أبي إسحاق الثعلبي المسمّى بالكشف والبيان: ٤: ١٢٥. ثم انظر: غاية المرام: ٤٦٧.

(١٠) سنن اِبن ماجة: ١: ٤٣، ٤٥.

(١١) دلائل النبوّة: ٤: ٢٠٥ ـ ٢١٣.

(١٢) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الإبانة.

وقوله ـ عَلَيهِ السَّلام ـ عِندَ الوَفَاةِ ـ: أُدعُـوا لي خَلِـيلي. فَـدُعِيَ[١] بِجَماعَـةٍ، فَأعرَضَ عَنهُم، حَتّى جَاءَ عَلِيٌّ، فاحتَضَنَهُ، وجَعَلَ يُسَارُّهُ.

رَوَاهُ الدَّارقُطني، والطَّبَرِيُّ، والسَّمعانيُّ[٢]، وأحمَدُ[٣]، وأبُو يَعلَى[٤]، وجَميـعُ آلِ مُحمَّدٍ[٥] [ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ][٦].

والمَحبَّةُ إذَا أُضِيفَت إلى الله ـ تَعَالى ـ فَلَا وَجهَ لَهَا، إلَّا مَا يَرجِـعُ إلى الـدِّينِ، وكَثرَةِ الثَّوابِ. فَالأحَبُّ مِنهُم، هُوَ الأفضَلُ، و[الأفضَل][٧] هُوَ الأولَى بِالإمَامَةِ.

وَقَولُهُ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: اللَّهُمَّ! آتِني بِأحَبِّ خَلقِكَ، يَأكُلُ مَعِي هذا الطَّيرَ.

رَوَاهُ خَمسَةٌ، وثلاثُونُ[٨] رَجُلاً مِنَ الصَّحَابَةِ عَنْ أنَسٍ، وعشرَةٌ عَنِ النَّبِـيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

(١) في (ك): فَدَعَا. بصيغة المبني للمعلوم.

(٢) غاية المرام: ٤٧٥. نقلاً عن السَّمعاني.

(٣) مسند أحمد: ٦: ٣٠٠. فضائل الصحابة: ٢: ٦٨٦.

(٤) كفاية الطالب: ٢٦٤. نقلاً عن أبي يعلى الموصليّ.

(٥) الجمل: ٢٢٧. ذخائر العقبى: ٧٢. أمـالي الصـدوق: ٥٧٠. الخصـال: ٢: ٦٤٢. أمـالي الشـيخ الطوسي: ١: ٣٤١

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(هـ) و(أ).

(٨) انظر المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٣٠. كفاية الطالب: ١٥٢. غاية المرام: ٤٧١ ـ ٤٧٦.

أخْرَجَهُ الترمذِيُّ[١]، والطَّبَرِيُّ، وَالبَلاذريُّ[٢]، وَأَحمَدُ[٣] بنُ حَنْبَلٍ، وابنُ شَاهِين[٤]، وابنُ البيعِ[٥]، والإقْلِيشيُّ، وَأَبُو يَعْلَى[٦] المَوْصِلِيُّ، وَأَبُو نُعَيمٍ الأَصْفَهانيُّ[٧]، وَأَبُو بَكْرٍ البَيْهَقِيُّ، وَأَبُو المُظَفَّرِ السَّمْعَانيُّ[٨]، وَعَلِيُّ بنُ إبْرَاهيمَ، وَمُحَمَّدُ بنُ إسْحَاقَ، وَمُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى الأَزْدِيُّ، وَإسْمَاعِيلُ السُّدِّيُّ[٩]، وَمَالِكُ ابنُ أَنَسٍ[١٠]، وَعَبْدُالمَلِكِ[١١] بنُ عُمَيْرٍ،

---

(١) صحيح الترمذي: ١٣: ١٧٠.

(٢) أنساب الأشراف (ط المحمودي): ٢: ١٤٣.

(٣) فضائل الصحابة: ٢: ٥٦٢ وفي مواضع أخرى من الكتاب.

(٤) لابن شاهين كتاب (الفضائل) وهو ممّا فُقِد من تراثنا العربي الإسلامي فربّما ورد هذا الحديث فيه، وفي مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عَلَيهِ السَّلام) لابن المغازلي ذكر لابن شاهين في رواية حديث الطير. أنظر ١٦٤.

(٥) المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٣٠ ـ ١٣٢.

(٦) مسند أبي يعلى: ٧: ١٠٥.

(٧) أفرد أبو نعيم الأصفهاني كتاباً في (حديث الطير). أنظر هامش محمد باقر المحمودي في كتاب أنساب الأشراف: ٢: ١٤٣، ثم انظر حلية الأولياء: ٦: ٣٣٩، وأخبار اصبهان: ١: ٢٣٢.

(٨) غاية المرام: ٤٧٥. نقلاً عن السمعاني.

(٩) ينابيع المودّة: ١: ٥٤. خصائص أميرالمؤمنين: ٦. كفاية الطالب: ١٤٧. مناقب الإمام علي ابن أبي طالب (عَلَيهِ السَّلام) لابن المغازلي: ١٥٩، ١٧١، ١٧٢.

(١٠) أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٥٩.

(١١) أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٥٩. كفاية الطالب: ١٤٨. المناقب لابن المغازلي: ١٧١.

وَمَسْعَرُ[١] بنُ كدامٍ، وَأبو حَاتِمٍ[٢] الرَّازِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَدْ رَوَاهُ ابنُ بَطَّةَ[٣] بِطَرِيقينِ، وَأبُو بَكْرِ[٤] بنُ ثابِتٍ مِنْ سَبْعَةِ طُرقٍ.

وقَدْ صَنَّفَ أحمدُ بنُ محمَّدٍ[٥] كِتَابَ الطَّيرِ.

وَقالَ القَاضِي عَبْدُالجَبَّارِ[٦]: وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي حديثُ الطَّيرِ، وَمَالي لَفْظهُ.

وَقَالَ أبُو عَبْدِالله البَصْرِيُّ[٧]: إنَّ طريقَةَ أبي عَلِيٍّ في تَصْحِيحِ الأخْبَارِ، يَقْتَضِي القَوْلَ بِصِحَّةِ هذا الخَبَرِ، لإيرَادِهِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ يَوْمَ الشُّورَى؛ فَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ أميرُالمؤمِنينَ عَلَى فَضْلِهِ في قِصَّةِ الشُّورَى، بِمَحْضَرِ أهْلِهَا، فَما كَانَ فِيهِمْ إلّا مَنْ عَرَفَهُ، وَأقَرَّ بِهِ. وَالعِلْمُ بِذَلِكَ، كَالعِلْمِ بِالشُّورَى نَفْسِها، فَصَارَ مُتَواتِراً.

وَالأخْبَارُ الَّتي وَرَدَتْ عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ في مَحَبَّةِ عَلِيٍّ، أوْ: في

---

(١) كفاية الطالب: ١٤٨. تاريخ بغداد: ٣: ١٧١ / ٩: ٣٦٩.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٦٥. غاية المرام: ٤٧٣.

(٣) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الإبانة.

(٤) تاريخ بغداد: ٣: ١٧١ / ٥: ٤٧٣ / ٩: ٣٦٩.

(٥) لم نقف عليه. ثم انظر هامش (١) لمحمد باقر المحمودي في أنساب الأشراف: ٢: ١٤٣. المغني في أبواب العدل والتوحيد: ج٢ ق٢ (الإمامة): ١٢٢.

(٦) شرح الأُصول الخمسة: ٧٦٧. باختلاف اللفظ.

(٧) المغني في أبواب العدل والتوحيد: ج٢ ق١ (الإمامة): ١٢٥.

بُغْضِهِ(١)، أوْ: عِنْدَ احْتِضَارِ المَوْتَى، أَوْ: أَوَّلِ مَـنْ تَنْشَـقُّ عَنْـهُ الأَرْضُ(٢)، أَوْ: أَوَّلِ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ(٣)، أوْ: فَمَا ظَنُّكُمْ بِحَبِيبٍ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ(٤)؟

أَوْ: حَمْلِ اللِّوَاءِ(٥)، أوْ: لَيْسَ في القِيَامَةِ رَاكِـبٌ غَيْرَنـا(٦) وَنَحْـنُ أَرْبَعـةٌ، أَوْ: أينَ خَلِيفَةُ مُحَمَّدٍ(٧)؟

---

(١) فضائل الصحابة: ٢: ٦٤٢ ـ ٦٤٣. تاريخ بغداد: ٤: ٣٩، ٤١. المعجم الصغير: ٢: ٦٩. معرفة علوم الحديث: ٢٢ ـ ٢٣، ١٠٨. أمالي الشيخ المفيد: ٦٦، ٢٧. تلخيص الشافي: ح١ ق٢: ١٧٥/ ٣: ١١. مسند أبي يعلى: ١: ٢٥١، ٤٠٣، ٤٠٧ / ٢: ١٠٩، ١١٤ / ٣:١٧٩. مسند أبي داود الطيالسي: ١١١. أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٦٤.

(٢) تاريخ بغداد: ٤: ٣٣٩. مسند أبي يعلى: ٤: ٢١٥ / ٧: ٢٨١. ذخائر العقبى: ١٤٠. المناقب للخوارزمي: ٢٤، ٦٤.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢: ٦٦٤. مسند أبي يعلى: ٤: ٢١٥ / ٧: ٢٨١. ذخائر العقبى: ٧٥. أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٠٩. المناقب للخوارزمي: ٦٤، ٩٦.

(٤) ذخائر العقبى: ٩١. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عَلَيهِ السَّلام) لابن المغازلي: ٢٢٠، ٣٢٣. فرائد السمطين: ٨٧.

(٥) تاريخ بغداد: ٤: ٣٣٩. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢: ٦٦١، ٦٦٣. المناقب للخوارزمي: ٢٢٧. مسند أبي يعلى الموصلي: ٤: ٢١٥ / ٧: ٢٨١. تفسير فرات الكوفي: ١٦٧. الاحتجاج: ١: ٥٥.

(٦) أمالي الشيخ المفيد: ١٥٩. المعجم الكبير: ٣: ٣٢. جواهر العقدين: ق٢ ح١: ١٧٦. أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٣٣، ٢٦٤. المناقب للخوارزمي: ٢٥٩. فرائد السمطين: ٧٣.

(٧) تاريخ بغداد: ٤: ٣٣٩.

أوْ: إنَّ عَلِيّاً أَوَّلُ مَنْ يَشْرَبُ[١] السَّلْسَبِيلَ.

أوْ: تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى الأَعْرافِ رِجالٌ﴾[٢]، أوْ: قَوْلِهِ: ﴿طُوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٣]، أوْ: قَوْلِهِ: ﴿فَوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ﴾[٤]، أوْ: قَوْلِهِ: ﴿فَأَمّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ﴾[٥]، أوْ: قَوْلِهِ: ﴿فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ﴾[٦]، أوْ: قَوْلِهِ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾[٧]، أوْ: قَوْلِهِ: ﴿أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ﴾[٨]، أوْ: قَوْلِهِ: ﴿إِنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ﴾[٩].

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ١: ١٠٣.

(٢) الاعراف: ٤٦. شواهد التنزيل: ١: ١٩٨. تفسير العيّاشي: ٢: ١٨، ١٩. تفسير القمي: ١: ٢٣١. نور الثقلين: ٢: ٣٢ ـ ٣٥. تفسير فرات الكوفي: ٤٦.

(٣) الرعد: ٢٩. شواهد التنزيل: ١: ٣٠٤ ـ ٣٠٦. تفسير العياشي: ٢: ٢١٢، ٢١٣. تفسير القمي: ١: ٣٦٥. نور الثقلين: ٢: ٥٠٢ ـ ٥٠٣. تفسير فرات الكوفي: ٧٢ ـ ٨٠.

(٤) الإنسان: ١١. شواهد التنزيل. ٢: ٣٠٠ وما بعدها. أسباب النزول: ٢٩٦.

(٥) القارعة: ٦. شواهد التنزيل: ٢: ٣٦٧.

(٦) الإنشقاق: ٧.

(٧) الصافات: ٢٤. شواهد التنزيل: ٢: ١٠٦. فرائد السمطين: ٦٦. المناقب للخوارزمي: ١٩٥. كفاية الطالب: ٢٤٧. نور الثقلين: ٤: ٤٠١ ـ ٤٠٣. تفسير فرات الكوفي: ١٣١. جواهر العقدين عن الديلمي: ق٢ ح١: ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٨) ق: ٢٤. شواهد التنزيل: ٢: ١٩٠. ينابيع المودّة: ١: ٨٢ ـ ٨٣. أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٩٦. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عَلَيهِ السَّلام) لابن المغازلي: ٤٢٧.

(٩) الكوثر: ١. شواهد التنزيل: ٢: ٣٧٥ وما بعدها.

أوْ: قَوْلِهِ(١): لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ...، أوْ: قَوْلِهِ(٢): عَلِيٌّ قَسِيمُ الجَنَّـةِ، والنَّـارِ، أوِ: الشَّفَاعَةِ(٣)، وَغيرِ ذلِكَ مِمَّا لا يُحْصَى كَثْرَةً.

إمَّا أنَّها كُلَّها، صَحِيحَةٌ، أوْ فِيهَا مَا هُوَ صَحِيحٌ، لأنَّها قَـدْ نَقَلَهـا المُخَـالِفُ، والمُؤَالِفُ، فَيَدُلُّ عَلَى عِصْمَةِ عَلِيٍّ [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ](٤)، لأنَّ مَنْ لَـيْسَ بِمَعْصُـومٍ، لا يَجُوزُ أنْ يُخْبَرَ بِأنَّهُ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ قَطْعاً(٥)، أوْ [أنَّ](٦) لَـهُ مِـنَ الـدَّرَجَاتِ شَـيْئاً، لأنَّ ذلِكَ يُغْرِيهِ بِالقَبِيحِ، [وَالإغْرَاءُ](٧) بِالقَبِيحِ، قَبِـيحٌ، وَذلِـكَ لا يَجُـوزُ عَلَيـهِ ـ تَعَالى ـ

فَإذَا(٨) وَجَبَتْ عِصْمَتُهُ، ثَبَتَتْ إمَامَتُهُ.



(١) حلية الاولياء: ٨: ٣٧٤. جواهر العقدين: ق٢ ح١: ١٠٩، ٢٢٥ ـ ٢٢٦. المناقب للخوارزمي: ٣٥ـ٣٦.

(٢) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب (عَلَيهِ السَّلام): ٤٦. ينابيع المودّة: ١: ٨١. فردوس الأخبار: ٣: ٩٠.

(٣) أوائل المقالات: ٥٢. جواهر العقدين: ق٢ ح١: ١٨٠ ـ ١٨١.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٥) (قطعاً) ساقطة من (ح).

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٨) في (ك) و(هـ): وَإذا. مَعَ الواو.

فصل [ـ ٩ ـ]

[في فضائل أمير المؤمنين ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَالَ الشَّيخُ[١] المُفيدُ: اسْتَدَلَّ أكثرُ / ١٦٠/ أصحابِنَا عَلَى أنَّ أميرَ المُؤمنينَ [ـ عَلَيهِ السَّلام ـ][٢] أفْضَلُ مِنْ كَافَّةِ البَشَرِ، سِوَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مِنْ ثَلاثَةِ أوْجُهٍ: بِكَثْرَةِ الثَّوَابِ، وَظَوَاهِرِ الأعْمَالِ، وَالمَنَافِعِ الدِّينيَّةِ بِالأعْمَالِ.

فالأوَّلُ: مِثْلُ قَوْلِهِ[٣] ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: أَنَا سَيِّدُ البَشَرِ. وَقَوْلِهِ[٤]: أنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ، وَلا فَخْرَ.

وَإِذَا ثَبَتَ أنَّهُ أفْضَلُ البَشَرِ، وَجَبَ أنْ يَلِيَهُ أميرُ المؤمِنينَ في الفَضْلِ، بِدِلالَةِ

---

(١) الإفصاح في إمامة علي بن ابي طالب (عَلَيهِ السَّلام): ٧. وما بعدها بتصرُّف.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٣) ذخائر العقبى: ٧٠. ينابيع المودّة: ١: ٨٧ باختلاف اللفظ.

(٤) مسند أحمد: ٤: ١٨٧، ٢٤١. الأوائل: ٣٢. صحيح مسلم: ٧: ٥٩. صحيح الترمذي: ١١: ٣٠٥. سنن ابن ماجه: ٢: ١٤٤. سنن أبي داود: ٢: ٥٢١. عيون أخبار الرضا: ٢: ٣٥. أمالي الصدوق: ١٦٥. تاريخ بغداد: ٤: ٣٩٧. مسند أبي يعلى الموصلي: ٤: ٢١٥ / ٧: ٢٨١. دلائل النبوّة: ٢٧، ٢٨، ٢٩.

المَحْكُومِ لِهُ بِأَنَّهُ نَفْسُهُ في آيَةِ المُبَاهَلَةِ، بالإجْمَاعِ.

وَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِالنَّفسِ مَا بِهِ قَوَامُ الجَسَدِ(١)، مِنَ الدَّم السَّائِلِ، وَالهَـواءِ، وَنَحْوَهِ. وَلَمْ يُرِدْ نَفْسَ ذَاتِهِ، إِذْ كَانَ لا يَصُحُّ دُعَاءُ الإنسانِ نَفْسَهُ إلى نَفْسِهِ، وَلا إلى غَيْرِهِ. فَلَمْ يَبْقَ(٢) إلّا أَنَّـهُ أَرَادَ المِثْـلَ، والعِـدْلَ، والتَّسـاوِي في كُـلِّ حَـالٍ، إلّا مـا أَخْرَجَهُ الدَّلِيلُ.

وَمِنْ ذلِكَ أَنَّهُ جَعَلَهُ في أَحْكَامِ حُبِّهِ، وَبُغْضِهِ، وحُرُوبِهِ، سَـوَاءً مَـعَ نَفْسِـهِ، بِلا فَصْلٍ.

وَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَضَـعِ الحُكْـمَ ـ في ذلِـكَ ـ لِلْمُحَابَـاةِ(٣)، بَـلْ وَضَـعَهُ عَـلَى الاسْتِحْقَاقِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُـونَ مُسَـاوِياً لَـهُ في الأَحْكَـامِ كُلِّهـا، إلّا مـا أَخْرَجَـهُ الدَّلِيلُ.

وَمِنْ ذلِكَ: ثُبُوتُ المحبَّةِ لَهُ ـ بالإجْمَـاعِ ـ في حَـدِيثِ الطَّـيْرِ(٤)، والرَّايَـةِ(٥)، وَالوَفاةِ(٦)، كَمَا تَقَدَّمَ تَرْتِيبُهُ.

---

(١) في (ك): الحسد. بالحاء المهملة.

(٢) في (ك): يبقى. من دون حذف الألف المقصورة الذي هو علامة الجزم.

(٣) في (ك): المحاياة. بياء مثنّاة من تحت.

(٤) مرّ نصّه وتخريجه آنفاً.

(٥) مرّ نصّه وتخريجه آنفاً.

(٦) مرّ نصّه وتخريجه آنفاً.

وَمِنْ ذلِكَ: اشْتِهَارُ الأَخْبَارِ(١) في دَرَجَاتِهِ، يَوْمَ القِيَامَةِ. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ القِيَامَةَ، مَحَلُّ الجَزَاءِ، وَأَنَّ الترتِيبَ فِيهَا، بِحَسَبِ الأَعْمَالِ.

وَإِذَا كَانَ مَضْمُونُ(٢) هذِهِ الأَخْبَارِ، يُفِيدُ تَقَدُّمَ أَمِيرِالمُؤمنينَ كَافَّةَ(٣) الخَلْقِ ـ سِوَى رَسُولِ الله ـ في كَرَامَتِهِ الثَّوَابَ، دَلَّ ذلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِهِمْ في الأَعْمَالِ.

[وَمِنْ ذلِكَ: قَوْلُهُ: عَلِيٌّ، خَيْرُ البَشَرِ(٤)، وَسَيِّدُ البَشَرِ(٥)، وَخَيرُ الخَلْقِ(٦)، وَنَحْو ذلِكَ.

وَأَمَّا ظَوَاهِرُ الأَعْمَالِ](٧)، فإِنَّهُ لا يُوجَدُ في الإِسلامِ لِبَشَرٍ مَا يُوجَدُ لِعَلِيٍّ.

وَإِذا كَانَ الإِسلامُ أَفْضَلَ الأَدْيانِ، لأَنَّهُ أَعَمُّ مَصْلَحَةً لِلْعِبَادِ، كَانَ العَمَلُ في تَأْدِيبِهِ(٨)، وَشَرَائِعِهِ(٩)، أَفْضَلَ الأَعْمَالِ. مَعَ الإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّ شَرِيعَةَ الإِسلامِ،

(١) فضائل الصحابة: ٢: ٦١٢. تاريخ بغداد: ٤: ٣٣٩. أمالي الشيخ المفيد: ١٥٩.

(٢) في (أ): مضموماً. وهو تحريف.

(٣) في (هـ) و(ح): على كافّة.

(٤) فضائل الصحابة: ٢: ٦٧٢. ذخائر العقبى: ٩٦. فردوس الأخبار: ٣: ٨٩.

(٥) تلخيص الشافي: ٣: ١٦. الإرشاد: ١٨٣.

(٦) تلخيص الشافي: ٣: ١٦. الإرشاد: ١٨٣.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٨) في (أ): تأديته. بتاء مثنّاة من فوق بعد الياء المثنّاة من تحت.

(٩) في (ك): شرائعه وشرائطه.

أفْضَلُ الشَّرَائِعِ، وَالعَمَلَ بِهَا، أفْضَلُ الأعْمَالِ. يُؤَكِّدُ ذلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[1].

وَأمَّا المَنَافِعُ الدينيَّةُ بِالأعْمَالِ[2]، هُوَ أنَّ النَّفْعَ بالإسلامِ، الَّذي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ إذَا كَانَ، إنَّما وَصَلَ إلى هذِهِ الأُمَّةِ بِأمِيرِ المُؤْمنينَ، ثَبَتَ لَهُ الفَضْلُ، الَّذي وَجَبَ للنَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ مِنْ جِهَةِ رَبِّهِ ـ عَلَى قَوَاعِدِ المُعْتَزِلَةِ[3] في القَضَاءِ[4] بِالفَضَائِلِ مِنْ جِهَةِ النَّفْعِ العَامِّ[5]، وَتَفَاضُلُ الخَلْقِ فِيهِ، بِحَسَبِ كَثْرَةِ القَائِمينَ لِلْدِّينِ، والمُنْتَفِعِينَ بِذَلِكَ مِنَ الأنَامِ.



(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) في (أ): بأعمال. من دون (أل).

(٣) المغني في أبواب العدل والتوحيد: ج٢ ق٢ (الإمامة): ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٤) في (ح): القضايا.

(٥) في (ك): العِلم. وهو تحريف.

فصل[1] [ـ ١٠ ـ]

[في فضائل أمير المؤمنين ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

سُئِلَ[2] الشَّيخُ المُفِيدُ: القُرْآنُ أفْضَلُ، أمْ مُحَمَّدٌ، وَعَلِيٌّ؟

فَقَالَ: مُحَمَّدٌ، وَعَلِيٌّ، لِقَوْلِهِ[3]: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾[4]، وقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيارِ﴾[5]. اصْطَفَاهُم لأداءِ شَرْعِهِ إلى عِبَادِهِ، وَحِفْظِهِ[6] عَلَيْهِمْ، وَدُعَائِهِم إليهِ، وَإِيْضَاحِ مَعَانيهِ لَهُمْ، فَأَدَّوا مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذلِكَ، وَاسْتَحَقُّوا عَلَيْهِ عَظِيمَ الأجْرِ، وَرَفِيعَ[7] المَكَانِ.

هذا مَعَ أنَّ الفَضْلَ، إنَّما هُوَ بِالأعْمَالِ، بَعْدَ الاخْتِيارِ. والقُرْآنُ، فَلا عَمَلَ لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ عَمَلٌ، وَصُنْعٌ، وَآيَةٌ لله، وَلِرسُولِهِ. وَصَاحِبُ الآيَةِ، أعْظَمُ قَدْراً مِنْها،

(١) (فصل) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ)، وقد أُدْمِجَ الكلام الذي بعدها بالفصل الذي قبلها.

(٢) في (ك) و(هـ): وَسُئِلَ، مع الواو.

(٣) في (أ): لقوله وله. وهو تحريف.

(٤) الدخان: ٣٢.

(٥) ص: ٤٧.

(٦) في (ك): حفظة. بتاء مربوطة متحركة.

(٧) في (أ): رفع.

وَالمُبِينُ عَنِ الشَّيءِ، أفْضَلُ مِنْهُ، وَالهَادِي إليهِ، أجَلُّ مِنْهُ، والسَّبَبُ في العَمَلِ، أعْظَمُ مِنَ المَعْمُولِ بِهِ.

وَالقُرْآنُ ـ وَإنْ كَانَ كَلامَ الله ـ تَعَالى ـ فَرَسُولُ[١] الله، صَفِيُّهُ، وَعَلِيٌّ، وَلِيُّهُ.

وَالقُـرْآنُ لَـيْسَ بِعَابِـدٍ، وَلا مُطِيـعٍ. وَهُمَـا ـ لله[٢] ـ عَابِـدَانِ، وفي طَاعَتِـهِ، مُخْلِصَانِ. وَالتَّفَاضُلُ إنَّما يَكُونُ بِالأعْمَالِ.

وَقَوْلُ القَائِلِ: إنَّ الكَلامَ، أفْضَلُ مِنَ المُتَكَلِّمِ. لَغْوٌ.

وَقَدْ رُوِيَ[٣]: إنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ الله، وعتْرَتِي أهْلَ بَيْتِي، وَهُمَـا يُترجِمَانِ عَنِ الكِتَابِ.

وَالمُترجِمُ، أفْضَلُ مِنَ الترجُمَةِ.

---

(١) في (ك): من رسول الله. وفي (ح): فرسوله.

(٢) في (أ): الله. من دون حرف الجر (اللام).

(٣) صحيح مسلم: ٧: ١٢٢، ١٢٣. المعجم الصغير: ١: ١٣١، ١٣٥. أمالي الشيخ المفيد: ٧٩. تلخيص الشافي: ح١ ق٢: ٢٣٩. مسند أبي يعلى الموصلي: ٢: ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ٣٠٣. تفسير البغوي: ٤: ١٢٥. المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٤٨. المعجم الكبير: ٣: ٢٠٠ ـ ٢٠١ / ٥: ١٧١. مسند أحمد: ٥: ١٨١. أنساب الأشراف (ط المحمودي): ٢: ١١٠ ـ ١١١. صحيح الترمذي: ٥: ٣٢٩. الدر المنثور: ٧: ٣٤٩. مصابيح السنة: ٢: ٢٠٢. المناقب للخوارزمي: ٩٣. مناقب علي بن أبي طالب (عَلَيهِ السَّلام) لابن المغازلي: ٢٣٤ ـ ٢٣٦. فردوس الأخبار: ١: ٩٨. غاية المرام: ٢١١ ـ ٢١٧.

وَمَنْ مَاتَ، وَلَمْ يَحْفَظْ[1] مِنَ القُرآنِ، إلّا مَا يُصَلِّي بِهِن لَمْ يَكُنْ عَلَيْـهِ تَبِعَـةٌ في دِينِهِ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ. وَمَنْ مَاتَ بِغَيْرِ مَعْرِفَتِهِمَا، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَكَانَ مُخَلَّـداً في النَّارِ.



(١) في (ك): يحفض. بالضاد المعجمة.

فصل [ـ ١١ ـ]

[في أفضليّة الحسن والحسين ـ عَلَيهِمَا السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ﴾(١).

هذِهِ الآيةُ، تَدُلُّ عَلَى أنَّ الحَسَنَ، والحُسَيْنِ ـ عَلَيْهما السَّلامُ ـ في وَقْتِ المُبَاهَلَةِ، كَانَا بَالِغَيْنِ، مُكَلَّفَيْنِ، لأنَّ البُلُوغَ، وَكَمَالَ العَقْلِ، لا يَفْتَقِرُ إلى شَيْءٍ مَخْصُوصٍ. وَلِذلِكَ تَكَلَّمَ عِيْسَى في المَهْدِ، بِمَا دَلَّ عَلَى كَوْنِهِ مُكَلَّفاً، عَاقِلاً.

وَقَالَ في يَحْيى: ﴿وَآتَيْناهُ الْـحُكْمَ صَبِيّاً﴾(٢).

وَقَالَ أصْحَابُنَا(٣): إنَّهُما [كَانَا](٤) أفْضَلَ الصَّحابَةِ بَعْدَ أبِيهِمَا، وَجَدِّهِمَا ـ عَلَيهِما(٥) السَّلامُ ـ لأنَّ كَثْرَةَ الثَّوَابِ لَيْسَ بِمَوْقُوفٍ عَلَى كَثْرَةِ الأفْعَالِ، فَصِغَرُ(٦)

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) مريم: ١٢.

(٣) أوائل المقالات: ٤٧. تلخيص الشافي: ٣: ٧ / ٤: ١٦٧.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) في (ح): عليهم.

(٦) في (أ): وصغر. مع الواو.

سِنِّهِمَا، لا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَتُهما، وَطَاعَتُهما لله - تَعَالَى - وَإِقْرارُهُما بِالنَّبِيِّ - عَلَيهِ السَّلام - وَقَعَ عَلَى وَجْهٍ يُسْتَحَقُّ بِهِ الثَّوابُ، مَا يَزِيدُ[1] عَلَى ثَوابِ مَنْ عَاصَرَهُما، سِوَى جَدِّهِمَا، وَأَبِيهِمَا.

وَإِنَّما خَصَّهُمْ النَّبِيُّ - عَلَيهِ السَّلام - بِالمُبَاهَلَةِ: لِيُبَيِّنَ مَنْزِلَتَهُمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ في أُمَّتِهِ مَنْ يُسَاوِيهِمْ في الفَضْلِ، وَلِيَكُونَ حُجَّةً عَلَى مُخَالِفِيهِ، وَيُؤَثِّرُ[2] لَعْنُهُمْ مِثْلَ لَعْنِ النَّبِيِّ - عَلَيهِ السَّلام - وَلِكَوْنِهِمْ [مَعْصُومِينَ، وَلْيُعْلَمُ][3] أَنَّ التَّغْيِيرَ، وَالتَّبْدِيلَ، لا يَجُوزُ عَلَيهِم، وَلِيُعْلَمَ أَنَّ الإمامَةَ لا تَخْرُجُ عَنْهُمْ، وَلْيُعْلَمَ أَنَّهُ أَجْرَاهُمْ مَجْرَى نَفْسِهِ، وَلَيُعْلَمَ أَنَّهُمْ - عِنْدَهُ - أَعَزُّ، وَشَفَقَتَهُ عَلَيْهِمْ، أَكْثَرُ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[4].

فَقَدْ أَلْحَقَهُمَا اللهُ، وذُرِّيَّتَهُما بِرَسُولِ الله، وشَهِدَ بذلكَ كِتَابُهُ، فَوَجَبَ لَهُم الطَّاعَةُ بِحِقِّ الإمامَةِ، مِثْلَ مَا وَجَبَ لِلنَّبِيِّ - عَلَيهِ السَّلام - بِحَقِّ النُّبُوَّةِ.

***

(١) في (ك) و(أ): يرتد. بالراء المهملة بعدها تاء مثنّاة من فوق. وهو تصحيف.

(٢) في (ك): يؤمر. وهو تحريف.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) الطور: ٢١.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ حكايةً عَنْ حَمَلَةِ العَرشِ ـ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً...﴾ (١) إلى ثَلاثِ آياتٍ.

وقولهُ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (٢).

ولا يُسبَقُ النَّبِيُّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ في فَضِيلَةٍ، ولَيسَ أخَصُّ بِهذا(٣) الدُّعاءِ، وبِهذِهِ الصِّفَةِ مِنهُ، ومِنْ ذُرِّيَّتِهِ. فَقَد وَجَبَ لَهُمُ الإمامَةُ.

ويُستَدَلُّ عَلَى إمَامَتِهِما، بِما رَواهُ الطَّرِيقانِ(٤) المختَلِفانِ، والطَّائفَتانِ المُتَبايِنَتانِ مِنْ نَصِّ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ عَلَى إمَامَةِ(٥) الاثنَيْ عَشَرَ. وإذا ثَبَتَ ذلِكَ، فَكُلُّ مَنْ قَالَ بِإمَامَةِ الاثني عَشَرَ، قَطَع عَلَى إمَامَتِهِما.

ويَستَدِلُّ ـ أيضاً ـ بِالخَبَرِ المَشهُورِ، أنَّهُ قَالَ(٦) ـ عَلَيهِ السَّلام ـ: اِبنَايَ هذانِ،

---

(١) غافر: ٧، وما بعدها.

(٢) الفرقان: ٧٤.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ): بهذِهِ.

(٤) صحيح مسلم: ٦: ٣، ٤. الغيبة: ٨٨، ٨٩. مسند أبي يعلى: ٨: ٤٤٤. أوائل المقالات: ٤٧. فردوس الأخبار: ٥: ٢٢٩، ٢٣٨. صحيح البخاري: ٩: ١٠١. سنن أبي داود: ٤: ١٠٦. صحيح الترمذي: ٤: ٥٠١. مسند أحمد: ٥: ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠... مسند أبي داود الطيالسيّ: ١٨٠. فردوس الأخبار: ٥: ٢٣٨. عن جابر بن سمرة. غاية المرام: ١٥٢ ـ ١٦٨.

(٥) العبارة: «على إمامة... الاثني عشر» ساقطة من (أ).

(٦) تلخيص الشافي: ٤: ١٧٠. الإرشاد: ٢٢٠. مجمع البيان: ١: ٤٥٣. الإساس لعقائد الأكياس: ١٦٦.

إمَامَانِ قَامَا أو قَعَدَا.

أثبتَ لَهُمَا الإمَامَةَ بِمُوجِبِ القَولِ، سَوَاءٌ نَهَضَا بِالجِهَادِ، أَوْ قَعَدَا عَنهُ، دَعَيَا إلى أنفُسِهِمَا، أو تَرَكَا ذلِكَ. [وَيَستَدِلُّ ـ أيضاً ـ بِإجمَاعِ أهلِ البَيتِ[١] ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ لأنَّهُم أجمَعُوا عَلَى إمَامَتِهِمَا. وإجمَاعُهُمْ حُجَّةٌ][٢].

ويَستَدِلُّ ـ أيضاً ـ بِمَا قَدْ[٣] ثَبَتَ ـ بِلَا خِلَافٍ ـ أنَّهُمَا دَعَوا النَّاسَ إلى بَيعَتِهِمَا، والقَولِ بِإمَامَتِهِمَا[٤]. فَلَا يَخْلُو مِنْ أنْ يَكُونَا مُحِقَّينِ، أو مُبطِلَينِ. [فَإنْ كَانَا مُحِقَّينِ، فَقَد ثَبَتَ إمَامَتُهُمَا، وإن كَانَا مُبطِلَينِ][٥]، وَجَبَ القَولُ بِتَفسِيقِهِمَا، وتَضلِيلِهِمَا[٦]. وهذا لَا يَقُولُهُ مسُلِمٌ.

ويَستَدِلُّ ـ أيضاً ـ بِمَا قَدْ ثَبَتَ أنَّهُمَا قَدْ خَرَجَا، وادَّعَيَا الإمَامَةَ، ولَم يَكُنْ في زَمَانِهِمَا غَيرُ مُعَاوِيَةَ، ويَزِيدَ. وهُمَا قَدْ ثَبَتَ فِسقُهُمَا، [بَلْ كُفرُهُمَا][٧]. فَيَجِبُ أنْ تَكُونَ[٨] الإمَامَةُ لِلحَسَنِ، والحُسَينِ ـ عليهما السلام ـ.

---

(١) أوائل المقالات: ٤٧. تلخيص الشافي: ٤: ١٦٧ فما بعدها.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ح).

(٣) (قد) ساقطة من (ح).

(٤) العبارة: «بإمامتهما... وجب القول» ساقطة من (أ).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

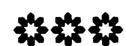
(٦) في (هـ): أو تضليلهما.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ح).

(٨) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

ويَستَدِلُّ ـ أيضاً ـ بِأنَّ طَرِيقَ الإمَامَةِ، لَا يَخْلُو إمَّا أن يَكُونَ هُـوَ الـنَّصَّ، أو الوَصفَ، أو الاختِيَارَ. وكُلُّ ذلِكَ قَدْ حَصَلَ في حَقِّهِمَا، فَوَجَبَ القَولُ بِإمَامَتِهِمَا.

ويَستَدِلُّ ـ أيضاً ـ بِطَرِيقَةِ العِصمَةِ، والنُّصُوصِ، وكـونِهِمَا أفضَـلَ الخَلـقِ، يَدُلُّ عَلَى إمَامَتِهِمَا.



فصل [ـ ١٢ ـ]

[الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ ذريَّة محمد ـ عَلَيهِ السَّلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ﴾[1].

اِستَدَلَّ بَعضُ[2] النَّواصِبِ بِهَا[3] عَلَى أنَّ الحَسَنَ، والحُسِينَ، لَمْ يَكُونَا اِبنَـيْ النَّبِيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

وهذا بَاطِلٌ. لأنَّهُما كَانَا[4] طِفلَينِ. وإنَّما نَفَى أنْ يَكُونَ أبَا الرِّجَالِ البالِغِينَ.

ثُمَّ إنَّـهُ قَـدْ صَـحَّ ـ بالإجمـاعِ، وبِآيَـةِ المُبَاهَلَـةِ ـ [أنَّ المـراد][5] بـِـ﴿أَبْناءَنـا وَأَبْناءَكُمْ﴾[6]: الحَسَنُ، والحُسِينُ.

وقَدْ أجمَعَ المُفَسِّرونَ[7] أنَّ الإيةَ، نَزَلَـتْ في زَيـدِ بـنِ حَارثَـةَ، لأنَّهُـم كَـانُوا

---

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) هو الحجَّاج بن يوسف الثقفي كما سيأتي بعد أسطر.

(٣) في (ش): بهما. وهو تحريف.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ١٩٦.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٦) آل عمران: ٦١.

(٧) انظر مثلاً: جامع البيان: ٢٢: ١٦. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣٥٩. الجامع لأحكـام القـرآن: ١٤: ١٨٨. فما بعدها.

يُسَمُّونَهُ زَيدَ بنَ مُحَمَّدٍ. فَبَيَّنَ اللهُ ـ تَعَالى ـ: أنَّ مُحَمَّداً لَيسَ بِأبي أحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

أنكرَ الحَجَّاجُ[2] أنْ يَكُونَ الحَسَنُ، والحُسَينُ مِنْ ذُرِّيَّةِ النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ فَقَالَ يَحيى بنُ يَعمُرَ: إنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ[3] سَمَّى عِيسَى[4] أنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ[5] إبرَاهيمَ مَعَ أنَّ مَريمَ، كَانَتْ تُنسَبُ إلى إبراهيمَ بِتِسعَةِ آباءٍ. فَأولى مِنْ ذلِكَ أنْ يُسَمَّى الحَسَنانِ[6] بِأنَّهُما مِنْ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ، لأنَّهُما يُنسَبانِ إلى النَّبيِّ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ بِشَخصٍ واحِدٍ.

ويَدُلُّ[7] ـ أيضاً ـ قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ

(١) الأنعام: ٨٤، ٨٥.

(٢) أمالي الصَّدوق: ٥٦٤.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) (عيسى) ساقطة من (أ).

(٥) في (أ): ذريته. مضافاً إلى ضمير الغائب (الهاء).

(٦) في (ح): الحسن والحسين.

(٧) في (هـ): تدل. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

أَزْواجاً وَذُرِّيَّةً﴾[١].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾[٢].

يَدُلُّ عَلَى أنَّ الإمَامَةَ ـ بَعدَ الحُسَينِ ـ لابنِهِ عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ، لأَنَّهُ أقرَبُ إليهِ رَحِماً[٣] مِنْ وِلدِ أخيهِ. وهكذا أولادُهُ أولى بِهَا. فَأخرَجَتْ. هذِهِ الآيةُ وِلْدَ الحَسَنِ مِنَ الإمَامَةِ، وصَيَّرَتهَا في وِلْدِ الحُسَينِ. فَهيَ فِيهِمْ ـ أبَداً ـ إلى يَومِ القِيامَةِ.

وقَدْ رَوَى الإعرَجُ[٤] عَنْ أبي هُرَيرَةَ أَنَّهُ قَالَ: سَألتُ رَسُولَ الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ـ عَنْ قَولِهِ: ﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[٥]؟ قَالَ: جَعَلَ الإمَامَةَ في عَقِبِ الحُسَينِ... الخَبَرُ.

ورُوِي المُفَضَّلُ[٦] عَنِ الصَّادِقِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ.

---

(١) الرَّعد: ٣٨.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) في (أ): برحماً. وهو تحريف.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٢٠٦. تفسير نور الثقلين: ٤: ٥٩٧. مجمع البيان: ١: ٢٠٠. معاني الأخبار: ١٣٢.

(٥) الزخرف: ٢٨.

(٦) الخصال: ١: ٣٠٥. عن الصادق (ع). كمال الدين وتمام النعمة: ٢: ٢٨، ٨٩. معاني الأخبار: ١٢٦، ١٣٢. عن المفضّل وعن أبي بصير عن الصادق (ع) مجمع البيان: ١: ٢٠٠.

ورُوَى [عَنِ][1] السُّدِّيِّ[2]، وزَيدِ بنِ عَلِيٍّ نَحوٌ مِنْ ذلِكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً﴾[3].

وكَانَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ بَدَمِ[4] أَبِيهِ أولَى، وبِالقِيَامِ بِأمُورِهِ أحرَى. وإنَّما خُصَّ بَنُو الحُسَينِ بِهَا لِقَولِهِ: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً﴾[5].

وكانَ مُوسَى، وهَارُونُ، نَبِيَّينِ، مُرسَلَينِ، فَجَعَلَ اللهُ الأمرَ في صُلبِ هَارُونَ. ﴿لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[6].

والقَائِلُ بِإمَامَةِ زَينِ العَابِدِينَ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ لَمَّا ثَبَتَ ـ عِندَهُ أنَّ الإمَامَ، لَابُدَّ أن يَكُونَ مَنصُوصاً عَلَيهِ. قَطَعَ عَلَى إمَامَتِهِ.

وإذا ثَبَتَ أنَّ الإمَامَ، لَابُدَّ أنْ يَكُونَ مَعصُوماً، يَقطَعُ عَلَى أنَّ الإمَامَ، بَعدَ الحُسِينِ ـ عَلَيهِ السَّلام ـ ابنُهُ عَلِيٌّ. لأنَّ كُلَّ مَن أُدِّعِيَتْ إمَامَتُهُ بَعدَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ،

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٦ : ٧٧. وفيه: وقال السدّي: هم آل محمد (ص).

(٣) الإسراء: ٣٣.

(٤) في (أ): بدام. وهو تحريف.

(٥) الإسراء: ٧٧.

(٦) الأنبياء: ٢٣.

والخَوَارِجِ، اِتَّفَقُوا عَلَى نَفي القَطعِ(١) عَلَى عِصمَتِهِ.

وأمَّا الكَيسَانِيَّةُ(٢) ـ وإنْ قَالُوا بِالنَّصِّ ـ فَلَمْ يَقولُوا بِالنَّصِّ صَرِيحاً. ثُمَّ إنَّهم قَدْ اِندَرَسُوا، فَلَو كَانَ حَقّاً، لَمَا اِندَرَسُوا.



(١) في (هـ): للقطع. مع حرف الجر (اللام).

(٢) تلخيص الشافي: ٤: ١٩٢.

فصل [ـ ١٣ ـ]

[في أُولي الأمر وتعيين صفاتهم]

قَوْلُهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿يا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـوا أَطِيعُـوا اللهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١).

[قالُوا(٢) : إنَّها نَزَلَتْ في أُمَرَاءِ(٣) السَّرَايَا ، في وِلَايَةِ الصَّحَابَةِ ، وعَلِيٌّ أَوَّلُهُمْ](٤).

وقَالُوا(٥): نَزَلَتْ في عُلَماءِ العَامَّةِ.

وقَالُوا(٦): نَزَلَت في أئمَّةِ الهُدَى.

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) انظر مثلاً: جامع البيان: ٥: ١٤٨. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٦٤. عن أبي هريرة وابـن عبـاس ـ في إحدى الروايتين ـ وميمون بن مهران والسُّدّي. تفسير القمـي (عـليّ بـن إبـراهيم): ١: ١٤١. الدر المنثور: ٢: ٥٧٤. الجامع لأحكام القرآن: ٥: ٢٦٠.

(٣) في (ك) و(هـ): أمر. وهو تحريف.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) انظر ـ مثلاً ـ: جامع البيان: ٥: ١٤٨ ـ ١٤٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٦٤. عن جابر بن عبـد الله وابن عباس ومجاهد والحسن وعطاء. الدر المنثور: ٢: ٥٧٥. الجامع لأحكام القرآن: ٥: ٢٦٠.

(٦) مجمع البيان: ٢: ٦٤. عن الباقر والصادق (عليهما السلام). الجامع لأحكام القرآن: ٥: ٢٦١.

والدَّلِيلُ عَلَى ذلِكَ أنَّ ظَاهِرَها يَقتَضِي عُمُومَ طَاعَةِ أولِي الأمـرِ مِـنْ حَيـثُ عَطَفَ ـ تَعَـالى ـ الأمـرَ بِطَـاعَتِهِم عَـلَى الأمـرِ بِطَاعَتِـهِ، وطَاعَـةِ رَسُـولِهِ ـ عَلَيـهِ السَّلام ـ[1].

وطَاعَةُ أُمَرَاءِ[2] السَّرَايَا، وعُلَمَاءِ العَامَّةِ، لَا تَجِبُ[3] مِثلَ طَاعَـةُ الله، وطَاعَـةُ رَسُولِهِ. فَلَمْ يَبقَ إلَّا أنَّ أئمَّتَنَا، هُمُ[4] المَعنِيُّونَ بِهَا.

ثُمَّ إنَّنَا قَدْ عَلِمنَا اِختِصَاصَ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ[5] بِمَنْ ولُـوا عَلَيـهِ، وبِـمَا كَـانُوا أُمَرَاءَ فِيهِ، وبِالزَّمَانِ الَّذي اِختَصَّتْ بِهِ ولَايَتُهُم. فَطَـاعَتُهُمْ خاصَّـةٌ، وطَاعَـةُ أولي الأمرِ ـ في الآيةِ ـ عَامَّةٌ، مِنْ كُلِّ وَجهٍ.

وأمَّا عُلَمَاءُ[6] العَامَّةِ، فَهُم مُختَلِفُون. وفي[7] طَاعَةِ بَعضِهِم عِصيَانُ بَعضٍ.

وفي فَسَادِ القَولَينِ، صِحَّةُ مَقَالِنَا.

وقَدْ وَصَفَ اللهُ ـ تَعَالى ـ أولِي الأمرِ بِصِفَةٍ تَدُلُّ عَلَى العِلمِ، والإمرَةِ ـ جَمِيعاً

---

(١) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ): أمر. وهو تحريف.

(٣) في (ح): وليس طاعة امراء السرايا وعلماء العامة مثل طاعة الله...

(٤) في (هـ): هو.

(٥) في (ك) و(ح): الأمر. وهو تحريف.

(٦) في (أ): العلماء. معَ (أل).

(٧) في (هـ): في. من دون واو.

ـ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْـخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[١].

فَرَدُّ الأمرِ مِنَ الأمنِ، والخَوفِ إلى الأُمَرَاءِ[٢]، والاستِنبَاطِ إلى العُلَـماءِ. ولَا يَجتَمِعَانِ إلَّا لأمِيرٍ عَالِمٍ. وهُمْ أئمَّتُنَا ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ. لأنَّ ظَاهِرَهَا يَقتَضِي طَاعَـةَ أولي الأمرِ حَيثُ أنَّهُ ـ تَعَالى ـ أوجَبَ الأمرَ بِطَاعَتِهِ، وطَاعَـةِ رَسُـولِهِ، مِـنْ حَيـثُ أطلَقَ الأمرَ بِطَاعَتِهِمْ، ولَمْ يَخُصَّ شَيئَاً مِنْ شَيءٍ، لأنَّهُ ـ سبحانه ـ لَـوْ أرَادَ خَاصَّـاً لِنَبِيِّهِ، لَوَقَفَ[٣] عَلَيهِ.

وفي فَقدِ البَيَانِ مِنهُ ـ تَعَالى ـ دَلِيلٌ عَلَى إرَادَةِ الكُلِّ. ومُطلَقُ الأمرِ بِالطَّاعَـةِ، يَقتَضِي تَنَاوُلَهُ لِكُلِّ مُخَاطَبٍ في كُلِّ زَمَانٍ.

وإذَا ثَبَتَ ذلِكَ، ثبتَتْ إمَامَتُهُم، لأنَّهُ لَا أحَدَ تَجِـبُ[٤] طَاعَتُـهُ ـ عَـلَى ذلِـكَ الوَجهِ ـ بَعدَ النَّبيِّ إلَّا الإمَامُ.

وإذَا اقتَضَـت وُجـوبُ طَاعَـةِ أُولي الأمـرِ عَـلَى العُمُـومِ، لَمْ يَكُـنْ بُـدٌّ مِـنْ عِصَمتِهِم، وإلَّا أدَّى أنْ يَكُونَ ـ تَعَالى ـ قَدْ أمَرَهُ بِالقَبِيحِ، لأنَّ مَنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ، لا يُؤْمَنُ مِنْهُ وُقُوعُ القَبِيحِ. فَإذَا وَقَعَ، كَانَ الاقْتِدَاءُ بِهِ قَبِيحَاً.

---

(١) النساء: ٨٣.

(٢) في (ح): الآمر.

(٣) في (ح): ليوقف.

(٤) في (ش) و(هـ): يجب. بياء المضارعة المثناة من تحت.

وإذا ثَبَتَ دَلالَةُ الآيةِ عَلَى العِصْـمَةِ، وَعُمُـومِ الطَّاعَـةِ(١)، ثَبَتَـتْ إمَـامَتُهُمْ، وَبَطَلَ تَوْجُّهُهُمْ إلى غَيْرِهِمْ، لارْتِفَاعِ عِصْمَتِهِمْ، وَاخْتِصَاصِ(٢) طَاعَتِهِمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَـوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْـرِ مِـنْهُمْ لَعَلِمَـهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(٣).

فَأَخْبَرَ ـ سبحانه ـ قَاطِعَاً أنَّ العِلْمَ يَحْصُلُ بِالرَّدِّ إلى أُولي الأَمْرِ، كَـما يَحْصُـلُ بِالرَّدِّ إلى الرَّسُولِ ـ عَلَيهِ السَّلام(٤) ـ وَذلِكَ يَقْتَضِي صِفَتَي العِلْمِ، والعِصْمَةِ لأُولي الأَمْرِ، لأَنَّهُ لا يَصُحُّ حُصُولُ العِلْمِ يَقِيناً مِمَّنْ لَيْسَ بِمَعْصُـومٍ، وَلأَنَّـهُ ـ تَعَـالى ـ لا يَجُوزُ أنْ يَأْمُرَ باسْتِفْتَاءِ(٥) مَنْ لا يُؤْمَنُ مِنْهُ القَبِيحُ مِنْ حَيْـثُ كَـانَ في ذلِـكَ أَمْـرَهُ ـ تَعَالى ـ بِالقَبِيحِ.

وَإِذَا اقْتَضَتِ الآيَةُ عِصْمَةَ أُولي الأَمْرِ، ثَبَتَتْ إمَامَتُهُمْ، لأنَّ أحَـداً، لَمْ يُفَـرِّقْ بَيْنَ الأمْرَيْنِ. وَإِذَا ثَبَتَ ذلِكَ، ثَبَتَ تَوَجُّهُ الآيَةِ إلى أئِمَّتِنا ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ.

***

(١) العبارة «وإذا ثبت... الطاعة» ساقطة من (أ).

(٢) في (هـ): تخصيص.

(٣) النساء: ٨٣.

(٤) (عَلَيهِ السَّلام) ساقطة من (ح).

(٥) في (ش): باستثناء. بثاء مثلثة بعدها نون موحدة من فوق. وهو تصحيف.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[١].

فَأَمَرَ ـ سبحانه ـ بِسُؤَالِ أَهْلِ الذِّكْرِ، وَلَمْ يَخُصَّ ذلِكَ بِشَيْءٍ، يُسْأَلُونَ عَنْهُ، مَعْصُومِينَ فِيمَا يُفْتُونَ[٢] بِهِ.

لِقُبْحِ[٣] الأَمْرِ بِمَسْأَلَةِ الجَاهِلِ، أَوْ مَنْ يَجُوزُ عَلَيهِ الخَطَأُ عَنْ قَصْدٍ، أَوْ سَهْوٍ.

وَإذا ثَبَتَ كَوْنُ المَسْؤُولِينَ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، ثَبَتَ إِمَامَةُ الاثني عَشَرَ، لأَنَّهُ لا أَحَدَ أَثْبَتَ الصِّفَتَيْنِ، لأَحَدٍ عَدَاهُمْ. وَكُلُّ مَنْ أَثْبَتَهُمَا لِلْمَذْكُورِينَ، قَالَ بِإِمَامَتِهِم، لأَنَّ فُتْيَاهُمْ إِذَا[٤] كَانَ مُوجِباً للعِلْمِ، وَجَبَ الاقْتِدَاءُ بِهِ، لِحُصُولِ[٥] الأَمَانِ مِنْ زَلَلِهِمْ. وَهذَا الوُجُوبُ، بُرْهَانُ إِمَامَتِهِمْ.

فَأَمَّا[٦] مَنْ زَعَمَ أَنَّ المَعْنِيَّ بِهَا[٧] القُرَّاءُ، أَوِ الفُقَهَاءُ[٨]، أَوِ اليَهُودُ[٩]، أَوِ

(١) النحل: ٤٣.

(٢) في (ش): يفتنون. بنون موحّدة من فوق بين التاء والواو.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يقبح. بصيغة المضارع.

(٤) في (ش): إذ.

(٥) في (ش): بحصول. مع حرف الجر (الباء).

(٦) في (ش): فإنّ. وهو تحريف.

(٧) في (ك): بهما.

(٨) في (ش): والفقهاء. مع الواو.

(٩) في (ش): واليهود. مع الواو.

النَّصارى، فقَوْلُهُمْ(١)، بَاطِلٌ(٢)، لانْتِفَاءِ الصِّفَتينِ الثَّابتَتَيْنِ لأهْلِ الذِّكْرِ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ سَمَّى نَبِيَّهُ «الذِّكْرَ»، قَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً﴾(٣).

فَأهْلُ الذِّكْرِ: أوْلَادُهُ(٤) المَعْصُومُونَ(٥).

وَقَدْ رُوِيَ هذَا المَعْنَى عَنِ السُّدِّيِّ(٦)، والثَّوْرِيِّ(٧)، وَوَكِيعٍ(٨)، وَجَابِرِ الجُعْفِيِّ(٩)، وَمُحَمَّدِ بنِ مُسْلِمٍ(١٠)، وَأَبِي زُرْعَةَ(١١)، وَيُوسُفَ القَطَّانِ(١٢).

---

(١) جامع البيان: ١٤: ١٠٨ ـ ١٠٩. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٣٦٢.

(٢) في (ح): فقد أبطل.

(٣) الطلاق: ١٠، ١١.

(٤) في (هـ): أولادهم.

(٥) في (هـ): المعصومين. بالياء.

(٦) شواهد التنزيل: ١: ٣٣٤، ٣٣٧. غاية المرام: ٢٤٠.

(٧) شواهد التنزيل: ١: ٣٣٤. غاية المرام: ٢٤٠.

(٨) شواهد التنزيل: ١: ٣٣٤. غاية المرام: ٢٤٠.

(٩) جامع البيان: ١٤: ١٠٩، وفيه: عن جابر عن ابي جعفر (عَلَيهِ السَّلام) أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٣٦٢. شواهد التنزيل: ١: ٣٣٥، ٣٣٦. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٣٨٤.

(١٠) مجمع البيان: ٣: ٣٦٢ عن أبي جعفر (عَلَيهِ السَّلام). تفسير العياشي: ٢: ٢٦٠ ـ ٢٦١ عن أبي جعفر الباقر (عَلَيهِ السَّلام). نور الثقلين: ٣: ٥٥. غاية المرام: ٢٤١، ٢٤٢.

(١١) غاية المرام: ٢٤٢.

(١٢) شواهد التنزيل: ١: ٣٣٤. غاية المرام: ٢٤٠.

وَهْوَ المَرْوِيُّ عَنِ البَاقِرِ[(١)]، وَالصَّادِقِ[(٢)]، والرِّضَا[(٣)]، وَزَيْدِ بنِ عَلِيٍّ ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[(٤)].

فَأَمَرَنَا ـ سبحانه ـ بِالكَوْنِ مَعَ الصَّادِقِينَ. والأَمْرُ بِالكَوْنِ مَعَهُم في المَكَانِ، لا فَائِدَةَ فِيهِ، فَتَقْتَضِي الآيَةُ وجُوبَ الاقْتِدَاءِ بِهِمْ، لأَنَّهُ أَمْرٌ مُطْلَقٌ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيْصٍ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي[(٥)] عِصْمَتَهُمْ[(٦)]، لِقُبْحِ الأَمْرِ عَلَى هذا الوَجْهِ، بِاتِّبَاعِ مَنْ لا يُؤْمَنُ مِنْهُ القَبِيحُ، مِنْ حَيْثُ يُؤَدِّي ذلِكَ إلى الأَمْرِ بِالقَبِيحِ.

وَإِذَا ثَبَتَ ذلِكَ في الآيَةِ، ثَبَتَ تَخْصِيصُهَا بِالأَئِمَّةِ المَعْصُومِينَ بِالإِجْمَاعِ، لأَنَّ

---

(١) تفسير العياشي: ٢: ٢٦٠. جامع البيان: ١٤: ١٠٩. مجمع البيان: ٣: ٣٦٢. نور الثقلين: ٣: ٥٥، ٥٦. شواهد التنزيل: ١: ٣٣٥ ـ ٣٣٧. تفسير فرات الكوفي: ٨٣. الإرشاد: ٢٩٦. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٣٨٤.

(٢) نور الثقلين: ٣: ٥٥، ٥٦. ينابيع المودّة: ١: ١١٨. غاية المرام: ٢٤١.

(٣) تفسير العياشي: ٢: ٢٦١. نور الثقلين: ٣: ٥٥ ـ ٥٦. ينابيع المودّة: ١: ١١٨. أمالي الصدوق: ٤٧٦. غاية المرام: ٢٤٠.

(٤) التوبة: ١١٩.

(٥) في (ك): تقتضي. بتاء المضارعة المثنّاة من فوق.

(٦) في (ش): العصمتهم.

أَحَداً مِنَ الأُمَّةِ، لَمْ يَقُلْ[١] ذلِكَ فِيها إلّا خَصَّهَا بِهِمْ.

وَلأَنَّهُ ـ تَعَالى ـ وَصَفَ المَأْمُورَ بِاتِّبَاعِهِمْ بِالصِّدْقِ عِنْدَهُ، وَذَلِكَ مَانِعٌ مِنْ تَوَجُّهِهِ إلى مَنْ يَجُوزُ عَلَيهِ الكَذِبُ، لأَنَّ جَوَازَهُ، يَمْنَعُ مِنَ القَطْعِ بِالصِّدْقِ عِنْدَ الله ـ تَعَالى ـ.

فَإِذَا ثَبَتَ ـ أَيْضاً لِهذَا الاعْتِبَارِ ـ عِصْمَتُهُمْ، ثَبَتَ تَخَصُّصُ الذِّكْرِ فِي الآيَةِ بِأَئِمَّتِنَا[٢] ـ عَلَيْهِم السَّلام ـ.

وَلأَنَّهُ ـ تَعَالى ـ وَصَفَهُمْ بِالصِّدْقِ، فَيَمْنَعُ ذلِكَ مِنْ كَذِبِهِمْ مِنْ حَيْثُ كَانَ حُصُولُهُ مِنْهُمْ، يَقْتَضِي وَصْفَهُم بِهِ. وَذلِكَ مُنَافٍ لِخَبَرِهِ ـ تَعالى[٣] ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ﴾[٤].

يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ اصْطَفَاهُم، مَعْصُومُونَ، لأَنَّهُ لا يَخْتَارُ، وَلا يَصْطَفِي

---

(١) في (أ): يفعل. وهو تحريف.

(٢) في المناقب للخوارزمي: ١٩٨ عن محمد بن السّائب عن أبي صالح عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: هو عليّ بن أبي طالب (عَلَيهِ السَّلام) خاصّة.

(٣) في (هـ): لخبره الله تعالى.

(٤) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

إلّا[١] مَنْ كَانَ كَذلِكَ، وَيَكُونُ ظَاهِرُهُ، وَبَاطِنُهُ وَاحِداً[٢].

فَإذَنْ يَجِبَ[٣] أنْ يَخْتَصَّ بالاصْطِفَاءِ[٤] مِنْ آلِ إبْرَاهِيمَ، وَآلِ عِمْرَانَ مَنْ كَانَ مَرْضِيّاً[٥]، مَعْصُوماً. سَوَاءٌ كَانَ نَبِيّاً، أوْ إمَاماً[٦].

فَثَبَتَتْ[٧] إمَامَةُ أئِمَّتِنَا ـ عَلَيْهِم السَّلامُ ـ لأنَّهُ لَمْ[٨] يَدَّعِ العِصْمَةَ أحَدٌ ـ في الأُمَّةِ[٩] ـ سِوَانَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ الآية[١٠].

---

(١) (إلّا) ساقطة من (ك).

(٢) في (ش): واحد. من دون تنوين النصب.

(٣) في (هـ): وجب. بصيغة الماضي.

(٤) في (هـ): الأصفياء. وفي (أ): الاصطيفاء. و(ش) و(ك): الاصطفاء. من دون حرف الجر (الباء).

(٥) في (ك): مريضاً. وهو تحريف.

(٦) في (ش): وَإماماً. مع الواو.

(٧) في (ش) و(ك) و(أ): ثبت.

(٨) في (ك): لا.

(٩) في (أ): الإمامة. وهو تحريف.

(١٠) فاطر: ٣٢.

الظَّاهِرُ يَقْتَضِي أنْ يَكُونَ الَّـذِينَ اصْـطَفَاهُمْ[١]، وُرَّاثـاً[٢] ـ عَـنِ الرَّسُـولِ ـ الكِتَابَ، وَأَحْكَامَهُ. وَمِنْ[٣] جُمْلَةِ مَـا كَـانَ يَتَعَاطَـاهُ، القِيَـامُ بِـأُمُورِ المُسْـلِمِينَ. فَيَجِبُ أنْ يَرِثَ مِنْهُ، مَنْ صِـفَتُهُ مَـا بَيَّنَـهُ اللهُ ـ تَعَـالَى ـ دُوْنَ أَمْـرٍ آخَـرَ، لِتَنْعَقِـدَ[٤] الوِرَاثَةُ.

وَلا نَقُولُ[٥]: إنّ المَقَامَ يُوْرَثُ. وَلا نُرِيدُ[٦] بِالوِرَاثَةِ ـ هَاهُنـا ـ إلّا التَّمْلِيـكُ عَلَى أُمُورِهِ الدِّينِيَّةِ مِنَ اللهِ ـ تَعَالَى ـ كَما فَسَّرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَـلَى الَّـذِينَ اسْتُضْـعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُـمْ أَئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُـمُ الْـوارِثِينَ وَنُمَكِّـنَ لَهُـمْ فِي الأَرْضِ...﴾ الآيَةُ[٧].

وَلَيْسَ يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى الشُّيوخِ، لأنَّ الظَّاهِرَ، لَوْ اقْتَضَاهُمْ، لَكَـانُوا أَئِمَّـةً، بَعْدَ الرَّسُولِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ[٨] ـ مِنْ دُونِ الاخْتِيَارِ، وَالنَّصِّ، وَالشُّوْرَى.

---

(١) في (أ): اصطفيناهم.

(٢) في النسخ جميعها: وُرَّاث. من دون تنوين النصب. والوجهُ ما أثبتناهُ.

(٣) في (هـ): مِنْ. من دون الواو.

(٤) في (ك) و(ح): لتفقد. بالفاء الموحّدة من فوق بعدها قاف مثنّاة من فوق. وهو تصحيف.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (ش) و(ك): يزيد. بالزاي المعجمة. وهو تصحيف. وفي (هـ) و(أ): يريد. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٧) القصص: ٥ ـ ٦.

(٨) في (ح): صلّى الله عليه وآله.

وَلا حَمْلُهُ عَلَى الأُمَّةِ، لأنَّ فِيهِمْ فُسَّاقَاً[١]. وَاللهُ، لا يَصْطَفِي الفَاسِقَ. وَأَنَّهُ بَيَّنَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجنَّةَ، وَكُلُّ الأُمَّةِ، لا تَدْخُلُ الجَنَّةَ.

عَلَى أنَّ مَنْ قَالَ: المُرَادُ بِهِ[٢] الأُمَّةُ. قَالَ: إنَّ العترةَ[٣]، مُرَادُونَ[٤] ـ بِالآيَةِ ـ أيْضاً[٥].

وَمَنْ قَالَ: إنَّ العترةَ هِيَ المُرَادُ. قَالَ[٦]: لَمْ يُرِدْ بِهِ الأُمَّةَ.

فَحَمْلُهُ عَلَى الاتِّفَاقِ، أَوْلَى مِمَّا خُولِفَ فِيهِ.

فَثَبَتَ أنَّ السَّابِقِينَ مِنْهُمْ بِالخَيْرَاتِ، هُمُ المَعْصُومُونَ، وَهُمُ المَعْنِيُّونَ[٧] بِهَا. لأنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ لَمْ يُطْلِقْ لَفْظَ الاصْطِفَاءِ في القُرْآنِ إلّا في المَعْصُومينَ، مِثْلِ: آدَمَ، وَنُوحٍ، وإبْرَاهِيمَ، وَمُوسى، وَطَالُوتَ، وَمَرْيمَ، وَالملائِكَةِ.

وَإنْ حَمَلْنَاهُ ـ أيضاً ـ عَلَى غَيْرِ المَعْصُومِينَ مِنْ عترَتِهِ، يَكُونُ فِيهِمْ مجَازَاً، وَفي المَعْصُومينَ حَقِيقَةً. فَيَكُونُونَ[٨] بِمَنزِلَةِ المُحْكَمِ، وَالمُتَشابَهِ مِنَ المُصْحَفِ.

---

(١) في (ش) و(ك): فسّاق. من دون تنوين النصب. والوجه ما أثبتناه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ٣٤٧ـ٣٤٨.

(٣) في (أ): الفترة. بالفاء الموحّدة.

(٤) في النسخ جميعها: مرادين. والوجه ما أثبتناهُ.

(٥) (أيضاً) ساقطة من (ح).

(٦) في (ك): إذْ قال.

(٧) في (ك): المعيون.

(٨) في (ك): يكون.

فَإذَا ثَبَتَ أنَّ المعْصُومينَ / ١٦٤/ مِنْ أهلِ البَيْتِ، مُرَادُونَ(١) بِالآيةِ، وَقَدْ أوْرَثَهُمْ اللهُ ـ تَعَالَى ـ ذلِكَ، يَجِبُ أنْ يَرِثُوا القِيَامَ بِأُمورِ المُسْلِمينَ، وَهْوَ الإمَامَةُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾(٢).

مَعْلُومٌ وُجُوبُ التَّعَبُّدِ بِشَرِيْعَةِ الإسْلامِ. وَالطَّرِيقُ إلَيْها: إمَّا الكِتَابُ، أَوِ السُّنَّةُ(٣) المَعْلُومَةُ، أَوِ الإجْمَاعُ(٤)، أَوِ القِيَاسُ(٥)، أو أخْبَارُ آحَادٍ، أوْ فُتْيَا المَعْصُومينَ.

فَالكِتَابُ، لا يَقُومُ [فِي](٦) إفْهَامِ مَعَانِيهِ، فَنَاقِلُوهَا غَيْرُ مُضْطرِّينَ إِلَى النَّقْلِ. وَإِذَا لَمْ يَكُونُوا مُضْطرِّينَ، صَحَّ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم الإخْلالُ بِهِ. فَإذَنْ لا يُعَوَّلُ عَلَيْهَا.

وَأَمَّا الإِجْمَاعُ، فَإنَّمَا يَكُونُ دَلِيلاً مُوْجِباً لِلْعِلْمِ، بِالحُكْمِ المُجْمَعِ عَلَيهِ، إذَا عُلِمَ وجُودُ المَعْصُومِ في جُمْلَةِ المُجْمِعِينَ، الَّذِي لَوْ انْفَرَدَ قَوْلُهُ، لَكَانَ حُجَّةً مِنْ

---

(١) في النسخ جميعها: مرادين. بالياء. والوجه ما أثبتناه.

(٢) البقرة: ٢١.

(٣) في (ك): والسّنة. مع الواو.

(٤) في (ك): والإجماع. مع الواو.

(٥) في (ش) و(ك): والقياس. مع الواو.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

حَيْثُ كَانَ الخَطَأُ، جَائِزاً عَلَى كَافَّةِ العُقَلاءِ، كَجَوَازِهِ عَلَى آحَادِهِمْ. وَلَيْسَ فِي أَدِلَّةِ الشَّرْعِ مَا يَقْتَضِي ذلِكَ. عَلَى أَنَّ الكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ المَعْلُومَةَ، وَالإِجْمَاعَ، قَدْ(١) خَلَتْ مِنْ مُعْظَمِ أَحْكَامِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ(٢)، وَلَا يَكُونُ جُزْءً مِنْ أَلْفِ جُزْءٍ مِنَ الشَّرْعِ.

وَلِذلِكَ فَزِعَ المُخَالِفُونَ فِي إِثْبَاتِ مُعْظَمِ الشَّرِيعَةِ إِلى القِيَاسِ، وَأَخْبَارِ(٣) الآحَادِ، اللَّذَيْنِ قَدْ قَامَتِ الدَّلالَةُ عَلَى فَسَادِ العَمَلِ بِهِمَا. وَذَلِكَ أَنَّ الكُلَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ مَا يَفْتَقِرُ بِثُبُوتِهِ إِلى دَلِيلِ إِثْبَاتِهِ، كَافٍ فِي القَطْعِ عَلَى انْتِفَائِهِ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ لَـمَّا اتَّفَقُوا عَلَى نُبُوَّةِ مَنْ لا مُعْجِزَ لَهُ، وَنَفْيِ صَلاةٍ سَادِسَةٍ، وَصَوْمِ شَهْرٍ ثَانٍ، لَمْ يُفْتَقَرْ ـ فِي القَطْعِ عَلَى انْتِفَاءِ مَا ذَكَرْنَاهُ ـ إِلى دَلِيلٍ.

فَإِذَا صَحَّ هذِهِ الجُمْلَةُ ـ وَقَدْ كَادَ(٤) يَؤُولُ الحَالُ إِلى سُقُوطِ تَكْلِيفِ العِبَادَةِ، أَوْ تَكْلِيفِهَا مَعَ عَدَمِ الطَّرِيقِ إِلَيْهَا، وَكِلاهُمَا فَاسِدٌ بالاتِّفَاقِ ـ ثَبَتَ أَنَّ الأَمْرَ عَلَى فُتْيَا المَعْصُومِينَ، وَلا يُتَصَوَّرُ ذلِكَ إِلّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِمْ، والاقْتِدَاءِ بِهِمْ، فَصَحَّتْ إِمَامَتُهُمْ.

***

(١) في (ك): فَذْ. بالفاء الموحّدة. وهو تصحيف.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ): التفضيل. بالضاد المعجمة. وهو تصحيف.

(٣) في (أ): الأخبار. مع (أل).

(٤) في (أ): كان. بالنون. وهو تحريف.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾(1).

قَدْ ثَبَتَ أنَّ شَرِيعَةَ نَبِيِّنَا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُؤَيَّدَةٌ، فَلابُدَّ لَهَا مِنْ حَافِظٍ، يَحْفَظُهَا في كُلِّ زَمَانٍ مِنَ الإضَاعَةِ، وَالتَّغْيِيرِ، وَالتَّبْدِيلِ. لأنَّهُ لَوْ جَازَ أنْ تُخْلَى مِنْ حَافِظٍ، جَازَ(2) أنْ تُخْلَى مِنْ مُؤَدٍّ. فَمَا اقْتَضَى وجُوبَ أدائِها، يَقْتَضِي وجُوبَ حِفْظِهَا.

وَلابُدَّ أنْ يَكُونَ حُفَّاظُها مَعْصُومِينَ، مِثْلَ مُؤَدِّيهَا، لِيُؤْمَنَ عَلَيْهِمْ الإهْمَالُ. وَهذَا يُوجِبُ الحافِظَ المَعْصُومَ في كُلِّ حَالٍ.

وَإذا تَقَرَّرَ ذلِكَ، ثَبَتَ إمَامَةُ أَئِمَّتِنَا ـ عليهم السلام ـ لأنَّـهُ لَمْ يُدَّعَ العِصْمَةُ لِسِوَاهُمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾(3).

ظَاهِرُ الآيةِ أَنَّهُ يَقْتَضِي اتِّبَاعَ النَّبِيِّ، والأئِمَّةِ المَعْصُومِينَ، لأنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ ـ

(1) الأنعام: ٩٠ ـ ٩١.

(2) في (ح): لجاز. مع (اللام) الواقعة في جواب الشرط.

(3) النساء: ١١٥.

عَلَى الحَقِيقَةِ ـ ظَاهِراً[١]، وَبَاطِناً.

وَاتِّبَاعُ كُلِّ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلامَ، لَيْسَ بِوَاجِبٍ، لأَنَّهُ[٢] لا يُوصَفُ بِذلِكَ إلّا مَجَازاً.

فَلَمَّا ثَبَتَ ذلِكَ، ثَبَتَتْ[٣] إمَامَةُ أئِمَّتِنَا ـ عليهم السلام ـ لأَنَّهُ لَمْ تُدَّعَ[٤] العِصْمَةُ لِسواهُمْ، وَلا يَجِبُ اتِّبَاعُ مَنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٥].

صَحَّ بِهذِهِ الآيَةِ أَنَّ فِيهِمْ مَعْصُومِينَ. لأَنَّهُ لا تَخْلُو[٦] إِرَادَةُ الله ـ تَعَالَى ـ لإذْهَابِ الرِّجْسِ عَنْهُمْ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، واجْتِنَابِ الْمُقَبِّحاتِ. وَذلِكَ عَامٌّ في جَمِيعِ المُكَلَّفِينَ.

---

(١) في (ش): فظاهراً. مع الفاء. وفي (ك) و(أ): وظاهراً. مع الواو.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): لأنّهم.

(٣) في (أ): يثبت. بصيغة المضارع وبياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يدع. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): يخلو. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

أَوْ: يَكُونُ عِبَارَةً عَنْ أَنَّهُ أَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ بِأَنْ فَعَلَ لَهُمْ لُطْفَاً، اخْتَارُوا ـ عِنْدَهُ ـ الامْتِنَاعَ مِنَ القَبَائِحِ، اخْتِصَاصاً لأَهْلِ البَيْتِ [عليهم السلام][1] بِأَمْرٍ لَمْ يُشْرِكْهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ.

فَكَيْفَ يَبْطُلُ هذا التَّخْصِيصُ، وَتَخْرُجُ[2] الآيَةُ مِنْ أَنْ تَكُونَ[3] لَهُمْ فِيهَا فَضِيلَةٌ عَلَى غَيْرِهِمْ؟

عَلَى أَنَّ لَفْظَةَ «إِنَّمَا» تُثْبِتُ مَا نَفَتْهُ «لَيْسَ» عِنْدَ الزَّجَّاجِ[4]، وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ. كَقَوْلِهِ[5]: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾[6].

يُبَيِّنُ ذلِكَ أَنَّهَا نَزَلَتْ[7] عُقَيْبَ جَمْعِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ[8] ـ عَلِيّاً، وَفَاطِمَةَ، وَالحَسَنَ، والحُسَيْنَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، وقَالَ: هؤلاءِ خَاصَّتي، وَحامَّتي؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وطَهِّرْهُمْ تَطهِيراً. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهلِ بيتِكَ؟

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): يخرج. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): يكون. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٤) مجمع البيان: ٤: ٣٥٦.

(٥) في (ش): كقولهم.

(٦) التوبة: ٦٠.

(٧) في جامع البيان: ٢٢: ٧ ـ ٨: أنّ هذه الآية نزلت في بيتِ أمّ سلمة. ثمّ انظر تفصيل ذلك في الدر المنثور: ٦: ٦٠٣ ـ ٦٠٥.

(٨) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

قَالَ: لَا. ولكنَّكِ إلى خَيْرٍ(١).

عَلَى أنَّ(٢) الإمَامَ، إذَا كَانَ لَابُدَّ أنْ يَكُونَ مَقطُوعاً عَلَى عِصْمَتِهِ. فَكُلُّ مَنْ أوْجَبَ عِصْمَتَهُ مِنَ الأُمَّةِ(٣)، يَقْطَعُ عَلَى إمَامَتِهِمْ.

والقَولُ بِأنَّ الإمَامَ / ١٦٥/ غَيرُهُمْ، [مَعَ](٤) وُجُوبِ العِصْمَةِ في الإمَامِ، قَولٌ خَارِجٌ مِنَ الإمَامَةِ(٥).

فَإذَا صَحَّتْ عِصَمتُهُمْ، وتَفضِيلُهُمْ عَلَى غَيرِهِمْ، صَحَّتْ إمَامَةُ مَنْ عَيَّنَاهُمْ، لِتَقَدُّمِهِمْ عَلَى النَّاسِ، وعَجْزِ النَّاسِ عَنهُمْ.

---

(١) المعجم الكبير: ٣: ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩. باختلاف في اللفظ يسير. صحيح الترمذي: ١٢: ٨٥. شرف المصطفى: ق: ١٧٢. جامع البيان: ٢٢: ٧ ـ ٨. تاريخ بغداد: ٩: ١٢٦/ ١٠: ٢٧٨. أسباب النزول: ٢٣٩. فضائل الصحابة: ٢: ٥٧٨. وفي أكثر من موضع من الكتاب. المعجم الصغير: ١: ٦٥، ١٣٥. تلخيص الشافي: حـ ١ ق٢: ٢٣٩. تفسير فرات الكوفي: ١٢٣. تفسير البغوي: مسند أحمد بن حنبل: ٢: ١٠٧/ ٤: ٢٩٣. ٣: ٥٢٩ مصابيح السنة: ٢: ٢٠١، المناقب للخوارزمي: ٢٣. الدر المنثور: ٦: ٦٠٣ ـ ٦٠٥. كفاية الطالب: ٣٧١ ـ ٣٧٧. مناقب الامام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٣٠١ : ٣٠٦. كتاب الولاية لابن عقدة: ١٧٥، ١٨٦، ٢٠١.

(٢) (أنَّ) ساقطة من (أ):

(٣) في (ك) و(هـ): الإمامة: وهو تحريف.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) في (ح): الأُمَّة.

فَكَأَنَّهُ ـ تعالى ـ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ أُولِي الأَمْرَ، والرَّدِّ إِلَيهِمْ، ومَسْأَلَةِ أهلِ الذِّكرِ، والاقتِدَاءِ بِالصَّادِقِينَ، وذِكرِ الاصطِفَاءِ، وإِذهَابِ الرِّجسِ عَنهُمْ، أَمَرَ[1] بِطَاعَةِ عَلِيٍّ، والمَعصُومينَ مِنْ أَوْلَادِهِ [ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ][2] إِذْ لَا فَرْقَ بَينَ أَنْ يَنُصَّ عَلَى الأسماءِ المَخصُوصَةِ، أَوْ عَلَى الصِّفَاتِ المُختَصَّةِ بِالمُسَمَّيْنَ.

بَلِ النَّصُّ عَلَى الصِّفَاتِ ، أظهَرُ في الحُجَّةِ [3] ، لِحُصُولِ الاشتِرَاكِ في الأَسمَاءِ، وانتِفَائه في الصِّفَاتِ المُختَصَّةِ.



(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): أمراً. بصيغة المصدر المنصوب.

(٢) مابين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٣) في (ك) و(ح): بالحجَّة. مَعَ حرف الجرّ (الباء).

فصل [ـ ١٤ ـ]

[في وصيَّة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ]

قَوْلُهُ ـ تعَالَى ـ(١): ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً...﴾ الآيَةُ(٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٣). وقَوْلُهُ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾(٤).

فَالوَصِيَّةُ(٥)، دَأْبُ الأنبِيَاءِ: وَصَّى(٦) آدَمُ إلى شِيتٍ، ونُوحٌ إلى سَامٍ، وإبرَاهِيمُ إلى إسَماعِيلَ، وإِسماعِيلُ إلى إِسحقَ، واسحقُ إلى يَعقُوبَ، ويَعقُوبُ إلى يُوسُفَ، وشُعَيبُ إلى مُوسَى(٧)، ومُوسَى إلى يُوشَعَ، ويُوشَعُ إلى داود، وَدَاودُ إلى

---

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) الشورى: ١٣.

(٣) البقرة: ١٣٢.

(٤) البقرة: ١٣٣.

(٥) في (أ): فالواصية. وهو تحريف.

(٦) في (ش): ووصَّى.

(٧) في (ك): يوسف.

سُلَيمانَ، وسُلَيمانُ إلى آصِفَ، وآصِفُ إلى زَكَرِيَّا، وزَكَرِيَّا إلى عِيسى، وعيسى[١] إلى شَمعُونَ، وشَمعُونُ إلى يَحيى.

يَشهَدُ بِذلِكَ الكِتابُ، والسُّنَّةُ.

فَحالُ نَبِيِّنا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٢] في ذلِكَ لَا تَخلُو[٣]: إمَّا أَنَّهُ مَضَى، ولَمْ يُوصِ ـ كَما تَقولُ العَامَّةُ ـ وهذا خَطَأٌ، لأَنَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٤] لَا يُخِلُّ بِوَاجِبٍ. قَولُهُ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٥].

ولَا يُخالِفُ الأنبِياءَ فِيما لَمْ يُنْهَ عَنهُ، وقَدْ قِيْلَ لَهُ: ﴿فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٦].

ولا يَترُكُ مَا كَانَ يَحُثُّ عَلَيهِ حَتَّى قَالَ[٧]: مَنْ ماتَ ولَمْ يُوْصِ، ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً.

---

(١) (عيسي) ساقطة من (ك).

(٢) في (ح): صلوات الله عليه.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ): يخلو. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٥) البقرة: ١٨٠.

(٦) الأنعام: ٩٠.

(٧) فردوس الأخبار ٤: ١٤٩، ٢٧٥. باختلاف اللفظ في الموضعين. مجمع البيان: ١: ٢٦٧. صحيح البخاري: ٥: ٣٥٥. صحيح مسلم: ٣: ٢٤٩ سنن أبي داود: ٣: ١١٢. صحيح الترمذي: ٤: ٤٣٢. سنن ابن ماجة: ٢: ٩٠١.

ثُمَّ إِنَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ(١) كَانَ يُقِيمُ رَئِيساً عَلَى أُمَّتِهِ عِندَ غَيْبَتِهِ؛ خَلَفَ عَلِيّاً فِي مَكَّةَ(٢) عِنْدَ الهِجرَةِ. وعَلَى المَدِينةِ(٣) في غَزْوَةِ(٤) تَبُوكَ وَوَلَّى زَيداً ثُمَّ جعفراً ثُمَّ عَبْدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ في سَرِيَّةٍ(٥). وكَذَا كَانَ شَأْنُهُ في سَائر سَرَايَاهُ(٦).

فَفِي سَفَرٍ، يُرْجَى(٧) فيهِ إِصلاحُ الفَاسِدِ عِندَ الرُّجُوعِ، رَاعَى هذا الاحتِيَاطَ. وَفي سَفَرِ القِيَامَةِ، أولَى مُرَاعاتِهِ.

وأمَّا قَولُ مَنْ قَالَ(٨): إِنَّهُ أوصَى إلى عَلِيٍّ بِالسَّيفِ، والرِّدَاءِ، والبَغلَةِ، فَحَسْبُ، فَباطِلٌ(٩)، لأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أنْ يُوصِيَ بِشَيءٍ(١٠) [دُوْنٍ](١١)، ويَترُكَ الأَمْرَ العَظِيمَ المُتَعَلِّقَ بِهِ الدِّينُ، والدُّنيَا، والآخِرَةُ، وَهُوَ الخِلَافَةُ.

---

(١) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٢) الطبقات الكبرى: ١: ٢٢٨/ ٣: ٢٢. تاريخ الطبري: ٢: ٣٧٣.

(٣) الطبقات الكبرى: ٣: ٢٣. السيرة النبوية لابن هشام: ق ٢: ٥١٩.

(٤) في (ك): عزوته.

(٥) هي غزوة مؤتة في السنة الثامنة من الهجرة وقتل فيها الأُمراء الثلاثة (رض). انظر كتاب المغازي للواقديّ: ٢: ٧٥٥. وما بعدها. السيرة النبوية لابن هشام: ق ٢: ٣٨٧.

(٦) في (ك): سرايابه.

(٧) في (هـ): كان يرجى.

(٨) مسند أحمد: ١: ١٣.

(٩) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): باطل. باسقاط (الفاء) الرابطة، والوجه اثباتها.

(١٠) في (ك) و(ح): بشيء دون شيء.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

وإِذَا بَطَلَ القِسمَانِ، [فـ] (١) لَمْ يَبْـقَ إِلَّا أَنَّـهُ وَصَّى (٢) ـ عَلَيْـهِ السَّـلامُ ـ (٣) إِلى عَلِيٍّ، وأَوْلَادِهِ، [ـ عليهم السلام ـ] (٤) وَصِيَّةً عامَّةً، شَـامِلَةً لِلـدِّينِ، والـدُّنيَا، كَـمَا نَطَقَ بِهِ الكِتَابُ، والسُّنَّةُ، والإِجْمَاعُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْـنا قَبْلَكَ مِـنْ رُسُـلِنا وَلا تَجِـدُ لِسُـنَّتِنا تَحْوِيلاً﴾ (٥). وقَوْلُهُ: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ (٦).

وقَالَ (٧) النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: كَائنٌ في أُمَّتي مَا كَانَ في بَني اِسرَائيلَ حَـذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، والقِذَّةِ بِالقِذَّةِ.

وَوَجدنَا اللهَ ـ تعالى ـ قَالَ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (٨).

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٢) في (هـ) و(ح): أوصى.

(٣) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٥) الإسراء: ٧٧.

(٦) الأحزاب: ٦٢.

(٧) ينابيع المودّة: ٣: ١٠٠. في جملة حديث.

(٨) النور: ٥٥.

وقَدْ أخبرَنَا بِـأَنَّهُمْ كَـانُوا اِثنَـيْ عَشَرَ، قَولُـهُ[١]: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾[٢]. فَيَجِبُ أنْ يَكُونَ عَدَدُ[٣] خُلَفَائنَا كَذلِكَ. لأَنَّهُ ـ تعـالى ـ[٤] شَبَّهَهُمْ بِـهِ بِكَافِ التَّشبِيهِ. ولَا شُبْهَةَ أنَّ النُّقَبَاءَ، هُمُ الخُلَفَاءُ. وقَد بَيَّنَ النَّبيُّ، ـ عَلَيْهِ السَّـلامُ ـ ذلكَ فِيمَا رَوَى أحمَدُ بنُ حَنبَلٍ في المُسنَدِ[٥] وابـنُ بَطَّـةَ في الإبَانـةِ[٦]، وأبُـو يَعـلَى المَوصِليُّ في المُسنَدِ[٧] عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَالْـتُ النَّبِيَّ ـ عَلَيْـهِ السَّـلامُ ـ: كَـمْ تَملكُ هذِهِ الأُمَّة خَلِيفةً؟

فَقَالَ: اِثْنَا عَشَرَ بِعَدَدِ نُقَبَاءِ بَني إِسرَائيلَ.

وفي حَدِيثِ مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعبِيِّ عَنْ مَسرُوقٍ: قَالَ[٨] النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ السَّـلامُ ـ: الخُلَفَاءُ ـ بَعدِي ـ اِثْنَا عَشَرَ، كَعَدَدِ نُقَبَاءِ بَني إسرائيلَ.

---

(١) في (هـ): وقوله. مَعَ الواو.

(٢) المائدة: ١٢.

(٣) (عدد) ساقطة من (ح).

(٤) (لأنّه تعالى) ساقطة من (ح).

(٥) مسند أحمد: ٥: ٢٩٤. وفيه: (كعدَّة) بدلاً من (بِعَدَدِ).

(٦) لم أقف عليه في الجزء المطبوع منها.

(٧) مسند أبي يعلي: ٨: ٤٤٤.

(٨) الخصال: ٢: ٤٦٨. إعلام الورى: ٣٦٣، ٣٦٤. مسند أبي يعلى الموصليّ: ٨: ٤٤٤/ ٩: ٢٢٢. مسند أحمد: ١: ٣٩٨، ٤٠٦. كمال الدين وتمام النعمة: ١: ٣٨٦. ينابيع المودّة: ٣: ١٠٥. غاية المرام: ١٩٣. الملاحم لابن المنادي: ٢٦٨ ـ ٢٧١.

ورَوَى سَلمانُ(١)، وأَبُو أَيُّوبَ، وابنُ مَسعُودٍ، وحُذَيفَةُ، وَواثِلَةُ، وأَبُو قَتَادَةَ، وأَبُو هُرَيرَةَ، وأَنَسُ: أَنَّهُ سُئِلَ(٢) النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كَمْ الأئمَّةُ بَعدَكَ؟

قالَ(٣): [بِعَدَدِ](٤) نُقَبَاءِ بَنِي إسرَائيلَ.

وفي حَدِيث أبي جَعفَرٍ ـ(٥) عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَالَ(٦): قَالَ رَسُولُ الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ـ: مِنْ أهلِ بَيتي اِثنَا عَشَرَ نَقِيباً، مُحَدَّثُونَ، مُفَهَّمُونَ، مِنهُمُ القَائمُ بِالحَقِّ، يَملأُ الأرضَ عَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً.

وفي حَدِيثِ «عَدَدُ الأئمَّةِ ـ بَعدِي ـ عَدَدُ نُقَبَاءِ مُوسَى»: أَبُو صَالِحِ السَّمَّانُ(٧) عَنْ أبي هُرَيرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ـ فَقَالَ(٨):

---

(١) في (هـ): سُليمان.

(٢) في (ح): سأل. بصيغة المعلوم.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١: ٤٨، ٤٩، ٥٠. الخصال: ٢: ٤٦٧. باختلاف يسير في اللفظ. كمال الدين وتمام النعمة: ١: ٣٨٦، ٣٨٧. ينابيع المودّة: ٢: ٨٢.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ك) و(أ) و(ح).

(٥) الكافي: ١: ٥٣٤.

(٦) (قال) ساقطة من (ك).

(٧) في (ك): السَّمَّانيّ. مَعَ (ياء) النَّسب.

(٨) حلية الأولياء: ١: ٨٦. بزيادة في اللفظ. شرح نهج البلاغة (تح: أبو الفضل إبراهيم): ٩: ١٧٠. كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٢١٤. ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عَسَاكر: ٢: ٩٥. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ١٩٢. فرائد السمطين: ٤١. أمالي الشيخ الطوسيّ: ١: ١٩١.

مَعَاشِرَ / ١٦٦/ النَّاسِ مَنْ أرَادَ أنْ يَحيَا حَيَاتي، ويَمُوتَ مِيتَتِي، فَليَتَوَلَّ عَلِيَّ ابنَ أبي طَالِبٍ، وليَقتَدِ بالأئمَّةِ بَعْدَهُ.

فَقِيلَ: كَمْ الأئمَّةُ بَعْدَكَ؟

فَقَالَ: عَدَدُ الأسْبَاطِ.

يَعنِي قَولَهُ: ﴿وَقَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً أُمَماً﴾[(١)].

هِشَامُ[(٢)] بنُ يَزِيدَ[(٣)] عَنْ أنَسٍ، قَالَ: سَألْتُ النَّبِيَّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: مَنْ حَوَارِيكَ يا رَسُولَ الله؟

فَقَالَ[(٤)]: الأئمَّةُ بَعدِي اِثنَا عَشَرَ مِنْ صُلْبِ عَلِيٍّ، وفَاطِمَةَ، وَهُمْ حَوَارِيِّ، وَأنْصَارُ دِينِي عَلَيهِمْ مِنَ الله التَّحِيَّةُ والسَّلامُ.

يَعني قَوْلَهُ: ﴿إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾[(٥)].

وقَولُهُ[(٦)] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[(٧)] لِلحُسَينِ ـ: أنْتَ إِمَامٌ، اِبْنُ إِمَامٍ، أَبُو أئمَّةٍ،

---

(١) الأعراف: ١٦٠.

(٢) العبارة: «هشام... الله» ساقطة من (أ).

(٣) في (هـ): زيد.

(٤) ينابيع المودّة: ٣: ٩٩. باختلاف في اللفظ يسير وفي جملة حديث.

(٥) المائدة: ١١٢.

(٦) كمال الدين وتمام النعمة: ١: ٣٧٧. عيون أخبار الرضا: ١: ٥٢، دلائل الإمامة: ٢٣٧، ٢٤٠. ينابيع المودّة: ٣: ١٠٥. الخصال: ٢: ٤١٩. فرائد السمطين: ٤٣ من جملة حديث، غاية المرام: ١٩٠.

(٧) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

وحُجَجِ تِسْعٍ، تَاسِعُهُمْ، قَائمُهُمْ، أعلَمُهُمْ، أحلَمُهُمْ، أفضَلُهُمْ.

عَلَى أنَّ هذِهِ الأخبَار ـ وإنْ لَمْ يَقبَلهَا المُخَالِفُ، وقالَ: إنَّها أخْبَارُ آحَادٍ ـ فَإنَّ مَعَانِيَها مُتَوَاتَرٌ بِهَا. وإنْ كَانَ كُلُّ خَبَرٍ مِنْها، خَبَرَ وَاحِدٍ(١).

وإنْ قَالَ: إنَّهُ مَقْدُوحٌ في رُوَاتِهَا. فَعَلَيْهِ بَيَانُ جِهَةِ(٢) قَدْحِهَا. ثُمَّ إنَّ أهلَ الحَدِيثِ، أجْمَعُوا عَلَيهِ، وإجْمَاعُهُمْ حُجَّةٌ، والعَمَلُ بِرُوَايَتِهِمْ ـ عليهم السلام ـ أولَى مِنَ العَمَلِ بِرُوَايَةِ غَيرِهِمْ، لأنَّ المُخَالِفِينَ، قَدْ اِتَّفَقُوا عَلَى العَمَلِ بِأخبَارِ الآحَادِ، وعَلَى تَقدِيمِهَا عَلَى القِيَاسِ.

ثُمَّ اِتَّفقُوا عَلَى تَقدِيمِ أعْدَلِ النَّاقِلِينَ، وأكثَرِهِمْ اِختِصَاصاً بالمَرويِّ عَنهُ مِنْ حَيثُ كَانَ المُختَصُّ أعرَفَ بِمَذْهَبِ مَنْ اِختصَّ بِهِ مِمَّنْ لَيسَ لَهُ مِثلُ اِختِصَاصِهِ(٣). ولِهَذا قَدَّمُوا مَا يَروِيهِ أبُو يُوسُفَ، ومُحَمَّدُ عَنْ أبي حنيفَةَ، والمُزَنِيُّ، والرَّبِيعُ عَنِ الشَّافِعِيِّ عَلَى مَا يَرْوِيهِ غَيرُ هَؤُلاءِ.

وإذَا تَقَرَّرَ ذلِكَ، واجتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى عَدَالَةِ مَنْ ذهَبنَا إلى إمَامَتِهِ، ونَقَلنَا الأحْكَامَ عَنْهُ، واخْتُلِفَ في عَدَالَةِ مَنْ عَدَاهُم مِنَ النَّاقِلِينَ، وَكانُوا بَيْنَ مُعَدَّلٍ عِندَ قَومٍ، مُفَسَّقٍ عِندَ آخَرِينَ، وعَمَّ العِلمُ باختِصَاصِ أمِيرِ المؤمنينَ، والحَسَنِ،

---

(١) في (هـ): خبراً واحداً. بنصب الصفة والموصوف وتنوينهما.

(٢) في (أ): وجهة.

(٣) في (أ): اختصاص. من دون الضمير (الهاء).

والحُسَين [ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ][١] عَلَى وَجْـهٍ لَمْ يُسَـاوِهِمْ فِيـهِ غَـيرُهُمْ مِـنَ المَـدخَلِ، والمخْرَجِ، والمَبِيتِ[٢]، وَالخَلْوَةِ[٣]، وكَثْرَةِ الصُّحبَةِ، وَكَونِهِمْ أهلَ بَيْتِهِ المُطَّهَرِينَ مِنَ الرِّجسِ، المُبَاهِلِ بِهِم، إلى غَيرِ ذلِكَ...

وعُلِمَ ـ أيضاً[٤] ـ اِختِصَاصُ كُلِّ وَاحِدٍ ـ مِمَّنْ ذَكَرْنَا مِنْ أَبْنَاءِ الحُسَينِ ـ بِأَبِيهِ، عَلَى وَجهٍ، يُعلَمُ خِلافُهُ في غَيْرِهِ، وَجَبَ تَقـدِيمُ خَـبَرِهِمْ عَـلَى نَـاقِلِي الأحكَـام إلى الفُقَهَاءِ، مَعَ مَا اِنْضَافَ إلى ذلِكَ مِنْ نُصُوصِ الكِتَابِ، والسُّنَّةِ فيهِمْ، وجَعَلنَـاهُ[٥] دَلِيلاً عَلَى الترجِيحِ دُونَ وُجُوبِ الاقتِدَاءِ، وحَظرِ[٦] الخِلَافِ، اِقتَضَى ذلِكَ الحُكمَ لِرُوايتِهِمْ بِغَايَةِ الرُّجحَانِ.

***

[قولُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ][٧]: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتـابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ الْـقَيِّمُ﴾[٨].

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح) ـ والوَجْهُ: عليهم السلام.

(٢) في (أ): المنبت. بنون موحدة من فوق بعدها موحدة من تحت. وهو تصحيف.

(٣) في (أ): الحلوة. بالحاء المهملة.

(٤) (أيضاً) ساقطة من (ح).

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): جعلنا. بسقوط ضمير الغائب (الهاء).

(٦) في (ك): أو حظر.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٨) التوبة: ٣٦.

إنَّ الله ـ تعالى ـ ذَكَرَ أنَّها الدِّينُ القَيِّمُ. والتَّدينُ بِهَا، وَاجِبٌ، والتَّحوِيلُ عَنْها، كُفْرٌ.

ولَا خِلَافَ أنَّ مَعرِفَةَ الشُّهُورِ، والسِّنينَ، لَيسَتْ بِوَاجِبَةٍ، غَيرَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَذِي الحِجَّة، لِقَوْمٍ دُونَ قَومٍ. وأنَّ مَنْ مَاتَ ولَمْ يَعْرِفِ الشُّهُورَ، والأعوَامَ، لَيسَ يَلحَقُهُ ذَمٌّ.

وَمَنْ مَاتَ، وَلَمْ يَعرِفِ الأئمَّةَ، مَاتَ مِيْتَةً جاهِلِيَّةً.

فَالوَجهُ، مَا فَسَّرَهُ الباقِرُ[1]، والصَّادِقُ ـ عليهما السلام ـ: أنَّ الشُّهُورَ، اِثنَا عَشَرَ إمَاماً.

وإجمَاعُ أهلِ البَيتِ، حُجَّةٌ، لأنَّ الأُمَّةَ، قَدْ أجْمَعَت[2] عَلَى أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[3] قَرَنَهُمْ بِالكِتَابِ، وقَرَنَ الكِتَابَ بِهِمْ، أخبَرَ بِإزَالَةِ الضَّلالَةِ عَمَّنْ تَمَسَّكَ بِهِمَا، فَإنَّهما لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيهِ[4] الحَوْضَ[5].

فَصَحَّ أنَّهُمْ حَفَظَةُ الدِّينِ دُوْنَ غَيرِهِمْ، إذْ كَانَ الدِّينُ، لَا يَخْرُجُ مِنْ حُدُودِ الكِتَابِ، والسُّنَّةِ.

---

(١) نور الثقلين: ٢: ٢١٥. البرهان في تفسير القرآن: ٢: ١٢٣.

(٢) في (ك) و(ح): إجتمعت.

(٣) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عليَّ.

(٥) وذلك في نصّ حديث الثقلين الآنف الذكر.

وإذَا كانَتِ العُتْرَةُ، حَفَظَةَ الدِّينِ دُوْنَ غَيْرِهِمْ، وَجَبَ أنْ يَكُونُوا هُمُ الحُكَّامَ عَلَى الأُمَّةِ دُونَ جَمِيعِ الأُمَّةِ. فَمَنْ تَبِعَهُمْ، كَانَ الإجمَاعُ مَعَهُ. وإنْ قَلُّوا[1].

وإذَا تَقَرَّرَتِ هـذِهِ الجُملَـةُ، وَجَبَـتْ مَعْـرِفَتُهُمْ أوَّلاً، حَتَّـى يُعـرَفَ صِـحَّةُ إجمَاعِهِمْ.



(١) في (أ): تلوا. بتاء مثناة من فوق. وهو تحريف.

فصل [-١٥-]

[أحاديث في إمامة الأئمة الاثني عشر -ع-]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -(١): ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً...﴾ الآيتين(٢).

وقَوْلُهُ - في آدَمَ خاصَّةً -: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٣) وفي إِبراهيمَ: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا﴾(٤) وفي مُوسَى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾(٥) وفي طَالُوتَ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفاهُ﴾(٦) وفي مَرْيَمَ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفاكِ﴾(٧) وفي سَائرِ الأَنْبياءِ، والأَوْصِيَاءِ: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(٨).

---

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) آل عمران: ٣٣. وما بعدها.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) البقرة: ١٣٠.

(٥) الأعراف: ١٤٤.

(٦) البقرة: ٢٤٧.

(٧) آل عمران: ٤٢.

(٨) الحج: ٧٥.

وقَالَ(١): ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْـمُصْطَفَيْنَ الأَخْيارِ﴾(٢)، وقَالَ(٣): ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا﴾(٤)، وقَالَ(٥): ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾(٦)، وقَالَ(٧): ﴿وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾(٨)، وقَالَ(٩): ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾(١٠)، وقَالَ(١١): ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾(١٢)، وغَيْرَ ذلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

فَكُلُّ مَنْ سَمَّاهُمْ / ١٦٧/ اللهُ ـ تعالى ـ أَوْ نَعَتَهُمْ أَنَّهُ قَدِ اصطَفَاهُم، واختَارَهُمْ، وفَضَّلَهُمْ للنُّبُوَّةِ، أَوِ الإِمَامَةِ(١٣)، فَقَدْ حَصَلَ لَنَا العِلْمُ باتِّبَاعِهِمْ.

---

(١) (وقال) ساقطة من (ح).

(٢) ص: ٤٧.

(٣) (وقال) ساقطة من (ح).

(٤) فاطر: ٣٢.

(٥) (وقال) ساقطة من (ح).

(٦) الدخان: ٣٢.

(٧) (وقال) ساقطة من (ح).

(٨) الإسراء: ٧٠.

(٩) (وقال) ساقطة من (ح).

(١٠) الأنبياء: ٧٣.

(١١) (وقال) ساقطة من (ح).

(١٢) القصص: ٥.

(١٣) في (ك): والإمامة.

وكُلُّ[١] مَنْ لَمْ يَذكُرِ اسمَهُ، أوْ نَعْتَهُ، اِحتَجْنا إلى نَصٍّ عَنْ نَبِيِّنا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ.

فَالنُّصُوصُ الوَارِدَةُ عَلَى سَادَاتِنَا ـ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ ـ نَوْعَانِ:

ما اِجْتَمَعَ أهلُ البَيْتِ، خَلَفاً عَنْ سَلَفٍ عَنْ آبائِهِمْ، وَعنِ[٢] النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَلَى عَدَدِهِمْ، وأسْمَائِهِمْ، وذِكْرِ اِستِخْلَافِهِمْ، مَا نَعجَزُ عَنْ حَصْرِهَا. وَإجمَاعُهُم حُجَّةٌ ـ كَما بَيَّنَّاهُ[٣] ـ.

ومَا نَقَلَهُ مُخَالِفُونَا، وَهُوَ[٤] نَوْعَانِ:

مَا وَافَقَنَا في العَدَدِ المَخصُوصِ، دُوْنَ التَّعْيِينِ. وَمَا وَافَقَنَا في أَنَّهُم المَعْنِيُّونَ[٥] بِالإِمَامَةِ.

فَالأَوَّلُ: مِثْلُ مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ[٦]، وَمُسْلِمٌ[٧] في صَحِيحَتَيْهِمَا، والسِّجِسْتَانيُّ في السُّنَنِ[٨]،

---

(١) في (هـ): فكل. مَعَ الفاء.

(٢) في (ح): عن. بسقوط الواو.

(٣) في (ح): بيَّنا. بسقوط ضمير الغائب (الهاء).

(٤) في (هـ): فَهُو. مَعَ الفاء.

(٥) في (أ): المعبون. بياء موحدة من تحت بعد العين وسقوط الياء المثناة بعدها. وفي (ح): المعينون. بياء ثم نون.

(٦) صحيح البخاري: ٨: ١٢٧.

(٧) صحيح مسلم: ٦: ٣، ٤.

(٨) سنن أبي داود: ٢: ٤٢١.

وَالخَطِيبُ في التَّارِيخِ[١]، وَأَبُو نُعَيمٍ في الحِلْيَةِ[٢] بِأَسَانِيدِهِمْ عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: أَنَّهُ قَالَ: لايَزَالُ الإسْلامُ، عَزِيزاً إلى إثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً. كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيشٍ.

رَوَاهُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ في مُسْنَدِهِ[٣] مِنْ أَرْبَعٍ وَثَلاثِينَ طَرِيْقاً.

وَرَوَى الخَطِيبُ في تَارِيخِ بغداد[٤] عَنْ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي الطُّفَيلِ، وَرَوَى اللَّيثُ بنُ سَعْدٍ في أَمَالِيهِ[٥]، بِإسْنَادِهِ عَنْ سُفْيَانَ الأَصْبَحِيِّ، كِلاهُمَا عَنْ عَبْدِالله بنِ عُمَرَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ـ يَقُولُ: يَكُونُ ـ بَعْدِي ـ اِثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً.

وَمِنْ رُوَاةِ النَّصِّ عَلَيهِمْ، مَا حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ بِأَسانِيدِهِمْ عَنْ سُلَيم[٦] بنِ قَيْسٍ الهِلالِيِّ، وَأَبِي حَازِمٍ الأَعْرَجِ، وَالسَّائِبِ بنِ أبي أَوْفَى، وَعَلِيم الأَزْدِيِّ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَالقَاسِمِ عَنْ سَلْمَانِ الفَارِسِيِّ.

---

(١) تاريخ بغداد: ٢: ١٢٦.

(٢) حلية الأولياء: ٢: ٥٥.

(٣) مسند أحمد: ٥: ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠...

(٤) تاريخ بغداد: ٢: ١٢٦.

(٥) لم أقف على أمالي الليث لأنها من جملة الكتب المفقودة، ثم انظر: غاية المرام: ١٩٤ عن الليث عن شقيق الأصبحي عن عبدالله بن عمر.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): سليمان. وهو تحريف.

وَرَوَى مُحَمَّدُ بنُ عَمَّارٍ، وَأَبُو الطُّفَيلِ، وَأَبُو عَبيدَةَ عَنْ عَمَّارِ بنِ ياسِرٍ.

وَرَوَى سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ، وَالحَارِثُ بنُ الحُسينِ بنِ المُعْتَمِرِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ.

وَرَوَى أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ زَيْدِ بنِ سَلَّامٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمانِ، وَرَوَى عَطِيَّةُ العَوْفي، وَأَبُو هارونَ العَبْدِيُّ، وَسَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ، والصَّديقُ النَّاجِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدَرِيِّ.

وَرَوَى جَابِرُ الجُعْفِيُّ، وَوَاثِلَةُ بنُ الأَسْقَعِ، وَالقَاسِمُ بنُ حَسَّانٍ، وَمُحَمَّدُ البَاقِرِ - عَلَيْهِ السَّلامُ - عَنْ جابِرِ الأَنْصارِيِّ.

وَرَوَى سَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأَبُو صَالِحٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَطَاء، والأَصْبَغُ، وَسُلَيانُ بنُ عَلِيِّ بنِ عَبْدِالله بنِ عَبَّاسٍ عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ.

وَرَوَى عَطَاءُ بنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ، وَمَسْرُوقُ، وَقَيسُ بنُ عَبْدٍ، وَحَنَشُ بنُ المُعْتَمِرِ عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ.

وَرَوَى الطُّفَيلُ، وَأَبُو جُحَيْفَةَ، وَهِشَامُ عَنْ حُذَيفَةَ بنِ أُسَيْدٍ[1].

ورَوَى مُحَمَّدُ بنُ زِيَادٍ، وَيَزِيدُ بنُ حَسَّانٍ، والوَاضِحيُّ[2]، والسُّدِّيُّ عَنْ زَيدِ بنِ أَرْقَمَ.

---

(١) في (أ): أسد.

(٢) في (ك) و(أ) و(ح): أبو الضحى.

ورَوَى مَكحُولُ، والأجلَحُ، وخَالِدُ بنُ مَعدَانٍ، وأبُو سُلَيْمانَ الضَّبِّيُّ، وإبراهيمُ بن علبه(١)، [والقَاسمُ عَنْ وَاثِلةَ بنِ الأَصْقَعِ.

ورَوَى الأجلَحُ الكِندِيُّ، وأبُو سُلَيمانَ الضَّبِّيُّ](٢)، والقاسِمُ عَنْ أسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ.

ورَوَى سَعيدُ بنُ المُسَيِّبِ عَنِ سَعدِ(٣) بنِ مَالِكٍ.

ورَوَى أبو عَبدِ الله الشَّاميُّ، ومطرفُ بنُ عَبْدِ الله، والأصبَغُ عَنْ عِمرَانِ بنِ الحُصَيْنِ.

ورَوَى القاسِمُ بنُ حَسَّانٍ، وأبُو الطُّفَيْلِ عَنْ زَيدِ بنِ ثابتٍ.

ورَوَى زِيادُ بنُ عَقبةَ، وعَبدُ المَلِكِ بنُ عُمَيرٍ، وسِماكُ بنُ حَرْبٍ، والأسوَدُ بنُ سَعِيدٍ، وعَامِرُ الشَّعْبيُّ عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ(٤).

ورَوَى هِشَامُ بنُ زَيدٍ، وأَنَسُ(٥) بنُ سِيرينَ، وحَفْصَةُ بنُ سِيرينَ، وأبُو العَالِيةِ، والحَسَنُ البَصرِيُّ عَنْ أنَسِ بنِ مَالِكٍ.

---

(١) في (ش) و(هـ): عليه. بالياء المثناة من تحت. (وإبراهيم بن علبه) ساقطة من (ح).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ح).

(٣) في (هـ): سعيد.

(٤) في (ك): شمرة. بالشين المعجمة. وهو تصحيف.

(٥) «أنس بن سيرين وحفصة بن سيرين» ساقطة من (ح).

ورَوَى أبو سَعيد المقبريّ(١)، وعَبدُ الرَّحمنِ الأعرَجُ، وأبُو صَالحِ السَّمّانُ، وأبُو مَريَمَ، وأبُو سَلَمَةَ عَنْ أبي هُرَيرَةَ.

ورَوَى المُفَضَّلُ بنُ حُصَينٍ، وعَبدُالله بن مَالِكٍ، وعَمرُو بنُ عُثمانَ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ.

ورَوَى أبُو الطُّفَيلِ(٢)، وشَقِيقُ الأصْبَحيُّ عَنْ عَبدِالله بن عُمَرَ. ورَوَى شُعبةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الحَسَنِ(٣) البَصرِيِّ عَنْ أبي سَلَمةَ عَنْ عائشَةَ(٤).

ورَوَى عمار الدُّهنيّ، وابنُ جُبَيرٍ عَنْ مقلَاصٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ.

ورَوَى أبُو جُحَيفَةَ، وأبُو قَتَادَةَ ـ وهُمَا صَحابِيَّانِ ـ(٥):

كُلُّهُمْ عَنِ النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ(٦) في رِوَايَاتٍ، مُتَّفِقَاتِ المَعَاني. أنَّ الأئمَّةَ، اِثنَا عشَرَ. مَهَّدْنَاهَا في المَنَاقِبِ(٧).

ومِنْ رُوَاةِ هذا العَدَدِ، الثَّورِيُّ، والأعمَشُ، والرقاشِيُّ، وعِكرِمةُ، ومُجَالِدُ، وغندر، وابنُ عَوْنٍ، وأبو مُعَاوِيةَ وأبُو أُسَامَةَ، وأبُو عوانة، وأبُو كُرَيبٍ، وعَلِيُّ بنُ

(١) في (هـ) و(أ): المقري. بسقوط الباء بين القاف والراء.

(٢) في (ك): طفيل. من دون (أل).

(٣) في (ح): الحصين. وهو تحريف.

(٤) في (هـ): عن أبي عائشة.

(٥) في (ك): صحايبان. بياء مثناة من تحت بعدها باء موحّدة. وهو تصحيف.

(٦) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٧) مناقب آل أبي طالب: ١: ٢٤٥ ـ ٢٥٨.

الجَعدِ، وقُتيبةُ بنُ سَعدٍ، وأبُو بَكرِ بنُ أبي شَيبَةَ، ومُحمَّدُ بنُ زِيَادٍ العَلَائيُّ[1]، ومحمودُ بنُ غيلانَ، وزيادُ بنُ علاقة، وحَبيبُ بنُ ثابتٍ.

فَقَد اِشتُهِرَتْ عَلَى أَلسِنَةِ المُخَالِفِينَ، وَوَافَقُوا فيهِ المُتواتِرينَ بِمِثْلِهِ، وَوَجَبَتِ الحُجَّةُ عَلَى أَلسِنَةِ أعدائِهِمْ.

وإذا ثَبَتَ ـ بِهذِهِ[2] الأخبار ـ هذا العَدَدُ المَخصُوصُ، / ١٦٧/ ثَبَتَتْ إمَامَتُهُمْ، لأنَّهُ لَيسَ في الأُمَّةِ[3] مَنْ قَدْ اِدَّعَى هذا العَدَدَ سِوَى الإمَامِيَّةِ.

ومَا أدَّى إلى خِلَافِ الإجمَاعِ، يُحكَمُ بِفَسَادِهِ.

والثَّاني[4]: مِثْلُ قَوْلِهِ[5] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: إنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ الثَّقلينِ: كِتَابَ الله، وعِترتي أهلَ بيتي. ما إنْ تَمَسَّكتُمْ بِهِمَا لَنْ تِضِلُّوا، لَنْ يَفترِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ.

اِجتَمعَتِ الإمَامِيَّةُ[6]، والزَّيديَّةُ[7] عَلَى صِحَّةِ ذلِكَ. وَرَوَاهُ أبُو ذَرٍّ الغِفارِيُّ،

---

(١) في (ك): الغلائي. بالغين المعجمة.

(٢) في (ك): هذه. من دون حرف الجر (الباء).

(٣) في (ك): الإمامة. وهو تحريف.

(٤) أي: المخالفون الَّذين وافقوا الإمامية أنَّ أهل البيت (ع) هم المعنيّون بالإمامة.

(٥) مرَّ تخريج هذا الحديث آنفاً.

(٦) أمالي الشيخ المفيد: ٧٩، تلخيص الشافي: حـ ١ ق ٢: ٢٣٩. أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٦١. كنز الفوائد: ١٥٢.

(٧) أمالي الشيخ المفيد: ٧٩، تلخيص الشافي: حـ ١ ق ٢: ٢٣٩.

وزَيدُ بنُ ثابِتٍ، وزَيدُ بنُ الأرْقَمِ، وأبو[١] سَعِيدٍ[٢] الخُدَرِيُّ، وعائشَةُ، وأُمُّ سَلَمَةَ، وسَلَمَةُ بنُ الأكوَعِ، وأبو هُريرَةَ، وجَابرٌ الأنصارِيُّ، وابنُ عَبَّاسٍ، وجُبيرُ[٣] بنُ مطْعمٍ، وأَبُو رَافِعٍ، وعَبْدُالله بنُ عُمَرَ، وبَشيرُ بنُ مَعبَدٍ، وحُذَيفةُ بنُ أُسَيدٍ، وعَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٤].

ذَكَرهُ الخَرْكوشيُّ[٥]، وَالسَّمْعَانيُّ[٦]، وَالعُكبُرِيُّ[٧]، وشِيرَوَيهِ[٨]، والمَوصِلِيُّ[٩]، وأحمَدُ[١٠]، والترمذِيُّ[١١]، وأَبُويوسُفَ وَالفَسَويُّ[١٢]، والثَّعلبيُّ[١٣]،

---

(١) (أبو): ساقطة من (هـ).

(٢) في (ك): سعد. وهو تحريف.

(٣) في (أ): خبر. بخاء معجمة من فوق بعدها باء موحّدة من تحت مع سقوط الياء.

(٤) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (هـ) و(أ).

(٥) شرف المصطفى: ق: ١٧٢، ق: ١٨٠.

(٦) غاية المرام: ٢١٣. نقلاً عن كتاب (فضائل الصحابة) للسمعاني.

(٧) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الإبانة.

(٨) فردوس الأخبار: ١: ٩٨.

(٩) مسند أبي يعلى الموصليّ: ٢: ٢٩٧. بزيادة في اللفظ.

(١٠) مسند أحمد: ٣: ٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، ٤: ٣٨٨. فضائل الصحابة: ٢: ٥٧٢، ٥٨٥، ٦٠٣، ٧٧٩، ٧٨٦.

(١١) صحيح الترمذي: ١٣: ٢٠، ٢٠

(١٢) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): النَّسوي. بالنون الموحّدة من فوق.

(١٣) تفسير البغوي: ٤: ١٢٥. وهو اختصار لتفسير الثعلبي. ينابيع المودّة: ١: ٢٩، ٣١. نقلاً عن الثعلبي. غاية المرام: ٢١٢. نقلاً عن تفسير الثعلبي.

وأبُو السَّعَادَاتِ، ومُسلِمٌ[1]، صَاحِبُ الصَّحيح.

وصَنَّفَ فيهِ أبُو نُعيمِ الاصفَهانيُّ كِتَاباً سَمَّاهُ: «مَنْقَبَةَ المُطَهَّرينَ»[2]. فَأمَرَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - عَلَى جِهَةِ الأخبَارِ - بِالتَّمَسُّكِ بِالكِتابِ، والعِترَةِ، وخَصَّ المُرَادِينَ مِنَ العِترَةِ بِصِفَةٍ تَقتَضِي عِصمَتَهُمْ، وهْيَ أمَانُ المُتَمَسِّكِ بِهِمْ مِنَ الضَّلالِ؛ إذْ لَوْ كَانَ الخَطَأُ عَلَيهِمْ، جَائزاً، لَمْ يَكُنِ المُتَمَسِّكُ بِهِ آمِناً مِنَ الضَّلالِ.

وإنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلامُ -[3] بَيَّنَ أنَّهم يَختَصُّونَ بِالكِتابِ، وَبِامتِثَالِ مَا فيهِ مِنَ الأحكامِ، والحُدُودِ.

وإنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلامُ -[4] أظْهَرَ أنَّ الدِّينَ، لَا يَخرُجُ مِنْ حُدُودِهِمَا. وإنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - جَمَعَ بَيْنَهُما عَلَى كُلِّ حُجَّةٍ. وذلِكَ مُقتَضٍ لِكَونِهِمْ حُجَجاً.

وإنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلامُ -[5] أوجَبَ إطْلَاقَ التَّمَسُّكِ بِهِمَا مِنْ غَيرِ تَخْصِيصٍ. والمُسَاوَاةُ - بينَهُما - يُوجِبُ الاقتِدَاءَ بِالكِتابِ، وبِأقوَالِ العِترَةِ، وأفعَالِهِمْ المُتَعَلِّقَةِ بِالتَّكليفِ.

---

(١) صحيح مسلم: ٧: ١٢٢، ١٢٣.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٤) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٥) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

وهُوَ دَالٌّ[١] ـ أيضاً ـ عَلَى عِصْمتِهِمْ، لأنَّ عُمُومَ الاقْتِدَاءِ، يَقتَضِي عِصْمَةَ المُقتَدَى بِهِ. وهذا مَعنَى فَرْضِ الطَّاعَةِ الَّذي لَا يَسْتَحِقُّهُ إلَّا[٢] الإمَامُ.

ومِثلُ قَوْلِهِ[٣]: مَثَلُ أهْلِ بَيْتي، كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَها، نَجَا، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنها، غَرِقَ.

وفي رِوَايَةٍ: هَلَكَ. وفي رِوَايَةٍ: وقَعَ في النَّارِ.

وقَوْلِهِ[٤] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: مَثَلُ أهْلِ بَيْتي، كَبَابِ حِطَّةَ، مَنْ دَخَلَهُ، كَانَ آمِناً.

نَقَلَهُمَا[٥] عُلَماءُ الإسْلَامِ، وَرَوَاهُ الخَاصُّ، والعَامُّ عَنْ أبي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ،

---

(١) في (أ): ذاك. بالذال المعجمة والكاف بعد الألف.

(٢) (إلّا) ساقطة من (ك) و(ح).

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ١: ٣١٢ وفيه: أمان لأُمّتي، المناقب لابن المغازلي: ١٣٢ ـ ١٣٤. علل الشرائع: ١٢٣ في جملة حديث. أمالي الصدوق: ١٦٤ باختلاف في اللفظ يسير. شرف المصطفى: ق: ١٩٧. المعجم الكبير: ١: ٣٧، ٣٨. عيون أخبار الرضا: ٢: ٢٧. وفيه: زُجَّ في النار. أمالي الشيخ الطوسي: ٢: ٩٦. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢: ٧٨٦. المستدرك: ٣: ١٥.

(٤) المعجم الكبير: ١: ٣٧، ٣٨. باختلاف اللفظ. أمالي الصدوق: ٦٦. بلفظ مختلف. المعجم الصغير: ١: ١٣٩ـ ١٤٠/ ٢: ٢٢. أمالي الشيخ المفيد: ١٠٢. ينابيع المودّة: ١: ٢٦ ـ ٢٧. الدر المنثور: ٤: ٤٣٤. فردوس الأخبار: ٣: ٩٠.

(٥) في (ح): نقلها رواة الأخبار من علماء الإسلام ونقلة الآثار من الخاص والعام.

وأبي سَعيدِ الخُدرِيِّ، وحُذَيْفَةَ بنِ أُسَيْدٍ، وغَيرِهِمْ.

فَنَصَّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَلَى نَجاةِ مُتَّبعِ[1] أهْلِ بَيْتِهِ، وأمَانِهِ[2] مِنَ الضَّلالِ. والنَّجاةِ في اِتّبَاعِ الإمَامِ، والهَلَاكِ في التَّجاوُزِ عَنهُ، لَا عَنْ غَيرِهِ.

وذلِكَ بُرهَانُ عِصمَتِهِمْ. إذْ لَوْ جَازَ عَلَيهِمْ الخَطَأُ، لَمَا صَحَّ القَطْعُ عَلَى نَجاةِ مُتَّبِعِهِمْ، وأمَانِهِ مِنَ الضَّلَالِ.

وثُبُوتُ عِصْمَتِهِمْ، مُقْتَضٍ لإمَامَتِهِمْ، لأنَّهُ لَا أحَدَ فَرَّقَ بَينَ الأمرَينِ. وَمِثْلُ قَوْلِهِ[3] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: النُّجُومُ أمَانٌ لأَهْلِ السَّماءِ، وأَهْلُ بَيْتِي، أَمَانٌ لأَهْلِ الأَرْضِ.

رَوَاهُ العُلَماءُ الثِّقاتُ مِنَ المُخَالِفِ، وَالمُؤَالِفِ.

وثُبُوتُ هذِهِ الأُمُورِ فِيمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ مُقْتَضَى الأخْبَارِ، دَالٌّ عَلَى تَخْصِيصِهَا بالأئمَّةِ الاثْنَيْ عَشَرَ، دُوْنَ سَائِرِ العِترَةِ، لأنَّها لَمْ تَثبُتْ لأَحَدٍ غَيْرِهِمْ، وَلا أُدُّعِيَتْ لَهُ.



(١) (متبع) ساقطة من (ح).

(٢) في (ح): وأمان شيعتهم.

(٣) فضائل الصحابة: ٢: ٦٧١. تاريخ بغداد: ١٤: ٣٠٣. ذخائر ذوي القربى. ١٧. المستدرك للحاكم: ٢: ٤٤٨/ ٣: ٤٥٧. أمالي الشيخ الطوسي. ١: ٢٥٦. فردوس الأخبار: ٥: ٥٦.

فصل [ـ ١٦ ـ]

[الأدلَّة على إمامة الأئمَّة من أهل البيت ـ ع ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ(١): ﴿إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى﴾(٢)، ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصارِ﴾(٣)، ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾(٤).

ومِمَّا(٥) يَدُلُّ عَلَى إِمَامَتِهِمْ ـ عليهم السلام ـ بَعدَ اعْتِبَارِ العِصمَةِ، وإثباتِ النُّصُوصِ، وكَونِهِمْ أفضَلَ خَلْقِ الله ـ تعالى ـ وأكثَرَهُمْ ثَوَاباً عِنْدَهُ، وتَقَدُّمَهُمْ بِالفَضْلِ عَلَى أَهْلِ العَصْرِ في العِلْمِ(٦)، والشَّجَاعَةِ، والزُّهْدِ، والعِبَادَةِ، وظُهُورِ المُعجِزِ عَلَى أيْدِيهِمْ، وبُطْلانِ مَقَالِ مَنْ ادُّعِيَتْ لَهُ الإمَامَةُ لِغَيرِهِم(٧) في زَمانِهِمْ، مَعَ ثُبُوتِ أنَّ الزَّمَانَ، لا يَخْلُو مِنْ نَبِيٍّ، أوْ إمَامٍ(٨)، وأنَّ الإمَامَ، يَجِبُ أنْ يَكُونَ عَالِماً

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) طه: ٣.

(٣) آل عمران: ١٣، النور: ٤٤.

(٤) الحجر: ٧٥.

(٥) في (ك): وَمَا.

(٦) في (ك) و(ح): بالعلم. مع حرف الجر (الباء).

(٧) في (أ): بغيرهم. مَعَ حرف الجر (الباء).

(٨) في (أ): وإمام. مَعَ الواو.

بِجَمِيعِ أحْكَامِ الشَّرِيعةِ[(١)]، ولَمْ يَحصَلْ هذا لِغَيرِهِمْ ـ أنّهُمْ خُصُّوا بِالعُلُومِ مِنَ الله ـ تعالى ـ مِثْلَ جَدِّهِمْ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لأنَّهُم لَمْ يَدْخُلُوا مَكتباً، ولَا تَعَلَّمُوا مِنْ مُعَلِّمٍ، ولَا تَلَقَّنُوا مِنْ رَاوٍ، واستَغنَوا عَنْ أعْدَائِهِمْ، واحتَاجَ إلَيهِمْ أوْلِيَاؤُهُمْ، فَكَانُوا أعْلَمَ الأُمَّةِ. بِجَمِيعِ الأحْكَامِ: دَقِيقَةٍ، وجَلِيلَةٍ، وثَبَتَ حُجَجُهُمْ فِيهِ عَلَى عُلَمَاءِ مُخَالِفِيهِمْ، وظَهَرَ عُلُومُهُمْ عَلَى أهْلِ الإعصَارِ، وصَحَّ[(٢)] سَلَامَتُهُمْ مِنَ النَّقصِ عِندَ المُعضَلَاتِ، والعَجْزِ[(٣)] عِنْدَ المُشْكِلَاتِ، فَصَارَ ذلِكَ دِلَالَةً عَلَى صِدْقِهِمْ.

ومِنْ ذلِكَ: نَبَاهَةُ قَدرِهِمْ عِندَ الوَلِيِّ، والعَدُوِّ، ونَزَاهَةُ أعراضِهِمْ مِنْ وَصْمَةٍ إليهِمْ ثابتَةٍ، أوْ مُتَخَرِّصَةٍ، وبَرَاءَةُ ذِمَمِهِمْ مِنْهَا عِنْدَ الكُلِّ، وشَهَادَةُ الجَمِيعِ بِضَلَالِ مَنْ قَرَفَهُمْ[(٤)] بِشَيءٍ مِنَ القَبَائحِ مَعَ كَثْرَةِ أعدَائهِمْ.

وهذا بُرْهَانُ عِصْمَتِهِمْ، وكَوْنِهِمْ حُجَجاً، حَبَسَ الله ـ تعالى ـ الألسُنَ مِنَ التَّخَرُّصِ[(٥)] / ١٦٩/ عَلَيْهِمْ، مَعَ اجتِهَادِ أعْدائهِمْ ـ أوَّلاً وآخِراً ـ عَلَى إطفَاءِ نُورِهِمْ.

---

(١) في (ح): الأحكام الشرعية.

(٢) في (هـ): وضح. بالضاد المعجمة.

(٣) في (ش) و(هـ): المعجز.

(٤) في (ك) و(هـ): فرقهم. بالفاء الموحدة ثم بالقاف المثناة. وهو تصحيف.

(٥) في (ك): التحرص. بالحاء المهملة.

ومِنْ ذلِكَ: دَعوَاهُمْ الإمَامَةَ(١) في أنفُسِهِمْ، وكَونُهُمْ حُجَجاً، لَا يَسَعُ أحَـدٌ مُخَالَفَتَهُمْ، وتَدَيُّنُهُمْ(٢) بِضَلَالِ المُتَقَدِّمِ عَلَيهِمْ، وَمَنْ اِتَّبَعَهُ(٣)، وظُهُورُ هذِهِ الدَّعوَى مِنْ شِيعَتِهِمْ فِيهِمْ، وفِيمَنْ خَالَفَهُمْ، وحَمْلُ حُقُوقِ الأمـوَالِ إلَـيهِمْ، وأخْـذُ مَعَـالِمِ الدِّينِ عَنهُمْ.

وذلِكَ مُقتَضٍ لِصِحَّةِ مَقَـالِهِمْ، إذْ لَـوْ كَـانُوا كَـاذِبِينَ لَهَـا، لَوَجَـبَ الحُكْـمُ بِضَلَالِهِمْ. ولَا أحَدَ مِنَ الأُمَّةِ ـ يُعْتَدُّ بِقَولِهِ ـ يَذهَبُ إلى ذلِكَ فِيهِمْ.

ومِنْ ذلِكَ: ظُهُورُ المُعجِزَاتِ عَلَى أيدِيهِمْ، مُقتَرِنَةً بِدَعْوَاهُمْ الإمَامَةَ. بِإجمَاعِ هذِهِ الطَّائفَةِ، واِتِّفَاقِ بَعضِ العَامَّةِ، وذلِكَ كَتَوَاتُرِ النَّـاقِلِينَ لِمُعجِـزَاتِ الرَّسُـولِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَعْلَمُ(٤) ذلِكَ مِنْ حَالِهِمْ كُلُّ مُتَأمِّلٍ لِنَقلِهِمْ.

وَمِنْ ذلِـكَ: مَـا حَصَـلَ مِـنْ تَعْظِـيمِهِمْ(٥) ـ بَعـدَ الوَفَـاةِ ـ مِـنَ المُؤَالِـفِ، والمُخَالِفِ، وقَصدِ مَشَاهِدِهِمْ مِنْ أطرَافِ البِلَادِ، والخُضُوعِ لِتربِهِمْ، والتَّوسُّلِ إلى اللهِ(٦) ـ بِحَقِّهِمْ ـ في الخَوفِ، والرَّجَـاءِ، لِلـدُّنْيَا، والآخِـرَةِ. وحُصُـولِ ضِـدٍّ هـذِهِ

---

(١) في (ش): بالإمامة. مَعَ حرف الجر (الباء).

(٢) في (ش) و(أ): وقد بينهم. وهو تحريف.

(٣) في (هـ): اتَّبعهم.

(٤) في (هـ): تعلم. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) في (أ): تعظيمهم بعظمتهم.

(٦) في (ح): الله تعالى.

القَضِيَّةِ في المُتغلِّبينَ عَلَيهِمْ ـ قَدِيماً، وحَدِيثاً ـ مَعَ عُلُوِّ سُلطَانِهِمْ، وكَثرَةِ أعوَانِهِمْ.
وأمَّا قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[1] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾[2]، ﴿ما يُقالُ لَكَ إِلاَّ ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾[3].

وقَالَ النَّبِيُّ[4] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: كَائنٌ في أُمَّتي مَا كَانَ في بني إسْرائيلَ... الخَبَر.

ثُمَّ وَجَدْنَا الله ـ تعالى ـ يَقُولُ: إنَّ مَوَارِيْثَ الأنبِيَاءِ، والوَصِيَّةَ، والخَلافَةَ، لَمْ تَزَلْ جَارِيَةً في ذَرَارِيهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، لَا في أصحَابِهِمْ، وأتبَاعِهِمْ[5].

قَوْلُهُ[6]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَإِبْراهِيمَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ﴾[7]، ﴿وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[8]، ﴿رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ

---

(١) النساء: ٢٦.

(٢) الزخرف: ٥٦.

(٣) فصلت: ٤٣.

(٤) مرَّ تخريج الخبر آنفاً.

(٥) في (هـ) و(أ) و(ح): تباعهم.

(٦) في (أ): قولُهُ سُبحانه.

(٧) الحديد: ٢٦.

(٨) الزخرف: ٢٨.

وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (١)، ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (٢)، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (٣)، ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ﴾ (٤)، ﴿رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (٥)، ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ﴾ (٦)، ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ﴾ (٧)، ﴿وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنا نَبِيّاً﴾ (٨)، ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَإِسْرائِيلَ﴾ (٩)، ﴿وَمِنْ آبائِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ﴾ (١٠)، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾ (١١)، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

---

(١) البقرة: ١٢٨.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) إبراهيم: ٤٠.

(٤) إبراهيم: ٣٥.

(٥) إبراهيم: ٣٧.

(٦) إبراهيم: ٣٩.

(٧) العنكبوت: ٢٧.

(٨) مريم: ٤٩.

(٩) مريم: ٥٨.

(١٠) الأنعام: ٨٧.

(١١) الإسراء: ٣.

وَمُوسى وَهارُونَ...﴾ (١) إلى ثَلَاثِ آيَاتٍ. ﴿وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ﴾ (٢)، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (٣)، ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ﴾ (٤)، ﴿وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها﴾ (٥)، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ (٦)، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (٧)، ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ (٨)، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ (٩).

أليسَ إذَا كَانَ النَّبيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ (١٠) أفْضَلَ الأنبِيَاءِ، وَجَبَ أنْ يَكُونَ أوْلَادُهُ، أفضَلَ الأوْلَادِ؟ فَلَا يَجُوزُ العُدُولُ عَنهُمْ أصْلاً.

❁❁❁

---

(١) الأنعام: ٨٤.

(٢) الصافات: ٧٧.

(٣) النساء: ٥٤.

(٤) آل عمران: ٣٣، ٣٤.

(٥) آل عمران: ٣٦.

(٦) آل عمران: ٣٨.

(٧) مريم: ٥، ٦.

(٨) العنكبوت: ٣٣.

(٩) العنكبوت: ٣٢.

(١٠) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

فصل [-١٧-]

[في أُولي القربى]

قَوْلُهُ - تَعَالَى -[(١)]: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْـمَوَدَّةَ فِي الْـقُرْبى﴾[(٢)].

قَالُوا[(٣)]: إنَّهَا نُسِخَتْ بِقَولِهِ: ﴿قُلْ ما سَالْـتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ﴾[(٤)]، وقَوْلِـهِ: ﴿قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَما أَنَا مِنَ الْـمُتَكَلِّفِينَ﴾[(٥)]، وقَوْلِـهِ: ﴿وَما تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْـرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ﴾[(٦)].

فهذِه الآياتُ لَا تَخلُو: إمَّا أنْ تكُونَ نَزَلَـتْ قَبْلَهَـا، أوْ بَعْـدَها. فَـإنْ كَانَـتْ نَزَلَتْ قَبلَهَا، فَلَا تَكُونُ ناسِخَةً لَهَا، وإنْ كَانَتْ نَزَلَتْ بَعْـدَها، فَهِـيَ تُؤَكِّـدُهُ. فَإنَّـهُ لَيْسَ - فِي ظَاهِرِ الآيةِ - مَا يُوجِبُ سُقُوطَ الأجْرِ. واللهُ - تعالى - أخْبَرَهُمْ بِأنَّ ذلِـكَ

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٢.

(٤) سبأ: ٤٧.

(٥) ص: ٨٦.

(٦) يوسف: ١٠٤.

الأجْرَ، لهم، يُثَابُونَ فِيهِ بِمَوَدَّتِهِمْ أهْلَ بَيْتِهِ، إذا فَعَلُوا ذلِكَ. وقَالَ الحُسَينُ بنُ[1] الفَضلِ، وأبُو القَاسِمِ القُشَيرِيُّ، وجَمَاعَةٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ: إنَّ النَّاسِخَةَ قَوْلُهُ[2]: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ وَكَفَى قُبْحاً مِمَّنْ[3] زَعَمَ أنَّ التَّقَرُّبَ[4] إلى الله ـ تعالى ـ بِطَاعَتِهِ، ومَوَدَّةِ نَبِيِّهِ، مَنسُوخٌ[5].

وَمَن ادَّعَى النَّسخَ، تَوَهَّمَ أنَّ الاستِثْنَاءَ، مُنفَصِلٌ[6]. ورَأى إبطَالَ الأجْرِ في الآياتِ المَذكُورَاتِ.

وقَالَ الكِسَائيُّ[7]: هذا الاسْتِثْنَاءُ، مُنقَطِعٌ، لأنَّ المَوَدَّةَ في القُربَى، لَيسَتْ مِنَ الأجْرِ، ويَكُونُ التَّقدِيرُ: أُذَكِّرُكُمْ المَوَدَّةَ في قَرَابَتي.

وَقَالَ /١٧٠/ الزَّجَّاجُ[8]: الاستِثْنَاءُ، حَقِيقَةٌ، ويكُونُ مَعنَاهُ:

---

(١) تفسير البغوي: ٤: ١٢٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٢.

(٢) في (أ): قوله سبحانه.

(٣) في (ك): فمن. وفي (ح): فيمن.

(٤) في (ك): التقريب.

(٥) العبارة: «وكفى قبحاً بقول مَنْ يقول: إنَّ التقرُّبِ إلى الله بطاعته ومودّة نبيّه (ص) وأهل بيته منسوخ» وَرَدَتْ في الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٢. نقلاً عن الثعلبيّ صاحب التفسير.

(٦) العبارة: «منفصل... الاستثناء» ساقطة من (ك).

(٧) العبارة: بلفظها في التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٥٨. من دون عزو إلى أحد. وفي الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢١. معزو إلى الزجّاج.

(٨) لم أقف عليه في كتابه (معاني القرآن وإعرابه) وهذه العبارة بلفظها في التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٥٨. من دون عزو إلى أحد. وهو في الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢١. معزو إلى الزجّاج.

أجـرِي[١] المَوَدَّةُ في القُربى. [وَ[٢] إنْ لَمْ يَكُنْ أجْرَهُ.

ثُمَّ اِختَلَفَ المُفَسِّرونَ في «القُربى»]:

فَقَالَ الحَسَنُ[٣]: التَّقَرُّبُ إلى الله بِطَاعَتِهِ. وَلَا دَلِيْلَ عَلَيهِ.

وقَالَ اِبنُ عَبَّاسٍ[٤]: العَرَبُ كُلُّها. والخِطَابُ ـ بِذلِكَ ـ لِجَميعِ المؤمِنينَ مِـنَ العَرَبِ، والعَجَمِ. قَولُهُ ـ في أوَّلِ الآيةِ ـ: **﴿ذلِكَ الَّذي يُبَشِّرُ اللهُ عِبادَهُ الَّذينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾**[٥].

وقَالوا[٦]: قُرَيشٌ. وَفِيهِمْ المؤمِنُ، والكافِرُ. قَوْلُهُ: **﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُـوَ الْـحَقُّ﴾**[٧].

---

(١) في (أ): أخرى. بالخاء المعجمة من فوق.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٣) جامع البيان: ٢٥: ٢٥. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٢٨. أيضاً: التبيـان في تفسـير القـرآن: ٩: ١٥٨. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٢.

(٤) جامع البيان: ٢٥: ٢٣. وفي معاني القـرآن: ٣: ٢٣. قـال ابـن عبَّـاس: في قرابتـي مـن قـريش. شواهد التنزيل: ٢: ١٣٦. وفي المعجم الكبير: ١٢: ٢٥٥. رأي عن ابن عبـاس مطـابق لروايـة كتابنا.

(٥) الشورى: ٢٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢١.

(٧) الأنعام: ٦٦. وهذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد. انظر: جامع البيـان: ٢٥: ٢٣ ـ ٢٤. أيضـاً: مجمع البيان: ٥: ٢٨. أيضاً التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٥٨

وقَالُوا(١): عَلِيٌّ، وفَاطِمَةُ، وأوْلَادُهُما. وَهْوَ الصَّحيحُ.

دَلِيلُنَا مَا رواهُ أبُو عُبيدٍ(٢)، والزَّجَّاجُ(٣)، والحَسَنُ(٤)، وقَتَادَةُ(٥)، وابنُ جُبَيرٍ(٦)، والثَّعلبيُّ(٧)، والوَاحِديُّ(٨)، والقُشَيريُّ، وغَيرهُمْ مِنَ المُفَسِّرِينَ عَنْ اِبنِ عَبَّاسٍ، وأَنَسٍ، وأبي هُرَيرَةَ، وأُمِّ سَلَمَةَ: أنَّ الأنصارَ، قَالَتْ: أموالُنا، وأنفُسُنَا، بِيَدِ اللهِ، وقَدْ هَدَانَا اللهُ عَلَى يَديكَ، وتَنُوبُكَ نَوَائِبُ، وحُقُوقٌ، ولَيسَتْ عِندَكَ لَهَا

(١) تفسير نور الثقلين: ٤: ٥٧١ ـ ٥٧٢. عن أهل البيت (ع). جامع البيان: ٢٥: ٢٥، ١٥: ٧٢. مجمع البيان: ٥: ٢٨. تفسير البغوي: ٤: ١٢٥. التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٥٨. أمالي الصدوق: ٤٧٣ ـ ٤٧٤. فضائل الصحابة: ٢: ٦٦٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) الأموال: ٤٦١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٤: ٣٩٨.

(٤) جامع البيان: ٢٥: ٢٥. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٢٨.

(٥) في أسباب النزول: ٢٥١. رأي مخالف لما نقله المؤلف عن قتادة. شواهد التنزيل: ٢: ١٣٩. وفيه رأي لقتادة يطابق ما أورده ابن شهر آشوب. وكذلك في جواهر العقدين: ق ٢ حـ ١: ٢١٨. والجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٤

(٦) شواهد التنزيل: ٢: ١٣٥. المعجم الكبير: ١١: ٤٣٥. غاية المرام: ٣٠٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢١.

(٧) تفسير البغوي (وهو اختصار لتفسير الثعلبيّ): ٤: ١٢٥. ينابيع المودّة: ١: ١٠٥. جواهر العقدين: ق ٢ حـ ١: ٢١٣. عن الثعلبي، وكذا: غاية المرام: ٣٠٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٢ عن الثعلبي.

(٨) أسباب النزول: ٢٥١.

سَعَةٌ، وهذا تُنفِقُهُ. وأتوا إليهِ بثمانِمِئةِ دِينَارٍ[١]. فنَزَلتْ: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ يَعْني: عَلَى الإيمانِ، والقُرآنِ جُعْلاً، ولَا رِزْقاً ﴿إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾: إلَّا أنْ تُحِبُّوني، وتُحِبُّوا أهْلَ بَيتي، وأقرِبائي.

وفي رِوَايَةٍ[٢]: إلَّا أنْ تَوَدُّوا قَرَابَتي، وتَحْفظُوني فِيهِمْ.

رَوَاهُ سَعِيدُ بنُ[٣] جُبَيرٍ، وعمرو بنُ[٤] شُعَيبٍ، وعَلِيُّ بنُ[٥] الحُسَينِ، وأبُو جَعْفرٍ[٦]، وأبُو عَبْدِالله[٧] ـ عليهم السلام ـ.

ثُمَّ شَرَحَ «القُرْبى» بِمَا رَوَاهُ الوَاحِدِيُّ في البَسِيطِ[٨]، وَأبُو نعيم في الحِلْيَةِ[٩]،

---

(١) في (هـ): ديناراً. بتنوين النصب. والوجه ما أثبتناه.

(٢) المعجم الصغير: ١: ٧٦.

(٣) ينابيع المودّة: ١: ١٠٥. التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٥٨. الدر المنثور: ٧: ٣٤٨. مناقب علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٣٠٩. الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٢١.

(٤) شواهد التنزيل: ٢: ١٤٥. التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٥٨. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢١.

(٥) مجمع البيان: ٥: ٢٨. نور الثقلين: ٤: ٥٧٤. التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٥٨. أمالي الصدوق: ٤٧٣ ـ ٤٧٤. الدر المنثور: ٧: ٢٧٨ / ٧: ٣٤٨.

(٦) المحاسن: ١٤٤. التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٥٨. أمالي الصدوق: ٤٧٣ ـ ٤٧٤. غاية المرام: ٣٠٨.

(٧) المحاسن: ١٤٤ ـ ١٤٥. نور الثقلين: ٤: ٥٧١ ـ ٥٧٢. التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٥٨. أمالي الصدوق: ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

(٨) ينابيع المودّة: ١: ١٠٥. نقلاً عن الواحدي في البسيط.

(٩) حلية الأولياء: ٣: ٢٠١.

وشَاهفُورُ في تَـاج الـتراجُمِ، وأبُـو تُـرَابٍ في الحَـدَائقِ، وجَمَاعـةٌ مِـنَ المُفَسِّرِيـنَ، والمُحَدِّثينَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ[١]، ومُجاهِدٍ[٢]، وابنِ جُبَيرٍ[٣]، ومُقَاتِلٍ[٤]، والضَّحَّاكِ[٥]، وأبي صَالِحٍ[٦]، والأعمَشِ[٧]، وأبي مَالِكٍ، وسَالِمِ بنِ سَعِيدٍ، والكَلبـيِّ[٨]، وشَـهرِ بن حَوشبَ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ، قَالُوا: يا رَسُولَ الله! مَنْ هؤلاءِ الَّذينَ أمَرَنَـا اللهُ بِمَوَدَّتِهِمْ؟

قَالَ: عَلِيٌّ، وفاطِمَةُ، وأولَادُهُما.

وفي رِوَايةٍ: ووَلَدَاهما[٩].

---

(١) تفسير الغوي: ٤: ١٢٥. شواهد التنزيل: ٢: ١٣ ـ ١٣٣. ينابيع المودّة: ١: ١٠٥. فضائل الصحابة: ٢: ٦٦٩. الدر المنثور: ٧: ٣٤٨.

(٢) تفسير البغوي: ٤: ١٢٥. شواهد التنزيل: ٢: ١٤٥.

(٣) شواهد التنزيل: ٢: ١٣٠، فضائل الصحابة: ٢: ٦٦٩. الدر المنثور: ٧: ٣٤٨. مناقب علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٣٠٩.

(٤) تفسير البغوي: ٤: ١٢٥. الدر المنثور: ٧: ٣٤٦.

(٥) تفسير البغوي: ٤: ١٢٥. الدر المنثور: ٧: ٢٤٦.

(٦) شواهد التنزيل: ٢: ١٣٨.

(٧) شواهد التنزيل: ٢: ١٣٠ ـ ١٣٣. فضائل الصحابة: ٢: ٦٦٩. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٣٠٩.

(٨) شواهد التنزيل: ٢: ١٣٨.

(٩) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): وَلَدَيهما.

وفي تَفسيرِ الثَّعلَبيِّ[(١)]، وفَضَائلِ[(٢)] أحمَدَ عَنِ الأعمَشِ عَنْ سَعِيدِ بـنِ جُبَـيْرٍ عَنِ اِبْنِ عبَّاسٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! مَـنْ قَرَابتُـكَ هـؤلَاءِ الَّـذينَ وَجَبَـتْ عَلَيْنَـا مَوَدَّتُهُمْ؟

قَالَ: عَلِيٌّ، وفاطِمةُ، وابنَاهُمَا.

ورَاوِي هذينِ الخَبَرَينِ اِبْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أحَدُ الأَقرِبَاءِ.

يُوضِحُ مَا ذَكَرْنَاهُ: مَا رَوَى عُلَمَاؤهُمْ مِثْلُ: مَالِـكِ بـنِ أَنَـسٍ، وأبي[(٣)] يَعـلَى المَوصِلِيُّ[(٤)] عَنْ حَمِيدٍ، وعَطِيَّةَ عَنِ الخُدَرِيِّ[(٥)]، والسّدِّيِّ[(٦)]، ومُجَاهِدٍ: أَنَّهُ لَمَّـا نَزَلَـتْ قَوْلُهُ: ﴿وَآتِ ذَا الْـقُرْبى حَقَّهُ﴾[(٧)]، دَعَا النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّـلامُ ـ فاطِمـةَ، وأعطَاهَـا فَدَكَ[(٨)].

---

(١) تفسير البغويّ المسمّى (معالم التنزيل): ٤: ١٢٥. وهو اختصار لتفسير أستاذه الثعلبـيّ المسـمّى (الكشف والبيان). ينابيع المودّة: ١: ١٠٥. نقلاً عن تفسير الثعلبي. غاية المرام: ٣٠٦. نقلاً عن تفسير الثعلبي (أيضاً) الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٢. نقلاً عن الثعلبي.

(٢) فضائل الصحابة: ٢: ٦٦٩.

(٣) في (ش) و(ك): ابن. وهو تحريف. وفي (هـ) و(أ): أبو.

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي: ٢: ٣٣٤.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ١١٨، ١١٩. شواهد التنزيـل: ١: ٣٣٩، ٣٤٠. مجمـع البيـان: ٣: ٤١١. ينابيع المودّة: ١: ١١٩. الدر المنثور: ٥: ٢٧٣.

(٦) مجمع البيان: ٣: ٤١١. شواهد التنزيل: ١: ٣٣٨ ـ ٣٤٠. جامع البيان: ١٥: ٧٢.

(٧) الإسراء: ٢٦.

(٨) في (ح): وزكا. وهو تحريف.

وَهُوَ المَرْوِيُّ عَنِ الجَعفَرَيْنِ(١) ـ عليهما السلام ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَلامٌ عَلى إِلْ ياسِينَ﴾(٢).

قَالُوا(٣): «إِليَاسِينَ» يَعْنُون: إِلياسَ، وَمَنْ مَعَهُ.

قَالَ نَافِعُ(٤): هذا بَاطِلٌ، لأنَّ «اللَّامَ» ـ في المُصْحَفِ ـ مَفْصُولَةٌ مِنْ «ياسِينَ».

وقَالُوا: «ياسينُ» مَعنَاهُ: يَا رَجُلُ. يَدُلُّكَ ـ وُضُوحَاً ـ: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(٥).

ثُمَّ اِختَلَفُوا، فَمِنهُمْ مَنْ قَالَ(٦): أَهْلُ دِيْنِ الرَّجُلِ. وتَمَسَّكَ(٧) بِقَولِهِ:

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١: ٢٣٣. نور الثقلين: ٣: ١٥٣، ١٥٦. تفسير فرات الكوفي: ١١٩. شواهد التنزيل: ١: ٣٤١. أمالي الصدوق: ٤٧٢.

(٢) الصافات: ١٣٠.

(٣) جامع البيان: ٢٣: ٩٤. من دون عزو إلى أحدِ المفسرين. أيضاً: جواهر العقدين: ق ٢ حـ ١: ٦٨ ـ ٦٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١١٨.

(٤) جامع البيان: ٢٣: ٩٤ منسوباً إلى عامّة قرّاء المدينة. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٤٥٦. وفي إتحاف فضلاء البشر: ٣٧٠. معزواً إلى نافع. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١١٨. وفيه قراءة نافع.

(٥) يس: ٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١١٨.

(٧) في (ح): تمسكوا. بإسناده إلى واو الجماعة.

﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْـعَذابِ﴾[1].

قَالَ الصَّادِقُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والله مَا عَنَى ـ بِهذا ـ إلَّا بَيْتَهُ[2].

وقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ النُّوبختيُّ: يَجوزُ أَنْ يَكُونَ آلُ فِرْعَوْنَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، مِمَّنْ كَانَ عَلَى كُفرِ[3] فِرْعَوْنَ. وَلَوْ كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ، مَنْ اِتَّبَعَهُ، مَنْ[4] لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَوِي نَسَبِهِ[5]، لَكَانَ مَنْ اِتَّبَعَ جِبْرِيلَ مِنْ آلِ جِبرِيلَ فَيَكُونُ مُحَمَّدٌ، مِنْ آلِ جِبرِيلَ، ولَكَانَ المُسلِمُونَ، مِنْ آلِ نُوحٍ، وإبرَاهِيمَ، ومُوسَى، وعِيسَى. لأنَّ المُسلِمِينَ، مُتَّبِعُونَ لِلأنبِيَاءِ. ويَكُونُ مَنْ اِتَّبَعَ أَبَا حَنِيفَةَ في فِقهِهِ، مِنْ آلِهِ.

وقَالَ اِبنُ عَبَّاسٍ[6]، ومُجَاهِدٌ[7]، وابْنُ جُبَيرٍ[8]، والأعمَشُ[9]، والكَلبيُّ[10]،

---

(١) المؤمن: ٤٦.

(٢) في (ك): بنبه. وفي (هـ): اِبنته. وفي (ح): نبيَّه.

(٣) في (أ): كفر وفرعون.

(٤) في (ح): ممّن.

(٥) في (أ): نسبتِهِ.

(٦) مجمع البيان: ٤: ٤٥٧. شواهد التنزيل: ٢: ١١٠، ١١١. أمالي الصدوق: ٤٢٢. البرهان في تفسير القرآن: ٤: ٣٣. ينابيع المودّة: ١: ٦. الدر المنثور: ٧: ٢١، ١٢٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١١٩.

(٧) شواهد التنزيل: ٢: ١١٠، ١١١. ينابيع المودّة: ١: ٦.

(٨) مجمع البيان: ٤: ٤١٦.

(٩) شواهد التنزيل: ٢: ١١٠.

(١٠) شواهد التنزيل: ٢: ١١٠. أمالي الصدوق: ٤٢٢. البرهان في تفسير القرآن: ٤: ٣٣. الجامع لأحكام القرآن: ٥: ١١٨.

ونَافِعٌ[١]، ويَعقُوبُ[٢]، وأَبـو حَـازِمٍ[٣]، وابْـنُ مَرْدَوَيْـهِ[٤]، والقُشَـيرِيُّ[٥]: «ياسِينُ»: مُحَمَّدٌ، و«آلُهُ»: أَهْلُهُ.

وهُوَ المَرْوِيُّ عَنْ أَمِيرِالمؤمنينَ[٦]، وعَنِ البَاقِرِ[٧]، والصَّادِقِ[٨]، وزَيدِ بـنِ[٩] عَلِيٍّ ـ عليهم السلام ـ.

يَدُلُّ عَلَى ذلِكَ مِنَ الكِتَابِ، قَولُهُ ـ في قِصَّةِ زَكَرِيَّا ـ: ﴿فَهَبْ لِي مِـنْ لَـدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[١٠]. إنَّما عَنَى الأَوْلَادَ.

وفي قِصَّةِ لُوْطٍ: ﴿فَـأَسْرِ بِأَهْلِـكَ﴾[١١] ثُـمَّ قَـال: ﴿إِلَّا آلَ لُـوطٍ نَجَّيْنـاهُمْ

---

(١) مجمع البيان: ٤: ٤٥٦. إتحاف فضلاء البشر: ٣٧٠.

(٢) في دلائل النبوّة للبيهقي: ١: ١٥٨. عن محمد بن يعقوب.

(٣) الجامع لحكام القرآن: ١٥: ١١٨.

(٤) الدر المنثور: ٥: ٢٥٨.

(٥) (القشيري) ساقطة من (هـ).

(٦) أمالي الصدوق: ٤٢٢. نور الثقلين: ٤: ٣٧٤. شـواهد التنزيـل: ٢: ١١١. البرهـان في تفسير القرآن: ٤: ٣٣، ٣٤.

(٧) نور الثقلين: ٤: ٣٧٤. شواهد التنزيل: ١: ١١١. أمالي الصدوق: ٤٢٢.

(٨) نور الثقلين: ٤: ٣٧٤. البرهـان في تفسـير القـرآن: ٤: ٣٣. شـواهد التنزيـل: ١: ١١١. ينـابيع المودّة: ١: ٦. أمالي الصدوق: ٤٢٢.

(٩) الصفوة: ٣٥.

(١٠) مريم: ٥، ٦.

(١١) الحجر: ٦٥.

بِسَحَرٍ﴾ (١) وَمَا نَجَّى مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا اِبْنَتَيهِ: رِيْثَا، وزَعْروقَا(٢). فَسَمَّى اِبنَتَيْهِ(٣)، آلَهُ.

وقَولُهُ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ﴾ (٤) كَانَ ابنَ عَمِّهِ حزقيل. وهْوَ الَّذي قَالَ لِمُوسَى: ﴿إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (٥). نَسَبَهُ إلى القَرَابَةِ، لَا إلى الدِّينِ.

وقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ...﴾ الآيَة(٦)، ثُمَّ قَالَ: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ﴾ (٧). والذُّرِّيَّةُ، النَّسْلُ.

ومِنَ السُّنَّةِ: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ في المُسنَدِ(٨) عَنْ أَبي هُرَيرَةَ، وعَنْ عائشَةَ(٩)، وعَنْ /١٧١/ أَبي رَافِعٍ.

ورَوَى جَمَاعَةٌ عَنْ جَابِرٍ، وعَنْ أَبي طَلحَةَ: أَنَّ النَّبيَّ(١٠) ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَتَى

---

(١) القمر: ٣٤.

(٢) في (أ): زعقرقا.

(٣) في (ح): بنتيه. بسقوط همزة الوصل.

(٤) المؤمن: ٢٨.

(٥) القصص: ٢٠.

(٦) آل عمران: ٣٣.

(٧) آل عمران: ٣٤.

(٨) مسند أحمد: ٦: ٧٨.

(٩) في (أ): عاشية. وهو تحريف.

(١٠) مسند أحمد: ٦: ٧٨. باختلاف اللفظ. سنن الدار قطني: ٤: ٢٨٥. مسند أبي يعلى الموصلي: ٣: ١١ـ١٢. عن أبي طلحة/ ٣: ٣٢٧، ٤٢٦. عن جابر بن عبدالله/ ٥: ٤٢٧ عن أنس بن مالك.

بِكَبشَيْنِ، فَأَضْجَعَ أَحَدَيْهِمَا، وقَالَ: بِسمِ الله، واللهُ أكـبَرُ! اللهُـمَّ عَـنْ مُحمَّـدٍ، وآلِ مُحَمَّدٍ، وأضجَعَ الآخَرَ، وقَالَ: بِسمِ الله، واللهُ أكبَرُ! عَنْ مُحمَّدٍ وأُمَّتِهِ... الخَبَرُ.

وفي رِوَايَةِ[١] قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ[٢] قَالَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٣]: بِسْـمِ الله عَنِّـي، وعَنْ آلِي، وَهُمْ أَهْلُ بَيتِي. وَقَالَ ـ في الثَّاني ـ بِسمِ الله عَنْ أزوَاجِي، وأُمَّتي.

ومِـنَ الفِقــهِ: قَـالَ الشَّـافِعيُّ[٤]، ومَالِـكٌ[٥]، والمُـزَنِيُّ[٦]، وَمُسْـلِمٌ[٧]، والطَّبَرِيُّ، والغزَاليُّ[٨]: الصَّدَقَةُ، لَا تَحِلُّ لِآلِ مُحَمَّدٍ. ولَا خِلَافَ أَنَّهَا لَا تَحـرُمَ عَـلَى الأُمَّـةِ.

وإنَّ ذِكر الصَّلَاةِ عَلَى النَّبيِّ، وعَلَى آلِهِ، جُعلَ مُقْترِناً بِذِكْرِ الصَّـلَاةِ عَـلَى آلِ إبرَاهِيمَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ العُصَاةُ.

---

(١) المعجم الكبير: ١: ٢٩٠ ـ ٢٩١ / ٣: ٢٠٣ ـ ٢٠٤ / ٥: ١١١. باختلاف في اللفظ مسند أبي يعلى الموصلي: ٥: ٤٢٧.

(٢) (أَنَّهُ) ساقطة من (ك).

(٣) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٤) الأم: ٢: ٨١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٨: ١٧٨، ١٩١ نقلاً عن مالك. والقرطبيّ صاحب (الجامع) مالكيّ المذهب.

(٦) مختصر المزني (طبع ملحقاً مع كتاب الأمّ للشافعيّ): ٨: ٢٦٠.

(٧) صحيح مسلم: ٣: ١١٧.

(٨) إحياء علوم الدين: ١: ٢٦٧.

والرَّجل إذَا قَالَ: مَالِيَ لِآلِي. دُفِعَ إلى قَرَابَتِهِ. وإذَا قَالَ: مَالِي لِآلِ أبِي بَكرٍ، ولِآلِ عُمَرَ. يُدْفَعُ إلى قَرَابَتِهِمَا. وإذا قَالَ: مَالِي لآلِ رَسُولِ الله [ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ـ] (١) أخَذَهُ أصحَابُ الأنفَالِ.

وَمِنَ اللُّغَةِ (٢): إنَّ كُلَّ شَيءٍ، يَؤُولُ إلى أصلِهِ بِقَرَابَةٍ مِنهُ، يُسَمَّى آلاً. مِنْ ذَلِكَ: آلُ البَعِيرِ: الوَاحَةُ. وآلُ الخَيمةِ: عَمَدُها. وآلُ الجَبَلِ: أطرَافُهُ. وآلُ الرَّجُلِ: أهلُهُ. النَّابِغَةُ (٣):

قُعُودٌ عَلَى آلِ الوَجِيهِ (٤) وَلَاحِقٌ ... يُقِيمُونَ حُوَّلِيَّاتِهَا بالمَقَارِعِ

الكُمَيْتُ (٥):

عَلَى الجُرْدِ مِنْ آلِ الوَجِيهِ ولَاحِقٍ ... تُذَكِّرُنَا أوْتَارَ نَاحِيْنَ تَصْهَلُ

الجَعْدِيُّ (٦):

[وَعَنَاجِيجَ جِيَادٍ نُجُبٍ] ... نَجْلِ (٧) فَيَّاضٍ وَمِنْ آلِ سَبَلْ

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) لسان العرب: (مادّة ـ أهل).

(٣) ديوان النابغة الذبياني: ٨٦.

(٤) في (ك) و(أ): الوجه. وفي (هـ): الوجوه.

(٥) شرح هاشميات الكميت لأبي رياش القيسي: ١٧٢. وفي شرح البيت: الجرد. الوجيه، ولاحق: فَحْلَالِ نجيبان معروفانِ من خَيل العرب. الأوتار: الذُّحول.

(٦) ديوان النابغة الجَعْدِيّ: ٨٧. ومنه صدر البيت.

(٧) في النسخ جميعها: مِنْ نجل. وصَحَّحنا الرواية من الديوان.

فَهذَا يَدُلُّ عَلَى أنَّ «الآلَ»: الوَلدُ، والنَّسْلُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أنَّ «الآلَ»: أهلٌ. هُوَ أنَّهُ قَدْ أجْمَعَ النُّحاةُ[١] أنَّ تَصغِيرَ «الآلِ»: أُهَيْلٌ ـ عَلَى الأصْلِ ـ.

وقَالَ الكِسَائيُّ[٢]: وَأُوَيلٌ[٣] ـ أيضاً ـ عَنِ[٤] اللُّغَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾[٥].

أجمَعَ[٦] المُفسِّرُونَ، والمُحدِّثُونَ أنَّها نَزَلَتْ في أهْلِ البَيْتِ ـ عليهم السلام ـ[٧].

وقَالَ عِكْرِمَةُ[٨]، والكَلبيُّ[٩]: نَزَلَتْ في النِّسَاءِ.

---

(١) لسان العرب (أهل) و(أول).

(٢) لسان العرب (مادة ـ أول).

(٣) في (هـ): وويل. وهو تحريف.

(٤) في (ح): مِنْ.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

(٦) في (ك): وَأجمع. مَعَ الواو.

(٧) العبارة: «أجمع المفسرون... عليهم السلام» ساقطة من (أ).

(٨) جامع البيان: ٢٢، ٨٠. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣٥٦. أسباب النزول: ٢٤٠. الدر المنثور: ٦: ٦٠٣. الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ١٨٢.

(٩) نقل في جواهر العقدين: ق ٢ حـ ١: ١٦. رأي للكلبي يخالف ما نقل عنه هنا، مفادُهُ أنَّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ١٨٢.

أمَّا عِكرِمَةُ، فَهُوَ خَارِجي(١)، وأمَّا الكَلْبِيُّ، فَهُوَ كَذَّابٌ(٢).

وقَدْ تَعَلَّقَ مَنْ نَصَرَهُمَا بِقَولِهِ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾(٣).

و «الأَهْلُ» ـ في مَوْضِعِ(٤) اللُّغَةِ(٥) ـ سَاكِنُو الدَّارِ مِنَ الأزوَاجِ، والأَوْلَادِ، وأوْلَادِ أبيهِ وَجَدِّهِ دُنيَةً(٦).

ولَا يُقَالُ لِلجَدِّ الأَبْعَدِ، لأَنَّهُ لَوْ جَازَ ذلِكَ، لَكَانَ سَائرُ العَرَبِ، أَهْلَ الرَّسُولِ بالنَّسَبِ. قولُهُ: ﴿مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾(٧).

قَالَ الجُبَّائيُّ(٨) في قَوْلِهِ: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ﴾(٩): يَدُلُّ عَلَى أنَّ زَوجَةَ الرَّجُلِ مِنْ أهْلِهِ أيضاً.

وقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ: إنَّما جُعِلَتْ «سَارَةُ» مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إبراهِيمَ، لَمَّا

---

(١) الطبقات الكبرى: ٥: ٢٩٢، ٢٩٣. المعارف: ٤٥٧.

(٢) الطبقات الكبرى: ٦: ٣٥٩.

(٣) هود: ٨١.

(٤) في (ك) و(هـ): موضوع.

(٥) لسان العرب: (مادة ـ أهل).

(٦) في (ك) و(أ): دينه. بياء مثناة من تحت بعدها نون موحّدة من فوق. وهو. تصحيف.

(٧) المائدة: ٨٩.

(٨) مجمع البيان: ٣: ١٨.

(٩) هود: ٧٣.

كَانَتْ بِنْتَ عَمِّهِ.

وأهْلُ البَلَدِ: قُطَّانُهُ. وأهْلُ السَّموَاتِ، والأرْضِ: قُطَّانُها[١].

وقَوْلُهُ: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢] يَعْنِي: لُوطاً، وبِنْتَيْهِ.

والصَّحيحُ أنَّ اسْمَ «أهْلِ البَيْتِ» لَا يَقَعُ إلَّا عَلَى الَّذينَ لَا يَنْفَصِلُونَ عَنْهُ بِشَيءٍ. لأنَّ «الأهلَ»[٣] مَأخُوذٌ مِنْ: اهالةِ البَيْتِ. وهُمْ الذَّينَ يَعْمُرُونَهُ. فَقِيلَ لِكُلِّ مَنْ عَمَّ[٤] النَّسَبُ: أهْلٌ. كَمَا قِيلَ لِكُلِّ مَنْ عَمَرَ البَيْتَ.

ولِذلِكَ قِيلَ لِقُرَيشٍ: آلُ الله. لأنَّهُمْ عُمَّارُ بَيتِهِ.

وأَهْلُ القُرآنِ: أهلُ الله.

فَقَولُهُ: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ هُمُ المَعْصُومُونَ. ولَوْ كَانَتْ[٥] في النِّسَاءِ، لَقَالَ: لِيُذْهِبَ عَنكُنَّ. ويُطَهِّرَكُنَّ.

فَلَمَّا جَاءَ فِيهِمْ، جَاءَ عَلَى لَفْظِ التَّذْكِيرِ، لأنَّهُ إذا اِجتَمَعَ المُذَكَّرُ، والمُؤَنَّثُ، غُلِّبَ المُذَكَّرُ عَلَى المُؤنَّثِ.

---

(١) في (ح): سكانها.

(٢) الذاريات: ٣٦.

(٣) في (أ): أهل، من دون (أل).

(٤) في (ح) و(أ): غمر.

(٥) في (ح): كانَ. من دون تاء التأنيث.

يُوْضِحُ ذلِكَ أَنَّهُ لَوْ سُئِلَ: عَائشَةُ مِنْ أَهْلِ بَيتِ مَنْ هِيَ؟ لَقِيلَ: مِنْ أَهْلِ بَيتِ أَبي بَكْرٍ، وَمِنْ أُسْرَةِ أَبي بَكْرٍ. ولَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أهلِ بيتِهِ، لَمْ تَكُنْ مِنْ عُترَتِهِ، ولَا مِنْ أُسْرَتِهِ.

ولَوْ كَانَتْ عَائشَةُ، وحَفصَةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبيِّ، لَكَانَتْ صَفِيَّةُ مِنْ أهلِ بَيْتِهِ، وَهْيَ بِنْتُ يَهُودِيٍّ.

ولَوْ أنَّ هَاشِمِيّاً تَزَوَّجَ تُرْكِيَّةً، أَوْ رُوْمِيَّةً[1]، لَمْ نَقُلْ لِتِلْكَ المَرْأَةِ إنَّها مِنْ أَهْلِ بَيْتِ ذلِكَ الرَّجُلِ الهَاشِميِّ. كَمَا لَا يُقَالُ: إنَّها مِنْ بَني هَاشِمٍ.

وقَولُهُ: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[2] لَا يُرِيدُ بِهِ أَزْوَاجَ النَّبيِّ [ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ـ][3].

وقَوْلُهُ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾[4] أي: جَمِيعَ القَرَابَاتِ. والأَخْبَارُ الوَارِدَةُ عَنِ النَّبيِّ[5] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: «مَنْ أحبَّ أهْلَ بَيْتي...» لَا يُرِيدُ[6] بِهَا أَزْوَاجَهُ.

(١) في (ك): رمية. وهو تحريف.

(٢) الأنبياء: ٧.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) التحريم: ٦.

(٥) صحيح الترمذي: ٥: ٣١. شواهد التنزيل: ٢: ٢٤. تفسير الطبري: ٢٢: ٧ ـ ٨. ذخائر العقبى: ٢١ ـ ٢٢. صحيح مسلم: ٢: ٣٦٨. المستدرك للحاكم: ٢: ٢٣.

(٦) في (أ): يريدها.

ورَوَيْتُمْ في حَدِيثِ المُبَاهَلَةِ أنَّ النَّبيَّ(١) ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَالَ لِعَائشَةَ، أوْ لأُمِّ سَلَمَةَ ـ لَمَّا قَالَتْ(٢): أَلَسْتُ مِنْ أهْلِكَ؟ ـ قَالَ: لَا. إنَّكِ إلى خَيْرٍ.

ولَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ...﴾(٣) كَانَ النَّبيُّ(٤) ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَجِيءُ إلى بَابِ عَلِيٍّ، وفَاطِمةَ ـ عِنْدَ حُضُورِ كُلِّ صَلاةٍ ـ فيَقُولُ: الصَّلاةَ. رَحِمَكُمُ اللهُ.



(١) صحيح مسلم: ٧: ١٢١. صحيح الترمذي: ١١: ١٢٦. شرف المصطفى: ق: ١٧٢. المعجم الكبير: ٣: ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩. باختلاف اللفظ. تاريخ بغداد: ٩: ١٢٦/ ١٠: ٢٧٨. جامع البيان: ٢٢: ٧ ـ ٨. مجمع البيان: ٤: ٣٥٧. أسباب النزول: ٢٣٩. الدر المنثور: ٦: ٦٠٣ ـ ٦٠٤. المناقب للخوازمي: ٢٣. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازلي: ٣٠٣. الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ١٨٣.

(٢) في (ك) و(هـ): قالتا.

(٣) طه: ١٣٢.

(٤) صحيح الترمذي:١٢: ٨٥. المعجم الكبير:٣: ٥٠. باختلاف اللفظ. مسند أبي يعلى الموصليّ: ٧: ٥٩، ٦٠. شواهد التنزيل: ٢: ١١. تفسير الطبري: ٢٢: ٦.أنساب الأشراف: ٢: ١٠٤. مستدرك الحاكم: ٣: ١٥٨. مسند أحمد: ٣: ٢٥٩، ٢٨٥. أمالي الصدوق: ٤٧٧. عن الرضا (ع). أنساب الأشراف: ٢: ١٠٤. الدر المنثور:٦: ٦٠٧. المناقب للخوارزمي: ٢٣. مناقب علي بن أبي طالب (ع) لابن المغازليّ: مسند أحمد: ٣: ٢٥٩، ٢٨٥. تفسير الطبري: ٢٢: ٦. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٢٦٣.

فصل [ـ ١٨ ـ]

[في كون الجدِّ أباً]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ﴾[2] / ١٧٢ / ، وَقَالَ: ﴿يا بَنِي آدَمَ﴾[3].

أَضَافَنَا ـ بِالبُنُوَّةِ ـ إلى الأَجْدَادِ، حَتَّى أَضَافَنَا إلى الجَدِّ الأَعْلَى. وهذا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الجَدَّ، يُسَمَّى أَباً. فَالنَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَكُونُ أَبا أَوْلادِ فَاطِمَةَ.

وأَمَّا قَوْلُهُمْ : إِنَّ القَرابَةَ ، لَا تُفِيدُ إِلَّا لَحْماً ، وَدَماً . والشَّأْنُ في العِلْمِ ، والأَخْلَاقِ المَرْضِيَّةِ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾[4]، وقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾[5].

فَقَد قَالَ اللهُ ـ تعالى ـ : ﴿وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي

---

(١) يوسف: ٣٨.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الأعراف: ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥.

(٤) المجادلة: ١١.

(٥) الحجرات: ١٣.

الْـمَدِينَةِ...﴾ الآية[١]، وقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ الْـحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[٢].

ولَا شَكَّ أنَّ العُلُومَ، والأخلَاقَ المَرْضِيَّةَ، نَافِعَةٌ. وَفي العِترَةِ الطَّاهِرةِ، أكْثَرُ، كالصَّلاةِ في المَسجِدَينِ دُوْنَ غَيرِهِمَا.

وقَالُوا: فَضِيلَةُ القَرَابَةِ، لَا تَنْفَعُ، لِقَولِهِ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعى﴾[٣]. أمَّا الثَّوابُ الدّائمُ. فَلَا يُنْتَفَعُ بهِ إلَّا بِالإيمانِ[٤] وَمَا سِوَاهُ يُنْتَفَعُ بِهَا. كَإِمَامَةِ الشَّيخِ، والشَّابِّ الصَّبِيحِ.

وذلِكَ غَيرُ مُكتَسَبَةٍ. والصَّلَاةُ في المَسْجِدِ الحَرَامِ، والعَمَلُ القَلِيلُ ـ مَعَ العِلْمِ ـ أفْضَلُ.

ولَا يُمْتَنِعُ أنْ يَكُونَ إيمانُهُمْ أفْضَلَ، والثَّوَابُ عَلَيهِ، أجْزَلَ.

وقَالُوا: قَالَ ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾[٥]. وفِيهِمْ عُصَاةٌ.

---

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) الطور: ٢١.

(٣) النجم: ٣٩.

(٤) في (ح): في الإيمان.

(٥) النور: ٢.

عصيَانُ بَنِي آدَمَ ، لَا يَقطَعُ أنسَابَهُمْ، قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ[١] في قَابِيلَ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾[٢]، وَقَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ في أَوْلَادِ إِسمَاعِيلَ واسْحقَ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ﴾[٣].

وَكِتَابُ الله ـ تعالى ـ لَا يَخْلُو مِنَ المُحكَمِ، والمُتَشَابِهِ. ولَا يَعتَقِدُ مُسلِمٌ أنَّ المُتَشَابِهَاتِ، لَيسَتْ مِنَ القُرآنِ.

وقَالُوا: قَالَ ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى...﴾ الآية[٤].

فَجَوَابُهُ: إنَّ النِّسبَةَ الأُولَى، تَجْمَعُ الكُلَّ. إلَّا أنَّهُمْ أخَصُّ.

[وَ][٥] قَالُوا: الحُدُودُ، لَا تُرْفَعُ عَنْهُمْ في الدُّنيَا، فَكَيْفَ يَنفَعُهُم النَّسَبُ في الآخِرَةِ؟

الجَوَابُ[٦]: لأنَّهُم مُكَلَّفُونَ، والحَدُّ، تَكلِيفٌ، لَيْسَ بِعُقُوبَةٍ، لأنَّهُ إنْ تَابَ قَبْلَ إقَامَةِ الحَدِّ عَلَيهِ، سَقَطَتْ عَنْهُ العُقُوبَةُ.

---

(١) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٢) المائدة: ٢٧.

(٣) الصافات: ١١٣.

(٤) الحجرات: ١٣.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) في (ح): فالجواب.

وقَالُوا: الخَبَرُ(١) المَشْهُورُ: «كُلُّ حَسَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا حَسَبِي، ونَسَبِي».

الجَوَابُ: الأنسَابُ، لَا تَتَغَيَّرُ(٢) بِمَوتٍ، ولَا حَيَاةٍ، ولَا(٣) باختِلَاف(٤) دَارِ التَّكلِيفِ، والجَزَاءِ. إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ: لَا يَنفَعُ، كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾(٥)، وقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا﴾(٦)، وقَولِهِ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾(٧).

---

(١) السيرو المغازي لابن إسحاق: ٢٤٩ عن عمر بن الخطاب وفيه: «كل سبب ونَسَبٍ... إلا ما كان من نسبي وسببي» كذلك: المعجم الكبير: ٣: ٣٦، ٣٧. كتاب السُّنن لسعيد بن منصور الخراساني: ١: ١٧٣. تاريخ بغداد: ٦: ١٨٢. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢: ٦٢٥، ٦٢٦. العقد الفريد: ٣: ٣١٦/ ٦: ٩٠. أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ١٨٩، ١٩٠. وفي معرفة الصحابة: ١: ٢٣١ ـ ٢٣٢: عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: كل سبب ونسب مُنقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكلُّ ولد أب فإنَّ عصبتهم لأمِّهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم. وفي كفاية الطالب: ٣٧٩. عن جابر قال: قال رسول الله (ص): إنَّ الله جعل ذريَّة كل نبيٍّ في صلبه، وإنَّ الله ـ عزَّوجلَّ ـ جعل ذريّتي في صلب عليٍّ بن أبي طالب.

(٢) في (ك) و(هـ): يتغير. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) (لا) ساقطة من (هـ)

(٤) في (ك): بالاختلاف. مَعَ (أل).

(٥) المؤمنون: ١٠١.

(٦) الدخان: ٤١.

(٧) عبس: ٣٤.

إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ [ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ـ](١) يَشْفَعُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ أُمَّتِهِ. خاصَّةً لأهْلِ بَيْتِهِ.



(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

فصل [ـ ١٩ ـ]

[في طهارة آباء النبيّ ـ ع ـ وإيمان أبي طالب]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ(١): ﴿الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾(٢).

الثَّعلَبيُّ(٣)، والوَاحِدِيُّ، وابنُ(٤) بَطَّةَ في كُتُبِهِمْ عَنْ عَطَاء، وعِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: يُدِيرُكَ(٥) مِنْ أصلَابِ المُوَحِّدينَ(٦) مِنْ نَبِيٍّ إلى نَبِيٍّ، حَتَّى أخْرَجَكَ في هذِهِ الأُمَّةِ.

ومَا زَالَ يَتَقَلَّبُ في أصْلَابِ الأنبِيَاءِ، والصَّالحينَ، حَتَّى وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وقَدْ جاءَ في الخَبَرِ(٧): فَمَا زَالَ يَنْقُلُهُ مِنَ الآباء الأخَايرِ، والأُمَّهاتِ الطَّوَاهِرِ.

---

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) الشعراء: ٢١٨، ٢١٩.

(٣) تفسير البغويّ: ٣: ٤٠٢. وهو مختصر لتفسير أستاذه أبي إسحاق الثعلبيّ.

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من كتاب الإبانة.

(٥) في (ك): نذيرك. بالنون الموحّدة من فوق بعدها ذال معجمة.

(٦) في (ك): المؤخين. وهو تحريف.

(٧) شرح عقائد الصَّدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٦٢. باختلاف باللفظ يسير. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ١٧٢، ١٩٧. ينابيع المودّة: ١: ١٥. أمالي الصدوق: ٥٥٨. الدر المنثور: ٦: ٣٣٢. فرائد السمطين: ٢٩.

وقَدْ مَنَّ الله عَلَيهِ بالآبَاءِ الطَّاهِرَةِ، السَّاجِدَةِ. ولَوْ عَنَا[١] شَيْئاً مِنَ الأصنَامِ، لَمَا مَنَّ عَلَيهِ، لأنَّ المِنَّةَ بِالكُفْرِ، قَبِيحٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ﴾[٢].

يَدُلُّ عَلَى أنَّ آمِنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ، كَانَتْ مُؤمِنَةً، لأَنَّهُ رَوَى مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ[٣] في حَدِيثِ بُرِيدَةَ: أنَّ النَّبيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أتَى إلى رَسْمِ قَبْرٍ، وجَلَسَ، وجَلَسَ[٤] النَّاسُ مَعَهُ، حَوْلَهُ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُ رَأسَهُ، كالمُخَاطِبِ، ثُمَّ بَكَى. فَقِيلَ: مَا يُبكيكَ يا رَسُولَ الله؟

قالَ: هذا قَبْرُ آمِنَةَ بِنتِ وَهَبٍ. وقَد اِستَأذَنتُ رَبِّي في زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّي، فَأَذِنَ. فَزورُوا القُبُورَ، تُذَكِّرْكُمْ المَوتَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٥].

---

(١) عَنَا: يعنو: عُنُوّاً. خَضَعَ وذَلَّ. (المعجم الوسيط ـ عَنَا).

(٢) التوبة: ٨٤.

(٣) صحيح مسلم: ٣: ٦٥. بزيادة في اللَّفظ. وانظر كذلك: ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين: ٤٨٧.

(٤) في (أ): وجليس. وهو تحريف.

(٥) التوبة: ٢٨.

يَدُلُّ عَلَى أنَّ عَبْدَ الله، وأبَا طَالِبٍ، كَانَا مُؤمِنيْنِ. لأنَّهُ لَوْ كَانَا مُشرِكَينِ، لَكَانَ النَّبيُّ، والوَصِيُّ، اِبنَيْ نَجِسَيْنِ(١). وَهُمَا الطَّيِّبَانِ، الطَّاهِرَانِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾(٢).

قَسَمٌ بِـ«لَامِ» التَّوْكِيدِ لِنَاصِرِهِ. وَلَمْ يَكُنْ لَـهُ نَـاصِرٌ سِـوَى أبي طَالِـبٍ. واللهُ ـ تعالى ـ إنَّما يَنْصُرُ المُؤمِنينَ، قَولُهُ: ﴿وَكانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ الْـمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

وفي دَلَائلِ(٤) النُّبُوَّةِ، وَتاريخِ(٥) بَغْدَادَ، وتَفسِيرِ(٦) الثَّعلَبِيِّ: أنَّ النَّبيَّ ـ عَلَيْـهِ السَّلامُ ـ قَالَ عِنْدَ وَفَـاةِ أبي طَالِـبٍ: وَصَـلَتْكَ رَحِـمٌ، وجُزِيْـتَ خَـيراً. كَفَلتَنِـي صَغِيراً، وحَضَّنتَني كَبِيراً، وجُزِيتَ عَنِّي خَيْرَاً(٧).

ثُمَّ أقبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أمَ والله، لأشفَعَنَّ لِعَمِّـي شَـفَاعَةً، يَعجَـبُ لَهَـا الثَّقَلَانِ، فَدَعَا لَهُ(٨) ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ(٩).

(١) في (أ): الحسين. وهو تحريف.

(٢) الحج: ٤٠.

(٣) الروم: ٤٧.

(٤) دلائل النبوّة للبيْهَقيِّ: ٢: ٣٤٩.

(٥) تأريخ بغداد: ١٣: ١٩٦.

(٦) تفسير الثعلبي من الكتب المخطوطة التي لم تصل يدنا إلى إحدى نسخه.

(٧) والخبر بتمامه في رسالة (إيمان أبي طالب) للشيخ المفيد: ٧٥.

(٨) (له) ساقطة من (ك) و(أ).

(٩) في (ح): صلى الله عليه وآله.

[ولَيْسَ](١) لِلنَبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ(٢) أنْ يَـدْعُوَ بَعْـدَ المَـوْتِ لِكَـافِرٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً﴾(٣).

ولَقَدْ كَانَ إبرَاهيمُ قَالَ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ﴾(٤) ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾(٥).

ثُمَّ قَبِلَ(٦) الشَّفَاعَةَ لَهُ، والشَّفَاعَةُ لَا تَكُونُ إلَّا لِمُؤمِنٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضى﴾(٧).

ثُمَّ إنَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ(٨) أمَـرَ عَلِيّـاً مِـنْ بَـيْنِ أوْلَادِهِ الحَـاضِرِينَ بِتَغسِـيلِهِ، وتَكفِينِهِ(٩)، ومُوَارَاتِهِ(١٠)، دُونَ عَقِيلٍ، وطَالِبٍ. ولَمْ يَكُنْ مِنْ أوْلَادِهِ مَنْ آمَـنَ ـ في تِلْكَ الحالِ ـ إلَّا عَلِيٌّ، وجعفرٌ. وكانَ جَعفرٌ في بِلَادِ الحَبَشَةِ. ولَوْ كَـانَ كَـافِراً، لَمَا

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) (صلى الله عليه وآله) ساقطة من (ح).

(٣) التوبة: ٨٤.

(٤) إبراهيم: ٤١.

(٥) التوبة: ١١٤.

(٦) في (ح): قال. وهو تحريف.

(٧) الأنبياء: ٢٨.

(٨) (عيه السلام) ساقطة من (ح).

(٩) و(تكفينه) ساقطة من (أ).

(١٠) في (هـ): موارارثه. بثاء مثلثة قبلها راء مهملة زائدة.

أمَرَ ابنَهُ المُؤمِنَ بِتَوْليتِهِ، ولَكَانَ الكَافِرُ أحقَّ بِهِ.

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى إيمانِ أبي طالِبٍ، إخلاصُهُ في الوِدَادِ لِرَسُولِ الله، والنُّصرَةُ لَهُ بِقَلبِهِ، ولِسَانِهِ، ويَدِهِ، وأمْرُهُ وَلَدَيهِ عَلِيّاً، وجَعفراً، ولأخِيهِ حَمزَةَ بِاتِّبَاعِهِ.

وكُلُّ مَا يَدُلُّ عَلَى أنَّ غَيرَهُ مِنْ أُمَّةِ النَّبيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُؤمِنٌ، أوْ مُقِرٌّ، فَإنَّهُ مَوْجُودٌ(1) فِيهِ، مَا إنْ لَمْ يَزِدْ(2) عَلَى إقْرَارِ(3) جَمِيعِ المُسْلِمين، لَمْ يَنقُصْ عَنْهُ.

وَمِنْ أشْعَارِهِ الدَّالَّةِ عَلَى إيمَانِهِ، مَا يَزِيدُ عَلَى ثَلاثَةِ آلافِ بَيْتٍ، يُكَاشِفُ فِيها مَنْ يُكَاشِفُ النَّبيَّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ويُصَحِّحُ نُبُوَّتَهُ.

مِنْها قَوْلُهُ(4) لِبَني هَاشِمٍ:ـ

أُوصِي بِنَصْرِ النَّبيِّ الخَيْرِ مَشْهَدُهُ عَلِيّاً ابْني وَعَمَّ الخَيْرِ عَبَّاسَاً

وقَولُهُ(5) لِحَمْزَةَ:

---

(1) في (ش): موجودة. مَعَ التاء المربوطة المثناة.

(2) في (ش): يزده. مع الضمير (الهاء)

(3) في (ح) أفراد.

(4) أخلَّ به ديوانه المطبوع ثُمَّ انظُرْ: إيمان أبي طالب للشيخ المفيد: ١٧. وفيه: وشيخ الخير... مناقب آل أبي طالب: ١: ٥٦. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٦١. في جملة أبيات.

(5) أخلَّ بهما ديوانه المطبوع. ثم انظر: إيمان أبي طالب للشيخ المفيد: ١٦. في جملة أبيات وفيه: ألا إصبر، في الدين ناصرا. مناقب آل أبي طالب: ١: ٥٦. في جملة أبيات. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٤. في جملة أبيات. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٤٦٩ ـ ٤٧٠. إعلام الورى: ٥٨. وفيه: فصبراً أبا يعلى. وكذا في كنز الفوائد: ٧٩.

صَبْراً لَبا يَعْلَى عَلَى دِينِ أَحْمَدٍ وَكُنْ مُظْهِراً للدِّينِ وُفِّقْتَ صَابِرَا
فَقَدْ سَرَّنِي إذْ قُلْتَ: إنَّكَ مُؤمِنٌ فَكُنْ لِرَسُولِ اللهِ ـ في الله ـ نَاصِرَا

وقَوْلُهُ[١] لِابْنِهِ طَالِبٍ:

أَتُرَى أَرَاهُ واللِّوَاءُ أَمَامَهُ وَعَلِيٌّ اِبْنِي لِلِّوَاءِ مُعَانِقُ

وكَتَبَ[٢] إلى النَّجاشِيِّ:

تَعَلَّمْ ـ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ـ أَنَّ مُحَمَّداً نَبِيٌّ كَمُوسَى والمَسِيحِ بنِ مَرْيَمِ
أَتَى بِالهُدَى مِثْلَ الَّذي أَتَيا بِهِ فَكُلٌّ ـ بِحَمْدِ الله ـ يَهْدِي وَيَعْصِمُ

وقَوْلُهُ[٣] ـ لَمَّا تَحَصَّنَ في الشِّعْبِ ـ:

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً نَبِيّاً كَمُوسَى خُطَّ في أَوَّلِ الكُتْبِ

وقَوْلُهُ[٤]:

---

(١) أخلَّ به ديوانه المطبوع. ثم أنظر: مناقب آل أبي طالب: ١: ٥٧. في جملة أبيات.

(٢) أخلَّ بهما ديوانه المطبوع. ثم انظر: السير والمغازي لابن إسحاق: ٢٢٢. وفيه: تعلّمْ خيارَ الناس... وزير كموسى... أتى بهدى... وكلٌّ بأمْرِ الله... إعلام الورى: ٥٥. وفيه: تعلّم مليك الحبش... وكلٌّ بأمر الله يهديَ...

(٣) أخلَّ به ديوانه المطبوع. ثُمَّ أنظر: السير والمغازي لابن إسحاق: ١٥٧. السيرة النبويَّة لابن هشام: ١: ٣٧٧. إيمان أبي طالب للشيخ المفيد: ١٥. مناقب آل أبي طالب: ١: ٥٧. في جملة أبيات. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٤٦٧. الدرجات الرفيعة: ٥٢. في جملة أبيات. كنز الفوائد: ٧٩. وقد سقطت من (ح) عبارة: (وقوله... الكتب).

(٤) ديوان شيخ الأباطح أبي طالب: ٢٥. وفيه: وإنْ كان أحمد قد جاءهم...

أَلا إنَّ أحمَــدَ قَــدْ جَـاءَهُمْ بِحَـــقٍّ وَلَمْ يَـــأْتِهِمْ بِالكَـــذِبْ

وقَولُهُ(١):

أَلَمْ تَعْلَمُـــوا أَنَّ ابِنَنَـــا لَا مُكَـــذَّبٌ لَـــدَيْنَا وَلَا يُعنَـــى بِقَـــولِ الأَبَاطِـــلِ

وقَولُهُ(٢):

وبِالغَيْـــبِ آمَنَّـــا وَقَـــدْ كَـــانَ قَوْمُنَـــا يُصَـــلّونَ لِلأَوْثَـــانِ قَبْـــلَ مُحَمَّـــدِ

وقَوْلُهُ(٣):

وَعَرَضْـــتَ دِيْنَـــاً لَا مَحَالَـــةَ أَنَّـــهُ مِـــنْ خَـــيْرِ أَدْيَـــانِ البَرِيَّـــةِ دِيْنَـــا

وقَولُهُ(٤):

أُقِـــيمُ عَـــلَى نَصْرِ النَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدِ أُقَاتِـــلُ عَنْـــهُ بِالقَنَـــا والقَنَابُـــلِ

وقَولُهُ(٥):

أَذُبُّ وأَحْمِـــي رَسُـــولَ المَلِيـــكِ حِمَايَـــةَ حَـــامٍ عَلَيـــهِ شَـــفِيقِ

---

(١) ديوان شيخ الأباطح أبي طالب: ١١. وفيه: لقد علموا... لديهم...

(٢) أخلَّ به ديوانه المطبوع.

(٣) ديوان شيخ الأباطح أبي طالب: ١٣. وفيه: وعرضت ديناً قد علمتُ بأنَّهُ...

(٤) أخلَّ به ديوانه المطبوع.

(٥) ديوان شيخ الأباطح أبي طالب: ٢٤. وفيه: رسول الأله.

وقَوْلُهُ(١):

أنـتَ الأَمِـينُ أَمِـينُ الله لَا كَـذبُ وَالصَّـادِقُ القِيـلِ، لَا لَهْـوٌ وَلَا لَعِـبُ
أنـتَ الرَّسُـولُ رَسُـولُ الله نَعْلَمُـهُ عَلَيْكَ تَنـزِلُ مِـنْ ذي العِـزَّةِ الكُتُـبُ

وقَوْلُهُ(٢):

حَلِيماً، رَشِيداً، حَازِمَاً، غَيْرَ طائشٍ تُـوَالِي إلـهَ الخَلْـقِ لَـيْسَ بِـمَا حِـلِ
فَأَيَّـدَهُ رَبُّ العِبَـادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَـرَ دِينَـاً، حَقُّـهُ غَـيْرُ بَاطِـلِ

وقَولُهُ(٣):

يـا شَـاهِدَ الله عَـلَيَّ فَاشْـهَدِ آمَنْـتُ بِالوَاحِـدِ رَبِّ أَحْمَـدِ
مَنْ ضَلَّ في الـدِّينِ فَـإِنِّي مُهتَـدِي

وقَوْلُهُ(٤):

---

(١) أخلَّ بهما ديوانه المطبوع. ثم أنظر: مناقب آل أبي طالب: ١: ٥١.

(٢) ديوان شيخ الأباطح أبي طالب: ١١. وفيه: حليمٌ رشيدٌ عادلٌ... يوالي إلهاً ليس عنه بذاهِلِ. وفي (ح): توَلَّى.

(٣) أخلَّ به ديوانه المطبوع. وهو في الكامل في اللغة والأدب: ٣: ١٨٩. معزو إلى علي (ع) وهو في ديوانه: ٥٤. (ط. محسن الأمين العاملي). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ٤٧٠. والشطر الثاني فيه: إني على دين النبي أحمد. وهو معزوٌ لأبي طالب. ثُمَّ قال: وقد يُروى لعليٍّ (ع). وفي كنز الفوائد: ٧٩ معزو إلى أبي طالب.

(٤) أخلَّ بهما ديوانه المطبوع. وهما في كنز الفوائد: ٧٩.

مَلِيـكُ النَّـاسِ لَـيْسَ لَـهُ شَرِيْـكٌ هُـوَ الجَبَّـارُ، والمُبـدِي المُعِيـدُ
فَمِـنْ فَـوْقِ السَّـمَاءِ لَـهُ نُجُـومٌ وَمِـنْ تَحْـتِ السَّـمَاءِ لَـهُ عَبِيـدُ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾ الآية(١).

إذَا كَانَ الإيْمَانُ مِنْ فِعْلِ الله ـ تَعالى ـ(٢) وَإِنَّهُ لَا يُحِبُّ إعْطَاءَهُ لأبي طَالِبٍ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحِبَّ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إيْمَانَهُ، لأَنَّهُ يَكُونُ مُخَالِفاً لِرِضَا الله.

والنَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ(٣) كَانَ يُحِبُّ إيْمَانَ جَمِيعِ الخَلقِ، فَايُّ اِخْتِصَاصٍ لأبي طَالِبٍ في ذلِكَ؟ وَكَيفَ يُعَاتَبُ في إرَادَةِ الإيْمَانِ، وقَدْ بُعِثَ لِلدُّعَاءِ إليهِ؟

ويَلْزَمُ أَنَّهُ لَا يَلـزَم الأُصُـولَ، لأنَّ مَـنْ عَـرَفَ الأُصُـولَ، لَا يُخَـالِفُ اللهَ في مَشِيئَتِهِ.

ثُمَّ إنَّهُ قَالَ: ﴿وَلكِنَّ اللهَ يَهْـدِي مَـنْ يَشـاءُ﴾(٤) فَـرُبَّما كـانَ هَـدَاهُ(٥) وأَنْـتُمْ لَا تَعْرِفُونَهُ، لأنَّ الإيْمَانَ مِنْ أفْعَالِ القُلُوبِ.

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) (تعالى) ساقط من (ح).

(٣) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٤) القصص: ٥٦.

(٥) في النسخ جميعها: أهداه. بالهمزة قبل أوَّلِهِ. وما أثبتناهُ هو الصواب.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١] فَمَا مَعنَى قَوْلِكم: إِنَّهُ مَاتَ كَافِراً؟

ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ، لَا يَكُونُ مَلُومَاً، لأَنَّهُ مَا خَلَقَ فيهِ الإِيمانَ، قَوْلُهُ[٢]: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ ما آتاها﴾[٣].

وإِنَّهُ ـ تعالى ـ قَالَ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٤] لَعَلَّهُ[٥] يُدْخِلُ أَبَا طَالِبٍ في الجَنَّةِ، لأَنَّ الكافِرَ ـ عِنْدَكم ـ لَهُ رَجَاءُ.

ومَنْ خَلَقَ الدُّنْيَا، والآخِرَةَ لَهُ، ولِرِضَاهُ[٦]، فَلَا يُرْغِمُهُ[٧] هكذا، بَلْ يُعطِي الإِيْمَانَ لِعَمِّهِ، وَناصِرِهِ، وَمَنْ يَهْوَاهُ [وَيُحِبُّهُ][٨].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) في (أ): قوله سبحانه.

(٣) الطلاق: ٧.

(٤) الضحى: ٥.

(٥) في (ح): فلعلَّهُ.

(٦) في (ك): وَأرضاه.

(٧) في (ك): يزغمه. بالزاي المعجمة.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

لِلْمُشْرِكِينَ...﴾ الآية[١].

قَالَ الحُسَيْنُ[٢] بنُ الفَضْلُ[٣]: إِنَّهُ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ. وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ في عُنفُوانِ الإسلامِ.



(١) التوبة: ١١٣.

(٢) في (هـ) و(ح): الحسن.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٢٧٣.

فصل [ـ٢٠ـ]

[آيات هي أليق بعليٍّ وأهل البيت ـ ع ـ]

قَوْلُـهُ ـ تَعَـالَى ـ[١]: ﴿لا يَسْتَوِي الْـقاعِدُونَ مِـنَ الْـمُؤْمِنِينَ غَـيْرُ أُولِي الضَّرَرِ...﴾ [٢] إلى قَوْلِهِ: ﴿...عَظِيماً﴾ [٣]. وقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ...﴾ الآية[٤].

يَدُلَّانُ / ١٧٤/ عَلَى بُطلَانِ قَوْلِ مَنِ اِفْتَخَرَ بِكَونِهِمَا في العَـرِيشِ مَـعَ النَّبِـيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَوْمَ بَدْرٍ. لأَنَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَا يَنْهَى عَنِ الجِهَادِ، بَلْ يَأْمُرُ بِهِ.

هذا، إنَّما[٥] حَبَسَهُما[٦] مَعَهُ، لكي لَا يَؤُولُ الأَمْرُ إلى مِثْلِ يَوْمِ خَيبرٍ، وأُحُـدٍ، وحُنَيْنٍ.

---

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) النساء: ٩٥.

(٣) النساء: ٩٥.

(٤) التوبة: ١١١.

(٥) في (ح): وإنّما.

(٦) في (أ): جبسهما. بالجيم المعجمة من تحت.

وأمَّا مَنْ زَعَمَ: أَنَّهُ أشْفقَ عَلَيهما. فإنَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كَانَ أوْلَى أنْ يُشْفِقَ ـ في ذلِكَ اليَومِ ـ عَلَى حَمزَةَ، وعَلَى عُبَيْدَةَ بنِ الحارِثِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ.

وكَيْفَ لَمْ يُشْفِقْ عَلَيهما في يَوْمِ خَيْبَر، حَتَّى انْهَزَمَا[1]؟

ومَنْ زَعَمَ: أَنَّهُ احْتَاجَ إلى رَأيِهِمَا، أخطَأَ[2]. لأنَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[3] كَانَ مُؤَيَّداً بِالمَلائكَةِ، كَامِلاً، غَيرَ نَاقِصٍ. والفَاضِلُ لَا يَحتَاجُ إلى المَفْضُولِ، والمَعصُومُ، لَا يَجُوزُ عَلَيهِ الخَطأُ. وإنَّهُمَا قَدْ خَرَجَا عَنْ هذِهِ الصِّفَاتِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحارِ﴾[4].

مُقْتَضَاهَا العُمُومُ[5]. ويَلِيقُ بِأَميرِ المُؤمنينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[6] لأنَّ الله قَدْ فَسَّرَهُ في مَوَاضِعَ:

---

(١) في (أ): انهزمان. وهو تحريف.

(٢) في (ح): فقد أخطأ.

(٣) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٤) آل عمران: ١٧.

(٥) في (هـ): العلوم.

(٦) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

فَقَالَ[١] ـ في الصَّابِرِينَ ـ: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[٢]. يَعْنِي: الحَرْبَ.

وَقَالَ ـ في الصَّادِقِينَ ـ: ﴿رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[٣] مِنَ القِتَالِ، وغَيْرِهِ.

وَقَالَ ـ في القَانِتِينَ ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ...﴾[٤].

وَقَالَ ـ في المُنْفِقِينَ ـ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً﴾[٥].

ولَا خِلَافَ أنَّ هذِهِ الآيَاتِ، نَزَلَتْ في أميرِ المؤمنينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٦].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...﴾[٧].

فَقولُهُ: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: إمَّا مَنْ كَانَ في زَمَانِهِ، أوْ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ.

---

(١) في (هـ): وَقَالَ. مَعَ الواو.

(٢) البقرة: ١٧٧.

(٣) الأحزاب: ٢٣.

(٤) الزمر: ٩.

(٥) البقرة: ٢٧٤.

(٦) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٧) الفتح: ٢٩.

والأوَّلُ يَقْتَضِي عُمُومَ أوْصَافِ الآيَةِ لِكُلِّ مَنْ صَحِبَهُ مِنْ مُؤمِنٍ، أوْ مُنَافِقٍ.

ولَا يَجُوزُ أنْ يَعنِيَ بِهِ المُنَافِقَ، فَلَمْ يَبْقَ إلَّا أنَّهُ أرَادَ ـ تعالى ـ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ.

ولَا نُسَلِّمُ أنَّ مَنْ كَانَ بِهذِهِ الصِّفَةِ، فَهُوَ مُزَكًّى[١]، وَمُسْتَحِقٌّ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الآيَةِ.

ثُمَّ إنَّ في آخِرِ الآيَةِ: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾. يَعْنِي: الجِهَادَ، وبَذْلَ[٢] النَّفْسِ. وهذا مِنْ صِفَاتِ أمِيرِ المؤمنينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ.

وقَالَ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣]. والأوَّلُ[٤] قَدْ ظَهَرَتْ مِنْهُ الغِلْظَةُ عَلَى فَاطِمَةَ ـ عليها السلام ـ في كَبْسِ[٥] بَيْتِها، ومَنْعِ حَقِّها، حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا، وَهِيَ غَضْبَى عَلَيهِ.

وقَالَ[٦] لِخَالِدِ بنِ الوَلِيدِ[٧]: لَا تَفْعَلْ[٨] ـ خَالِدُ ـ ما أمَرْتُكَ. وقَتَلَ مَالِكَ

---

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): مزكِّي. بصيغة اسم الفاعل.

(٢) في (أ): يذلّ. بياء المضارعة المثناة من تحت والذال المعجمة. وهو تصحيف.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) في (ح): امَّا الأوَّل فَقَد.

(٥) في (أ): كيش. بياء مثناة من تحت بعدها شين مثلثة. وهو تصحيف.

(٦) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للديار بكري: ٢: ٢٠٩. الاحتجاج: ١: ١١٨. الإمامة والسياسة: ١: ١٢. تاريخ الطبري: ٣: ٢٠٢. المسترشد: ١١٢. إثبات الوصية: ١١٨.

(٧) في (ك): الولد. وهو تحريف.

(٨) في (ح): يفعل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

اِبنَ نُوَيْرَةَ(١).

وأمَّا الثَّاني، فَعَادَتُهُ مَعْرُوفَةٌ، حَتَّى قَالَ(٢) المُسْلِمُونَ: ولَّيتَ عَلَيْنا هذا الفَظَّ(٣) الغَليظَ(٤).

وقَالَ(٥) هُوَ - يَوْمَ(٦) السَّقِيفَةِ -: اُقْتُلُوا سَعْداً [قتل الله سَعْداً](٧) وَهُوَ الهَاجِمُ(٨) عَلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ [عليها السلام](٩) وَضَرَبَ أبا هُرَيْرَةَ، وَسَعْدَ بنَ أبي وقَّاصٍ، وغَيرَهما بالدِّرَّةِ(١٠).

وأمَّا الثَّالِثُ، فَأَمْرُهُ أشْهَرُ مِنْ أنْ يُذْكَرَ(١١).

---

(١) في (ك): ثويرة. بالثاء المثلثة أوّل الكلمة. وهو تصحيف.

(٢) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: ٢: ٢٤١. الاحتجاج: ١: ١١٨. الجمل: ٥٩.

(٣) في (ك): اللفظ. وهو تحريف.

(٤) في (ح): ولَّيتَ عنا فَظّاً غليظاً

(٥) الاحتجاج: ١: ٩٣. والمقصود سعد بن عبادة. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب - عَلَيْهِ السَّلامُ -: ٣٢.

(٦) (يوم) ساقطة من (ك).

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٨) الاحتجاج: ١: ١٠٥-١٠٩.

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(١٠) الدِّرة: السوط يضربُ بِهِ. ومنه دِرَّةُ عُمَرَ (المعجم الوسيط - دَرَرَ).

(١١) في (ك): يزكيه. وهو تحريف.

ثُمَّ قَالَ: ﴿تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾[1]. وَصَفَهُمْ اللهُ بِالرُّكُوعِ، والسُّجُودِ ولَا يُرِيدُ ـ بِذلِكَ ـ سُجُودَ الأَوْثَانِ. وأَمِيرُ المؤمنينَ لَمْ يَسْجُدْ لَهَا قَطُّ. والمَشَايِخُ قَدْ مَضَى مِنْ أعمَارِهِمْ شَطْرُهَا عَلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[2]. فَصَرَّحَ[3] بِحَرْفِ التَّبْعِيضِ ـ أَنَّ المَوْعودينَ بِالمغفِرَةِ والأَجْرِ العَظِيمِ، هُمْ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ مِنَ المَذْكُورِيْنَ في قَولِهِ: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[4]. فَلْيَدُلُّوا عَلَى أَنَّهُم ذلِكَ البَعْضُ.

وَبَعْدُ: فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ في مَحَلِّ الرَّفْعِ بالابْتِداءِ[5]. ولَابُدَّ لِلْمُبتَدَأ مِنْ خَبَرٍ. والخَبَرُ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُبْتَدَأٌ، كَقَوْلِكَ: زَيدٌ قَائمٌ. والقَائمُ زَيْدٌ.

فَالأَوَّلُ كَيْفَ يَكُونُ مُبْتَدَأً، والثَّلاثَةُ خَبَرَهُ؟ ولَابُدَّ أَنْ يَكُونَ الخَبَرُ عَيْنَ[6] المُبتَدَأ. وذلِكَ ـ بِأَهْلِ البَيْتِ ـ عليهم السلام ـ الْيَقُ.

***

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) في (ش): فصرف. وهو تحريف.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٥) لأنه معطوف على مبتدأ (محمّد) تابع له في الإعراب، فيأخذ حكمه.

(٦) في (ش) و(ك) و(ح): غير. بالغين المعجمة، والراء المهملة. وهو تحريف.

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[1].

نَزَلَ بِالإجْماعِ ـ عَامَ الحُدَيبيَّةِ. فَوُقُوعُ[2] الرِّضَى لِمَنْ اِخْتَصَّ بِالأوْصَافِ، الَّتي فيها.

ولَا يَجُوزُ أنْ يَرْضَى اللهُ عَنْ الكُلِّ لأنَّهم كَانُوا الْفاً وسَبْعَمائةِ رَجُل، وَفِيهم مِثْلُ: جدِّ بنِ قَيس، وابْنِ أبي سَلُولٍ. وَكَانَ فِيهِمْ مِثْلُ: طَلْحَةَ، والزَّبِير، وَقَدْ خَرَجَا عَلَى الإمَامِ.

ولَمْ يَمْنَعْ وُقُوعُ الرِّضَى في تِلْكَ الحَالِ مِنْ مُوَاقَعَةِ المَعْصِيَةِ فِيما بَعْدُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِذْ يُبايِعُونَكَ﴾[3]. وبِالإجماعِ: إنَّ البَيعَةَ كَانَتْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى: ألَّا يَفرُّوا، ويَثْبُتُوا في الحَرْبِ، حَتَّى يُقتَلُوا، أو يَغْلِبُوا. فَانْهَزَمَ الأوَّلُ، والثَّاني في خَيْبَرَ ـ بالاتِّفَاقِ ـ فَغَضِبَ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ / ١٧٥/ وقَالَ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ ـ غَداً ـ رَجُلاً، يُحِبُّ اللهَ، ورَسُولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ، ورَسُولُهُ.

ذُكِرَ ذلِكَ في الصَّحِيحينِ[4]، والتَّاريخَيْنِ[5].

---

(١) الفتح: ١٨.

(٢) في (ك): فوقع.

(٣) الفتح: ١٨.

(٤) صحيح البخاري: ٥: ٢٣، ١٧١. صحيح مسلم: ٥: ١٩٥.

(٥) تاريخ الطبري: ٣: ١٢، أنساب الأشراف (ط المحمودي): ٢: ٩٣، ٩٤، ١٠٦.

ثُمَّ اِنهَزَمُوا في يَومِ حُنين. قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[١].

ولَا خِلَافَ في أنَّ عَلِيّاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَمْ يَنْهَزِمْ قَطُّ. فالآيَةُ بِهِ الْيَقُ، وبِمَنْ تَبِعَهُ.

ثُمَّ إنَّ الآيَةَ، دَالَّةٌ عَلَى مَدْحِ عَلِيٍّ، وَمَنْ تَبِعَهُ، وذلِكَ أنَّ الله ـ تعالى ـ أخْبَرَ بِأَنَّهُ رَضِيَ عَنِ المُؤمِنينَ. ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ المَرضِيَّ عَنهُمْ ـ في هذا الخِطَابِ ـ مِنْ جُمْلَةِ المُؤمِنينَ، السَّابِقُونَ[٢]. ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ المُبايعينَ هُمْ مَنْ بايَعَ تَحتَ الشَّجَرَةِ، وَهُمْ مَنْ عَلِمَ مَا في قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ جَعَلَ العَلَامَةَ عَلَيهِمْ، نُزُولَ السَّكينةِ عَلَيْهِمْ. وَهْيَ النَّصْرُ، وأنَّ الفَتْحَ القَرِيبَ، عَلَى أيْدِيْهِمْ.

فَصَارَ حُصُولُ النَّصْرِ[٣]، والفَتْحِ، هُوَ المُبَيِّنَ مَنْ المَرضِيُّ عَنْهُمْ مِنَ المُبَايِعِينَ.

فَالرَّجُلَانِ، قَدْ عَرِيَا عَنِ السَّكِينَةِ، والفَتْحِ. وعَلِيٌّ اِختَصَّ بِهِمَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾[٤].

---

(١) التوبة: ٢٥.

(٢) في (هـ): السابقين. بالياء. والوجه بالواو لأن «السَّابِقُونَ» خبر «أنَّ».

(٣) في (ك): النضم. بالضاد المعجمة بعدها ميم.

(٤) النور: ٥٥.

قالَ الجُبَّائي(١): دَالَّةٌ عَلَى إِمَامَـةِ الخُلَفَـاءِ الأَرْبَعَـةِ، لِلتَّمكـينِ المَـذكُورِ(٢) في أَيَّامِهِمْ.

الاسْتِخْلَافُ ـ ها هُنا ـ غَيرُ الإمَامَةِ. بَلْ المَعنى: إبقَاؤُهُمْ في إثْـرِ مَـنْ مَضَى مِنَ القُرُونِ، وجَعلُهُمْ عِوَضاً مِنهُمْ، وخَلَفَاً.

يُوضِـحُ ـ ذلِـكَ ـ قَوْلُـهُ ـ تَعَـالَى ـ(٣): ﴿وَهُـوَ الَّـذِي جَعَلَكُـمْ خَلائِـفَ الأَرْضِ﴾(٤).

وقَوْلُهُ: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْـدِكُمْ مـا يَشـاءُ﴾(٥)، وقَوْلُـهُ: ﴿عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ﴾(٦).

ثُمَّ إنَّ هذا الاسْتِخْلَافَ، والتَّمكينَ في الـدِّينِ، كَانَـا في أَيَّـامِ النَّبـيِّ ـ عَلَيْـهِ السَّلامُ ـ حِيْنَ أَعْلَى اللهُ كَلِمَتَهُ، وَأَكْمَلَ دِينَهُ.

---

(١) التفسير الكبير: ٢٤: ٢٥. مـن دون عـزو إلى أحَـدٍ، وفي الجـامع لأحكـام القـرآن: ١٢: ٢٩٧ ـ ٢٩٨. معزو إلى جماعة منهم: الضحاك وابن عباس واختاره جماعة من المفسِّرين منهم: النّقاش، وَالماوردي، والقشيري، وابن العربي.

(٢) في (أ): المذكورين.

(٣) (تعالى) ساقط من (ح).

(٤) الأنعام: ١٦٥.

(٥) الأنعام: ١٣٣.

(٦) الأعراف: ١٢٩.

ولَيْسَ كُلُّ التَّمكِينِ، كَثْرَةَ الفُتُوحِ، لأنَّ ذلِكَ، يُوجِبُ أنَّ دِينَ الله، لَنْ يَتمكَّنَ إلى اليَومِ، لِعِلْمِنَا بِبَقاءِ مَمَالِكِ الكُفْرِ.

ولَا يَجُوزُ أنْ يَكُونوا مَعْنِيِّينَ[1] بِهَا، لأنَّهُ لا يُقَالُ ـ في الحَقِيقَةِ ـ: إنَّهُ اِسْتَخلَفَ، إلَّا إذا نَصَّ عَلَى المُستَخلَفِ: إمَّا بِقُرْآنٍ، أوْ بَخَبَرٍ صَحِيحٍ.

فَأمَّا القَوْمُ، المُتَقَدِّمُونَ عَلَى أمِيرِ المؤمِنينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَالمُسْتَخلِفُ لَهُمْ غَيرُهُ ـ سبحانه ـ وغَيرُ رَسُولِهِ، لأنَّ الَّذي اِستَخْلَفَ الأوَّلَ، هُوَ الثَّاني، وأبُو عُبَيدَةَ، وبَشيرُ بنُ سَعْدٍ. والَّذي اِسْتَخلَفَ الثَّانيَ، هُوَ الأوَّلُ. والَّذي اِستَخلَفَ الثَّالِثَ، هُوَ عَبْدُ الرَّحمنْ.

وإنَّهُ ـ تعالى ـ[2] شَبَّهَ اِسْتِخلَافَهُ لَهُمْ، بِاسْتِخْلَافِهِ[3] لِلَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَهْوَ: أَنَّهُ كَانَ يُظهِرُ ـ عَلَى أيْدِيهِمْ ـ المُعجِزَاتِ، أوْ يَأمُرُ مَنْ يَنُصُّ عَلَيهِم بالاسْتِخلَافِ.

ومَا جَرَى ـ في الأُمَمِ ـ بِاسْتِخْلَافٍ، يُضَافُ إلى الله ـ سُبْحانَهُ ـ بِأنْ تَتَوَلَّاهُ[4] الأُمَمُ بِأنْفُسِهَا.

وَلَوْ صَحَّ مَا قَالُوا، لَمَا اِحتِيجَ إلى اِختِيارٍ، ولَكَانَ مَنْصُوصاً عَلَيهِما، وذلِكَ خِلَافُ الإجمَاعِ.

---

(١) في (ك): معنين. بياء واحدة. وفي (هـ): بنون موحدة من فوق بين الياءَين.

(٢) في (ح): سبحانه.

(٣) (لهم باستخلافه) ساقطة من (ح).

(٤) في (ك): تتولّا. من دون الضمير (الهاء).

وإذَا سُلِّمَ أنَّ المُرَادَ بِهِ الإمَامَةُ، فَقَالَ ابنُ عبَّاسٍ[١]، ومُجاهِدٌ[٢]: هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ.

وقَالَ عُلَماءُ[٣] أهْلِ البَيْتِ ـ عليهم السلام ـ: إنَّما يَكُونُ[٤] ذلِكَ عِنْدَ قِيَامِ المَهْدِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِقَولِهِ: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[٥]. وَمَا كانَ ذلِكَ إلى أيَّامِنَا هذِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهاجِرِينَ وَالأَنصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ﴾[٦].

يَقتَضِي العُمُومَ، وأنَّهُمْ تَابُوا، فَتَابَ اللهُ عَلَيهِمْ، فَليَدُلُّوا ـ بَعْدَ ذلِكَ ـ عَلَى وُقُوعِ التَّوْبَةِ مِنَ الجَماعَةِ، حَتَّى يَدْخُلُوا تَحْتَ الظَّاهِرِ.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ﴾[٧].

---

(١) مجمع البيان: ٤: ١٥٢.

(٢) جامع البيان: ١٨: ١٦٠. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٥٢.

(٣) مجمع البيان: ٤: ١٥٢، ٦٢٠. نور الثقلين: ٣: ٦١٦. عن الصادق (ع) والباقر (ع) وعلي بن الحسين (ع).

(٤) (يكون) ساقطة من (أ).

(٥) النور: ٥٥.

(٦) التوبة: ١١٧.

(٧) آل عمران: ١٥٥.

التَّنَازُعُ ـ في اقتِضَاءِ الظَّاهِرِ ـ للعُمُومِ. وإذَا سَلَّمْنَا ذلِكَ، جَازَ أنْ يُحْمَلَ العَفْوُ عَلَى العِقَابِ المُعَجَّلِ في الدُّنْيَا، دُونَ المُسْتَحَقِّ في(١) الآخِرَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإخوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإِيمانِ﴾(٢).

وهذا شَرْطٌ يَحْتَاجُ إلى دَلِيلٍ في إثبَاتِهِ لِلجَمَاعَةِ(٣). وَمَعَ هذا، فَهْوَ سُؤَالٌ، ولَيسَ(٤) كُلُّ سُؤَالٍ يَقْتَضِي الإجَابَةَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾(٥).

إنَّما أرَادَ الرَّسُولُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ(٦): سَتُدْعَوْنَ ـ فِيما بَعْدُ ـ إلى قِتَالِ قَوْمٍ، أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ.

---

(١) (في) ساقطة من (أ).

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) في (أ): في للجماعة. بزيادة (في).

(٤) في (ك): وليس في كلّ. بزيادة (في).

(٥) الفتح: ١٦.

(٦) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

وقَدْ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَعْدَ ذلِكَ إلى غَـزَوَاتٍ كَخَيْـبَر، ومُؤْتَـة، وتَبُوكَ، وغَيْرِها.

قَوْلُهُ[1]: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْـمُخَلَّفُونَ...﴾ [2] إلى قَوْلِـهِ: ﴿... وَكُنْـتُمْ قَوْمـاً بُوراً﴾ [3]. أرَادَ بِهِ: المُخَلَّفِينَ عَنِ الحُدَيبِيَّةِ بإجماعِ المُفَسِّرينَ[4].

ثُمَّ قَالَ: ﴿سَيَقُولُ الْـمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ...﴾ [5] إلى قَولِهِ: ﴿... لايَفْقَهُونَ إِلاّ قَلِيلاً﴾ [6].

وَقَدْ غَلَطَوا في التَّارِيخِ:ـ

قَالَ الضَّحَّاكُ: هُمْ ثَقِيفُ.

وقَالَ اِبنُ جُبَيرٍ[7]، وقَتَادَةُ[8]، وعِكرِمَةُ[9]: هُمْ هَوَازِنُ.

---

(١) في (أ): قوله سبحانه.

(٢) الفتح: ١١.

(٣) الفتح: ١٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٧٠.

(٥) الفتح: ١٥.

(٦) الفتح: ١٥.

(٧) جامع البيان: ٢٦: ٨٣. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١١٥. تفسير البغوي: ٤: ١٩٢. وفي الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٧٢: هوازن وثقيف.

(٨) جامع البيان: ٢٦: ٨٣.

(٩) جامع البيان: ٢٦: ٨٣. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١١٥.

/١٧٦/ وقَالَ قَتَادَةُ(١): هُمْ هَوَازِنُ، وثَقِيفُ.

وقَالَ اِبنُ عَبَّاسٍ(٢): هُمْ أَهْلُ فَارِسَ.

وقَالَ اِبنُ أبي لَيلَى(٣)، والحَسَنُ(٤): هُمُ الرُّومُ.

وقَالَ الزُّهْرِيُّ(٥): هُمْ بَنُو حَنيفَةَ، مَعَ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ.

وَلَا يَمْنَعُنَا(٦) أنْ نَقُولَ(٧): المَعنَيُّ بِهِ: أَمِيرُالمؤمِنينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في قِتَالِ الخَوَارِجِ.

❋❋❋

(١) جامع البيان: ٢٦: ٨٣. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١١٥. في تفسير البغوي: ٤: ١٩٢. هوازن وغطفان. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٧٢.

(٢) جامع البيان: ٢٦: ٨٢. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١١٥. تفسير البغوي: ٤: ١٩٢. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٧٢.

(٣) جامع البيان: ٢٦: ٨٢. وفيه: الروم وفارس. الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٧٢. في أحد قوليه.

(٤) جامع البيان: ٢٦: ٨٢. وفيه: الروم وفارس. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١١٥. أيضاً: تفسير البغوي: ٤: ١٩٢. وفي الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٧٢.

(٥) جامع البيان: ٢٦: ٨٢. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١١٥. وكذا: في الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٢٧٢.

(٦) في (أ): يمنعا.

(٧) في (هـ) و(أ):: يقول: بياء المضارعة المثناة من تحت. وفي (ش): يقولوا. بياء المضارعة المثناة من تحت مَعَ إسناده إلى واو الجماعة.

فصل [ـ ٢١ ـ]

[آيات نزلت في عليٍّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْـخِيَرَةُ﴾(١)، وقَولُهُ: ﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْـمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(٢).

قِيلَ: في مَعنَى الآيةِ الأُولَى، قَوْلَانِ:

أحَدُهما: أَنَّهُ يَخْتَارُ الَّذي كَانَ لَهُمْ فيه الخِيَرَةُ. فَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ اِختِيارِهِ لَهُمْ.

والثَّاني: أنْ تَكُونُ «مَا» نَفْياً(٣). أيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ الخِيَرَةُ عَلَى الله، بَلْ لله الخِيَرَةُ عَلَيْهِمْ، لأنَّهُ مَالكٌ، حَكِيمٌ في تَدْبيرِهم، كَما قَالَ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْـحَياةِ الدُّنْيا﴾(٤)، وقَالَ: ﴿فَما لَكُمْ كَيْفَ

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) الحج: ٧٥.

(٣) في (أ): بقيا. بالباء الموحدة من تحت بعدها قاف مثناة.

(٤) الزخرف: ٣٢.

تحكُمُونَ...﴾ (١) إلى قولِهِ: ﴿...صادِقِينَ﴾ (٢). ولَوْ جَازَ أنْ تَخْتَارَ الأُمَّةُ رَجُلاً، فيَكُون إمَامَاً، طاعَتُهُ، طَاعَةُ الله (٣)، ومَعْصِيَتُهُ، مَعْصِيَةُ الله، لجَازَ أنْ تَخْتَارَ (٤) ـ أيضاً ـ رَجُلاً، فيَكُونُ نَبيًّا.

ولَا يَخلُو الاختِيَارُ مِنْ أنْ يَكُونَ إلى كُلِّ الأُمَّةِ، أوْ إلى بَعضِهَا.

فَإنْ كَانَ الأوَّلَ، لَمْ يَجُز أنْ يُقَامَ الأمامُ (٥) إلَّا بَعْدَ اجتِمَاعِ الخَلْقِ عَلَيهِمْ. وتَمْضِي (٦) الدُّهُورُ عَلَى ذلِكَ، قَبلَ أنْ يَقُومَ الإمَامُ.

وإنْ كَانَ إلى بَعضِهَا (٧)، فَيَجِبُ عَلَى أبْعَاضِ الأُمَّةِ كُلِّهَا ـ إذَا اتَّصَلَ بِهَا مَوْتُ الإمَامِ ـ أنْ يَنْتَدِبُوا إلى نَصْبِ الأَئمَّةِ، فَيُقِيمَ كُلُّ بَعضٍ إمَاماً.

ولَوْ كَانَ الاختِيَارُ إلى بَعْضِ الأُمَّةِ ـ وَهُمُ العُلَماءُ عَلَى زَعْمِهِمْ ـ كَانَ يَجِبُ أنْ يَخْتَارُوا بَاطِنَهُ، وظَاهِرَهُ (٨). فَوَجَبَ ألَّا يَخْتَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ العُلَماءِ إلَّا نَفسَهُ،

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) يونس: ٣٨.

(٣) في (ش): لله. مع حرف الجر (اللام)، وهي ساقطة من (ك).

(٤) في (ش): نختار. بنون المضارعة الموحّدة من فوق.

(٥) في (ش): الأول. وهو تحريف.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يمضي. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٧) في (ح): وإنْ كان الثاني.

(٨) في (أ): فظاهره. مَعَ الفاء.

لأَنَّهُ عَالِمٌ بِظَاهِرِها، وَبَاطِنِهَا[١].

وإذَا وَجَبَ أنْ يَخْتَارَ كُلُّ وَاحِدٍ نَفْسَهُ، فَسَدَ الاخْتِيَارُ، لأَنَّهُ[٢] يَجِبُ أنْ يَكُونَ[٣] أئمَّةٌ كَثِيرَةٌ في وَقتٍ وَاحِدٍ، ولَا يَكُونُ إمَاماً بَتَّةً.

***

قوله ـ سبحانه ـ ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْـمُهاجِرِينَ وَالأَنصارِ﴾[٤].

المُهَاجِرُونَ الأَوَّلونَ، هُمُ الَّذينَ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٥] في شِعْبِ عَبْدِالمُطَّلِبِ[٦] بِمَكَّةَ. وَقَدْ اِجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ أَنَّهُمْ كَانُوا بَنِي هَاشِمٍ فَقَطْ. وأمَّا الأنصَارُ، فَهُمْ السَّبْعُونَ العقبِيُّونَ بِإجْمَاعِ المُحدِّثِينَ[٧].

والسَّبْقُ ـ هَاهُنَا ـ إنْ كَانَ إظْهَارَ الإسْلَامِ، فَلَابُدَّ أنْ يَكُونَ مَشرُوطاً بِالأخلَاصِ في البَاطِنِ، لأنَّ الله ـ تعالى ـ لَا يَعِدُ بِالرِّضَى مَنْ أظهَرَ لَهُ الإسلَامَ، ولَمْ يُبِطنْهُ. فَيَجِبُ أنْ يَكُونَ البَاطِنُ، مُعتَبَراً، أوْ مَدْلُولاً عَلَيهِ مِمَّنْ[٨] يَدَّعي دُخُولَهُ

(١) في (ح): بباطنها وظاهرها.

(٢) في (ك): لا. بدلاً من (لأنَّهُ). وهو تحريف.

(٣) في (ح): تكون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) التوبة: ١٠٠.

(٥) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٦) هكذا في النسخ جميعها، والمشهور أنه شعب أبي طالب.

(٧) في (هـ): المدثون. بواو الرفع.

(٨) في النسخ جميعها: فمن. مَعَ الفاء. وما أثبتناه هو الموافق للسياق.

تَحْتَ الآيَةِ، حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ الوَعْدُ بِالرِّضَاءِ.

والوَجْهُ الثَّاني يُؤَدِّي أنْ يَكُونَ جَمِيعُ المُسلِمِينَ، سَابِقِينَ إلَّا الوَاحِدَ، الَّذي لَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ[١] إسْلَامُ[٢] أحَدٍ.

فَلَمْ يَبْقَ إلَّا الوَجْهُ الأوَّلُ. ولِهذَا أكَّدَهُ بِقَولِهِ: ﴿الأَوَّلُونَ﴾ . لأنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ غَيْرُهُ، لَا يَكُونُ أوَّلاً[٣] بِالإطلَاقِ.

وَمَنْ هذِهِ صِفَتُهُ ـ بِلَا خِلَافٍ ـ فَهوَ عَلِيٌّ، وَحَمْزَةُ، وَجَعْفَرٌ، وَخَبَّابٌ، وَزَيْدٌ، وعَمَّارٌ، وَسَعْدُ بنُ مَعَاذٍ، وأبُو الهَيْثَمِ، وخُزَيْمَةُ.

فَأمَّا الأوَّلُ، فَفِي تَقَدُّمِ إسْلَامِهِ، خِلَافٌ كَثِيرٌ.

ثُمَّ[٤] إنَّ مَنْ رَوَى ذلِكَ: أبُو هُرَيرَةَ[٥]، وَكَانَ مِنَ الخَاذِلِينَ، وَقَدْ ضَرَبَهُ عُمَرُ بِالدِّرَّةِ، لِكَثْرَةِ رِوَايتِهِ، وقَالَ: إنَّهُ كَذُوبٌ. وإبرَاهِيمُ[٦] النَّخَعِيُّ. وَهُوَ نَاصِبِيٌّ جِدّاً، تَخَلَّفَ عَنِ الحُسَيْنِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَخَرَجَ مَعَ ابن الأشْعَثِ في جَيْشِ ابْنِ زِيَادٍ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا خَيرَ إلَّا في النَّبِيذِ الصَّلب.

---

(١) في (ك): بعد. من دون الضمير (الهاء).

(٢) في (ح): أسلم.

(٣) في (ك): إلّا. وهو تحريف.

(٤) (ثم) ساقطة من (ك).

(٥) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ١٤.

(٦) المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ١٧.

وحسَّانُ[١] بنُ ثابِتٍ. وَهْوَ شَاعِرٌ. وَعِنَادُهُ لِعَلِيٍّ، ظَاهِرٌ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لا تُقَـدِّمُوا بَـيْنَ يَـدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ...﴾[٢] إلى قَوْلِهِ: ﴿... تَشْعُرُونَ﴾[٣].

يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إنَّ النَّبِيَّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ صَلَّى خَلْفَ أَحَدٍ. لأنَّ حَالَهُ ـ في ذلِكَ ـ لَا يَخْلُو: إمَّا أَنَّهُ كَانَ إمَامَاً، أَوْ مَأْمُومَاً، أَوْ مُشَارِكَاً.

فَإنْ كانَ إمَامَاً، فَقَدْ عَزَلَ المُتَقَدِّمَ عَلَيهِ، عَلَى التَّأبِيدِ، لأَنَّهُ آخِرُ أفْعَالِهِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ.

وإنْ كَانَ مَأْمُومَاً، فَقَدْ عَصَى اللهَ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَيهِ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ بَينَ يَدَيْهِ. وَفِيهِ نَسْخُ النُّبُوَّةِ.

وإنْ كَانَ مُشَارِكاً، فَيَكُونُ سُنَّةً، يُعْمَلُ عَلَيْها بَعْدَهُ.

وقَدْ صَنَّفَ أَبُو عِيسَى الوَرَّاقُ فِيهِ كِتَاباً[٤]، نَحْوَ مِئَتَيْ وَرَقَةٍ في بُطْلَانِ هـذِهِ المَقَالَةِ.

***

(١) المعارف: ٣١٢. الجمل. ١١٦ ـ ١١٨.

(٢) الحجرات: ١.

(٣) الحجرات: ٢.

(٤) لم نقف عليه.

قوله ـ سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾[١].

إنَّها عَامَّةٌ في كُلِّ مَنْ أعْطَى، وصَدَّقَ. / ١٧٧/ فَحَمْلُهَا عَلَى التَّخْصِيصِ ـ بِلا دَلِيلٍ ـ اِقْتِرَاحٌ. لأنَّ قَائلَهُ، لَا يَجِدُ فَرْقاً بَينَهُ، وبَيْنَ مَنْ خَصَّصَها[٢] بِغَيْرِ مَنْ ذَكَرُوهُ[٣].

عَلَى أَنَّهُمْ رَوَوْا عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ[٤]، وأَنَسِ[٥] بنِ مَالِكٍ: أَنَّهَا نَزَلَتْ في أبي الدَّحْدَاحِ، وسَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ. وأنَّ أَبَا الدَّحدَاح هُوَ الَّذي ﴿صَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾[٦]، وَسَمُرَةَ هُوَ الَّذي ﴿بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾[٧]. وإذَا تَكَافَأَتِ الرِّوَايَتانِ، بَقِيَتِ الآيَةُ عَلَى عُمُومِهَا.

ثُمَّ إنَّ التَّفسِيرَ ـ في هذا كُلِّهِ[٨] ـ خِلَافُ مَا يَدَّعُونَهُ، لأنَّهُ أنْذَرَ جَمَاعَةَ المُسلِمينَ في قَوْلِهِ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى...﴾[٩] إلى قَوْلِهِ:

(١) الليل: ٥، ٦.

(٢) في (ح): خصَّها.

(٣) في (ح) إشارة إلى عبارة أخرى وهي: (بين من خصَّها به وبين مَنْ خصَّها بغيرِه).

(٤) أسباب النزول: ٢٩٩ ـ ٣٠٠. الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٨٧.

(٥) الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٨٧.

(٦) الليل: ٦.

(٧) الليل: ٨.

(٨) في (ك) و(ح): هذه كلها.

(٩) الليل: ١٤.

﴿...وَتَوَلَّى﴾[١]. ورَغَّبَهُمْ في الخَيْرَاتِ، قَوْلُهُ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقى الَّذِي يُؤْتِي مالَـهُ يَتزَكَّى﴾[٢].

***

قَـوْلُهُ ـ سُبْحَانَـهُ ـ : ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْـفَتْحِ وَقاتَلَ...﴾[٣].

لَيْسَ في الآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى فَضـلِهِ، لأنَّـهُ يَحتـاجُ أنْ يَثْبُـتَ لَـهُ الانفـاقُ، قَبـلَ الفَتْـحِ.

وذلِكَ غَيْرُ ثَابَتٍ. وَيَثْبُتَ القِتَالُ بَعدَهُ. ولَمْ يَثْبُتْ ذلِكَ أيضاً.

ثُمَّ إنَّ الآيَةَ، تَقْتَضِي الجَمْـعَ بَيْـنَهُمَا. عَـلِيٌّ[٤] هُـوَ الَّـذي جَمَـعَ بَيْـنَهُمَا. لَـيسَ يَجْتَمِعُ[٥] لِلْوَاحِدِ مِنْهُمَا الوَصْفَانِ. لأنَّ الأوَّلَ، لَوْ صَـحَّ لَـهُ إنفَـاقٌ، لَمـا صَـحَّ [لَـهُ جِهَادٌ. ولَوْ صَحَّ لِلثَّاني جِهادٌ، لَمَا صحَّ لَهُ إنْفَاقٌ.

ثُمَّ إنَّهُ لَوْ صَحَّ لِلأوَّلِ الإنفَاقُ، لَمَا صَحَّ][٦] عَلَى الإخلاصِ، مِثلَ مَا قَالَ في

---

(١) الليل: ١٦.

(٢) الليل: ١٧، ١٨.

(٣) الحديد: ١٠.

(٤) في (ك): وعليّ هذا هو. وفي (هـ) وعلى هذا فعليٌّ [عَلَيْهِ السَّلامُ] هو ـ.

(٥) في (أ): مجتمع. بالميم بدلاً من ياء المضارعة.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ح).

عَلِيٍّ(١): ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾(٢)، وقَوْلِهِ(٣): ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً﴾(٤).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾(٥).

يَجِبُ حَمْلُهَا عَلَى العُمُومِ. لأنَّ الحَمْلَ عَلَى الخُصُوصِ ـ بِلَا دَلِيلٍ ـ لَا يَجُوزُ.

عَلَى أنَّ المعنَيَّ بِهَا، يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ مِنْ أُوْلِي(٦) الفَضْلِ، وَأُوْلِي(٧) السَّعَةِ. وَهُمَا مُنْتَفِيَانِ عَنِ الأوَّلِ.

ثُمَّ إنَّهُ رُوِيَ أنَّها نَزَلَتْ لِسَبَبِ(٨) المَاءِ. ولَوْ صَحَّ ذلِكَ، لَكَانَ أقْرَبَ إلى المَنْقَصَةِ. لأنَّ النَّهيَ، لا يَكُونُ إلَّا عَنْ مَعصِيَةٍ، وَقَدْ ثَبَتَ أنَّهُ حَلَفَ(٩) عَلَى(١٠)

(١) أسباب النزول: ٢٩٦، ٥٨. الجامع لأحكام القرآن: ١٩: ١٣ ـ ١٣٤. نقلاً عن النقّاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسِّرين.

(٢) الإنسان: ٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٣٤٧.

(٤) البقرة: ٢٧٤.

(٥) النور: ٢٢.

(٦) في (ك): أول. وهو تحريف.

(٧) في (ك): أول. وهو تحريف.

(٨) في (ح): بسبب. مَعَ حرف الجرّ (الباء).

(٩) في (ك): خلف. بالخاء المعجمة.

(١٠) (على) ساقطة من (ك).

مَا أَدَّعُوهُ، ونَزَلَ القُرآنُ بِنَهْيِهِ عَمَّا فَعَلَ(١). ولَمْ يَثْبُتْ أنَّـهُ زَالَ عَنْـهُ، فَيَجِـبُ القَـوْلُ باسْتِحْقَاقِهِ الذَّمَّ إلى أنْ يَثْبُتَ(٢) زَوَالُهُ عَنْهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لِلْفُقَـراءِ الْـمُهاجِرِينَ الَّـذِينَ أُخْرِجُـوا مِـنْ دِيـارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ﴾(٣).

كَيْفَ يَكُونُ في الأوَّلِ، وإنَّهُ ـ عِنْدكُمْ ـ كَانَ مُوْسِرَاً؟

والأَلِفُ، واللَّامُ، يَقْتَضِيَانِ الاسْتِغْرَاقَ لِقَولِـهِ: ﴿يَبْتَغُـونَ فَضْـلاً مِـنَ اللهِ وَرِضْواناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٤).

فَوَصَفَ بِالصِّدْقِ مَنْ تَكَامَلَتْ لَهُ الشَّرَائـطُ. فَفِيهَـا(٥) مَـا هُـوَ مُشَـاهَدٌ(٦)، كالهِجْرَةِ، والإِخْرَاجِ مِنَ الدَّارِ، والأمْوَالِ. وفِيهَا مَا هُـوَ بَـاطِنٌ، لَا يَعلَمُـهُ إلَّا اللهُ ـ تعالى ـ: وَهْوَ اِبْتِغَاءُ الفَضْلِ، والرُّضْوَانِ مِـنَ اللهِ، ونُصْرَةُ(٧) اللهِ، ورَسُـولِهِ. لأنَّ

(١) التفسير الكبير: ٢٣: ١٨٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٢: ٢٠٧.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): ثبت. بصيغة الماضي.

(٣) الحشر: ٨.

(٤) الحشر: ٨.

(٥) (ففيها) تكررت في (ك).

(٦) في (ح): شاهد.

(٧) في (هـ): نصر. من دون التاء المدوَّرة المتحركة.

المُعتبَرَ ـ في ذلِكَ ـ بِالنِّيَّاتِ.

فَيَجِبُ أنْ تُثْبِتُوا[١] إجْمَاعَ هذِهِ الصِّفَاتِ في كُلِّ مَنْ هَاجَرَ، وأُخْرِجَ مِنْ دِيَارِهِ، وأمْوَالِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

إنَّما[٣] نَزَلَتْ في شَأنِ[٤] أمِيرِ المُؤْمِنينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لأنَّ في عَقِبِهَا: **﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ...﴾** الآيةُ[٥]. وإنَّ هٰذِهِ الأوصَافَ، كَانَ مُسْتَكْمَلاً لَهُ بِالإجْمَاعِ.

---

(١) في (ش) و(ح): يثبتوا. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) في (ش): إنّها.

(٤) تفسير القمّي علي بن إبراهيم: ١: ١٧٠. تفسير نور الثقلين: ١: ٦٤١. تفسير البغوي: ٢: ٤٧. شواهد التّنزيل: ١: ١٦١. فما بعدها. التفسير الكبير: ١٢: ٢٠. الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٢٢١.

(٥) المائدة: ٥٥.

وقَدْ صَحَّ مَحَبَّةُ اللهِ ـ تعالى ـ ورَسُوْلِهِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فِي خَبَرِ الطَّيْرِ(١)، وحَدِيْثِ خَيبَرَ(٢)، وقِصَّةِ الوَفَاةِ(٣). ولَمْ يَصُحَّ ذلِكَ لِغَيرِهِ(٤).

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وَمَعْلُومٌ حَالُهُ مَعَ المُؤمِنِينَ، والكَافِرِينَ، وَلَمْ يَسبِقْهُ أَحَدٌ مِنَ العَالَمِينَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ وَهْوَ مَنْفِيٌّ عَنهُمَا بِالإجماعِ، ولَا حِقٌّ بِعَلِيٍّ(٥) بِالاتِّفَاقِ.

وأمَّا(٦) دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ أَهْلُ الرِّدَّةِ، فَمَحَالٌ. لأنَّهُم كَانُوا يُظهِرُونَ الشَّهادَتَيْنِ، والتَّأذِينَ(٧)، والصَّلاةَ. كَمَا شَهَرَ فِي الصِّحَاحِ، والسُّنَنِ، وَهَذا لَيْسَ مِنْ حُكْمِ الارْتِدَادِ.

وَلَنَا أَنْ نَقُولَ ـ أيْضاً ـ: إِنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: أَنَّهُ

---

(١) في قوله (ص): «اللهم آتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير» فجاء عليٌّ (ع).

(٢) قوله (ص): «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحّبانه» فأعطاها علياً (ع).

(٣) قوله (ص) عند الوفاة: أُدعوا لي خليلي، فَدُعي بجماعة فأعرض عنهم حتّى جاء عليٌّ فاحتضنه وجَعَلَ يسارّه.

(٤) في (هـ): غيره. من دون حرف الجر (اللام).

(٥) في (هـ): به.

(٦) في (ح): فأمَّا. مَعَ الفاء.

(٧) في (ك): التأدين. بالدال المهملة.

قَـالَ(١) لِعَـلِيٍّ ـ عَلَيـهِ السَّـلامُ ـ : تُقَاتِـلُ ـ بَعْـدِي ـ النَّـاكِثِينَ ، والقَاسِـطِينَ ، والمَـارِقِينَ.

وهؤلاءِ ـ عِندَنَا ـ مُرْتَدُّونَ(٢). يَدُلُّكَ ـ وُضُوحاً ـ أنَّ أَمِيرَالمُؤمِنينَ ـ(٣) عَلَيْـهِ السَّلامُ ـ(٤) قَالَ ـ يَومَ البَصْرَةِ ـ:

واللهِ! مَا قُوتِلَ أهْلُ هذِهِ الآيَةِ حَتَّى اليَومِ. وتَلَا هذِهِ الآيَةَ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَمَّارٍ(٥)، وحُذَيْفَةَ(٦)، وابْنِ عَبَّاسٍ(٧)، وابْنِ مَسْعُودٍ(٨): أنَّهَا

(١) عيون أخبار الرضا: ٢: ٦١. باختلاف يسير في اللفظ. الخصال: ١: ١٤٥. مسند أبي يعلى الموصلي: ١: ٣٩٧. مسند الإمام زيد: ٣٦٥. دلائل الإمامة: ١٢١. الجمل: ٣٥. الإرشاد: ١٨٢. ذخائر العقبى: ١١٠. أنساب الأشراف (ط. المحمودي): ٢: ١٣٨، ٢٩٧. المستدرك على الصحيحين: ٣: ١٣٩. الدر المنثور: ٧: ٣٨٠. المناقب للخوارزمي: ١١٠. المغني في أبواب العدل والتوحيد: جـ ٢٠ ق ٢ (الإمامة): ٧٤. فردوس الأخبار: ٣: ١٥٩.

(٢) في (هـ): مرتدِّين. بالياء. والوجه ما أثبتناه.

(٣) الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٥٩ ـ ٦٠. أمالي الشيخ الطوسي: ١: ١٣١.

(٤) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٥) مجمع البيان: ٢: ٢٠٨. الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٦٢.

(٦) مجمع البيان: ٢: ٢٠٨. الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٦٢.

(٧) مجمع البيان: ٢: ٢٠٨. الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٦٣.

(٨) الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٦٣.

نَزَلَتْ فِي أَهْلِ البَصْرَةِ، وَمَنْ قَاتَلَ عَلِيّاً [ـ عَلَيْـهِ السَّـلامُ ـ][١] وَمِـنَ[٢] المَعْلُـومِ أَنَّ صَاحِبَكُمْ، لَيْسَ لَهُ قَتِيلٌ فِي الإِسْلَامِ. وقَدْ اِنْهَزَمَ عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِـرَاراً. بِلَا خِلَافٍ.



(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٢) في (أ): وَهو من المعلوم.

فصل [ـ ٢٢ ـ]

[في كون علي هو السابق إلى الإسلام وفي معنى الصحبة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْـمُقَرَّبُونَ﴾[1].

لَفْظَةُ السَّابِقِينَ / ١٧٨/ في الآيَةِ، مُطلَقٌ، غَيْرُ مُضَافٍ. ويَحْتَمِلُ ألَّا يَكُونَ مُضَافاً إلى ظَاهِرِ الإسْلَامِ. بَلْ يَكُونُ المُرَادُ بِهِ: السَّبْقَ إلى الخَيرَاتِ، ويَكُونُ قَولُهُ: ﴿الأَوَّلُونَ﴾[2] تأكِيدَاً لِمَعْنَى السَّبْقِ. كَمَا يَقُولُونَ: فُلَانٌ سَابِقٌ في الفَضلِ أوَّلُ[3] سَابِقٍ، كَقَولِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْـخَيْراتِ﴾[4].

ثُمَّ إنَّ طَلحَةَ، والزُّبَيرَ، كَانَا مِنَ السَّابِقِينَ. فَهَذا الرِّضَى، لَمْ يَمْنَعْهُما[5] مِنَ[6] الفِسْقِ، المُوجِبِ الخُلُودَ في النَّارِ ـ عِنْدَ المَعتَزِلَةِ ـ وَعِنْدَنَا مِنَ الكُفْرِ. فَكَيْفَ يُمْنَعُ

---

(١) الواقعة: ١٠، ١١.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) في (أ): الأوّل. مَعَ (أل).

(٤) فاطر: ٣٢.

(٥) في (أ): يمنعهم.

(٦) في (أ): أمِن.

الرَّجُلَانِ(١) [لو](٢) لَمْ تَكُنْ المَعصِيَةُ(٣)؟

وإذَا وَرَدَ في القُرآنِ مَدْحٌ لِجَمَاعَةٍ، وَوَرَدَ(٤) ذَمٌّ لأُخْرَى، ولَمْ يَكُـنْ في أحَـدِ(٥) الأمْرَيْنِ تَسْمِيَةٌ، ولَا تَصْرِيحٌ، فَالوَاجِبُ التَّوَقُّفُ(٦).

فَمِنَ الظَّوَاهِرِ الوَارِدَةِ بِالذَّمِّ، قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ...﴾ الآية(٧)، وقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾(٨)، وقَولُهُ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾(٩)، وقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾(١٠)، وقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾(١١)، وقَولُهُ: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾(١٢)، وقَوْلُهُ:

---

(١) في (ح): الرجلين.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٣) في (ك): العصبيَّة.

(٤) في (ك): وردت. من دون واو العطف وبتاء التأنيث الساكنة.

(٥) في (هـ): إحدى.

(٦) في (ك) و(ح): الوقف.

(٧) البقرة: ١٤، ٧٦.

(٨) آل عمران: ١١٩.

(٩) التوبة: ٧٤.

(١٠) التوبة: ٦١.

(١١) التوبة: ٥٨.

(١٢) التوبة: ٥٦.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[١]، وقَولُهُ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ﴾[٢]، وقَولُهُ: ﴿وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً...﴾[٣]، وقَولُهُ: ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسالى﴾[٤]، وقَولُهُ: ﴿وَما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ﴾[٥].

ثُمَّ إنَّ الآيَةَ، خَاصَّةٌ، غَيْرُ عَامَّةٍ، وقَدْ بيَّنَ خُصُوصَها[٦] بِقَولِهِ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ...﴾ الآية[٧].

وقَدْ أجمَعَ[٨] العُلَماءُ عَلَى أنَّ الإسلامَ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِ خَدِيجَةَ حَتَّى أَسْلَمَ كُلُّ مَنْ فِيهِ.

ثُمَّ إنَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ دَعَا غَيْرَهُمْ. وَهْوَ الصَّحِيحُ في المَعْقُولِ. لأنَّ المَرءَ، يَبْدَأُ بِأهْلِ بَيْتِهِ، قَبْلَ البُعَدَاءِ. وَمَنْ لَمْ يَقْوَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، كَانَ عَنْ غَيْرِهِمْ أضْعَفَ.

فَكَانَ لِعَلِيٍّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ثَلاثُ دَعَواتٍ: دَعْوَةُ أهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ دَعْوَةُ

---

(١) التوبة: ٢٥.

(٢) آل عمران: ١٥٣.

(٣) الجمعة: ١١.

(٤) التوبة: ٥٤.

(٥) التوبة: ٥٤.

(٦) في (أ): خصوها. وهو تحريف.

(٧) الأحزاب: ٢٣.

(٨) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): اجتمع.

العَشِيرَةِ(١)، قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(٢). ثُمَّ دَعْوَةُ العَامَّةِ. وَصَاحِبُكُمْ إِنَّما كَانَ فِي الدَّعوَةِ العَامَّةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾(٣).

قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ إِنَّما أَسْلَمَ بَعْدَ عَلِيٍّ، وَخَدِيجَةَ، وجَعْفَرٍ، وزَيدٍ، وأبي ذَرٍّ، وعَمرِو بنِ عَبسَةَ، وخَالِدِ بنِ سَعِيدٍ. إلى تَمَامِ خَمسِينَ رَجُلاً.

ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ(٤) بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَعَدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ.

فَهذِهِ الآيَةُ تَلِيقُ بِهِمْ.

ثُمَّ الصَّوَابُ: أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ مُصَدِّقٍ تَقدِيمٌ، لِقَولِهِ: ﴿أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٥).

ثُمَّ إِنَّ المُفَسِّرِينَ(٦)، اِخْتَلَفُوا:

---

(١) في (ك): العشرة. وفي (أ): الشعيرة.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) الزمر: ٣٣.

(٤) تاريخ الطبري: ٢: ٣١٦.

(٥) الزمر: ٣٣.

(٦) الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٨٣ ـ ٨٥. كفاية الطالب: ٢٣٣. الدر المنثور: ٧: ٢٢٨. في المناقب لابن المغازلي: ٢٦٩ ـ ٢٧٠. عن مجاهد «والذي جاء بالصدق وصدّق به» قال: جاء به محمد (ص) وصدّق به عليّ بن أبي طالب.

فَقَالُوا: المُرَادُ بِهِ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ.

وقَالُوا: هُوَ عَلِيٌّ بنُ أبي طَالِبٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿بَراءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[1].

أجمَعَ المُفَسِّرُونَ[2]، ونَقَلَةُ الأخْبَارِ[3] أنَّهُ لَمَّا نَزَلَ ﴿بَراءَةٌ﴾، دَفَعَها النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلى الأوَّلِ، لِيُبلِّغَها، ثُمَّ أخَذَها، وَدَفَعَها إلى عَلِيٍّ، فَبَلَّغَها.

فَمَنْ لَمْ يُؤَدِّ عَنْهُ في حَيَاتِهِ عَشْرَ آيَاتٍ، كَيْفَ يُؤَدِّي عَنْهُ ـ بَعْدَ مَوْتِهِ ـ الشَّرِيعَةَ كُلَّها؟

وقَدْ عَزَلَهُ رَسُولُ الله ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْ أدائها، وَعَنِ الرَّايَةِ يَومَ خَيْبَرَ، وعَنْ سُكْنَى المَسجِدِ، وَعَنِ الجَيشِ، الَّذي نَزَلَ[4] فيهِ سُوْرَةُ

---

(١) التوبة: ١.

(٢) انظر ـ مثلاً ـ: جامع البيان: ١٠: ٦١ ـ ٦٢. أيضاً: تفسير العيّاشي: ٢: ٧٣ ـ ٧٤. تفسير القمي (علي بن إبراهيم): ١: ٢٨٢. الدر المنثور: ٤: ١٢٤. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٦٧. فما بعدها.

(٣) فضائل الصحابة: ٢: ٦٤٠ ـ ٦٤١، ٦٨٤، ٧٠٤. مسند أحمد: ١: ٣، ١٥٥/ ٢: ٢٩٩/ ٣: ٢١٢، ٢٨٣. المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٦٤. الطبقات الكبرى: ٢: ١٦٨. أنساب الأشراف (ط. المحمودي) ٢: ١٠٧، ١٥٥. سيرة ابن هشام: ٤: ٢٠٣. كفاية الطالب: ٢٥٤ ـ ٢٥٥. فرائد السمطين: ٤٩ ـ ٥٠.

(٤) في (ح): نزلت. مع تاء التأنيث الساكنة.

﴿وَالْعادِياتِ...﴾[١]، وَعَنِ الصَّلَاةِ يَوْمَ تَقَدَّمَ بِأَمْرِ بِلَالٍ عَنْ عائشَةَ، فَصَارَ مَنسُوخاً.

فَقَد ثَبَتَ لِعَلِيٍّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في هذا المَقامِ ـ سِتُّ خِصَالٍ، وثَبَتَ عَلَيهِ[٢] سِتُّ خِصَالٍ:

فَعَلِيٌّ، هُوَ النَّاسِخُ. وَهْوَ المَنْسُوخُ.

وعَلِيٌّ، العَازِلُ. وَهْوَ المَعزُولُ.

وعَلِيٌّ، المُثبِتُ لِلْحَقِّ. وَهْوَ النَّافِي لَهُ.

وَعَلِيٌّ، المُؤَدِّي عَنِ[٣] النَّبِيِّ: حُكْماً، وَخَبَراً. وَهْوَ الَّذي لا يَصْلُحُ أَنْ يُؤَدِّي عَنْهُ.

وَعَلِيٌّ، المُنَزَّهُ عَنْ مَوْقِفِ الجَهْلِ بِالمَوْسِمِ[٤]، وَالوقُوفِ[٥] بِالمُزْدَلَفَةِ، وَمَنْ حَجَّ في ذِي الحِجَّةِ، وَخَتَمَ بِهِ حَجَّ[٦] الجاهِلِيَّةِ. وَهْوَ غَيْرُ ذلِكَ.

---

(١) السورة بالرقم (١٠٠) من القرآن الكريم.

(٢) في (ش): له. وهو سهوٌ من الناسخ.

(٣) في (أ): على.

(٤) في (أ): السموم. وهو تحريف.

(٥) في (ك): الموقوف.

(٦) في (أ): الحج. مع (أل).

وَعَلِيٌّ، مِنَ النَّبِيِّ. وَهُوَ لَيْسَ مِنْهُ. فَمَنْ نَفَاهُ اللهُ عَنْ مُحَمَّدٍ في وَحْيِهِ: أَنَّهُ لا يُؤَدِّي إلّا أَنْتَ أوْ رَجُلٌ مِنكَ(١). لا يَصْلُحُ لِلإمَامَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ...﴾ الآية(٢).

فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنِ العَدَدِ، وَمَا في ذلِكَ مِنْ فَضْلٍ. لأَنَّنَا نَعْلَمُ ـ ضَرُورَةً ـ أنَّ نَبِيّاً، وَذِمِّيّاً [أَوْ مُؤْمِناً وَمُؤْمِناً](٣)، أو مُؤْمِناً وَكَافِراً، اثْنَانِ(٤).

عَلَى أنَّ القَائِلَ إذَا(٥) قَالَ: فُلانٌ ثَانِي فُلانٍ(٦). مُطْلَقاً(٧) يُفِيدُ تَقَارُبَ المَنْزِلَةِ. وَفِي الآيَةِ أَنَّهُ ثَانِيهِ(٨) في المَكَانِ / ١٧٩/ فَلا يُفِيدُ إلّا العَدَدَ.

---

(١) فضائل الصحابة: ٢: ٥٩٤، ٥٩٩، ٧٠٤. المسترشد في إمام علي بن أبي طالب ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ٥٦، ٦٠، ٦٤. سيرة ابن هشام: ٤: ٣٠٢. أنساب الأشراف (ط المحمودي): ٢: ١٠٧، ١٥٥. الدر المنثور: ٤: ١٢٢. المناقب للخوارزمي: ١٠١. كفاية الطالب: ٢٥٤ ـ ٢٥٥. فرائد السمطين: ٤٧، ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) في (هـ): اثنتان.

(٥) في (هـ): إذْ.

(٦) (ثاني فلان) مكررة في (ك). وفي (ح): انَّهُ ثانٍ في المكان.

(٧) في (هـ): مطلق. من دون تنوين النصب.

(٨) في (ك): ثاني. من دون إضافة إلى الضمير (الهاء).

وأمّا[1] قَوْلُهُ: ﴿إِذْ هُما فِي الْغارِ﴾[2] فاجْتِماعُهُما في المَكانِ، كَالأوَّل. لأنَّ المَكانَ، يَجْمَعُ المُؤمِنَ، والكافِرَ. ومَكَّةُ، والمَدِينَةُ ـ أَشْرَفُ البِقاعِ ـ وقَدْ جَمَعا المُؤمِنينَ، والمُنافِقِينَ، والكافِرينَ.

وَأمّا قَوْلُهُ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ﴾[3] فَاسْمُ[4] الصُّحْبَةِ، يَجْمَعُ المُؤْمِنَ وَالكَافِرَ. دَلِيلُهُ: ﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لكِنّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾[5]. وَقَالَ للكُفّارِ[6]: ﴿وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[7].

أضَافَ النَّبِيَّ[8] إِلَيْهِمْ بِالصُّحْبَةِ[9]. والمُضَافُ إليهِ، أقْوَى حَالاً مِنَ المُضَافِ.

وقَالَ ـ حاكِياً عَنْ يُوسُفَ ـ: ﴿يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ

---

(١) في (ح): فأمّا. مع الفاء.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) التوبة: ٤٠.

(٤) العبارة: (فاسم... صاحبه) ساقطة من (أ).

(٥) الكهف: ٣٧، ٣٨.

(٦) في (أ): الكفار. من دون حرف الجر (اللام).

(٧) التكوير: ٢٢.

(٨) في (أ): للنبي. مَعَ حرف الجر (اللام).

(٩) في (أ): بالصّحة. بسقوط (الباء) بين الحاء والتاء. وهو تحريف.

خَمْراً﴾(١). وَمَعْلُومٌ أَنَّهُما كَانَا كَافِرَيْنِ.

ثُمَّ إنَّ اِسْمَ الصُّحْبَةِ، يَكُونُ عَلَى الحَيَـوانِ، والجَمادِ، ويَقَـعُ بَـيْنَ الإِنسَـانِ، والوَحْشِ.

وقَولُهُ: ﴿لا تَحْـزَنَ﴾(٢). فَهْـوَ نَهْـيٌ. والنَّهْـيُ، لَا يَكُـونُ ـ في الحَقيقَـةِ ـ إِلَّا لِلزَّجْرِ القَبِيحِ. ولَا سَبِيلَ إلى صَرْفِهِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ.

ثُمَّ إنَّ حُزْنَهُ إمَّا أنْ يَكُونَ طَاعَةً، أوْ مَعْصِيَةً(٣). فَإنْ كَانَ طَاعَةً، فَإِنَّ النَّبِـيَّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ(٤) لَا يَنْهَى عَنِ الطَّاعَاتِ، بَلْ يَأْمُرُ بِهَا. وَإِنْ كَانَ مَعْصِيَةً، فَقَـدْ نَهَـاهُ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْها. وَقَدْ شَهِدَتِ الآيَةُ بِذلِكَ.

وقَولُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنا﴾(٥). فَإِنَّ النَّبِـيَّ ـ عَلَيْـهِ السَّـلامُ ـ أَخْـبَرَ أَنَّ اللهَ مَعَـهُ، وعَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِلَفْظِ الجَمْعِ، كَقَولِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٦).

وقِيلَ: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنا﴾ . أي: يَرَانَا. لأَنَّ اللهَ، مَعَ الـبَرِّ، والفَـاجِرِ، والمُـؤمِنِ، والكَافِرِ. قَولُهُ: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْـوى ثَلاثَـةٍ إِلاَّ هُـوَ رابِعُهُـمْ وَلا خَمْسَـةٍ إِلاَّ هُـوَ

---

(١) يوسف: ٤١.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) في (أ): بعصيه. بالباء الموحدة من تحت بدلاً من الميم.

(٤) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٥) التوبة: ٤٠.

(٦) الحجر: ٩.

سادِسُهُمْ...﴾ الآية[١].

وقَولُهُ[٢]: ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾[٣]. إنَّما نَزَلَتِ السَّكِينَةُ عَلى النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٤] لأنَّ الضَّمائرَ ـ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ـ تَعُودُ إلى النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِلَا خِلَافٍ[٥].

قَولُهُ: ﴿إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ... لِصاحِبِهِ﴾[٦].

وكذلِكَ ـ فِيما بَعْدَهُ ـ قَوْلُهُ: ﴿سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ...﴾[٧].

فَكَيْفَ[٨] يَتَخَلَّلُهُما ضَمِيرٌ عَائدٌ إلى غيْرِهِ؟ وَكَيْفَ يُنْزِلُ[٩] جُنُوْدَ[١٠] المَلائكةِ عَلَى الأوَّلِ، وَفي هذا إخْرَاجُ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنَ النُّبُوَّةِ؟

---

(١) المجادلة: ٧.

(٢) في (أ): وقوله سبحانه.

(٣) التوبة: ٤٠.

(٤) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ح).

(٥) في (أ): خاف. وهو تحريف.

(٦) التوبة: ٤٠.

(٧) التوبة: ٤٠.

(٨) في (أ): وكيف. مع الواو.

(٩) في (ح): تنزل. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(١٠) في (هـ): بجنود. مع حرف الجر (الباء).

ثُمَّ إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ قَالَ ـ في يَوْمِ حُنَيْنٍ ـ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). يَعْنِي: تِسْعَةَ(٢) نَفَرٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ.

وقَالَ ـ في لَيلَةِ الغَارِ ـ: ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ (٣). لأنَّهُ لَمْ يَرَهُ مَوْضِعاً لِتَنْزِيْلِهَا مَعَهُ(٤).



(١) التوبة: ٢٦.

(٢) في (أ): لتسعة. مع حرف الجر (اللام).

(٣) التوبة: ٤٠.

(٤) في (أ): فيه.

فصل [ـ ٢٣ ـ]

[في إثبات العصمة لعَلِيٍّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ونفيها عن غيره]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ لإبْرَاهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾(١).

والشِّرْكُ، أكْبَرُ الظُّلْمِ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

فَقَالَ(٣) إِبْرَاهِيمُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنامَ﴾(٤).

وَتَبَرَّأَ مِمَّنْ لَا يَقْتَدِي بِهِ، فَقَالَ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٥).

فَقَدْ حَتَمَ اللهُ ـ تعالى ـ أَنَّ مَنْ عَبَدَ الأَصْنَامَ، لَا يَصْلُحُ للإِمَامَةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) في (أ): وَقالَ. مَعَ الواو.

(٤) إبراهيم: ٣٥.

(٥) إبراهيم: ٣٦.

العَرَبَ، كَانُوا عُبَّادَ[١] الأَصْنَامِ إِلَّا المَعْصُومِينَ[٢].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾[٣].

قَدْ ثَبَتَ ـ بِمُقْتَضَى العَقْلِ ـ عِصْمَةُ الإِمَامِ، وأَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا يَخْتَارَ فِعلاً قَبِيحاً.

وقَدْ حَصَلَ الإِجْمَاعُ عَلَى [أَنَّ][٤] الجَمَاعَةَ، لَمْ[٥] يَكُونوا[٦] مَقْطُوعِينَ[٧] عَلَى عِصْمَتِهِمْ. فَكَيْفَ يَكُونُونَ أَئِمَّةً، مَعَ عَدَمِ الصِّفَةِ الوَاجِبَةِ في الإِمَامِ؟

ثُمَّ إِنَّ كُلَّ مَنْ أَوْجَبَ ـ مِنَ الأُمَّةِ ـ عِصْمَةَ الإِمَامِ، قَطَعَ عَلَى أَنَّهُ لَا حَظَّ لَهُمْ في الإِمَامَة.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَدْ نَصَّ ـ بالإِمَامَةِ ـ عَلَى عَلِيٍّ. ومَعَ[٨] ثُبُوتِ ذلِكَ، لَا إِمَامَةَ لِغَيْرِه.

---

(١) في (ح): عبّاداً للأصنام.

(٢) في النسخ جميعها: إلّا المعصومون. بالرفع. والوجه النَّصب.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(هـ) و(أ) و(ح).

(٥) في (ح): أنّهم لم...

(٦) في (ك): تكونوا. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٧) في (ح): مقطوعاً.

(٨) في (ك): مِن. بدلاً من (مَعَ). وهو تحريف.

وَقَامَتِ الدَّلَالَةُ ـ أيضاً ـ عَلَى أنَّ الإمَامَ، يَجِبُ أنْ يَكُونَ مُحِيطاً بِعُلُومِ الدِّينِ: دَقِيقِهِ، وجَلِيلِهِ. ومَعْلُومٌ أنَّهُمْ كَانُوا يَقِفُونَ[1] في أشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنَ الدِّينِ، ويَرْجِعُونَ فِيهَا إلى غَيْرِهِمْ[2].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ الآيَة[3].

أخْطَأَ مَنْ قَالَ: إنَّهَا نَزَلَتْ في الثَّاني، لَمَّا أسْلَمَ. لأنَّ كَمَالَ الدِّينِ في كَمَالِ الشَّرِيْعَةِ. وذلِكَ إنَّما يَكُونُ بَعْدَ نُزُولِ القُرْآنِ، وتَقْرِيرِ العِبَادَاتِ.

وكَانَ إسْلَامُهُ في مُبْتَدَإ الأمْرِ. ولَمْ يُؤمَرْ[4] بِالصَّلَاةِ أرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ولَا الأذَانِ إلَّا في المَدِيْنَةِ. والجُمُعَةُ كَانَتْ في قُبَاءَ، والجِهَادُ، بَعْدَ سَبْعَةِ أشْهُرٍ مِنَ الهِجْرَةِ، والصَّوْمُ بَعْدَ سَنَتَينِ[5] مِنْها.

والقُرْآنُ قَدْ نَزَلَ في عِشْرِينَ سَنَةً، فَصَحَّ مَقَالُنَا: إنَّها نَزَلَتْ في أمِيرِالمُؤمِنينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في حِجَّةِ الوَدَاعِ[6].

***

(١) في (أ): يفقهون.

(٢) في (أ): غيرهم هم.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) في (أ): يؤمن. بالنون، وهو تحريف.

(٥) في (ك) و(أ): سنين.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٦١.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [١].

دَالٌّ[٢] عَلَى أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ جَامِعٌ لِلْقُرْآنِ.

وقَالَ / ١٨٠/ ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٣]. وأوَّلُ مُحَافَظَتِهِ أنْ يَكُونَ مَجْمُوعاً مِنْهُ ـ تعالى ـ.

وقَالَ: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ...﴾ [٤]. ولَفْظُ[٥] «الكِتَابِ»، و«القُرْآنِ» يَدُلَّانِ عَلَى كَوْنِهِ مَجْمُوعاً مِنْهُ ـ تعالى ـ. يُقَالُ: كَتَبْتُ الكَتِيبَةَ. وَكَتَبْتُ البَغْلَةَ[٦]. وكَتَبْتُ الكِتَابَ، وقَرَأْتُ[٧] المَاءَ في الحَوضِ. وقُرَى النَّملِ. وأُمُّ القُرَى. والقَرْيَةُ.

وقَدْ ثَبَتَ أنَّ النَّبِيَّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَرَأَ القُرْآنَ، وحَصَرَهُ، وأمَرَ بِكَتْبِهِ عَلَى هذا الوَجْهِ. وكَانَ يَقْرَأُ[٨] ـ كُلَّ سَنَةٍ ـ عَلَى جَبْرَائيلَ مَرَّةً إلَّا السَّنَةَ الّتي قُبِضَ فِيها،

(١) القيامة: ١٧.

(٢) في (ح): دَلَّ.

(٣) الحجر: ٩.

(٤) الدخان: ١ ـ٣.

(٥) في (هـ): لفظة.

(٦) في (أ): القبلة. وهو تحريف.

(٧) في (ح): قريت.

(٨) في (ح): وكان كلَّ سنة يقرأه.

فَإِنَّهُ قَرَأَ(١) عَلَيهِ مَرَّتَيْنِ. وَأَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ، خَتَمُوا عَلَيهِ القُـرْآنَ، مِـنْهُمْ: أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ. وَقَدْ خَتَمَ عَلَيهِ اِبنُ مَسْعُودٍ عَشْرَ خَتَماتٍ. وأَنَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَضَّلَ(٢) كُلَّ سُوْرَةٍ، وذَكَر فَضْلَ قَارِئها.

ولَوْ لَمْ يَكُنْ مجمُوعاً، لَما صَحَّ هذا كُلُّهُ.

ثُمَّ إنَّ البُخَارِيَّ(٣) رَوَى عَـنْ أَنَـسٍ: لَمْ يَحْفَـظِ(٤) القُـرْآنَ مِـنَ الصَّـحَابَةِ إلَّا أَرْبعَةٌ. كُلُّهمْ مِنَ الأنْصَارِ: أُبَيٌّ، ومَعَاذٌ، وَزَيـدٌ، وأَبـو زَيـدٍ. ولَمْ يَـذْكُرِ الثَّالِـثَ(٥). فَكَيْفَ يَجْمَعُ مَنْ لَمْ يَحْفظ؟

وَقِيلَ للحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ ـ عليهما السلام ـ: إنَّ فُلَاناً زَادَ في القُرآنِ، ونَقَصَ(٦) مِنْهُ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: أُؤْمِنُ بِمَا نَقَصَ، واكفُرُ بِما زَادَ!

والصَّحِيحُ: أنَّ كُلَّ مَا يُرْوَى في المُصـحَفِ مِـنَ الزِّيَـادَةِ، إنَّـما هُـوَ تَأوِيـلٌ. والتَّنْزِيلُ بِحَالِهِ مَا نَقَصَ مِنْهُ، وَمَا زَادَ.

***

(١) في (ح): قرأه.

(٢) في (أ): فصل. بالصاد المهملة. وهو تصحيف.

(٣) صحيح البخاري: ٢: ١٩٣/ ٣: ١٥١. (ط. الميمنيَّة).

(٤) في (ك): يحفض. بالضاد المعجمة.

(٥) يعني به عثمان بن عفّان.

(٦) في (أ): يقصّ. بياء مثناة من تحت. وهو تصحيف.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً...﴾ (١).

قَالَ الكَلْبِيّ(٢): نَزَلَ في عَبْدِالرَّحمنِ بنِ عَوْفٍ، وعُثمانَ بنِ عَفَّانَ. فَإنَّ عَبْدَالرَّحمنِ، جَاءَ إلى النَّبِيِّ بِأرْبَعَةِ آلَافٍ صَدَقَةً، وجَاءَ عُثمانُ بِأرْبَعمائةٍ مِنَ الإبِلِ، بِأقْتَابِهَا(٣)، وأحْلَاسِهَا(٤).

أمَّا الكَلبِيُّ، فَهْوَ كَذَّابٌ عِنْدَ أهْلِ العِلمِ(٥). والآيةُ، عَامَّةٌ. والتَّخْصِيصُ، يَحْتَاجُ إلى دَلِيلٍ. وَجَيشُ العُسْرَةِ، كَانُوا نَيِّفاً، وثَلَاثِينَ الْفَ رَجُلٍ. فَكَيفَ يُجَهِّزُ بِأرْبَعْمائةِ بَعِيرٍ.

ولَوْ كَانَ هذا صَحِيحاً، لَكَانَ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَدْ جَهَّزَ البَكَّائين بِهَا، ولَمْ يَنْصَرِفُوا خَائبِينَ مِنَ الجِهَادِ، قَوْلُهُ(٦): ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ

---

(١) البقرة: ٢٦٢.

(٢) أسباب النزول: ٥٥. تفسير البغوي: ١: ٢٤٩.

(٣) الأقتاب: جمع (قتَب): الرحل الصغير على قدر سنام البعير. (المعجم الوسيط ـ قتَب).

(٤) الأحلاس: جمع (حِلسٍ): كلُّ ماولي ظهر الدابّة تحت الرَّحل والقتب والسَّرج. (المعجم الوسيط ـ حلس).

(٥) قال عنه أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين: ٢١١: محمد بن السَّائب أبو النَّضر الكلبي: متروك الحديث.

(٦) في (أ): قوله سبحانه.

قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ﴾ (١).

ثُمَّ إِنَّ الآيَةَ، مَشْرُوطَةٌ بِزَوَالِ المَنِّ، والأذَى. وقَدْ نَزَلَ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (٢).

عَلَى أَنَّهُ قَدْ رُوِيَ (٣) أَنَّهُ أَنْفَقَ (٤) العَبَّاسُ، وطَلحَةُ، والزُّبَيرُ في جَيشِ العُسْرَةِ.

فَالآيَةُ، تَكُونُ (٥) قَدْ نَزَلتْ في جَماعَةٍ كَثِيرَةٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ (٦).

وقَوْلُهُ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ (٧).

وقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾ الآيات (٨).

---

(١) التوبة: ٩٢.

(٢) الحجرات: ١٧.

(٣) السيرة النبويَّة لابن هشام: ق ٢: ٥١٨. تاريخ الطبري: ٣: ١٠٢.

(٤) في (أ): أَنَّهُ ما أنفق.

(٥) في (أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) التوبة: ١٢.

(٧) المائدة: ٥٤.

(٨) الحجرات: ٩. وما بعدها.

البَاغِي: مَنْ خَرَجَ عَلَى الإمَامِ. فَافترَضَ قِتَالَ أَهْلِ البَغْيِ، كَمَا افترَضَ قِتَالَ المُشرِكِينَ.

أَمَّا [إطلَاقُ][(1)] اِسْم[(2)] الإيْمانِ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[(3)].

وقِيلَ لِزَيْنِ العَابِدِينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: إنَّ جَدَّكَ، كَانَ يَقُول: إخوانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا.

فَقَالَ[(4)] عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أمَا تَقْرَأُ كِتَابَ الله: ﴿وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً﴾[(5)]؟ فَهُمْ[(6)] مِثْلُهُ، أنْجَاهُ اللهُ، والَّذِينَ[(7)] مَعَهُ، وأهْلَكَ عَاداً بِالرِّيحِ العَقِيمِ.

وقَالَ رَجُلٌ لأَمِيرِالمُؤمنين ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: هؤلاءِ الَّذينَ نُقَاتِلُهُمْ، بِمَ نُسَمِّيهِمْ؟

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في (أ): التم. وهو تحريف.

(٣) النساء: ١٣٦.

(٤) مسند الإمام زيد: ٣٦٥ ـ ٣٦٦. منسوباً إلى الإمام علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلامُ). الاحتجاج: ٢: ٤٠. منسوباً إلى علي بن الحسين (عَلَيْهِ السَّلامُ) زين العابدين. الإفصاح: ٥٩. قوله: «إخواننا بغوا علينا» منسوب إلى أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلامُ).

(٥) الأعراف: ٦٥. هود: ٥٠.

(٦) في (ش): وهم. مَعَ الواو.

(٧) في (ح): والذين آمنوا معه.

قَالَ(١): سَمِّهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾(٢) إلى قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾(٣). فَلَمَّا وَقَعَ الخِلَافُ، كُنَّا نَحْنُ أَوْلَى بِاللهِ، وبالنَّبِيِّ، وبِالكِتَابِ، وبِالحَقِّ(٤).

وفي صَحِيحَيْ البُخَارِيِّ(٥)، ومُسْلِمٍ(٦)، ومُسْنَدَيْ أحمَدَ(٧)، والمَوصِلِيِّ(٨)، وتَفسِيرَي الثَّعلَبِيِّ(٩)، والثُّمَالِيِّ، وإحيَاءِ(١٠) الغَزَالِيِّ، وَفِردَوسِ(١١) الدَّيلَمِيِّ عَنْ حُذَيفَةَ، وابْنِ مَسْعُودٍ، والخُدَرِيِّ، وسَهْلِ بنِ حَنِيفٍ، وأَنَسٍ، وأبي هُرَيرَةَ، وابنِ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يُؤخَذُ بِنَاسٍ مِنْ أصحَابِي ذَاتَ

---

(١) (قال) ساقطة من (أ).

(٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) البقرة: ٢٥٣.

(٤) الإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب - عَلَيْهِ السَّلامُ -: ٥٩. باختلاف اللفظ. أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٠٠ - ٢٠١. بلفظه.

(٥) صحيح البخاري: ٨: ١٤٨، ٤٩، ١٥٠. باختلاف يسير في الروايات.

(٦) صحيح مسلم: ٧: ٦٦، ٦٨، ٧١. باختلاف يسير.

(٧) مسند أحمد: ٣: ٣٥١.

(٨) مسند أبي يعلى: ٧: ٣٤.

(٩) تفسير الثعلبي من الكتب التي ما زالت مخطوطة لم تصل أيدينا إلى أحد نسخه.

(١٠) إحياء علوم الدّين: ١: ٣١٩.

(١١) فردوس الأخبار ٣: ٤٩٢. وقد ورد فيه أيضاً: ٥: ٩٧. قول النبيّ (ص) عن أبي هريرة: والذي نفسي بيده لأذُودَنَّ رجالاً من أصحابي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض.

الشِّمَالِ[١]. فَأَقُولُ: يا رَبِّ أصحَابي! أصحَابي! فيُقَالُ: إنَّكَ لَا تَـدْرِي مَـا أحْـدثُوا بَعْدَكَ.

وفي رِوَايةٍ: إنَّهُم اِرتَدُّوا القَهقَرَى. فَأَقُولُ: سُحْقَاً، وبُعداً.



(١) العبارة «الشمال... يا رب» ساقطة من (أ).

فصل [ـ ٢٤ ـ]

[في كون الإمامة ليست دعوى أو وراثة بل هي نصٌّ]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾(١)، وقَولُهُ: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾(٢).

نَهْيٌ مُطلَقٌ عَنْ اِتِّبَاعِ مَنْ لَا حَقَّ مَعَهُ. وفي هذا بُطلَانُ مُدَّعِي الإمَامَةِ بالدَّعوَةِ، [لأنَّ الإمَامَةَ بالدَّعوَةِ](٣)، مَوْقُوفَةٌ عَلَى مُجَرَّدِ الدَّعوَى.

والقَائِلُ ـ بِذلِكَ ـ لَا يَسْنُدُهُ إلى دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ، ولَا سَمْعِيٍّ. وَلَا شُبْهَةَ في فَسَادِ مَا لَا دَلِيلَ عَلَيهِ.

ثُمَّ إنَّهُ يُمكِنُ دَعوَى جَمَاعَةٍ مِنْ أوْلَادِ فَاطِمَةَ، تَتَكامَلُ لَهُمُ الصِّفَاتُ، المَذكُورَةُ مِنَ العِلْمِ، والشَّجَاعَةِ، والسَّخَاوَةِ، والخُرُوجِ في وَقْتٍ واحِدٍ.

فَيَجِبُ القَولُ بِإمَامَةِ الكُلِّ، أوِ إطِّرَاحُ دَعوَى الكُلِّ، أوِ القَوْلُ بِإمَامَةِ

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) المائدة: ٧٧.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

مُدَّعِي مَعَ عَدَمِ الدِّلَالَةِ، المُمَيِّزَةِ لَهُ مِنْ غَيرِهِ.

وَكُلُّ ذلِكَ بَاطِلٌ. ويَقتَضِي اِعتِقَادَ كُلِّ إقلِيمِ صِحَّةَ إمَامَةِ مَنْ يَلِيهِمْ دُونَ مَنْ عَدَاهُ. وهْوَ بَاطِلٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا﴾[1].

والإجمَاعُ: أنَّ العَبَّاسَ، لَمْ يَكُنْ مُهَاجِراً، وإنَّما أسَرُوهُ يَوْمَ بَدْرٍ، ونَزَلَ[2] فِيهِ: ﴿فَشُدُّوا الْـوَثاقَ﴾[3]. فَخَرجَ العَبَّاسُ مِنَ الإمَامَةِ بِهذِهِ الآيَةِ.

ثُمَّ إنَّ الإمَامَةَ[4] بِالمِيرَاثِ[5]، حَادِثٌ بَعْدَ اِنْقِرَاضِ مِنَ الصَّحَابَةِ، والتَّابِعيْنَ. وأزْمَانُ[6] بَعْدِهِمَا، خَالِيَةٌ مِنْهُ. ومَا هذِهِ حَالُهُ، ظَهَرَ بُطلَانُهُ.

ثُمَّ إنَّ المِيرَاثَ عَرِيَ مِنْ حُجَّةٍ ـ عَلَى[7] كَونِهِ طَرِيقاً إلى الإمَامَـةِ ـ عَقلِيَّـةٍ[8]،

---

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) في (ك): نزول.

(٣) محمَّد: ٤.

(٤) في (هـ): الإمام.

(٥) في (أ): بالمتراث. بالتاء المثنَّاة من فوق.

(٦) في (ك): وان مات. وهو تحريف. وفي (ح): وَمَنْ مات.

(٧) تكررت (على) في (ك).

(٨) في (أ): عقيلة. بياء قبل اللام.

ولا سَمعيَّةٍ(١). والمِيرَاثُ يَقتَضِي اِشْتِرَاكَ العُلَمَاءِ، والجُهَّالِ، والعُقَـلاءِ، الأَطفَـالِ، والنِّسَاءِ، والرِّجَالِ(٢)، والعُدُولِ والفُسَّاقِ، كاشْتِرَاكِهِمْ في الإِرْثِ.

ثُمَّ إنَّ العَبَّاسَ مَا اِدَّعَى ذلِكَ في حَيَاتِهِ، ولا ادُّعِيَ لَهُ، بَلْ كَانَ يَدْعُو إلى عَلِيٍّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ويَقُولُ(٣): اُمْدُدْ يَدَكَ، أُبايِعْكَ. وإنَّما أَبْدَعَ ذلِكَ الجـاحِظُ(٤) تَقَرُّبـاً إلى المَنصُورِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(٥).

اِتَّفَقَ أهْلُ العَدْلِ [عَلَى](٦) أَنَّهُ يَجُوزُ لله ـ تعالى ـ أنْ يُعَذِّبَ، وَإنْ(٧) لَمْ يَبْعَـثْ رَسُولاً، بِأَلَّا يَقتَضِيَ(٨) المَصْلَحَةُ بِعْثَتَهُ، ويَقتَصِرَ(٩) لَهُمْ في التَّكلِيفِ العَقْـلِيِّ. فَـإنَّهم

(١) في (أ): سمعته. بالتاء المثناة من فوق.

(٢) في (أ): الرجل.

(٣) النِّزاع والتَّخاصم فيما بين بني أُميَّة وبني هاشم: ٧٧. إثبات الوصيَّة: ١١٧. الجمل: ٥٧. دلائـل النبوّة للبيهقي: ٧: ٢٢٥. المغني في العدل والتوحيد: ق ١ حـ٢. ج٢٠. (الإمامة): ٢٨٣.

(٤) تثبيت دلائل النبوَّة: ١: ٢٦٣.

(٥) الإسراء: ١٥.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ط).

(٧) في (ك) و(ح): فَإنْ. مَعَ الفاء.

(٨) في (ح): تقتضي. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٩) في (أ): يقتص.

مَتَى عَصَوا، كَانَ لَهُ أنْ يُعَذِّبَهُم.

ولَيْسَ في الآيَةِ أَنَّهُ لَوْ[١] لَمْ يَبْعَثْ رَسُولاً، لَمْ يَجُزْ مِنْهُ أنْ يُعَاقِبَ إذَا ارْتَكَبَ القَبَائحَ العَقلِيَّةَ، إلَّا أنْ نَفْرُضَ[٢] في أنَّ بِعْثَةَ الرَّسُولِ لُطفاً. [فإنَّهُ لا يَحْسُنُ مِنَ الله ـ مَعَ ذلِكَ ـ أنْ يُعَاقِبَ أحَداً إلَّا بَعْدَ أنْ نَعْرِفَ مَا هُوَ لُطْفٌ لَهُ][٣]، ومَصْلَحَةٌ، لِتَنْزَاحَ العِلَّةُ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ـ مِنْ عَذَابِ الاستِئصَالِ والإهلَاكِ في الدُّنْيَا ـ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً.

وتَكُونُ[٤] الفَائدَةُ في تَأخِيرِهِ إلى بَعْدِ الإرْسَالِ، المُبَالَغَةَ، والاحتِجَاجَ عَلَيهِمْ، والتَّقَدُّمُ بالإعذَارِ، والإنْذَارِ، نِهَايَةً في الإحْسَانِ إلَيْهِمْ.

يَدُلُّ ـ عَلَى ذلِكَ ـ قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ عُقَيْبَ هذِهِ الآيَةِ بِلَا فَصلٍ: ﴿**وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً...**﴾ الآية[٥].

وقَدْ تَعَلَّقَتِ السَّبْعِيَّةُ[٦] بِهذِهِ الآيَةِ عَلَى أنَّ مَعْرِفَةَ الله ـ تعالى ـ بِالتَّعلِيمِ.

---

(١) في (ش): (إنْ) بدلاً من (لو).

(٢) في (ش): تفرض. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) في (أ): أو يكونَ.

(٥) الإسراء: ١٦.

(٦) في (ك): السبعة. وهو تحريف. وفي (ش): الشيعة. وهو تصحيف.

وأجْمَعَ المُفَسِّرُونَ[١] عَلَى أنَّها تَخْتَصُّ بِالشَّرْعِيَّاتِ، دُونَ العَقلِيَّاتِ. عَلَى أنَّ مَعْرِفَةَ الأنبياءِ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى المُعجِزِ. والمُعْجِزُ، لَا يَكُونُ إلَّا مِنْ فِعْلِ الله ـ تعالى ـ دُونَ النَّبِيِّ المُصدَّقِ. ولأنَّ المُدَّعِي، لَا يُصَدِّقُهُ نَفسُهُ، وإنَّما يُصَدِّقُهُ غَيرُهُ. والمُعجِزُ هُوَ القَائِمُ مَقَامَ قَولِ الله ـ تعالى ـ لِمُدَّعِي نُبُوَّةٍ: صَدَقتَ في دَعوَاكَ عَلَيَّ. فَإذَنْ، لَا تُعْرَفُ نُبُوَّةُ نَبِيٍّ إلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ الله ـ تعالى ـ.

ثُمَّ اِدَّعَتْ[٢] أنَّ الإمَامَ بَعْدَ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ اِبنُهُ إسماعِيلُ.

وهذِهِ[٣] دَعوَى بِلَا بُرْهَانٍ. لأنَّ الأُمَّةَ، قَدْ اِخْتَلَفَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في الإمَامَةِ بَيْنَ النَّصِّ، والاختِيَارِ. فَصَحَّ لأهْلِ النَّصِّ ـ مِنْ طُرُقِ المُخالِفِ، والمُؤالِفِ ـ أنَّهُمْ اِثْنَا عَشَرَ، كَمَا رَتَّبْنَاهُ مِنْ قَبْلُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٤].

مَنْ اِسَتَدَلَّ بِهذِهِ الآيَةِ عَلَى أنَّ التَّكلِيفَ، لَا يَصُحُّ إلَّا بَعْدَ إنفَاذِ[٥] الرُّسُلِ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢) فرق الشيعة: ٦٧ ـ ٦٨. وهي الفرقة الإسماعيلية الخالصة.

(٣) في (أ): وفي هذه.

(٤) النساء: ١٦٥.

(٥) في (ش): انقاد. بالقاف المثناة والدال المهملة.

وقَالَ: لَا تَقُومُ الحُجَّةُ بِالعَقلِ، وإنَّما تَقُومُ بِإنفَاذِ الرُّسُـلِ، فَقَـدْ أبْعَـدَ. لأنَّ صِـدْقَ الرَّسُولِ، لَا يُمْكِنُ العِلمُ بِهِ إلَّا بَعْدَ تَقَدُّمِ العِلمِ بالتَّوحِيـدِ، والعَـدْلِ. وإنْ كَانَـتِ الحُجَّةُ، لَمْ تَقُمْ عَلَيهِ بِالعَدْلِ، فَكَيفَ الطَّرِيقُ إلى مَعرِفَةِ النَّبِيِّ، وَصِدْقِهِ؟

والثَّاني[١]: أنَّهُ لَوْ كانَتِ الحُجَّةُ، لَا تقُومُ إلَّا بِالرُّسُلِ، لاحْتَـاجَ الرَّسُـولُ إلى رسُولٍ آخَرَ حَتَّى تَقُومَ عَلَيهِ الحُجَّةُ.

والكَلَامُ فِي رَسُولِهِ، كـالكَلَامِ فِي هـذا الرَّسُـولِ، ويُـؤدِّي ذلِـكَ إلى مَـا لَا يَتَنَاهَى[٢].

ثُمَّ ادَّعَتْ هذِهِ الفُرْقَةُ أنَّهُ لَمْ يَكُـنْ للصَّـادِقِ ـ عَلَيْـهِ السَّـلامُ ـ وَلَـدٌ سِـوَى إسَماعِيلَ، وعَبْدِالله.

وقَدْ صَحَّ عِندَ النَّسَّا بِينَ مِثْلِ: ابنِ طَبَاطَبَـا، والعُمَـرِيِّ[٣]، وابْـنِ[٤] بَكَّـارٍ، والبُخَارِيِّ[٥]، وغَيْرِهِمْ أنَّهُ كَانَ للصَّادِقِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ سَبْعَةُ[٦] بَنِينَ: إسَماعيلُ

(١) في (ح): وَأيضاً.

(٢) في (أ): يتباهى. بالباء الموحّدة من تحت قبل الألف.

(٣) المجدي في أنساب الطالبيين: ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٤) نسب قريش: ١٦٧.

(٥) سرّ السلسلة العلويّة لأبي نصر البخاريّ: ٨٣.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): سبع. من دون تاء التأنيث المتحركة. ثم أنظر: إعلام الورى: ٢٦٥. الذي ينصّ على كون أولاد الصادق (عَلَيْهِ السَّلامُ) سبعة.

الأميرُ، وعَبدُالله الأفطَحُ مِنْ[١] فَاطِمَةَ بِنتِ الحُسَينِ الأَصغَرِ. ومُوسَى الإمَامُ، ومُحَمَّدُ للدِّيبَاجُ، وإسحَاقُ. لِأُمِّ[٢] وَلَدٍ ثَلاثَتُهُمْ. وعَلِيٌّ / ١٨٢/ العُرِيضِيُّ، والعَبَّاسُ. لأُمِّ وَلَدٍ.

والمَرْجِعُ - في مِثْلِ هذا - إليهِمْ. وَمَنْ خَالَفَهُمْ، لَا يُعْتَدُّ بِخِلَافِهِ، ثُمَّ اِدَّعَتْ[٣] أنَّ الصَّادِقَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - غَيَّبَ[٤] إسمَاعِيلَ حَذَراً عَلَيهِ.

وهذا[٥] كَذِبٌ. لأَنَّهُ قَدْ صَحَّ - عِنْدَ عُلَمَاءِ الدِّيْنِ، وعُلَماءِ النَّسَبِ - مَوْتُهُ، وغَسْلُهُ، وتَجْهِيزُهُ، ودَفْنُهُ، ومَوْضِعُ قَبْرِهِ، وأنَّ الصَّادِقَ[٦] - عَلَيْهِ السَّلامُ - أشهَدَ عَلَى مَوْتِهِ ثَلَاثِينَ رَجُلاً، وشَيَّعَ جَنَازَتَهُ بِلَا حِذَاءٍ، ولَا رِدَاءٍ. وأمَرَ أنْ يُحَجَّ[٧] عَنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ

---

(١) في (هـ): بن. وهو تحريف.

(٢) في (أ): لآدم. وهو تحريف.

(٣) فرق الشيعة: ٦٧.

(٤) في (أ): عيت. بالعين المهملة والتاء المبسوطة. وهو تصحيف.

(٥) في (هـ): وهذه.

(٦) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب: ٢٣٣. الإرشاد: ٣١٩ - ٣٢٠.

(٧) في (أ): الحج.

إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(١).

أيْ: إنَّما يَسْتَجِيبُ مَـنْ يَسْـمَعُ كَلَامَـكَ، واسـتَدَلَّ عَلَيـهِ ـ بِـمَا يَسْـمَعُ، أوْ يَعْرِفُ(٢) مِنَ الآيَاتِ، والأَدِلَّةِ ـ عَلَى صِحَّتِهِ.

وجَعَلَ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ، ولَمْ يَنْتَفِعْ بِالآيَـاتِ بِمَنْزِلَـةِ مَـنْ لَمْ يَسْـمَعْ(٣). كَـمَا قَـالَ الشَّاعِرُ(٤):

أصَـمُّ عَمَّـا سَـاءَهُ سَـمِيعُ

ورُبَّما يَصُحُّ التَّعلِيمُ، ولَا تَصُحُّ المَعرِفَةُ. وتَصُحُّ المَعْرِفَةُ بِلَا تَعْلِيمٍ. فَثَبَتَ أَنَّ المَعْرِفَةَ، بِالنَّظَرِ في الدَّلِيلِ، لَا بِالتَّعْلِيمِ.

وَمِنهُمْ مَنْ قَالَ(٥): إنَّ إِسْمَاعِيلَ، تُوفِّيَ قَبْلَ أبِيهِ، وإِنَّ الأمْـرَ ـ بَعْـدَهُ ـ لِابْنِـهِ مُحَمَّدٍ، وإِنَّ جعفَرَاً ـ عَلَيْهِ السَّـلامُ ـ خَـرَجَ مِـنَ الإمَامَـةِ، لأنَّ الأئمَّـةَ ـ عِنـدَهُمْ ـ

---

(١) الأنعام: ٣٦.

(٢) في (ح): ويعرف. مَعَ الواو.

(٣) في (هـ): يستمع. بتاء بين السين والميم.

(٤) معاني القـرآن وإعرابـه: ١: ٤٧/ ٢: ٢٦٨. بـلا عـزو. التبيـان في تفسـير القـرآن: ٢: ٨٠/ ٤: ١٢٥/ ٥: ٣٨٢. بلا عزو. أسرار البلاغة: ٧١. بلا عزو الأمالي الشـجريَّة: ١: ٦٤. بـلا عـزو. مجمع الأمثال: ١: ٤٠٢. بلا عزو. لسان العرب (صَممَ) بلا عزو أيضاً. الكشاف: ١: ٧٦. مـن دون عزو أيضاً.

(٥) فرق الشيعة: ٦٨. وهي الفرقة المباركية سميت برئيس لهم كان يسمى المبارك مَوْلَى إسماعيل بـن جعفر.

سَبعَةٌ. آخِرُهُم[1] مُحَمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ. وأمِيرُ المؤمنينَ[2] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَيْسَ بِإمَامٍ، إلّا أنَّ لَهُ رُتْبَةَ الوَصِيَّةِ.

ووَجَدنَاهُ قَدْ سَعَى بِعَمِّهِ مُوسَى بنِ جَعْفرٍ، بَعْدَ مَا أنْعَمَ عَلَيهِ، وقَالَ[3]: أُوصِيْكَ أنْ تَلْقَى اللهَ في دَمِي. وأنَّهُ خَرَجَ بِمَكَّةَ، وشَهَرَ سَيْفَهُ في الشَّهْرِ الحَرَامِ، في البَلَدِ الحَرَامِ، فَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ. ثُمَّ قَامَ عَنْهُ المُبَارَكُ، غُلَامُ إِسمَاعِيلَ في مَسجِدِ الكُوفَةِ، حَتَّى قَتَلَهُ عِيسَى بنُ مُوسَى بنِ عَلِيٍّ بنِ عَبْدِالله بنِ عَبَّاسٍ[4]. وقَدْ كَانَ الصَّادِقُ[5] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أخْبَرَ[6] بِهَذِهِ الفِتنَةِ، ونَصَّ عَلَى اِبْنِهِ مُوسَى. عَلَى مَا هُوَ مَشهُورٌ في الكُتُبِ.

***

قوله ـ سبحانه ـ حِكَايَةً عَنْ مُوْسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ للعَالِمِ ـ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[7].

(١) في (أ): آمرهم. بالميم بدلاً من الخاء. وفي (ح): آخر. من دون (هم).

(٢) في (ح): وإنَّ جعفراً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ليس بإمام.

(٣) الإرشاد: ٣٣٥ ـ ٣٣٦. باختلاف اللفظ. الغيبة: ٢١. بلفظ مختلف والقول موجّه إلى علي بن إسماعيل بن جعفر الصادق (عَلَيْهِ السَّلامُ).

(٤) فرق الشيعة: ٦٩.

(٥) إثبات الوصيَّة: ١٥٦ ـ ١٥٨.

(٦) (أخبر) ساقطة من (أ).

(٧) الكهف: ٦٦.

لَا يُرِيدُ ـ بِذلِكَ ـ مَعْرِفَةَ الله ـ تعالى ـ لأَنَّهُ لا يَكُـونُ نَبِـيٌّ إلَّا ويَكُـونُ عَالِمَاً بالأُصُولِ، والفُرُوعِ. كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ.

ثُمَّ إنَّهُ إنَّما سَأَلَهُ عَمَّا لَا يتعلَّقُ بِالدِّيْنِ ، كَمَا حَكَى اللهُ عَنهُ : ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ...﴾[1]، ﴿وَأَمَّا الْـجِدارُ...﴾[2]، ﴿وَأَمَّا الْـغُلامُ...﴾[3].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاَّ الْـحَقَّ﴾[4].

أمَّا الغُلَاةُ[5]، فَإنَّهُمْ قَوْمٌ، يَدَّعُونَ في النَّبِـيِّ، أوْ في الـوَصِيِّ، وبَـاقي الأئمَّـةِ ـ عليهم السلام ـ عَلَى حَسَبِ اِختِلَافِهِمْ ـ القِدَمَ، والإلهيَّةَ، وهذا يُـؤدِّي إلى قِـدَمِ الأجسَامِ كُلِّها.

فَـإنْ أرَادُوا : أنَّ بَيْنَ[6] القَدِيمِ [و][7] هذِهِ الأشْـخَاصِ ، اِختِصَاصـاً[8] ،

(١) الكهف: ٧٩.

(٢) الكهف: ٨٢.

(٣) الكهف: ٨٠.

(٤) النساء: ١٧١.

(٥) فرق الشيعة: ٤٦.

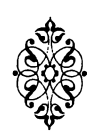
(٦) في (ح): أنَّ القديم بين هذه الأشخاص.

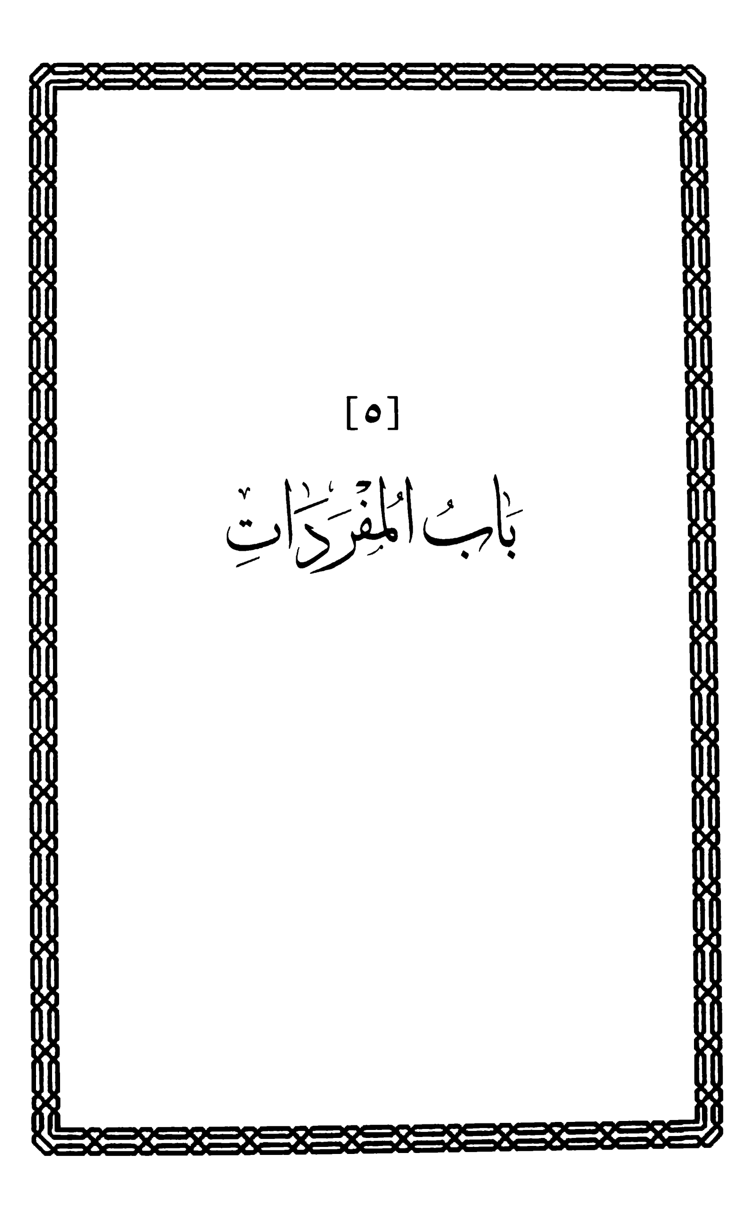
(٧) مابين المعقوفتين زيادة من (ط).

(٨) في النسخ جميعاً: اختصاصٌ ـ بالرفع. والوَجْهُ ما أثبتناه.

فَلَا يَخلُو: إمَّا أنْ يَكُونَ حُلُولاً، واتِّحاداً، مِثْلَ حُلُولِ الأعْرَاضِ في الأجْسَامِ، أوْ مُجَاوَرَةً، ومُمَاسَّةً. وَهذا يَقْتَضِي كَوْنَهُ جَوْهراً، مُتَحَيِّزاً، أوْ جُزْءاً مُؤَلَّفاً.

وَاختِصَاصُ الجَوْهِرِ البَسِيطِ بِالجُمْلَةِ، مُسْتَحيلٌ، لأنَّ الجَوْهَرَ البَسِيْطَ، يَسْتَحِيلُ أنْ يَفْعَلَ في غَيْرِ تِلْكَ الجُمْلَةِ مُبْتَدِئاً. والقَدِيمُ ـ سبحانه ـ يَصُحُّ أنْ يَبْتَدِئَ في سَائِرِ الجُمَلِ.





[٥]

بَابُ المُفْرَدَاتِ

فصل [ـ ١ ـ]

[في التوبة وفي توبة الإلجاء]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ (١).

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ(٢): التَّوْبَةُ، غَيرُ الاعتِقَادِ. وَهِيَ نَوْعٌ بِانْفِرَادِهِ(٣).

وَقَالَ أَبُو هَاشِمٍ(٤): إِنَّهُ مِنْ قَبِيلِ الاعْتِقَادِ. وهُوَ الصَّحِيحُ.

والتَّوبَةُ، لَا تَخْلُو: إِمَّا أَنْ تَكُونَ(٥) عَنْ شَيءٍ بَيْنَهُ، وبَيْنَ اللهِ ـ تعالى ـ، أَوْ تَكُونَ عَنْ شَيءٍ بَيْنَهُ، وبَيْنَ الآدَميينَ.

---

(١) التحريم: ٨.

(٢) هو أبو علي الجبّائي: شرح الأصول الخمسة: ٧٩٢.

(٣) في (ح): بافراده.

(٤) شرح الأُصول الخمسة: ٧٩٢، ٧٩٣.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

فَالأَوَّلُ لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَظْهَرَ ذلِكَ لِلنَّاسِ، أَوْ لَا يَظْهَرَ.

فَإِذَا ظَهَرَ ذلِكَ لِلنَّاسِ تَجِبُ التَّوْبَةُ ظَاهِراً. مِثْلُ البَاغي يَكْذِبُ نَفْسَهُ عِنْدَ[١] قَوْمِهِ في بَغْيِهِ عَلَى الحَقِّ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلى الإمَامِ طَائِعاً[٢]، ويَنْوِي في المُسْتَقْبَلِ طَاعَتَهُ.

وإِنْ كَانَتْ مَظْلَمَةً، وَجَبَ رَدُّهَا ـ إِنْ كَانَتْ بَاقِيَةً ـ أَوْرَدُّ مِثْلِها ـ إِنْ كَانَتْ تَالِفَةً ـ أَوْ قِيمَتِها ـ إِنْ كانَتْ مِنَ ذَوَاتِ القِيَمِ ـ إِنْ كانَ[٣] صَاحِبُها حَيّاً، وإِنْ كَانَ مَيْتاً، رَدَّ إِلى وَرَثَتِهِ. ولَهُ حُكمٌ.

والصَّحِيحُ: أَنَّ القَاتِلَ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ، تَصُحُّ تَوْبَتُهُ. وقَالَ قَوْمٌ: لَا تَصُحُّ[٤]. والتَّوْبَةُ مِنَ القَتْلِ العَمْدِ، تُوْجِبُ[٥] القَوَدَ.

وقالَ قَوْمٌ: لَا تصُحُّ[٦] إِلَّا بالاستِسلَامِ. وَهُوَ الأَقْوَى. وهْوَ أَنْ يُسْلِمَ نَفْسَهُ إِلى أَوْلِياءِ المَقْتُولِ، ثُمَّ يَعْزِمَ في المُسْتَقْبَلِ أَلَّا يَعُودَ إِلى مِثْلِهِ، ويَعْتُقَ رَقَبَةً، ويَصُومَ شَهْرَيْنِ، مُتَتَابِعَيْنِ، ويُطْعِمَ سِتِّيْنَ مِسْكِيناً.

وإِنْ كَانَ ذلِكَ كَلَاماً مُوْحِشاً، لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ / ١٨٣/ يَكُونَ قَدْ بَلَغَهُ، أَوْ

---

(١) في (أ): عنه. وهو تحريف.

(٢) في (ح): مبايعاً.

(٣) في (أ): كانت.

(٤) في (ك) و(أ): يصحّ. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) في (ش) و(هـ) و(أ): يوجب. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): يصح. بياء المضارعة المثناة من تحت.

لَمْ يَكُنْ قَدْ بَلَغَهُ.

فَإِنْ كَانَ[١] بَلَغَهُ، يُوجِبُ الاسْتِحْلَالَ مِنْهُ. وإنْ لَمْ يَبْلُغْهُ، لَا يَجُوزُ الاسْتِحلَالُ مِنْهُ، لأَنَّهُ يَكُونُ مُبْتَدَأً وَحْشَةٍ.

فَإِنْ كَانَ اعْتِقَاداً بَيْنَهُ، وَبَيْنَ اللهِ ـ تعالى ـ فَبِضِدِّ مَا اعْتَقَدَهُ.

وقَالَ قَوْمٌ: التَّوبَةُ مِنْ اعْتِقَادِ جَهَالَةٍ، إذَا كَانَ صَاحِبُها، لَا يَعْلَمُ[٢] أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ بِأنْ يَعْتَقِدَ: أَنَّهُ لَا مَحْجُوجَ إلَّا عَارِفٌ. فَإِنَّهُ يَتَخلَّصُ مِنْ ضَرَرِ تِلْكَ المَعْصِيَةِ، إذَا رَجَعَ عَنْها إلى المَعرِفَةِ، وإنْ لَمْ يُوقِعْ مِنْها تَوْبَةً.

وَقَالَ آخَرُونَ: يَحْتَاجُ إلى التَّوبَةِ، لأَنَّهُ مَحْجُوجٌ. وَهْوَ الأَقْوَى.

وأمَّا مَا نَسِيَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُ تُجْزِي[٣] التَّوبةُ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الجُملَةِ.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُجْزِي. وهْوَ خَطَأٌ.

وأمَّا مَا نَسِيَ مِنَ الذُّنُوبِ ـ مِمَّا لَوْ ذَكَرَهُ فَاعِلُهُ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَعْصِيَةٌ ـ هَلْ يَدْخُلُ في الجُملَةِ، إذَا وَقَعَتِ التَّوْبةُ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ؟

فَقَالَ قَوْمٌ: لَا يَدْخُلُ فِيها، لكنَّهُ يَتَخلَّصُ مِنْ المَعْصِيَةِ.

وقَالَ آخَرُونَ[٤]: يَدْخُلُ فِيْها. وهْوَ الصَّحِيحُ.

---

(١) في (ح): كان قد بلغه.

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): يعلمه.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يجزي. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) في (ح): وقال قومٌ.

وأمَّا المُشْرِكُ، إذَا تَابَ، وكَانَ يُعْرَفُ قَبْلَ تَوْبَتِهِ بِفِسْقٍ، قَبْلَ تَوْبَتِهِ في الحُكْمِ، وإنْ لَمْ يُظْهِرِ التَّوْبَةَ:

قَالَ قَوْمٌ: لَا يَزُولُ عَنْهُ حُكْمُ الفِسْقِ.

وقَالَ آخَرُونَ: يَزُوْلُ.

وأمَّا التَّوبَةُ مِنْ قَبِيحٍ، بِفِعْلِ قَبِيحٍ آخَرَ، فَلَا تَصُحُّ[1] ـ عَلَى أصْلِنَا ـ كالتَّائبِ مِنَ الالْحادِ بِعِبَادَةِ المَسِيحِ.

وقَالَ قَوْمٌ: تَصُحُّ[2]. وأجْرَاهُ مُجْرَى مَعْصِيتَيْنِ.

وأمَّا التَّوبَةُ مِنَ الغَصْبِ[3]، فَهلْ[4] تَصُحُّ مَعَ الإقَامَةِ عَلَى حَالِ الغَصْب[5]؟

فَقَالَ قَوْمٌ: لَا تَصُحُّ.

وَقَالَ آخَرُونَ: يَصُحُّ ـ وَهْوَ الأَقْوَى ـ إلَّا أنَّهُ يَكُونَ فاسِقاً بِالمَنْعِ، يُعَاقَبُ عِقَابَ المَانِعِ، وإنْ سَقَطَ عَنْهُ عِقَابُ الغَصْبِ[6].

وقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَصُحُّ التَّوبَةُ عَنْ ذَنْبٍ مَعَ إقَامَةٍ[7] عَلَى مَعْصِيَةٍ أُخْرَى.

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يصحّ. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يصح. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (ك) و(أ): الغضب. بالضاد المعجمة.

(٤) في (ك): (حتّى) بدلاً من (هل). وفي (ش) و(هـ) و(أ): هل.

(٥) في (ك) و(أ): الغضب. بالضاد المعجمة.

(٦) في (ك) و(أ): الغضب. بالضاد المعجمة.

(٧) في (هـ): إقامته. بإضافته إلى الضمير (الهاء).

وقَالَ المُحقِّقونَ: إنَّهُ إذَا تَـابَ عَـنِ الزِّنَـى، والخِيَانَـةِ، وعَـزَمَ ألَّا يَعُـودَ إلى مِثْلِهِمَا، صَحَّتْ فِيْهِمَا.

وزَعَمَتِ البكريَّةُ أنَّ المَطْبُوعَ عَلَى قَلْبِهِ، لَا تَوْبَةَ لَهُ. وهْوَ خَطَأٌ.

وأمَّا التَّوبَةُ عِنْدَ أشْرَاطِ[1] السَّاعَةِ، هَلْ تَصُحُّ أمْ لَا؟

فَقَدْ اِخْتَلَفُوا فِيهِ. ولَا شَكَّ أنَّ بَعْضَ الآياتِ، يَحْجُبُ[2].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا﴾[3].

وقَوْلُهُ: ﴿حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْـغَرَقُ قالَ آمَنْتُ﴾[4].

وقَوْلُهُ: ﴿لَمْ تكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾[5].

دَلَائلُ عَلَى أنَّ الإيْمانَ، لَا يَنْفَعُ عِنْدَ نُزُولِ العَذَابِ، ولَا عِنْدَ الإلجاءِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْـمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾[6].

---

(١) في (ك): اشتراط.

(٢) في (ش) و(هـ): تحجب. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) المؤمن: ٨٥.

(٤) يونس: ٩٠.

(٥) الأنعام: ١٥٨.

(٦) النساء: ١٨.

يَدُلُّ عَلَى أنَّ التَّوبَةَ، لَا تُقْبَلُ عِنْدَ حُضُورِ[١] المَوْتِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ﴾[٢].

الوَجْهُ فِي ذلِكَ: أَنَّهُ[٣] ظَهَرَتْ لَهُمْ دَلَائِلُهُ، ولَمْ يَرَوْا العَذَابَ كَمَا أَنَّ العَلِيلَ المُدْنَفَ، قَدْ يَسْتَدْرِكُ التَّوْبَةَ، فَيَقْبَلُ اللهُ تَوْبَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَحقَّقَ المَوْتُ. فَإِذَا تَحَقَّقَهُ، لَمْ يَقْبَلْ[٤] ـ بَعْدَ ذلِكَ ـ تَوْبَتَهُ. وقَدْ قَالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها﴾[٥]. ولَا يَدُلُّ ذلِكَ عَلَى أَنَّهُم كَانُوا دَخَلُوا النَّارَ، فَأَنْقَذَهُمْ مِنْهَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾[٦].

---

(١) في (ك): حضرور. بواو زائدة بين الراءين المهملين. وهو تحريف.

(٢) يونس: ٩٨.

(٣) في (هـ): أنَّهم.

(٤) في (ح): تقبل. بتاء المضارعة المثناة من فوق وبصيغة المبني للمعلوم.

(٥) آل عمران: ١٠٣.

(٦) آل عمران: ٩٠.

وقَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ...﴾ الآية[1].

الأوَّلَةُ، نَزَلَت في قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا: نُقِيمُ بِمَكَّةَ، ونَترَبَّصُ بِمُحَمَّدٍ رَيْبَ المَنُونِ. فَإنْ بَدَا لَنَا الرَّجْعَةُ إلى قَوْمِنَا، ذَهَبْنَا كَمَا ذَهَبَ الحَارِثُ، فَقَبِلَ مِنَّا التَّوْبَةَ، كَمَا قَبِلَ مِنْهُ، فنَزَلَ: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ مَا أَقَامُوا عَلَى الكفرِ.

كَأَنَّهُ يَقُولَ: لَنْ تُقْبَلَ هذِهِ النِّيَّةُ مِنْهُمْ في الإسْلَامِ، إذَا أَخَّرُوهُ، فَكَأَنَّهُ سَمَّاهَا تَوْبَةً غَيْرَ مَقْبُولَةٍ، إذْ[2] لَمْ تَصُحَّ. وَهْوَ يَقْبَلُ التَّوبَةَ، إذَا صَحَّتْ.

والآيَةُ، دَالَّةٌ عَلَى أنَّ المَولُودَ عَلَى الفِطرَةِ، إذَا اِرْتَدَّ، ثُمَّ تَابَ، لَا تُقْبَلُ[3] [توبتُهُ][4].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5].

في الآيَةِ، حُجَّةٌ عَلَى مَنْ قَالَ: لَا تَصُحُّ التَّوبَةُ مَعَ الإقامَةِ عَلَى مَعْصِيَةٍ

---

(١) الشورى: ٢٥.

(٢) في (هـ): إذا.

(٣) في (أ): يقبل. بياء المضارعة المثناة من تحت وبصيغة المبني للمعلوم.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٥) المائدة: ٣٤.

أُخْرَى، لِعِلْمِ صَاحِبِهَا أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ، لأَنَّ اللهَ ـ تعالى ـ عَلَّقَ بِالتَّوبَةِ حُكْماً، لا تَحِلُّ[١] مَعَهُ الإقامَةُ عَلَى مَعْصِيَةٍ، هِيَ السُّكْرُ، أَوْ شُرْبُ النَّبِيذِ. عَلَى التَّأْوِيلِ بِإجْماعِ المُسْلِمِينَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

يَدُلُّ عَلَى أَنَّ العَزْمَ عَلَى الفِسْقِ، فِسْقٌ. لأَنَّهُ ـ إِذَا لَزِمَهُ الوَعِيدُ عَلَى مَحَبَّتِهِ ـ شِيَاعُ الفاحِشَةِ مِنْ غَيْرِهِ. فَإِذَا أَحبَّها مِنْ نَفْسِهِ وأَرَادَها، كَانَ أَعْظَمَ.

وفي الآيةِ، وعِيدٌ لِمَنْ يُحِبُّ[٣] أَنْ تَشِيعَ[٤] الفاحِشَةُ في المؤمِنِينَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها...﴾ الآيةُ[٥].

مَعْنَاهُ: مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً عَلَى دِينِهِ.

---

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يحل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) النور: ١٩.

(٣) في (أ): يجب. بالجيم المعجمة من تحت.

(٤) في (ش): تشييع. بياءين متتاليين. وهو تحريف.

(٥) النساء: ٩٣.

والآيَةُ نَزَلَتْ[١] في مِقْيسِ الكِنَانِيِّ. قَتَلَ رَجُلاً مُسْلِماً مِنْ بني فِهْرٍ، وارتَدَّ، فَأهْدَرَ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ دَمَهُ، فَقَتلُوهُ[٢] يومَ الفَتْحِ.

وقَالَ عَمْرُو[٣] بنُ عُبَيْدٍ: يُؤْتَى بِيَ يَوْمَ القِيامَةِ، فَأُقَامُ[٤] بَيْنَ يَدَيْ الله، فَيقُولُ: قُلْتَ: إِنَّ القَاتِلَ يَخْلُدُ في النَّارِ؟ فَأَقُولُ: أنْتَ قُلْتَ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً...﴾ الآيَةُ.

فَقَالَ قُرَيشُ بنُ أنسٍ: أَرَأَيْتَ إنْ قَالَ لَكَ: فَإنِّي قُلْتُ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾[٥]. مِنْ أيْنَ عَلِمْتَ أنَّني لَا أشاءُ أنْ أغْفِرَ لِهَذا؟ فَتَحيَّرَ!

وَكَانَ الحَسَنُ[٦] يَقُولُ: لَا تَوْبَةَ لِقَاتِلِ المُؤمِنِ عَمْدَاً.

فَقَالَ عَمْرو: وَهْوَ لَا يَخْلُو مِنْ أنْ يَكُونَ مؤمِناً، أوْ كَافِراً، أو مُنَافِقَاً، أوْ فَاسِقَاً.

فَقَالَ اللهُ ـ تعالى ـ في المُؤمِنِ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً

---

(١) جامع البيان: ٥: ٢١٧. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٩٢. الدر المنثور: ٢: ٦٢٢ ـ ٦٢٣. الجامع لأحكام القرآن: ٥: ٣٣٣.

(٢) في (ح): فقتله.

(٣) في الجامع لأحكام القرآن: ٥: ٣٣٣. معزوّ إلى المعتزلة.

(٤) في (ش): فيُقَامُ.

(٥) النساء: ٤٨.

(٦) هو الحسن البصريّ.

عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾(١).

وقَالَ ـ في الكافِرِ ـ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ماقَدْ سَلَفَ﴾(٢).

وقَالَ ـ في المُنَافِقِ ـ: ﴿إِنَّ الْـمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّـارِ...﴾(٣) إلى قَوْلِهِ: ﴿...إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا﴾(٤).

وقَـالَ ـ في الفَاسِـقِ ـ: ﴿وَأُولئِـكَ هُـمُ الْـفاسِقُونَ إِلاَّ الَّـذِينَ تـابُوا﴾(٥).

فَاسْتَحْسَنَ مَقَالَهُ، ورَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ...﴾(٦) إلى آخِرِهَا.

فِيهَا دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يَقْبَلُ(٧) تَوْبَةَ القَاتِلِ عَمْداً. لأَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوبَةَ مِنَ الأعْظَمِ، ولَا يَقْبَلُ(٨) مِنَ الأَقَلِّ(٩)!

***

(١) التحريم: ٨.

(٢) الأنفال: ٣٨.

(٣) النساء: ١٤٥.

(٤) النساء: ١٤٦.

(٥) النور: ٤، ٥.

(٦) البقرة: ١٩١.

(٧) في (ك) و(أ): و(ح): تقبل. بتاء المضارعة المثناة من فوق وصيغة المبني للمجهول.

(٨) في (ح): تقبل. بتاء المضارعة المثناة من فوق وصيغة المبني للمجهول.

(٩) في (هـ): الأقبل.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (١) ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ (٢) ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ (٣).

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ إِنَّما نَفَاهُ مَعَ(٤) عَدَمِ التَّوبَةِ، لأنَّ(٥) مَعَ حُصُولِهَا، يُغْفَرُ الشِّرْكُ ـ أيضاً ـ.

وأمَّا قَولهُ: ﴿وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ أَثْبَتَ أَنَّهُ يَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ، فَيَنْبغي أَنْ يَكُونَ ذلِكَ مَعَ عَدَمِ التَّوبِةِ، لِيَتَخَالَفَ مَا نَفَاهُ بِمَا أَثْبَتَهُ، وَيَحْسُنُ في تَرْتيبِ الكَلَامِ.

وأمَّا(٦) قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾. فَقطَعَ(٧) عَلَى غُفْرَانِ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، إلَّا مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى تَخْصِيصِهِ مِنَ الكُفْرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ﴾ (٨).

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) النساء: ٤٨.

(٣) الزمر: ٥٣.

(٤) في (ح): لعدم. مع حرف الجر (اللام).

(٥) في (ح): لأنَّهُ.

(٦) في (ح): فَأَمَّا. مَعَ الفاء.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): قطع. بسقوط الفاء الرابطة.

(٨) الرَّعد: ٦.

تَدُلُّ عَلَى بُطلَانِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إنَّ أصْحَابَ الكَبَائِرِ، لَا يَجُوزُ أنْ يَعْفُوَ[1] اللهُ عَنْهُمْ إلَّا بِالتَّوبَةِ، لأنَّهُ ـ تعالى ـ لَمْ يَشْرطْ[2] ـ في ذلِكَ ـ التَّوبَةَ، وَمَنْ شَرَطَ ـ في الآيَةِ ـ التَّوبَةَ، أوْ خَصَّصَهَا[3] بِالصَّغَائِرِ. كَانَ تَارِكاً لِلْظَّاهِرِ.

وقَالَ إبْرَاهِيمُ بنُ العَبَّاسِ: كُنَّا في مَجْلِسِ الرِّضَا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فتَذَاكَرُوا[4] الكَبَائرَ، وقَوْلَ المُعتَزِلَةِ: إنَّها لَا تُغْفَرُ.

فَقَالَ الرِّضَا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: قَدْ نَزَلَ القُرْآن بِخِلَافِ قَولِ المُعْتَزِلَةِ. فَقَالَ ـ جَلَّ[5] وَعَلَا ـ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[6].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[7].

اِستَدَلَّتِ المُعْتَزِلَةُ ـ بِهذِهِ الآيَةِ ـ عَلَى المَنْعِ مِنْ غُفْرَانِ مَعَاصِي أهْلِ الضَّلَالِ.

فَقُلْنَا: إنَّهَا تَسْتَغْرِقُ جَمِيعَ مَنْ فَعَلَ السُّوءَ، بَلْ قَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ[8]: المُرَادُ بِهِ:

---

(١) في (ش): يغفر.

(٢) في (ك) و(ح): يشترط. بالشين المثلثة بعدها التاء المثناة من فوق.

(٣) في (ح): خصَّها.

(٤) العبارة: «فتذاكروا... عَلَيْهِ السَّلامُ» ساقطة من (أ).

(٥) في (ح): جلا. وهو تحريف.

(٦) الرَّعد: ٦.

(٧) النساء: ١٢٣.

(٨) جامع البيان: ٥: ٢٩٣. وهو في الجامع لأحكام القرآن: ٥: ٣٩٦. من دون عزو.

الشِّرْكُ.

ثُمَّ الآيَةُ، مَخْصُوصَةٌ. لأنَّ التَّائبَ، وَمَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ صَغِيرَةً، يَتَنَاوَلُهُ العُمُومُ.

فَإذا جَازَ لَهُمْ تَخْصِيصُ الفَرِيقَيْنِ، جَازَ لَنَا أنْ نَخُصَّ مَنْ يَتَفَضَّلُ اللهُ عَلَيهِ بِالعَفْوِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[1].

يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ العَفْوِ عَنِ[2] العُصَاةِ. لأنَّهُ ـ تعالى ـ[3] بَيَّنَ أنَّ قَوْماً مِنْ هؤلاءِ العَصَاةِ، أمْرُهُمْ مُرْجَأٌ إلى الله: إنْ شَاءَ، عَذَّبَهُمْ، وإنْ شَاءَ، قَبِلَ تَوْبَتَهُمْ، فَعَفَا عَنْهُمْ.

فَلَوْ كَانَ سُقُوطُ العِقَابِ ـ عِنْدَ التَّوْبَةِ ـ وَاجِباً، لَمَا جَازَ تَعْلِيقُ ذلِكَ بِالمَشِيئَةِ عَلَى وَجْهِ التَّخيِيرِ. لأنَّهُمْ إنْ تَابُوا [وَجَبَ[4] قَبُولُ تَوْبَتِهِمْ عِنْدَ الخَصْمِ، وَإسْقَاطُ العِقَابِ عَنْهُمْ. وإنْ أصَرُّوا، لَمْ يَتُوبُوا]، فَلَا يَعْفُو عَنْهُمْ.

---

(١) التوبة: ١٠٦.

(٢) في (هـ): على. وهو تحريف.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

فَلَا مَعْنَى للتَّخييرِ عَلَى قَوْلِهِمْ، وإنَّما يَصُحُّ ذلِكَ عَلَى مَا نَقُولُهُ مِنْ أنْ ـ مَعَ حُصُولِ التَّوْبَةِ ـ يَحْسُنُ المُؤاخذةُ: فَإنْ عفَا، فَبِفَضْلِهِ، وإنْ عَاقَبَ، فَبِعَدْلِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيُعَذِّبَ الْـمُنافِقِينَ إنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(١).

لَا يَدُلُّ عَلَى أنَّ مَا / ١٨٥/ يَجِبُ غُفْرَانُهُ مِنَ الكَبَائِرِ عِنْدَ التَّوبَةِ، يَجِبُ تَعْلِيقُهُ بِالمَشِيْئَةِ. لأنْ ـ عِندَنَا ـ لَا يَجِبُ إسْقَاطُ العِقَابِ بالتَّوْبةِ عَقْلاً. وإنَّما عَلِمْنَا ذلِكَ بِالسَّمْعِ. وأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ(٢) يَتَفَضَّلُ بِذلِكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

هذِهِ الآيَةُ تُبْطِلُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إنَّ إقَامَةَ الحُدُودِ، تَكْفِيرُ المَعَاصِي، لأنَّهُ ـ تعالى ـ مَعَ إقَامَةِ الحُدُودِ عَلَيْهِمْ ـ بَيَّنَ أنَّ لَهُمْ ـ في الآخِرَةِ ـ عَذاباً(٤) عَظِيماً.

أيْ: يَسْتَحِقُّونَ ذلِكَ. وَلَا يَدُلُّ عَلَى أنَّهُ يَفْعَلُ بِهِمْ، لَا مَحَالَةَ.

---

(١) الأحزاب: ٢٤.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) المائدة: ٣٣.

(٤) في (أ): عذاب. من دون تنوين النَّصب.

لأَنَّهُ يَجُوزُ أنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ بِإسْقَاطِ عِقَابِهِ.

***

قوله سبحانه ـ: ﴿ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [١].

أيْ: لَطَفَ لَهُمْ في التَّوبَةِ. كَمَا يُقَالُ ـ في الدُّعَاءِ ـ تابَ اللهُ عَلَيْهِ [٢].

وقِيلَ: قَبِلَ تَوْبَتَهُمْ، لِيَتَمكَّنُوا بِهَا في المُسْتَقْبَلِ.

وقِيلَ: قَبِلَ تَوْبَتَهُمْ، لِيَرْجِعُوا إلى حَالِ الرِّضَا عَنْهُمْ.

وَقَالَ الحَسَنُ [٣]: جَعَلَ لَهُمْ التَّوْبَةَ، لِيَتُوبُوا بِهَا، والمَخْرَجَ لِيَخْرُجُوا بِهِ.



(١) التوبة: ١١٨.

(٢) في (ح): عليك.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٨٠. بلفظ مختلف.

فصل [ـ ٢ ـ]

[في الإحباط]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (١).

تَعَلَّقت(٢) الوَعِيديَّةُ(٣) في الاسْتِدْلَالِ عَلَى التَّحابُطِ بِآيَاتٍ، مِنْها هذِهِ الآيَةُ.

وَهْيَ لَا تَدُلُّ عَلَى التَّحابُطِ، بَلْ هِيَ أَقْرَبُ إلى بُطْلَانِهَا. لأنَّ الإحْبَاطَ المَذْكُورَ في جَمِيعِها، يَتَعَلَّقُ بِالأعْمالِ دَوْنَ الجَزَاءِ عَلَيْهَا. وَمَذْهَبُهُمْ: أَنَّ التَّحابُطَ بَيْنَ الجَزَاءِ، والأعْمالِ.

ثُمَّ إنَّ إبْطَالَ العَمَلِ، وَإحْبَاطَهُ، عِبَارَةٌ عَنْ وُقُوعِهِ عَلَى خِلَافِ الوَجْهِ المُنْتَفَعِ بِهِ. لأنَّ أَحَدَنَا إذَا اِستَأْجَرَ أَجِيراً عَلَى نَقْلِ شَيءٍ مِنْ مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ، إنَّما يَسْتَحِقُّ الأُجْرَةَ إذَا نَقَلَهُ إلى مَوْضِعِ أمْرِهِ، فَلَوْ نَقَلَهُ إلى [موضع آخر](٤) غَيْرِهِ، لَقِيلَ: أَحْبَطْتَ عَمَلَكَ.

---

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) في (ك): وتعلَّقت. مَعَ الواو.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٥٠٧.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

ومَعْلُومٌ أنَّ ـ هَاهُنا ـ مَا كَانَ يَسْتَحِقُّ فَاعِلُهُ شَيْئاً، فَابْطَلَهُ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذى﴾ (١) لَمَّا كَانَتِ الصَّدَقَةُ إِنَّما يُسْتَحَقُّ بِهَا الثَّوابُ إذَا خَلُصَتْ لِوَجْهِ الله ـ تعالى ـ(٢). [وإذَا فُعِلَتْ لِلمَنِّ، والأَذَى] (٣) خَرَجَتْ عَنِ الوَجْهِ الَّذِي يُسْتَحَقُّ مَعَهُ الثَّوَابُ. فَقِيلَ: بَطلَتْ.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ (٤) [إلى قوله: ﴿...أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ﴾ (٥). لَوْ وَقَعَ رَفْعُ الصَّوْتِ عَلَى صَوْتِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ] (٦) عَلَى سَبِيلِ الإجَابَةِ لَهُ، لَمْ يَسْتَحِقَّ العِقَابَ. وإذَا وَقَعَ عَلَى خِلَافِ ذلِكَ، اِنْحَبَطَ الفِعْلُ.

وَمِنْها: قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ (٧) يَعْنِي: أَنَّ مَنْ اِسْتَكْثَرَ مِنَ الحَسَنَاتِ، وأدْمَنَ عَلَيْها، كَانَ ذلِكَ لُطفاً لَهُ في الامْتِنَاعِ مَنَ السَّيِّئاتِ.

---

(١) البقرة: ٢٦٤.

(٢) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) الحجرات: ٢.

(٥) الحجرات: ٢.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ح).

(٧) هود: ١١٤.

ومِمَّا يُمْكِنُ(١) أنْ يُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى بُطْلَانِ الإحْبَاطِ قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾(٢). لأنَّ عُمُومَ الآيةِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ طَاعَتِهِ، أوْ مَعْصِيَتِهِ، إلَّا وَيُجَازَى عَلَيهِ. ولَا يَدُلُّ(٣) عَلَى أنَه لَا يَجُوزُ أنْ يُعْفَى عَنْ مُرْتَكِبِ كَبِيْرَةٍ، لأنَّ الآيَةَ، مَخْصُوصَةٌ بِلَا خِلَافٍ، لأَنَّهُ إنْ تَابَ، عُفِيَ عَنْهُ. وقَدْ شَرَطُوا ألَّا يَكُونَ مَعْصِيَةً صَغِيرَةً. فَإذَا شَرَطُوا الأمْرَيْنِ، جَازَ لَنَا أنْ نَخُصَّ مَنْ يَعْفُو اللهُ عَنْهُ(٤).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٥).

مَعْنَاهُ: إنَّما يَسْتَحِقُّ الثَّوابَ عَلَى الطَّاعَاتِ مَنْ يُوقِعُها لِكَونِهَا طاعَةً. فَأمَّا إذَا فَعَلَها لِغَيْرِ ذلِكَ، فَلَا يَسْتَحِقُّ عَلَيْها ثَوَاباً.

فَإذَا ثَبَتَ ذلِكَ، فَلَا يَمْتَنِعُ أنْ تَقَعَ مِنَ الفاسِقِ طَاعَةٌ، يُوقِعُها عَلَى الوَجْهِ الَّذي يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الثَّوَابَ، فيَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ، لأنَّ الإحْبَاطَ ـ عِنْدَنَا ـ بَاطِلٌ.



(١) في (ك): يتمكَّن.

(٢) الزلزلة: ٧، ٨.

(٣) في (ح): ولا يدلَّ إلَّا على أنَّه...

(٤) (عنه) ساقطة من (ك).

(٥) المائدة: ٢٧.

فصل [ـ ٣ ـ]

[في الظلم]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَالْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١).

إِنَّما ذَمَّ اللهُ الكافِرَ بِالظُّلْمِ ـ وَإِنْ كَانَ الكُفْرُ أعْظَمَ مِنْهُ ـ لأنَّ الكافِرَ، قَدْ ضَرَّ نَفْسَهُ بِالخُلُودِ في النَّارِ، وقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ.

والثَّاني(٢): إِنَّما نَفَى البَيْعَ ـ في ذلِكَ اليَوْمِ ـ والخُلَّةَ(٣)، والشَّفَاعَةَ، قَالَ ولَيْسَ ذلِكَ بِظُلْمٍ مِنَّا، بَلِ الكَافِرُونَ، هُمُ الظَّالِمُونَ. لأنَّهُمْ عَمِلُوا مَا اِسْتَحَقُّوا بِهِ حِرْمَانَ الثَّوَابِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾(٤).

لَمَّا أظْهَرَ وَاصِلُ بنُ عَطَاءٍ المَنْزِلَةَ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ، نَاظَرَهُ عَمْرو بنُ عُبَيْدٍ، فَقَالَ:

---

(١) البقرة: ٢٥٤.

(٢) في (ح): وأيضاً.

(٣) في (ك): الخلد. بالدال المهملة. وهو تحريف.

(٤) التوبة: ٦٧.

يَا وَاصِلُ! لِمَ قُلْتَ: إنَّ مَنْ أَتَى كَبِيْرَةً مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، يَسْتَحِقُّ اِسْمَ النِّفَاقِ؟

قَالَ: لِقَولِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْـمُحْصَناتِ...﴾ الآياتِ(١)، ولِقَولِـهِ: ﴿إنَّ الْـمُنافِقِينَ هُمُ الْـفاسِقُونَ﴾. فَكَانَ كُلُّ فَاسِقٍ، مُنَافِقاً(٢)، إذَا كَانَتِ «الأَلِـفُ ولَامُ المَعْرِفةِ»(٣) مَوْجُودَيْنِ في الفُسَّاقِ(٤).

فَقَالَ عَمْرٌو: أَلَيْسَ قَالَ اللهُ ـ تعالى ـ(٥): ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٦). / ١٨٦/ وَ أَجْمَعَ أَهْلُ العِلْمِ عَلَى أنَّ صَاحِبَ الكَبِـيرَةِ، يَسْـتَحِقُّ اِسْمَ «ظَالِمٍ»(٧)، كَمَا يَسْتَحِقُّ اِسْمَ «فاسِقٍ» فَأَلَّا كَفَّرْتَ صَاحِبَ الكَبِـيْرَةِ مِـنْ أَهْـلِ الصَّلَاةِ، وَهُمُ الظَّالِمُونَ؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُـولَهُ وَيَتَعَـدَّ حُـدُودَهُ يُدْخِلْـهُ نـاراً خالِداً فِيها﴾(٨).

---

(١) النور: ٣. وَما بعدها.

(٢) في (هـ): منافق. من دون تنوين النصب.

(٣) في (هـ) و(ح): اللام. مَعَ (أل).

(٤) في (أ): الفاسق. بصيغة المفرد.

(٥) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٦) المائدة: ٤٥.

(٧) العبارة: «ظالم... اسم» ساقطة من (أ).

(٨) النساء: ١٤.

وقَوْلُهُ[١]: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنكُمْ نُذِقْهُ عَذاباً كَبِيراً﴾[٢].

وقَوْلُهُ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[٣].

وقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[٤].

ونَحْوُهَا مِنَ الآيَاتِ، فَإِنَّهَا مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الخُصُوصِ، والعُمُومِ، ومُحْتَمِلَةٌ الأمْرَيْنِ عَلَى الحَقِيقَةِ.

وتَكُونُ[٥] ـ أيْضاً ـ مُعَارَضَةً بِآيَاتٍ مِثْلِهَا، تَتَضَمَّنُ[٦] القَطْعَ عَلَى غُفْرَانِ الله ـ تعالى ـ لِمُسْتَحِقِّ العِقَابِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ﴾[٧]، وقَوْلِهِ: ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٨]، وقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ﴾[٩].

---

(١) في (أ): قوله. بسقوط (واو) العطف.

(٢) الفرقان: ١٩.

(٣) النساء: ١٢٣.

(٤) الانفطار: ١٤.

(٥) في (ك) و(هـ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (أ): أتتضمَّن.

(٧) الرعد: ٦.

(٨) الزمر: ٥٣.

(٩) النساء: ٤٨.

وقَالَ أَبُو القَاسِمِ[١] البَلْخيُّ: مَرَّ أَبُو عَمْرِو بنُ العَلَاءِ بِعَمْرِو بنِ عُبَيدٍ، وهُوَ يَتكَلَّمُ في الوَعِيدِ. فَقَالَ: إِنَّما أُوتيتُمْ مِنَ العُجْمَةِ، لأنَّ العَرَبَ، تَرَى تَرْكَ الوَعْدِ ذَمًّا، وأَنْشَدَ[٢]:

وإِنِّي ـ وإنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ ـ لَأُخلِفُ إِيْعَادِي وَأُنجِزُ مَوْعِدِي

وأَنْشَدَ[٣]:

إنَّ أَبَا خَالِدٍ لُمجْتَمِعُ الرَّأْيِ شَرِيفُ الأفْعَالِ والبَيْتِ
لَا يُخْلِفُ الوَعْدَ والوَعِيدَ ولَا يَبِيتُ مِنْ نَارِهِ عَلَى فَوْتِ

أَبُو وَجْزَةَ السَّعْدِيُّ:

صَدْقٌ إذَا وَعَدَ الرِّجَالُ وَ أَوْعَدُوا[٤] بِأَحَثِّ بَادِرَةٍ وَأَوفَى مَوْعِدِ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها﴾[٥].

قَالَ نافِعُ[٦] بنُ الأَزْرَقِ لِابْنِ عَبَّاسٍ:

(١) فرق وطبقات المعتزلة: ٨٨. الرواية عن أبي حنيفة باختلاف في اللفظ.

(٢) البيت لعامر بن الطفيل. انظر ديوان عامر بن الطفيل: ٥٨.

(٣) البيتان في فرق وطبقات المعتزلة: ٨٩. بلا عزو. وفيه: إنَّ أبا ثابتٍ...

(٤) في (ش): و أوعدونا. وفي (ح): وعدد الرجال وواعدوا.

(٥) المائدة: ٣٧.

(٦) لم أقف عليه.

كَيْفَ يَخْرُجُ[١] أَهْلُ النَّارِ، وَهُوَ يَقُولَ: ﴿وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها﴾ ؟

فَقَالَ[٢]: هذا في الكُفَّارِ. وأَوَّلُ[٣] الآيَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً...﴾ الآية[٤].

البُخاريُّ[٥]: قَالَ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: لَيُصِيبَنَّ أَقْوَاماً سَفَعٌ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ: الجَهَنَّمِيينَ.

وفي الصَّحِيحَيْنِ[٦]: قَالَ[٧] عَلِيٌّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: فَيخرجُونَ قَدْ اِمْتُحِشُوا وعَادُوا حُمَماً. قَالَ: فَيُلْقَونَ في نَهْرٍ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الحَيَاةِ.

قَالَ: فَينبِتُونَ فيهِ كَمَا تَنْبِتُ الحَبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ.

وقَالَ العَلاءُ بنُ سَيَّابَةَ لِلصَّادِقِ[٨] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: المُخْرَجُونَ مِنْ جَهَنَّمَ،

---

(١) في (هـ): تخرج. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) في (أ): قال. من دون (فاء).

(٣) في (أ): أولال.

(٤) المائدة: ٣٦.

(٥) صحيح البخاري: ٨: ١٤٣/ ٩: ١٦٤. باختلاف في اللفظ يسير.

(٦) صحيح البخاري: ٨: ١٤٤/ ٩: ١٥٧. عن طريق أبي هريرة/ ٩: ١٦٠. عن أبي سعيد الخدريّ. باختلاف في اللفظ يسير. صحيح مسلم: ١: ١١٣. عن طريق أبي هريرة/ ١: ١١٨. عن طريق أبي سعيد الخدري باختلاف في اللفظ يسير.

(٧) في (ح): قال ـ صلى الله عليه وآله.

(٨) مجمع البيان: ٥: ٢١٠.

يَكُونُونَ فِي الجَنَّةِ مَعَ أَوْلِياءِ الله؟

فَقَالَ: [ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ][١] يَا عَلَاءُ! إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يَقُولُ: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٢]... الخَبَرُ.



(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٢) الرحمن: ٦٢.

فصل [ـ ٤ ـ]

[في الرِّزق]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[١].

وقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ﴾[٢].

ثُمَّ قَالَ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[٣].

وقَالَ: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ﴾[٤].

الرِّزْقُ: مَا هُوَ بِالانْتِفَاعِ[٥] بِهِ أَوْلَى. فَإِضَافَةُ الرِّزْقِ إلى الله ـ تعالى وَاجِبَةٌ، لأَنَّهُ [ـ تعالى ـ][٦] خَلَقَ الحَيَاةَ، والشَّهْوَةَ، وَمَكَّنَ مِنَ الانْتِفَاعِ بِالقُدْرَةِ، والآلاتِ. وقَالَ: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٧] وَقَالَ: ﴿هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللهِ

---

(١) سبأ: ٣٩.

(٢) المنافقون: ١٠.

(٣) البقرة: ٢٦١.

(٤) البقرة: ١٨٨.

(٥) في (ش): الانتفاع، بإسقاط حرف الجر (الباء).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٧) الذاريات: ٥٨.

يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ﴾ (١)، وقَالَ: ﴿أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ (٢).

فَأمَّا إذَا أُضِيفَ إلَيْنَا - عَلَى جِهَةِ الهِبَةِ والوَصِيَّةِ، وَنَحْوِهِما(٣) - فَهُوَ عِبَارَةٌ(٤) عَنْ تَصَرُّفِنَا فِيهِ عَلَى الوَجْهِ، الَّذي يُنْتَفَعُ بِهِ. وَمِنْهُ يُقَالُ: رَزَقَ السُّلطانُ جُنْدَهُ. ولَا يُقَالُ: إنَّهُ رِزْقٌ مِنَ البائعِ. لأنَّهُ قَدْ أخَذَ العِوَضَ مِنْهُ. ولَا يُقالُ: إنَّهُ رِزْقٌ مِنَ المَوْرُوثِ. أوْ: رِزْقٌ مِنَ الغَنَائمِ. لأنَّ السَّبَبَ الَّذي وَقَعَ التَّمليكُ بِهِ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ، وَلَا تَابعٌ لِاخْتِيَارِهِ.

***

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (٥).

قَالَ الرُّمَّانِيُّ(٦): فيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أنَّ كُلَّ مَا خَلَقَهُ اللهُ - تعالى - مِمَّا يُملَكُ، فَهُوَ رِزْقٌ للعِبَادِ. إلَّا مَا أخْرَجَهُ الدَّلِيلُ مِنَ الحَرَامِ.

ولَا يَجُوزُ أنْ يَخْلُقَ اللهُ [- تعالى -] (٧) حَيَوَاناً، يُرِيدُ تَبْقِيَتَهُ إلَّا وَقَدْ(٨) هَيَّأَ لَهُ

---

(١) فاطر: ٣.

(٢) الملك: ٢١.

(٣) في (ك) و(هـ): نحوها.

(٤) في (أ): عيان. وهو تحريف.

(٥) البقرة: ٢٩.

(٦) قول الرمَّاني هذا منسوبٌ في الجامع لأحكام القرآن: ١: ١٧٧ إلى المعتزلة.

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ): فقد. مَعَ الفاء.

رِزْقَاً. وأمَّا الَّذي يُولَدُ مَيْتاً، فَإنَّهُ لَا رِزْقَ لَهُ في الدُّنْيَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(١).

الرِّزْقُ، لَا يكُونُ إلَّا حَلَالاً. لأنَّ الله(٢) ـ تعالى ـ مَدَحَ مَنْ أنْفَقَ مِنْ رِزْقِهِ، ونَحْنُ مَنْهِيُّونَ عَنِ الإنْفَاقِ مِنَ الحَرَامِ. وأبَاحَ ذلكَ(٣) فَقَالَ: ﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾(٤)، وقَال: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ﴾(٥)، وقَالَ: ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(٦).

وهذا مَانِعٌ مِنْ كَوْنِ الحَرَامِ رِزْقَاً لاسْتِحالَةِ(٧) أنْ يَكُونَ مَا تَمَدَّحَ بِفِعْلِهِ، ومَدَحَ عَلَى التَّصَرُّفِ فيهِ، وأباحَ تَنَاوُلَهُ، هُوَ مَا نَهَى عَنْهُ، وتَوَعَّدَ عَلَيهِ، وتَعَبَّدَ بِالمَنْعِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ.

ولَوْ كَانَ الحَرَامُ رِزْقَاً لَحَلَّ أمْوَالُ النَّاسِ لِكُلِّ غَاصِبٍ، وظَالِمٍ، وسَارِقٍ(٨).

---

(١) البقرة: ٣.

(٢) في (هـ): لأنَّهُ تعالى.

(٣) في النسخ جميعها: لك. وما أثبتناه من (ط).

(٤) المؤمنون: ٥١.

(٥) البقرة: ١٧٢.

(٦) الأعراف: ٣٢.

(٧) في (ش): رزق الاستحالة. بالمضاف والمضاف إليه.

(٨) في (أ): أوْ سارق.

وَتكُونُ المحرَّمَاتُ مِنَ الخَمْرِ / ١٨٧/ والخِنْزِيرِ، والمِيْتَةِ، لَنَا أَرْزَاقاً، وإنَّ مَنْ وَطِيء زَوْجَةَ[١] غيْرِهِ، يَكُونُ ذلِكَ رِزْقاً لَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها﴾[٢].

قَالَ الرُّمَّانيُّ: مَا افْترَسَهُ السَّبُعُ، رِزْقٌ لَهُ، بِشَرطِ غَلَبَتِهِ عَلَيهِ، كَمَا أَنَّ أَمْوَالَ المُشْرِكِينَ، رِزْقٌ[٣] لَنَا، بِشَرْطِ غَلَبَتِنَا عَلَيْهَا.

وقَالَ الطُّوسِيُّ[٤]: إنَّ رِزْقَهُ مَا لَيسَ لَنَا، مَنْعُهُ مِنْهُ. فَأَمَّا مَا لَنَا مَنْعُهُ مِنْهُ: إمَّا أنْ يَكُونَ مُلْكاً لَنَا، أوْ أذِنَ لَنَا فِيهِ، فَلَا يَكُونُ رِزْقاً لَهُ عَلَى الإطْلَاقِ. وَلَنَا أنْ نَمْنَعَ البَهَائمَ مِنَ الزَّرْعِ، ولَيْسَ لَنَا مَنْعُهَا عَنِ الكَلأ، والمَاءِ. غَيْرَ أَنَّهُ لا يَكُونُ رِزْقاً لَهَا، إلَّا إذَا جُعِلَ في أفْوَاهِهَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ إنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ﴾[٥].

---

(١) في (هـ): زوجته. وهو تحريف.

(٢) هود: ٦.

(٣) في (ك) و(هـ): رزقاً. بتنوين النَّصب.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ١: ٥٧.

(٥) سبأ: ٣٩.

وقَوْلُهُ: ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ (١).

وقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللهُ﴾ (٢).

أَيْ: إِنَّهُ يُوسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ عَلَى حَسَبِ(٣) مَا يَعْلَمُ مِنْ مَصْلَحتِهِ، ومَصْلَحَةِ غَيْرِهِ.

و ﴿يَقْدِرُ﴾ أَيْ: يُضَيِّقُ.

و﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: هُوَ الزِّيادَةُ فيهِ، قَدْرَ الكِفَايةِ.

و«القَدْرُ»: تَضْييقُهُ عَلَى قَدْرِ الكِفَايةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ﴾ (٤).

أَيْ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ المَنَافِعَ العَاجِلَةَ في الدُّنْيَا عَجَّلْنَا لَهُ فِيها ـ يَعْني في الدُّنْيَا ـ القَدْرَ(٥) الَّذي(٦) نُرِيدُهُ، لِمَنْ نُرِيدُ، لَا عَلَى قَدْرِ ما يُرِيدُونَهُ، لأنَّ مَا يُرِيدُونَهُ، رُبَّما

(١) العنكبوت: ٦٢.

(٢) الطّلاق: ٧.

(٣) في (أ): حيث. وهو تحريف.

(٤) الإسراء: ١٨.

(٥) في (أ): القدرة.

(٦) في (هـ): الّتي.

كَانَ فِيهِ مَفْسَدَةٌ، لَا يَجُوزُ إِعْطَاؤُهُمْ إِيَّاهُ.

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُ إِذَا أَعْطَاهُمْ مَا طَلَبُوهُ عَاجِلاً، جَعَلَ لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً عَلَى مَعَاصِيهِمْ، وَكُفْرِهِمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾ (١).

اِحْتِجَاجاً مِنْهُمْ فِي مَنْعِ الحُقُوقِ بِأَنْ يَقُولُوا: كَيْفَ نُطْعِمُ مَنِ اللهُ ـ تعالى ـ قَادِرٌ عَلَى إِطْعَامِهِ، وَلَوْ شَاءَ أَطْعَمَهُ. فَإِذَا لَمْ يُطْعِمْهُ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَشَاءُ إِطْعَامَهُ. فَنَحْنُ ـ إِذَنْ ـ أَحَقُّ بِذلِكَ.

وذَهَبَ عَلَيْهِمْ أَنَّ اللهَ ـ تعالى ـ تَعَبَّدَ بِذَلِكَ، لِمَا هُمْ فيهِ مِنَ المَصْلَحَةِ، واللُّطْفِ فِي فِعْلِ الوَاجِبَاتِ، وتَرْكِ المُحَرَّمَاتِ، فَلِذلِكَ كَلَّفَهُمْ اللهُ إِطْعَامَ غَيْرِهِمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ﴾ (٢).

شَرَطَ اللهُ [ـ تعالى ـ](٣) ـ فِي هذِهِ الآيَةِ ـ أَنَّ مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا دَوْنَ الآخِرَةِ،

---

(١) يس: ٤٧.

(٢) هود: ١٥.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

فَإِنَّ اللهَ مُوَفِّيهِ جَزَاءَ عَمَلِهِ فِيهَا، لَا يَبْخَسُهُمْ شَيْئاً مِنْهُ.

وقَالَ الضَّحَّاكُ[١]، وَمُجَاهِدٌ[٢]: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ﴾: أيْ: يُعْطِي سَائلاً مَا سَأَلَهُ، أَوْ يَرْحَمُ مُضطَرّاً، وغَيْرَ ذلِكَ مِنْ أفْعَالِ الخَيْرِ، فَإِنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُعَجِّلُ لَهُ جَزَاءَ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، بِتَوْسِيعِ[٣] الرِّزْقِ، وإِقْرَارِ العَيْنِ ـ بِمَا خَوَّلَ ـ وَدَفْعِ مَكَارِهِ الدُّنْيَا.

وقَالَ الجُبَّائِيُّ[٤]: الغَزْوُ مَعَ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ دُونَ ثَوَابِ الآخِرَةِ، وأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُوَفِّيَهُمْ قِسَمَهُمْ[٥].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَآتاهُمُ اللهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ﴾[٦].

قَالَ قَتَادَةُ[٧]، والرَّبِيعُ[٨]، وابْنُ جُرَيجٍ[٩]: هُوَ نَصْرُ المُسْلِمِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ

---

(١) جامع البيان: ١٢: ١٢. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٤٨.

(٢) جامع البيان: ١٢: ١١.

(٣) في (ك): توسُّع.

(٤) مجمع البيان: ٣: ١٤٨.

(٥) في (هـ): قسمه. بإضافته إلى ضمير المفرد الغائب (الهاء).

(٦) آل عمران: ١٤٨.

(٧) جامع البيان: ٤: ١٢٢. الدر المنثور: ٢: ٣٤١.

(٨) جامع البيان: ٤: ١٢٢.

(٩) جامع البيان: ٤: ١٢٢. الدر المنثور: ٢: ٣٤١.

حَتَّى ظَفِرُوا بِهِمْ، وأَخَذُوا الغَنِيْمَةَ.

ويَجوزُ أنْ يَكُونَ مَا آتاهُمُ اللهُ في الدُّنْيَا مِنَ النَّصْرِ، والظَّفَرِ(١)، وَأَخْذِ الغَنِيمَةِ ثَوَاباً مُسْتَحَقّاً لَهُمْ عَلَى طَاعَاتِهِم، لأنَّ في ذلِكَ تَعْظِيماً لَهُمْ، وتَبْجِيلاً(٢). ولِذلِكَ نَقُولُ: إنَّ المَدْحَ عَلَى أفْعَالِ الطَّاعَةِ، والتَّسْمِيَةِ بِالأسْمَاءِ الشَّرِيفَةِ، بَعْضُ الثَّوَابِ.

ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ اللهُ أعْطَاهُمْ ذلِكَ تَفَضُّلاً مِنْهُ ـ تعالى ـ(٣) أوْ مَا لَهُمْ فيهِ مِنَ اللُّطْفِ، فَيَكُونُ تَسْمِيَتُهُ بِأنَّهُ ثَوَابٌ(٤)، مجَازاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾(٥).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ(٦): الأجْرُ في الدُّنْيَا: [الثَّنَاءُ](٧) الحَسَنُ، والوَلَدُ الصَّالِحُ.

وقَالَ الجُبَّائيُّ(٨): هُوَ مَا أمَرَ اللهُ بِهِ المُكَلَّفِينَ مِنْ تَعْظِيمِ الأنْبِيَاءِ ـ عليهم

(١) في (ح): من الظفر والنَّصر.

(٢) في (ك): تجيلاً. بتاء مثناة من فوق بعدها جيم معجمة من تحت وسقوط الباء بينهما.

(٣) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٤) في (هـ): ثواباً. بتنوين النَّصب.

(٥) العنكبوت: ٢٧.

(٦) جامع البيان: ٢٠: ١٤٤. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٢٨٠. الدر المنثور: ٦: ٤٥٩.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش). وهي في (ك): التقا.

(٨) مجمع البيان: ٢: ٢٦٥.

السلام ـ.

وقَالَ البَلْخيُّ[١]: وذلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجوزُ أنْ يُثِيبَ[٢] اللهُ ـ تعالى ـ في دَارِ التَّكْليفِ بِبَعْضِ الثَّوَابِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[٣].

مَعْنَاهُ: نَفْيُ الإِيْهَامِ عَنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُمْ[٤] لِعِبَادَتِهِ عَنْ أنْ يَكُونَ ذلِكَ لِعَائِدَةِ[٥] نَفْعٍ، تَعُودُ إِليهِ ـ تعالى ـ فَبَيَّنَ: أَنَّهُ لِعَائِدَةِ[٦] النَّفْعِ عَلَى الخَلْقِ دُوْنَهُ ـ تعالى ـ[٧] لاسْتِحَالَةِ النَّفْعِ عَلَيهِ، ودَفْعِ المَضَارِّ عَنْهُ، لأَنَّهُ غَنِيٌّ بِنَفْسِهِ، لَا يَحْتَاجُ إلى غَيْرِهِ، والخَلْقُ مُحْتَاجُونَ إليهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَارْزُقْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٨].

---

(١) مجمع البيان: ٤: ٢٨٠.

(٢) في (أ): يثبت. وهو تصحيف.

(٣) الذاريات: ٥٧.

(٤) في (ك) و(ح): إيَّاهُ.

(٥) في (ك) و(ح): لفائدة. بالفاء الموحّدة.

(٦) في (ح): لفائدة. بالفاء الموحَّدة.

(٧) (تعالى) ساقطة من (ح).

(٨) المائدة: ١١٤.

قَالَ الجُبائيُّ(١): أيْ: اِجْعَلْ ذلِكَ رِزْقَاً لَنَا، وارْزُقْنَا الشُّكْرَ عَلَيهِ، لأنَّ الشُّكْرَ لُطْفٌ فيهِ.

وفي الآيةِ، دَلَالَةٌ أنَّ العِبَادَ، يَرْزُقُ بَعْضُهُمْ بَعْضَاً بِدِلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لأنَّهُ لَوْ لَمْ يَصُحَّ ذلِكَ، لَمْ يَجُزْ أنْ يَقُولَ: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. كَمَا أنَّهُ لَمَّا لَمْ يَجُزْ أنْ يَكُونُوا آلِهَةً، لَمْ يَصُحَّ أنْ يَقُولَ: أنْتَ / ١٨٨/ خَيْرُ الآلِهَةِ. وَصَحَّ: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٢) وَ ﴿أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ﴾(٣) وَ ﴿أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾(٤).

وإنَّما قَالَ: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لأنَّهُ ـ تعالى ـ إذَا غَضِبَ عَلَى عَبْدِهِ، لَا يَقْطَعُ رِزْقَهُ مَادَامَ حَيَّاً بِخِلَافِ الآدَمِيِّنَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً﴾(٥).

إنَّما ذَكَرَ ذلِكَ، عَلَى وَجْهِ التَّأكِيدِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾(٦).

***

(١) مجمع البيان: ٢: ٢٦٥.

(٢) الأعراف: ١٥١. يوسف: ٦٤، ٩٢. الأنبياء: ٨٣.

(٣) الأنعام: ٦٢.

(٤) المؤمنون: ١٤: الصافَّات: ١٢٥.

(٥) النحل: ١١٤.

(٦) النساء: ١٦٤.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[١].

أيْ: حَظَّكم.

وَقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ[٢]: أيْ: شُكْرَكُمْ. وَهْيَ لُغَةُ[٣] أزْدِشَنُوْءَةَ. يُقَالُ: مَا رَزَقَ فُلَاناً. أيْ: مَا شَكَرَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٤].

الرِّزْقُ الكريمُ: هُوَ الخَيْرُ المُعْطَى عَلَى الإِدْرَاكِ المُهَنَّا مِنْ غَيْرِ تَنْغيصٍ[٥] بالامْتِنَانِ. وهْوَ رِزْقُ الله ـ تعالى ـ الَّذي يَعُمُّ جَمِيعَ العِبَادِ، ويَخُصُّ مَنْ يَشَاءُ بِالزِّيَادَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وادِياً إلاَّ

---

(١) الواقعة: ٨٢.

(٢) جامع البيان: ٢٧: ٢٠٨. وهو المرويُّ عن علي (عَلَيْهِ السَّلامُ). أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٢٢٦. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٢٢٨.

(٣) مجمع مقاييس اللغة: ٢: ٣٨٨. (مادة ـ رزق).

(٤) الأنفال: ٧٤. الحج: ٥٠. النور: ٢٦. سبأ: ٤.

(٥) في (ش): تبغيض. بالباء الموحدة من تحت بعدها غين معجمة وضاد معجمة بعد الياء. وفي (أ): تبعض.

كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ﴾(١).

يَعْني: النَّفَقَةَ الَّتي يُرِيدُونَ بِهَا إعْزَازَ دِيْنِ الله، ونَفْعَ الْمُسْلِمينَ، والتَّقَرُّبَ إلى الله.

والإنفَاقُ إذَا كَانَ لِلْشَّهْوَةِ، أوْ لِيُذكَرَ بِالجُودِ، كَانَ ذلِكَ مُبَاحاً، وإذَا كَانَ للرِّيَاءِ، والسُّمعَةِ، أوْ للمُعَاوَنَةِ عَلَى فَسَادٍ، كَانَ مَعْصِيَةً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ﴾(٢).

أيْ: النُّبُوَّةَ، والإمَامَةَ، والأَرْزَاقَ الكَثِيرَةَ، والإملَاكَ الخَطِيرَةَ. إلَّا أنَّهُ لَايَجُوزُ أنْ يُمَكِّنَ ظَالِماً مِنَ الظُّلْمِ، أوْ غَاصِباً مِنَ الغَصْبِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلِ اللهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ﴾(٣).

قَالَ البَلْخيُّ(٤)، والجُبَّائيُّ(٥): لَا يَجُوزُ أنْ يُعْطِيَ اللهُ المُلْكَ للفَاسِقِ، لأنَّهُ

(١) التوبة: ١٢١.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) آل عمران: ٢٦.

(٤) متشابه القرآن: ١: ١١٠، ١٤٤.

(٥) متشابه القرآن: ١: ١١٠، ١٤٤.

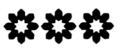
تَمْلِيكُ الأَمْرِ العَظِيمِ، مِنَ السِّيَاسَةِ، والتَّدْبِيرِ مَعَ المَالِ الكَثِيرِ، لِقَولِهِ: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١). والمُلْكُ مِنْ أَعْظَمِ العُهُودِ، ولَا يُنافِي ذلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللهُ الْـمُلْكَ﴾ (٢). لِقَوْلِ مُجَاهِد(٣): «الهاءُ»، كِنايَةٌ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، والمُلْكُ أَرَادَ بِهِ النُّبُوَّةَ. والتَّقْدِيرُ: أَنْ آتَى(٤) اللهُ إِبْراهِيمَ النُّبُوَّةَ.

ويُقَالُ: المُرَادُ بِالمُلكِ: المَالُ دُوْنَ السِّيَاسَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْـكِتابَ وَالْـحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (٥).

رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ النُّبُوَّةَ، والإمَامَةَ، والمُلْكَ، لَا تَجْتَمِعُ(٦) في بَيْتٍ وَاحِدٍ.



(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٥٥.

(٤) في النسخ جميعها: آتاهُ. وما أثبتناه هو الموافق للسِّياق.

(٥) النساء: ٥٤.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يجتمع. بياء المضارعة المثناة من تحت.

فصل [ـ ٥ ـ]

[في الأجَل]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ﴾[1].

وقَوْلُهُ: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[2].

وقَوْلُهُ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾[3].

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[4].

وقَالَ: ﴿إِنَّ أَجَلَ الله إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾[5].

لَا تَنَاقُضَ بَيْنَهَا[6]، لأنَّ الأجَلَ، الوَقْتُ المَعْلُومُ أَنَّهُ[7] يَحْدُثُ فِيهِ أمْرٌ مِنَ

---

(١) الأنعام: ٢.

(٢) المنافقون: ١٠.

(٣) نوح: ٤.

(٤) الأعراف: ٣٤.

(٥) نوح: ٤.

(٦) في (هـ) و(ح): بينهما. وهو تحريف.

(٧) في (ح): المعلوم له.

الأُمُورِ، لأنَّ التَّأجِيلَ يَكُونُ بِهِ الوَقْتُ أجَلاً لأَمْرٍ. وَمَا فِي المَعْلُومِ، لَيْسَ بِأَمْرٍ.

والأَجَلُ، لَا يَتَأَخَّر، ولَا يَتَقَدَّمُ. والأَجَلُ المَشْرُوطُ بِحَسَبِ الشَّرْطِ.

ولَا يَجُوزُ أنْ يَكُونَ المُقَدَّرُ أجَلاً، كَمَا لَا يَجُوزُ أنْ يَكُونَ مُلْكاً.

والظَّاهِرُ [أَنَّهُ] [١] عِنْدَ حُصُولِ الأَجَلِ ـ لَا يَصُحُّ وُقُوعُ [٢] التَّقْدِيمِ، والتَّأخِيرِ، فَأَمَّا قَبْلَ ذلِكَ، فَلَا يَبْعُدُ أنْ يَقَعَ ـ هُنَاكَ ـ مَا يَقْطَعُ عَنْدَ بُلُوغِهِ الأَجَلَ مِنْ قَتْلٍ، وغَيْرِهِ.

فَإِنْ سُمِّيَ مَا يَعْلَمُ اللهُ ـ تعالى ـ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُقْتَلْ فيهِ، لَعَاشَ إليهِ ـ أجَلاً، كَانَ ذلِكَ مجَازاً، لأنَّ الحيَّ، لَمْ يَعِشْ إليهِ.

ولا يَمْتَنِعُ أنْ يَعْلَمَ اللهُ ـ تعالى ـ مِنْ حَالِ المَقْتُولِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقْتُلْهُ القَاتِلُ، لَعَاشَ إلى وَقْتٍ آخَرَ.

وكذلِكَ مَا رُوِيَ فِي قِصَّةِ [٣] يُونُسَ، وأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ [٤] صَرَفَ عَنْهُم العَذَابَ، وزَادَ فِي آجَالِهِمْ، وَمَا رُوِيَ [٥]: أنَّ الصَّدَقَةَ، وصِلَةَ الرَّحِمِ، يَزِيدَانِ فِي

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٢) (وقوع) سقطت من (ك).

(٣) إشارةً إلى قوله تعالى من سورة يونس: ٩٨: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ﴾.

(٤) (تعالى) سقطت من (ح).

(٥) صحيح البخاري: ٨: ٦. صحيح مسلم: ٨: ٨. بلفظ مختلف.

الأجَلِ. لَا يَمْنَعُ مِنهُ مَانِعٌ، وإنَّمَا مَنَعَ مِنَ التَّسْمِيَةِ لِمَا[١] قُلْنَاهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ﴾[٢].

الظَّاهِرُ أَنَّهُ قَضَى أجَلاً، وأنَّ عِنْدَهُ أجَلاً مُسَمَّى. ولَيْسَ فيهِ أَنَّهُمَا أجَلانِ لأَمْرٍ وَاحِدٍ، فَيُمكِنُ أنْ يَكُونَ أحَدُهُمَا المَوْتُ في الدُّنْيَا، [والآخَرَ][٣] أجَلُ حَيَاتِهِمْ في الأُخرَى.

ثُمَّ إنَّهُ يَعُمُّ الجَمِيعَ، ولَيْسَ لِلْجَمِيعِ أجَلَانِ عِنْدَ المُخَالِفِ.

ثُمَّ إنَّهُ أضَافَهُ إلى نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿عِنْدَهُ﴾. وَقَالَ: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[٤] في هذا الأجَلِ المُسَمَّى. يَعْني بِهِ: القِيَامَةَ. وكَانُوا يَشُكُّونَ فيهِ. وأَكْثَرُ مَا في القُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَجَلٍ مُسَمّى﴾[٥] يَكُونُ المعنيُّ[٦] بِهِ يَومَ القِيَامَةِ. نَحْوُ: ﴿لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ...﴾[٧].

***

(١) في (هـ): ما. من دون حرف الجر (اللام).

(٢) الأنعام: ٢.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ). وفيها: وَأجل. مَعَ (الواو).

(٤) الأنعام: ٢.

(٥) مثلاً: في: إبراهيم: ١٠. طه: ١٢٩. العنكبوت: ٥٣. فاطر: ٤٥. الشورى: ١٤. نوح: ٤.

(٦) في (ش) و(ك)و(هـ) و(أ): معنيّ. من دون (أل).

(٧) يونس: ١٩. هود: ١١٠. طه: ١٢٩. فصلت: ٤٥.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ / ١٨٩/ اللهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً﴾[١].

قالَ الجُبَّائيُّ[٢]: في الآيَةِ، دَلالَةٌ عَلَى أنَّ أجَلَ الإنْسَانِ، إنَّما هُوَ أجَلٌ وَاحِدٌ. وَهْوَ الوَقْتُ الَّذي يَمُوتُ فِيهِ، لأنَّهُ لَا يُقْتَطَعُ[٣] عَنِ الأجَلِ الَّذي أخْبَرَ أللهُ أنَّهُ أجَلٌ لِمَوْتِهِ.

وخَالَفَهُ اِبْنُ الاخْشِيدِ[٤]. والأَقْوَى، الأوَّلُ.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَوْ لا أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[٥]. وقَوْلُهُ: ﴿يُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[٦].

لَا دَلَالَةَ فِيهِمَا عَلَى مَقَالِهِمْ. لأنَّا لَا نَمْتَنِعُ مِنْ تَسْمِيَةِ المُقَدَّرِ بِأنَّهُ أجَلٌ، وإنَّما مَنَعْنَا[٧] مِنْ أنْ يَكُونَ ذلِكَ حَقِيقَةً.

***

(١) آل عمران: ١٤٥.

(٢) مجمع البيان: ١: ٥١٥.

(٣) في (هـ): يقطع.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) المنافقون: ١٠.

(٦) إبراهيم: ١٠.

(٧) في (ش): معناه. وهو تحريف.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ﴾[١].

قَالَ البَلْخيُّ[٢] لِكُلِّ أجَلٍ مُقدَّرٍ، كِتَابٌ، أُثبِتَ فِيهِ، فَلَا يَكُونُ آيَةً إِلَّا بأَجَلٍ، قَدْ قَضَاهُ اللهُ في كِتَابٍ عَلَى مَا يُوجِبُهُ التَّدْبِيرُ.

وقَالَ الجُبَّائيُّ[٣] لِكُلِّ أمْرٍ قَضَاهُ اللهُ ـ كِتَابٌ، كَتَبَهُ فيهِ. فَهُوَ عِنْدَهُ كَأجَلِ الحَيَاةِ، والمَوْتِ.

وقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ[٤] : لِكُلِّ كِتَابٍ ، وَقْتٌ ، يُعْمَلُ فيِهِ[٥] مِنَ التَّوْرَاةِ، والإنْجِيلِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ﴾[٦].

الظَّاهِرُ لَا يَقْتَضِي أَنَّهُ يَمْحُو مَا يَشَاءُ، ويُثْبِتُ مَا يَشَاءُ، وأنَّ الَّذي محَاهُ، هُوَ الَّذي أثْبَتَهُ. ولَوْ أطْلَقْنَا ذِلَكَ، لَمْ يَكُنْ بَدَاءً، لأنَّ البَدَاءَ[٧] إنَّما يَلْزَمُ إذَا عَزَمَ عَلَى

(١) الرعد: ٣٨.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٢٩٧.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٢٩٧.

(٤) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨.

(٥) في (ش) و(هـ) و(أ): به.

(٦) الرعد: ٣٩.

(٧) البداء: هو الظهور. فالمعنى في قول الأمامية: بدا لله كذا. أي: ظهر له في. ومعنى ظهر فيه. أي: ظهر منه وليس المراد تعقب الرأي ووضوح أمر كان قد خفي عنه (شرح عقائد الصدوق: ٢١٥).

فِعْلٍ، ثُمَّ قَبْلَ أنْ يَفْعَلَهُ، يَكْرَهُهُ، فَلَا يَفْعَلُهُ.

اِبْنُ عَبَّاسٍ[١] ، وقَتَادَةُ[٢] ، وابْنُ زَيْدٍ[٣] ، وابنُ جُريجٍ[٤] ، وأَبُو عَلِيٍّ[٥] الفَارِسيُّ : يَمْحُو اللهَ مَا يَشَاءُ في الأَحْكَامِ مِنَ النَّاسِخِ، والمَنْسُوخِ.

الكَلبيُّ[٦] ، والضَّحَّاكُ[٧] ، والحَسَنُ[٨] ، والجُبَّائيُّ[٩] : يَمْحُو مِنْ كِتَابِ الحَفَظَةِ، المُبَاحاتِ، ومَا لَا جَزَاءَ فيهِ.

اِبْنُ جُبَيْرٍ[١٠]: يَمْحُو مَا يَشَاءُ مِنْ ذُنُوبِ[١١] المُؤْمِنينَ فَضْلاً، ويُثْبِتُ ذُنُوبَ مَنْ يُرِيدُ عِقَابَهُ عَدْلاً.

عِكْرِمَةُ[١٢]: يَمْحُو بِالتَّوْبَةِ جَمِيعَ الذُّنُوبِ ،

---

(١) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. جامع البيان: ١٣: ١٦٩. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٣٣١.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. جامع البيان: ٣: ١٦٩. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٣٣١.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. جامع البيان: ٣: ١٦٩. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٣٣١.

(٤) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. جامع البيان: ٣: ١٦٩.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. وفيه: وهو اختيار الفارسيّ.

(٦) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. جامع البيان: ٣: ١٦٨.

(٧) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. الدر المنثور: ٤: ٦٥٩. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٣٣١.

(٨) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨.

(٩) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨.

(١٠) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. جامع البيان: ١٣: ١٧٠. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٣٣١.

(١١) في (أ): الذنوب. مَعَ (أل).

(١٢) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٣٣١.

ويُثْبِتُ بَدَلَ[١] الذُّنُوبِ الحَسَنَاتِ، لِقَولِهِ: ﴿إِلاَّ مَنْ تابَ وَآمَنَ﴾[٢].

السُّدِّيُّ[٣]: «يَمْحُو مَا يَشاءُ» يَعْنِي: القَمَرَ. «ويُثْبِتُ» يَعْني: الشَّمْسَ. بَيَانُهُ: ﴿فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ﴾[٤].

وقِيلَ: يَمْحُو مَا يَشَاءُ مِنَ القُرُونِ، يُثْبِتُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا، قَولُهُ[٥]: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾[٦].

اِبْنُ مَسْعُودٍ: قَالَ النَّبِيُّ[٧] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٨]: هُمَا كِتَابَانِ[٩] سِوَى أُمِّ الكِتَابِ يَمْحُو اللهُ مِنْهُ مَا يَشاءُ، ويُثْبِتُ. وَأُمُّ الكِتَابِ، لَا يُغَيَّرُ مِنْهُ شَيءٌ.

حَمْرانُ: قَالَ الصَّادِقُ[١٠] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: هُمَا أَمْرَانِ: مَوْقُوفٌ، ومَحْتُومٌ[١١].

---

(١) في (أ): بذل. بالذال المعجمة.

(٢) مريم: ٦٠. الفرقان: ٧٠.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٣٣٢.

(٤) الإسراء: ١٢.

(٥) في (ك): وقوله. مَعَ الواو.

(٦) مريم: ٧٤، ٩٨. ق: ٣٦.

(٧) مجمع البيان: ٣: ٢٩٨.

(٨) في (ك) و(ح): صلى الله عليه وآله.

(٩) (كتابان) كُرِّرتْ في (ك).

(١٠) الكافي: ١: ١٤٧. بزيادة في اللفظ.

(١١) في (ك): مختوم. بالخاء المعجمة من فوق. وهو تصحيف.

فَمَا كَانَ مِنْ مَحْتُومٍ، أَمْضَاهُ. فَلَهُ فيهِ المَشِيئَةُ، يَقْضِي فِيهِ مَا يَشَاءُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً﴾(١).

مَعْنَاهُ: لَوْلَا مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ، وضَرَ(٢) بَـهُ مِـنَ الآجَـالِ الَّتـي يُبْقِـي(٣) عِبَـادَهُ إِلَيْها، لَكَانَ الهَلَاكُ ـ الَّذي تَقَدَّمَ ذِكْـرُهُ: أَنَّ اللهَ أَوْقَعَـهُ بِـالأُمَمِ السَّـالِفَةِ ـ لَازِمَـاً، مُسْتَمِرَّاً.

يَشْهَدُ ـ بِذلِكَ ـ مَا قَبْـلَ الآيَـةِ: ﴿أَفَلَـمْ يَهْـدِ لَهُـمْ كَـمْ أَهْلَكْنـا قَـبْلَهُمْ مِـنَ الْـقُرُونِ...﴾ الآية(٤).

ويَكُونُ مَعَنى الآيةِ: لَوْلَا الأَجَلُ المَضْرُوبُ في التَّبْقِيةِ، واسْتِمْرَارُ التَّكْليفِ، لَكَانَ الهَلَاكُ، لَازِمَاً.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْـقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ﴾(٥).

---

(١) طه: ١٢٩.

(٢) في (أ): صرفه. وهو تحريف.

(٣) في (ش): ينفي. بنون موحّدة من فوق. بعدها فاء موحدة. وهو تصحيف.

(٤) طه: ١٢٨.

(٥) آل عمران: ١٥٤.

«كُتِبَ» لَا يَخْلُو(١): إمَّا أنْ يَكُونَ(٢) لإيْجَابِ فَرْضٍ، أوْ حُكْمٍ، أوْ قَضَـاءٍ، أوْ عِلْمٍ.

فَلَوْ فَرَضَ قَتْلَهُمْ، لَكَانَ قَاتِلُهُمْ، مُطِيعاً لِـذلِكَ، وأنْ يَكُـونَ قَتْـلُ المَقْتُـولِ، وَاجِباً عَلَى القَاتِلِ.

ولَا يَجُوزُ بِمَعْنى: الحُكْمِ. لأنَّهم يَكُونُـونَ مُسْـتَحِقِّينَ لِلْقَتْـلِ. وإنَّـما يُحْكَـمُ بِالقَتْلِ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ القَتْلَ، دُوْنَ مَنْ(٣) لَا يَسْتَحِقُّ.

وَلَا يَجوزُ بِمَعنَى: القَضَاءِ. لأنَّ ذلِكَ خَارِجٌ عَنْ اللُّغَةِ.

فَلَمْ يَبْقَ إلَّا العِلْمُ. وَمَا عَلِمَ اللهُ كَوْنَهُ، فَهْوَ كَـائِنٌ. لكِـنَّ العِلْـمَ لَا يُوجِـبُ المَعْلُومَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾(٤). وقَوْلُهُ: ﴿وَكُـلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً﴾(٥).

(١) في (هـ): (أ): تخلو. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

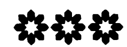
(٢) في (ح): تكون. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) في (أ): أمر. وهو تحريف.

(٤) يس: ١٢.

(٥) النبأ: ٢٩.

الوَجْهُ في إحْصَاءِ الأشْيَاءِ في الكِتَابِ، مَا في اِعْتِبَارِ المَلَائكَةِ فيها لِمَا[١] تَقَدَّمَ بِهِ الإثْبَاتُ[٢]. مَعَ أنَّ تَصَوُّرَ ذلِكَ يَقْتَضِي الاسْتِكْثَارَ مِنَ الخَيرِ، والاسْتِبْعَادَ مِنَ الشَّرِّ، كَمَا يَقْتَضِي إذَا قِيْلَ للإنْسَانِ: مَا تَعْلَمُهُ فَإنَّهُ[٣] لَكَ، وعَلَيْكَ[٤].



(١) في (ط): لا.

(٢) العبارة (ما في... الإثبات) هكذا وردت في النسخ جميعها، وهي عبارة مضطربة.

(٣) في (ح): فهو.

(٤) (وعليك) ساقطة من (ك).

فصل [ـ ٦ ـ]

[في الموت]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[(١)]. ﴿يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾[(٢)]. ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[(٣)].

وقَالَ[(٤)]: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾[(٥)]. ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ﴾[(٦)]. وقَالَ: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾[(٧)]. ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[(٨)].

أَضَافَ الفِعْلَ ـ في ذلِكَ ـ إلى جَمَاعَتِهِمْ ـ تَارَةً ـ لأَنَّهُمْ أَعْوَانُهُ، وإليهِ ـ تَارَةً ـ لأَنَّهُ المُؤَمَّرُ، وإلَيْنَا ـ تَارَةً ـ للسَّبَبِ المؤَدِّي إليهِ، وإلى نَفْسِهِ ـ تَارَةً ـ لأَنَّهُ بِحُكْمِهِ.

---

(١) يونس: ٥٦.

(٢) الجاثية: ٢٦.

(٣) الزمر: ٤٢.

(٤) في (هـ): فقال. مَع الفاء. وهي ساقطة من (ح).

(٥) السجدة: ١١.

(٦) الأنفال: ٥٠.

(٧) الأعراف: ٢٥.

(٨) البقرة: ١٩٥.

وَقِيلَ: المَيِّتُ في القِتَالِ، تَتَوَفَّاهُ[١] المَلَائكَةُ[٢]، والمَيِّتُ عَلَى الفِرَاشِ، يَتَوَفَّاهُ مَلَكُ المَوْتِ، والمَيِّتُ في المَنَامِ، يَتَوَفَّاهُ اللهُ.

ويُقَالُ: النَّزْعُ مِنَ المَلَائكَةِ، والقَبْضُ مِنْ مَلَكِ المَوْتِ، والإمَاتَةُ مِنَ اللهِ.

وقَالَ مُجَاهِدٌ: المَشَارِقُ، والمَغَارِبُ، كَالمَائدَةِ الصَّغِيرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، يَتَنَاوَلُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ، يَدْعُو الأَرْوَاحَ / ١٩٠/ فَتُجِيبُهُ. واخْتَلَفُوا في المَوْتِ:

فَقَالَتِ الفَلَاسِفَةُ: المَوْتُ عَنْ ضَعْفِ الطَّبِيعَةِ، وقِلَّةِ اقْتِدَارِهَا[٣] عَلَى إمْسَاكِ[٤] الرُّوحِ، فَتَقْفِزُ الرُّوحُ، وتَرْجِعُ إلى العَالَمِ.

وقَالَ النَّظَّامُ[٥]: المَوْتُ، آفَةٌ، تَدْخُلُ عَلَى الإنْسَانِ، فَتَمْنَعُهُ عَنِ الحِسِّ[٦]، والعِلْمِ.

وقَالَ البَلْخيُّ[٧]، والأَسْوَارِيُّ[٨]: هُوَ عَرَضٌ، مُضَادٌّ للحَيَاةِ، كَمُضَادَّةِ السُّكُونِ الحَرَكَةَ.

---

(١) في النسّخ الخطية جميعها: يتوفّاه. بياء المضارعة المثناة من تحت. وما أثبتناه من (ط).

(٢) في (أ): المكلاة. وهو تحريف.

(٣) في (ش): اقتداءها. بالهمزة بعد الألف وهو تحريف.

(٤) في (ش): الإمساك. مَعَ (أل).

(٥) المغني في أبواب العدل والتوحيد: ١١: ٣٣٩. في جملة كلام.

(٦) في (أ): الحسن. بالنون.

(٧) مسائل الخلاف بين البصريين والبغداديين: ٢٣٥.

(٨) المغني في أبواب العدل والتوحيد: ١١: ٣٣١.

وقَالَ غَيْرُهُمَا: هُوَ تَفرُّقُ القَلْبِ، وتَبَايُنُ أجْزَائهِ.

وقَالَ الشَّيْخُ المُفِيدُ[١]: هُوَ شَيءٌ، يُضَادُّ الحَيَاةَ، ويَبْطُلُ مَعَهُ النُّمُوُّ، ويَستَحيلُ[٢] مَعَهُ الإحْسَاسُ. وهُوَ يحلُّ مَحَلَّ الحَيَاةِ، فَيَنفِيها.

والصَّحِيحُ: أنَّهُ اِنْتِفَاءُ الحَيَاةِ، وأنَّهُ لَيْسَ بِمَعْنىً. وَهُوَ اِختِيَارُ المُرْتَضَى.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْـمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾[٣].

قَالَتِ الفَلَاسِفَةُ: إنَّ مَوْتَ الفُجْأةِ، يَقَعُ لِمَعْنَيينِ: إمَّا بامْتِلَاءِ العُرُوقِ، أوْ خَلَائها. كالمَسْرَجَةِ، تَنْطَفِيءُ[٤] إذَا كَثُرَ دِهْنُهَا، ولَا تُزْهِرُ، إذا قَلَّ دِهْنُهَا.

وقَالَتِ الدَّيَّانُونَ[٥]: هُوَ بِتَقْدِيرِ الله ـ تعالى ـ عِنْدَ نَفَادِ[٦] أجَلِهِ، وانقِضَاءِ مَأكَلِهِ[٧].

***

(١) شرح عقائد الشيخ الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٣٦.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ح): تستحيل. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) الأنعام: ٦١.

(٤) في (أ): تنفطي. بنون ثم فاء. وهو تحريف.

(٥) هم الذين يؤمنون بالله ويدينون بعبادته ويعتقدون أنَّ الله بيده الحياة والموت.

(٦) في (هـ) و(أ): نفاذ. بالذال المعجمة. وهو تصحيف.

(٧) في (ك) و(هـ): أكله.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ﴾[١].

يَقْتَضِي أنَّ رُوْحَ الإنْسَانِ، هِيَ الإنْسَانُ. والإضافَةُ، وَقَعَتْ فِيها، كَما وَقَعَتْ في نَفْسِ الإنْسَانِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْـمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[٢].

وقَوْلُهُ: ﴿إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْـمَوْتُ﴾[٣].

يَعْني: إذَا قَرُبَ أَحَدُكُمْ مِنَ المَوْتِ.

ولَوْ لَمْ يَكُنْ كذلِكَ، لَمَا أُسْنِدَ إليهِ القَوْلُ بَعْدَ[٤] المَوْتِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿حَتَّى إذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْـمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ﴾[٥].

قَالَ الجُبَّائِيُّ[٦]: فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أنَّ أحَداً، لَا يَمُوتُ حَتَّى يَعْرِفَ ـ اِضْطِرَاراً

---

(١) السجدة: ١١.

(٢) المؤمنون: ٩٩.

(٣) البقرة: ١٨٠.

(٤) في (أ): بعدت. وهو تحريف.

(٥) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

(٦) مجمع البيان: ٤: ١١٨.

ـ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ الله ـ تعالى ـ وأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الثَّوَابِ، أوِ العِقَابِ.

ويُمِكنُ أنْ يُسْتَدَلَّ عَلَى ذلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ﴾(١)

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ﴾(٢).

يَدُلُّ عَلَى أنَّ كُلَّ نَفْسٍ تَذُوقُ المَوْتَ، وإنْ كانَتْ مَقْتُولَةً، عَلَى قَوْلِ جَماعَةٍ.

وعِنْدَنَا: إنَّ المَوْتَ، غَيْرُ القَتْلِ. فَنَقُولُ(٣): إنَّ المَقْتُولَ يَخْتَارُ(٤) اللهُ أنْ يَفْعَلَ فيهِ المَوْتَ، إذَا كَانَتْ في فِعْلِهِ مَصْلَحَةٌ.

ويُمِكنُ أنْ يَكُونَ المُرَادُ: كُلُّ نَفسٍ، تَعْدَمُ الحَيَاةَ، فَيَكُونَ ذلِكَ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعَارَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾(٥).

---

(١) يونس: ٦٤.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): فيقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) في (ش): تختار. بتاء المضارعة المثناة من فوق. وهو تصحيف.

(٥) المائدة: ٣٢.

إنَّما قَالَ: ﴿أَحْياها﴾ عَلَى وَجْهِ المَجَازِ. يَعْني: نَجَّاهَا مِنَ الهَلَاكِ، كَمَا حَكَى عَنْ نَمُرودِ إبراهيمَ(١): ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾(٢) فاسْتَبْقَى واحِداً، وقَتَلَ الآخَرَ. لأَنَّ اللهَ ـ تعالى ـ هُوَ المُحِيْي. ولَا يَقْدُرُ ـ عَلَى ذلِكَ ـ غَيرُهُ.



(١) في (ح) نمرود وإبراهيم.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

فصل [ـ ٧ ـ]

[في الرَّجعة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[١].

يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى إثْبَاتِ الفَنَاءِ[٢]. وَهُوَ: أَنَّ اللهَ ـ تعالى ـ لَمَّا كَانَ أَوَّلاً، ولَا شَيءَ مَعَهُ، ويَكُونُ آخِرَاً، كذلِكَ، فَلَابُدَّ ـ إذَنْ ـ أنْ يُعْدِمَهَا، لَيَصُحَّ هذا القَوْلُ.

واسْتَدَلَّ أَبُو هَاشِمٍ[٣] عَلَى إثْبَاتِ[٤] الفَنَاءِ بِالعَقْلِ. والصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ إلَّا بِالسَّمْعِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجا﴾[٥].

لَا خِلَافَ أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُحْيِي الجُمْلَةَ يَوْمَ القِيامَةِ. فَالفَوْجُ إنَّما يَكُونُ في

---

(١) الحديد: ٣. وفي (أ). تكملة الآية: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ﴾.

(٢) في (ك): الفَنَى. بالألف المقصورة.

(٣) المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين: ٢٣٥.

(٤) في (ك) على أنَّ إثبات.

(٥) النَّمل: ٨٣.

غَيْرِ القِيَامَةِ.

وقَولُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ﴾ (١).

قَالُوا: أيْ(٢): إنَّ اللهَ، يَرُدُّكَ إلى دَارِ الدُّنْيَا، لِنُصْرَةِ وَلَدِكَ. ولِذلِكَ نَكَّرَ. ولَوْ أرَادَ يَوْمَ القِيامَةِ، لَعَرَّفَ، وقَالَ: إلى المَعَادِ.

وقَولُهُ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (٣). دَلَّ عَلَى أنَّ بَيْنَ(٤) رَجعَةِ الآخِرَةِ، والمَوْتِ(٥)، حَيَاةً أُخْرَى.

ولَا يُنكَرُ ذلِكَ، لأنَّهُ قَدْ جَرَى مِثْلُهُ في [الزَّمَنِ](٦) الأوَّلِ، قَوْلُهُ ـ في قِصَّةِ بني إِسْرَائيلَ ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ﴾ (٧). وقَوْلُهُ ـ في قِصَّةِ عُزَير أوْ أرْمِيا ـ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ...﴾ (٨) إلى قَوْلِهِ: ﴿...قَدِيرٌ﴾ (٩). وَقَوْلُهُ ـ في قِصَّةِ إِبْراهيمَ ـ: ﴿رَبِّ

---

(١) القصص: ٨٥.

(٢) (أي) ساقطة من (ح).

(٣) البقرة: ٢٨.

(٤) في (أ): أنَّ في بين.

(٥) في (ش): الموقف.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٧) البقرة: ٢٤٣.

(٨) البقرة: ٢٥٩.

(٩) البقرة: ٢٥٩.

أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْـمَوْتى قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي...﴾ [١] الآية.

وقَالَ المُرْتَضَى [٢]: الطَّرِيقُ إلى إثْبَاتِ الرَّجْعَةِ، إجْمَاعُ الإمَامِيَّةِ.

ثُمَّ إنَّ الرَّجْعَةَ، لَا تُنَافِي الَّتكلِيفَ. فَإنَّ الدَّوَاعِيَ، مُتَرَدِّدَةٌ مَعَهَا، حَتَّى لَا يَظُنَّ ظَانٌّ أنَّ تَكليفَ مَنْ لَا يُعَادُ، لَا يَصُحُّ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ﴾ [٣].

وقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً﴾ [٤].

الإعَادَةُ: النَّشْأَةُ الثَّانيةُ. والقادِرُ [٥] عَلَى النَّشْأَةِ الأُولى، قادِرٌ عَلَى النَّشْأَةِ الثَّانيةِ / ١٩١/ ، لأنَّهُ بَاقٍ، قَادِرٌ عَلَى اِخْتِرَاعِهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، يُوَلِّدُهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا﴾ [٦].

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) العبارة بلفظها في كتاب (الشيعة والرجعة): للطَبَسيّ: ٢: ٢٥٩. نقلاً عن جواب المسائل التي وردت على السيد المرتضى من الريّ.

(٣) طه: ٥٥.

(٤) نوح: ١٨.

(٥) في (ك) و(هـ) و(ح): فالقادر. مَعَ الفاء.

(٦) الأنبياء: ١٠٤.

يَدُلُّ عَلَى إعَادَةِ مُسْتَحِقِّ الثَّوَابِ، لِدَوَامِ[١] الثَّوَابِ، وخُلُوصِهِ.

ولَا يَجِبُ إعَـادَةُ مُسْـتَحِقِّ العِـوَضِ، لانْقِطَاعِـهِ، وجَـوَازِ وُصُـولِهِ إليـهِ في الدُّنْيَا.

ولَا يَجِبُ[٢] إعَادَةُ مُسْتَحِقِّ العِقَابِ، لأنَّ العِقَابَ، يَحْسُنْ إسْقَاطُهُ عَقْـلاً[٣].

وقَدْ وَرَدَ السَّمْعُ بِإعَادَتِهِمْ، وإعَادَةِ الأطْفَالِ، والمجانينَ. ومَـا يَجِـبُ إعَادَتُـهُ، هُـوَ عَيْنُ الأجْزَاءِ الَّتي هِيَ أقَلُّ مَا يَكُونُ مَعَهُ الحيُّ حَيّاً، ويَبْلَى[٤] البَاقي.

أمَّا الأنْبِيَاءُ، والأئِمَّةُ ـ عليهم السلام ـ فَلَا تَبْلَى مِنْهُمْ جَارِحـةٌ، وإنَّهـم ـ في الجِنَانِ ـ مُنَعَّمُونَ.

***

قوله ـ سبحانه ـ حِكَايَةً عَـنِ الكُفَّـارِ ـ: ﴿إنَّ هـؤُلاءِ لَيَقُولُـونَ إنْ هِـيَ إلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولى وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ فَأْتُوا بِآبائِنا إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[٥].

أيْ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ لَوْ قَدَرَ عَلَى إعَادَةِ[٦] الأمْواتِ، وإحْيَـائِهِمْ، قَـدَرَ عَـلَى

---

(١) في (ك): الدوام. مَعَ (أل).

(٢) في (ح): تجب. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) في (هـ): غفلاً. بالغين المعجمة بعدها الفاء الموحدة. وهو تصحيف.

(٤) في (ك): بلي. بصيغة الماضي. وفي (ح): بلاء.

(٥) الدخان: ٣٤ ـ ٣٦.

(٦) العبارة: «الأموات وإحيائهم قدر على إعادة» ساقطة من (ك).

إعَادَةِ الآبَاءِ.

وهذا بَاطِلٌ. لأنَّ النَّشْأَةَ الثَّانِيَةَ إنَّما وَجَبَتْ لِلجَزاءِ، لَا لِلتَّكْليفِ. فَلَا يَلْـزَم إعَادَةُ الآبَاءِ، ولا جَزَاءَ.

قوله ـ سبحانه ـ في أهْلِ الجَنَّةِ ـ: ﴿لا يَـذُوقُونَ فِيهَـا الْـمَوْتَ إلاَّ الْـمَوْتَةَ الأُولى﴾[1].

قِيلَ: ﴿إلاَّ﴾ بِمَعْنَى: بَعْدَ. كَأَنَّهُ قَالَ: بَعْدَ المَوْتَةِ الأُولَى.

وقِيلَ: مَعَنَى ﴿إلاَّ﴾: سِوَى المَوْتَةِ الأُولَى.

وقِيلَ: إنَّها بِمَعْنَى: لكنْ. وتَقْدِيرُهُ: لكنِ المَوْتَةَ الأُولَى، فَذَاقُوهَا[2].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

لَا يَدُلُّ[4] عَلَى إثْبَاتِ التَّنَاسُخِ[5]. لأنَّهُ يُرِيدُ ـ بِالنَّشْـأةِ الأُولَى ـ نَشْـأَةَ العَـالَمِ أجْمَعَ. لأنَّهُ خَاطَبَ الْمُسْتَدِلِّينَ العَارِفِينَ بِهذِهِ الآيَةِ، لأنَّ اللهَ قَدْ أكْثَرَ النَّاسُ ـ بَعْدَهُ ـ

(١) الدخان: ٥٦.

(٢) في النسخ جميعها: فأذاقوها. مع همزة التعدية. وما أثبتناه هو الموافق للسياق.

(٣) الواقعة: ٦٢.

(٤) في (ك): لابُدَّ. وهو تحريف.

(٥) في (ك) التنانسخ. وهو تحريف.

تِلْكَ النَّشْأَةَ، فَصَحَّ أنْ يُقَالَ: إنَّهَا نَشْأَةٌ أُوْلَى. ولَمْ يَقُلْ: ولَقَدْ عَلِمْتُمْ نَشْأَتَكُمُ الأُوْلَى.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ﴾[١].

لَا يَدُلُّ عَلَى التَّنَاسُخِ. لأنَّهُ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ خَاطَبَ قَوْمَاً بِذَلِكَ، عَلَى أنَّ أوَائلَهُمْ، وأمْثَالَهُمْ، وَمَنْ دِينُهُ، دِينُهُمْ، فَعَلَ ذلِكَ. كَمَا يُقَالُ ـ لِلْيَهُودِ ـ: إنَّ بِخْتَنصر، قَتَلَكُمْ. وللمجُوسِ: إنَّ العَرَبَ صَنَعَتْ بِكُمْ يَومَ القَادِسيةِ كَيْتَ، وكَيْتَ. وقَدْ ذَهَبَ هذا المَعْنَى مِنْ قَبْلُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾[٢].

اِبْنُ عَبَّاسٍ[٣]: أيْ: تُبَدَّلُ صُورَتُهَا مِنَ الآجَامِ، والآكَامِ، والبِحَارِ، والأَنهَارِ، وتُبَدَّلُ السَّماوَاتُ، فَتَذْهَبُ شَمْسُهَا، وقَمَرُهَا، ونُجُومُهَا.

وقَالَ[٤] الطَّبَرِيُّ[٥]: مَعْنَاهُ: تُبَدَّلُ أَرْضُ الجَنَّةِ، وأرْضُ النَّارِ.

---

(١) البقرة: ٩١.

(٢) إبراهيم: ٤٨.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٣٢٤. الدر المنثور: ٥: ٥٧.

(٤) (وقال) سقطت من (ح).

(٥) جامع البيان: ١٣: ٢٥٤.

وعَنْ أمِيرِالمُؤْمِنينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ. إنَّ الأرضَ السُّفْلَى، تُرْفَعُ إلى الدُّنيا، أوِ السَّماءَ الدُّنْيَا، تَسْفُلُ إلى الأَرْضِ السّفْلَى.

والحِكْمَةُ في التَّبْدِيلِ، بُطْلَانُ قَـوْلِ الدَّهْرِيَّـةِ: إنَّ العَـالَمَ مُـدَوَّرٌ، ولَا يَفْنَـى. ولإظهَارِ[1] قُدرَتِهِ بِأَنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

وعَنِ النَّبيِّ[2] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ثُمَّ يَزْجُرُ اللهُ الخَلْقَ زَجْرَةً، فَإذَا هُمْ في هـذِهِ المُبْدَلَةِ مِنَ الأُولَى.

يَعْني: قَوْلَهُ: ﴿فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[3]. وهْـيَ أرْضُ القِيَامَـةِ، وعَلَيهـا يَقَـعُ الحِسَابُ. فَإذا فُرِغَ مِـنَ الحِسَـابِ، ضُرِبَ بَيْـنَهُمْ بِسُـوْرٍ فَرْقـاً بَـيْنَ أرْضِ الجَنَّـةِ، وأرْضِ النَّارِ.



(١) في (أ): ولا إظهار. وهو تحريف.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٣٢٤.

(٣) النازعات: ١٤.

فصل [ـ ٨ ـ]

[في عذاب القبر]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ : ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾[١].

قَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ[٢]، وقَتَادَةُ[٣]: أي: في القَبْرِ، إذا سُئِلَ المَوْتَى. وهْوَ المَرْوِيُّ عَنِ النَّبيِّ[٤] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ.

وقَالَ مُجاهِدٌ[٥]: ﴿فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٦]. يَعْني: في القَبْرِ.

أَبُو هُرَيرَةَ[٧]: قَالَ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) جامع البيان: ١٣: ٢١٦ ـ ٢١٧. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٣١٤. الدر المنثور: ٥: ٢٩.

(٣) جامع البيان: ٣: ٢١٧.

(٤) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٣٨.

(٥) جامع البيان: ٢١: ٥٢. الدر المنثور: ٦: ٤٩٨. الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ٤٢.

(٦) الروم: ٤٤.

(٧) جامع البيان: ١٦: ٢٢٨. الدر المنثور: ٥: ٦٠٨.

ضَنكًا﴾[١].

قَالَ: عَذابُ القَبْرِ.

قَالَ مُجاهِدٌ[٢]: ولَيْسَ يَجوزُ أنْ يُسَمُّوا هذِهِ المَعِيشَةَ، ضَنْكًا في الدُّنْيَا، لِوُجُودِ الكُفَّارِ في السَّعَةِ. فَعَلِمْنَا أَنَّهُ في غَيْرِ الدُّنْيَا قَبْلَ القِيامَةِ. وهُوَ القَبْرُ.

وقَالَ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٣]: يَا عَمُّ! كَيْفَ بِكَ إذَا دَخَلَ عَلَيْكَ مَلَكَانِ، أَزْرَقَانِ، فَظَّانِ[٤]، غَلِيظَانِ، وَمِنْ هَيئَتِهِمَا كذَا.

قَالَ الشَّيخُ المُفِيدُ[٥]: وليسَ يَنْزِلُ المَلَكَانِ إلَّا عَلَى حَيٍّ، ولَا يَسْأَلَانِ إلَّا مَنْ يَفْهَمُ المُسَاءلَةَ، ويَعْرِفُ مَعْنَاها، ويُدِيمُ حَيَاتَهُ لِثَوَابٍ، أوْ عِقَابٍ. لِمَا رُوِيَ عَنْهُمْ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: الخَيْرُ كُلُّهُ بَعْدَ المَوْتِ، والشَّرُّ كُلُّهُ بَعْدَ المَوْتِ.

وقَالَ النَّبِيُّ[٦] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: القَبْرُ، رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أو حُفْرَةٌ

---

(١) طه: ١٢٤.

(٢) قول مجاهد هذا في جامع البيان: ١٦: ٢٢٨. غير مَعْزُوٌّ إلى أحدٍ. وهو بلفظ مختلف في الدر المنثور: ٥: ٦٠٩.

(٣) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٤) (فظان) ساقطة من (أ).

(٥) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٣٩.

(٦) الخصال: ١: ١٢٠. في جملة حديث عن علي (عَلَيْهِ السَّلامُ). معاني الأخبار: ٢٦٧. فردوس الأخبار: ٣: ٢٨٣. عن أبي سعيد.

مِنْ حُفَرِ النِّيْرَانِ.

أمَّا المُعْتَزِلَةُ، فَقَدْ خَالفُونَا في ذلِكَ:

فَقَالَ يَحْيى بُن كَامِلٍ، وبِشْرُ المَرِيسي[١]، وضِرَارُ بنُ عَمْرٍو: مِنَ المَحَالِ أنْ يَنْعَمَ المَيِّتُ، أوْ يُعَذَّبَ.

وقَالَ صالحُ قُبَّة[٢]: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُحْدِثُ فِيهِمِ الألَمَ، ولَا[٣] يَشْعُرُونَ، فَإذَا حُشِرُوا، وَجَدُوا الألَمَ في ذلِكَ الوَقْتِ، كالسَّكْرانِ، والمُغْمَى عَلَيهِ.

وقَالَ مُحَمَّد بنُ[٤] جَرِيرٍ: يُعَذَّبُ المَيِّتُ في قَبْرِهِ مِنْ غَيْرِ أنْ يُرَدَّ[٥] الرُّوحُ عَلَيهِ. وهذا كُلُّهُ[٦]، مُحَالٌ، وَمِنْ كَلَامِ الجُهَّالِ.

أمَّا البَلْخيُّ، والصَّالِحِيُّ: يَجُوزُ عَذَابُ القَبْرِ، ولَا يَثْبُتُ القَوْلُ بِوُجُوبِهِ. وَمِنَ المُنْكَرِ، أنَّ مُنْكَرَاً، ونَكِيرَاً، يَسْألَانِهِ عَنْ عَقِيدَتِهِ.

وهذا مُحَالٌ بَعْدَ المَوْتِ.

---

(١) في النسخ جميعها: المريشي. بالشين المعجمة.

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): فيه. بالفاء الموحدة والياء المثناة من تحت بعدها هاء غير مثناة. وهو تصحيف. وفي (ح): صالح بن قبة.

(٣) في (ح): وهم لا يشعرون.

(٤) هو الطبري صاحب التفسير المتوفَّى سنة ٣١٠هـ.

(٥) في (هـ): ترد. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) (كلهُ) ساقطة من (هـ).

فَالجَوَابُ إنّما سُمِّيَا[١] مُنْكَراً، ونَكِيراً، لأَنَّهُ[٢] يُنْكِرُ الحَقَّ، ويُنكِرُ مَـا يَأْتِيَانِـهِ بِهِ، ويَكْرَهُهُ، وسُـمِّيَا[٣] مُـبِشِّراً، وبَشِـيراً[٤]، لأنَّـهُ يُبشِّرَانِـهِ بِـالنَّعِيمِ. وإنَّ هـذِينِ الاسْمَيْنِ، لَيْسَا بِلَقَبٍ، وإنّما هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ فِعْلِهِمَا. وهذا لَا يَسْتَحِيلُ.

وقَالَا: أمَّا قَوْلُهُ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها﴾[٥]: وَهُمْ يُعْرَضُـونَ عَـلَى النَّـارِ. وهذا مِنَ المُقَدَّمِ، والمُؤخَّرِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿آتوني أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطراً﴾[٦]. تَقْدِيراً: آتوني قِطْرَاً، أُفْرِغْ عَلَيهِ.

وقَالَا: قَوْلُهُ: ﴿غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾[٧]. والغُدُوُّ، والعَشِيُّ، لَا يَكُونَانِ في الآخِرَةِ. إذْ[٨] لَمْ يَصُحَّ في الآخِرَةِ غُدوٌّ، وعَشِيٌّ، فَيَصُحُّ تَقْدِيرُهُ: مِنَ الزَّمَانِ. وغَرَضُنَا، يَتِمُّ بِالتَّقْدِيرِ.

(١) في (ش) و(ك): تسمى. وفي (هـ) و(أ) و(ط): سُمِّي وفي (ح): يُسمّى. وما أثبتناه هو الموافق للسياق.

(٢) في (ش): إلا أنه. وهو تحريف.

(٣) في (ش) و(ك): تسمى. وفي (هـ) و(أ) و(ط): سُمِّي وفي (ح): يسمّى. وما أثبتناه هو الموافق للسياق.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ): مبشر وبشير. من دون تنوين النصب.

(٥) غافر: ٤٦.

(٦) الكهف: ٩٦.

(٧) غافر: ٤٦.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): إنْ بالنون.

ثُمَّ إنَّهُ قَالَ في آخِرِهِ : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْـعَذابِ﴾[1]. يَعْني: عَذَابَ جَهَنَّمَ. وذلِكَ أَشَدُّ مِنَ الَّذي تَقَدَّمَهُ مِنْ عَذاب القَبْرِ.

وأمَّا قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾[2] فَنَحْنُ[3] لَا نَتَعَلَّقُ بِهَا، وَهِيَ مُفَسَّرَةٌ في قَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ﴾[4].

***

قوله ـ سبحانه ـ حِكايةً عَنْ مُؤمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ ـ: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْـجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْـمُكْرَمِينَ﴾[5].

وقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ[6] عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[7]: مَنْ سَلَّمَ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعتُهُ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيَّ مِنْ بُعْدٍ، بُلِّغْتُهُ.

---

(١) غافر: ٤٦.

(٢) غافر: ١١.

(٣) (فنحن) ساقطة من (هـ).

(٤) البقرة: ٢٨.

(٥) يس: ٢٦، ٢٧.

(٦) أمالي الشيخ الطوسي: ١: ١٦٩. بتقديم وتأخير في اللفظ. تاريخ بغداد: ٣: ٢٩٢/ ٤: ٤٠٤. بزيادة في اللفظ.

(٧) في (ك) و(ح): صلى الله عليه وآله.

قَدْ ثَبَتَ أنَّ المَعْصُومِينَ ـ في جِنَانِ الله ـ أحْيَاءٌ، يُدْرِكُون بِحَوَاسِّهِمْ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنَ المَحْسُوسَاتِ. وَلَا يَمْتَنِعُ أنْ تُسْمِعَهُمْ[1] المَلَائكَةُ المُوَكَّلُونَ بِقُبُورِهِمْ ـ في أوْجَزِ مُدَّةٍ ـ سَلَامَ زَوَّارِهِمْ، شَافِعاً لِمَا يَسْمَعُونَهُ بِالوَسَائطِ بَيْنَهُمْ، وبَيْنَ زُوَّارِهِمْ، مِنْ غَيْرِ تَأخِيرٍ. وإذَا سَلَّمَ عَلَيْهِمِ الإنسَانُ، بَلَّغُوا ذلِكَ في تَرَاخي الأَوْقَاتِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[2].

الصَّحِيحُ: أنَّ المُؤمِنينَ كُلَّهُمْ في البَرْزَخِ، أحْيَاءٌ إلى أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، ثُمَّ يُحْيِيهِمِ اللهُ في الجنَّةِ.

يَدُلُّ عَلَى أنَّهُمْ أحْيَاءٌ في الحقِيقَةِ قَوْلُهُ: ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]. ولَوْ كَانَ المَعْنَى: يُسْتَحيَونَ[4] في الآخِرَةِ، [لَمْ يَقُلْ: ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾][5].

وإنَّ النَّعِيمَ، والعَذَابَ إنَّما يَصِلُ إلى الرُّوحِ، [لا][6] الجثَّةِ[7]، الَّتي تُرَى.

---

(١) في (هـ): يسمعهم. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

(٣) آل عمران: ١٧٠.

(٤) في (ك): سَيُحيون. بحرف الاستقبال (السين وياء المضارعة المثناة من تحت. وفي(ح): يحيون.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٧) في (ش) و(ك): الجنة. بالنون الموحدة من فوق. وهو تصحيف.

وَمَنْ زَعَمَ أنَّ الإنْسَانَ، هُوَ(١) هذِهِ الجُمْلَةُ المَعْروفَةُ، وجَعَلَ الجُثَّةَ جُزْءاً مِنْها، فَإنَّهُ يَقُولُ: تَلْطُفُ أجْزَاءٌ مِنَ الإنسَانِ، يُوْصَلُ(٢) إليها النَّعِيمُ، وإنْ لَمْ يَكُنِ الإنْسَانُ بِكَمَالِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ...﴾ الآيَة(٣).

قَالَ قَتَادَةُ(٤): كَانُوا أمْوَاتاً في أصْلَابِ آبَائِهِمْ ـ يَعْني نُطَفاً ـ ثُمَّ أحْيَاهُمْ بِأنْ أخْرَجَهُمْ، ثُمَّ أمَاتَهُمْ المَوْتَةَ، الَّتي لَابُدَّ مِنْهَا، ثُمَّ أحْيَاهُمْ بَعْدَ المَوْتِ. وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِ اِبْنِ عَبَّاسٍ(٥)، وابنِ مَسْعُودٍ(٦).

وقَالَ أَبُو صَالِحٍ(٧): ﴿وَكُنْتُمْ أَمْواتاً﴾. أيْ: في القَبْرِ، فَأحياكُمْ فيهِ(٨)، ثُمَّ

---

(١) العبارة: «هو هذه الجملة... من الإنسان» ساقطة من (ك).

(٢) في (ح): يصل.

(٣) البقرة: ٢٨.

(٤) مجمع البيان: ١: ٧٠ ـ ٧١. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٢٢. التفسير الكبير: ٢: ١٥١.

(٥) مجمع البيان: ١: ٧١. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٢٢. الدر المنثور: ١: ١٠٤. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٩.

(٦) مجمع البيان: ١: ٧١. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٢٢. الدر المنثور: ١: ١٠٤. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٩.

(٧) مجمع البيان: ١: ٧١. من دون عزو. وهو في التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٢٢. بلفظه معزوّ إلى أبي صالح، وكذا في الدر المنثور: ١: ١٠٤.

(٨) (فيه) ساقطة من (ك) و(ح).

يُميتُكمْ فيهِ[١] ثُمَّ يُحييكم يَوْمَ القِيَامَةِ.

والأوَّلُ، أصَحُّ.

ويُقَالُ: مَعْنَاهُ: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْواتاً﴾ يَعْني: خَامِلي الذِّكْرِ، دَارِسِي الأثَرِ، فَأحْيَاكُمْ بِالظُّهُورِ، والذِّكْرِ. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾[٢] عِنْدَ تَقَضِّي آجالِكُمْ. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبَعْثِ. كَمَا قَالَ أبو نُخَيلَةَ[٣] السَّعْدِيُّ[٤]:ـ

فَأحيَيْتَ[٥] مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً ولكنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ﴾[٦].

---

(١) (فيه) ساقطة من (ك) و(ح).

(٢) البقرة: ٢٨.

(٣) في (ش): بجيلة. بالجيم المعجمة من تحت. وهو تصحيف.

(٤) عيون الأخبار: ٣: ١٦٥. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٢٢. دلائل الإعجاز: ٣٧. وفيه: وأنبهتَ لي ذكري. الحماسة الشجريَّة: ١: ٤٠٨. في جملة أبيات. وفيه: فأنبهتَ من ذكري وما كنتُ خاملاً. مجمع البيان: ١: ٧١. وكلها معزوّة إلى أبي نخيلة السعديّ. وفي التفسير الكبير: ٢: ١٥١. معزو إلى المخبَّل السعدي.

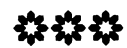
(٥) في (ك) و(ح): وأحييت. مَعَ الواو.

(٦) البقرة: ٢٤٣.

تَدُلُّ[١] عَلَى عَذَابِ القَـبْرِ، والرَّجْعَـةِ ـ مَعَـاً ـ. لأنَّ الإحْيَـاءَ في القَـبْرِ، وفي الرَّجَعَةِ، مِثلُ هؤلاءِ الَّذين أحْيَاهُمْ لِلْعِبْرَةِ.

وقَالَتِ المُعْتَزِلَةُ[٢]: لَا يَجُوزُ أنْ يَكُونَ أحْيَاهُمْ إلَّا في زَمَانِ نَبيٍّ، عَـلَى سَـبِيلِ المُعْجِزِ.

ويَجُوزُ ـ عِنْدنا ـ في غَيْرِ زَمَانِ نَبِيٍّ. وهذا المَعْنَى قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَبْلُ.



(١) في (هـ): يدل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) التفسير الكبير: ٥: ١٦٤.

فصل [ـ ٩ ـ]

[في الأبناء لا يُؤاخذون بذنب الآباء]

قَوْلُهُ ـ تَعالَى ـ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[1].

قَالَ البَلْخيُّ[2]: مَعْنَى الآيةِ: أنَّ الأبْنَاءَ، إذا كَانُوا مُؤمِنينَ، وكَانَتْ مَرَاتِبُ آبَائِهِمْ ـ في الجنَّةِ ـ أعْلَى مِنْ مَرَاتِبِهم، أُلحِقَ الأبْنَاءُ بِالآباءِ.

والاتِّباعُ: إلْحاقُ الثَّاني بالأوَّلِ في مَعْنَى مَا هُوَ عَلَيهِ الأوَّلُ، لأنَّهُ لَوْ أُلْحِقَ بِهِ مِنْ غَيْرِ أنْ يَكُونَ في مَعْنَى مَا هُوَ عَلَيهِ، لَمْ يَكُنْ اتِّبَاعاً، وكَانَ إلْحاقاً.

وإذَا قِيلَ: أتْبَعَهُ بَصَرَهُ. فَهْوَ تَصَرُّفُ البَصَرِ بِتَصَرُّفِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾[3].

---

(١) الطور: ٢١.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٩: ٤٠٨.

(٣) البقرة: ١٨١.

دَلَالَةٌ عَلَى بُطْلَانِ مَذْهَبِ مَنْ قَالَ: إنَّ الطِّفْلَ، يُعَذَّبُ بِكُفْرِ أَبَوَيْهِ. لأنَّ الله ـ تعالى ـ بَيَّنَ وَجْهَ العَدْلِ في هذا. وقِياسُ العَدْلِ في الطِّفْلِ ذلِكَ القِياس. فَمِنْ هُنَاكَ دَلَّ عَلَى الحِكْمَةِ فِيهِ.

وَفِيها ـ أَيْضاً ـ دِلَالَةٌ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إنَّ الوَارِث ـ إذَا لَمْ يَقْضِ دَيْنَ المَيِّتِ ـ أَنَّهُ يُؤاخَذُ[1] في قَبْرِهِ، أوْ في الآخِرَةِ، لِمَا قُلْنَاهُ: مِنْ أَنَّهُ دَلَّ عَلَى أنَّ العَبْدَ، لَا يُؤاخَذُ بِجُرْمِ غَيْرِهِ.

وكذلِكَ لَوْ قَضَى عَنْهُ الوَارِثُ مِنْ غَيْرِ أنْ يُوصِيَ بِهِ المَيِّتُ، لَمْ يَزُلْ عِقَابُهُ بِقَضَاءِ الوَارِثِ عَنْهُ، إلَّا أنْ يَتَفَضَّلَ اللهُ بإسْقَاطِهِ عَنْهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[2].

يعْني: أنَّ قَاتِلَها، مَسؤُولٌ عَنْ قَتْلِهِ لَهَا: بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلَهَا؟ كَمَا يُقَالُ: سَالْتُ حَقِّي. أيْ: طَلَبْتُ بِهِ. قَالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلاً﴾[3].

(١) في النسخ الخطيَّة جميعها: يؤخذ. وما أثبتناه من (ط).

(٢) التكوير: ٨، ٩.

(٣) الإسراء: ٣٤.

ويُمكِنُ أنْ يَتَوَجَّهَ السُّؤَالُ إليْهَا، عَلَى وَجْهِ التَّوْبِيخِ لِقَاتِلِها، كَقَولِهِ(١): ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾(٢) عَلَى طَرِيقِ التَّوْبيخِ لِقَوْمِهِ.

والخِطَابُ ـ وَإنْ تَوَجَّهَ إليْها، فَالغَرَضُ(٣) ـ في الحقيقَةِ ـ غَيْرُهَا. ثُمَّ إنَّ الأخْبَارَ، مُتَظَاهِرَةٌ، والأُمَّةَ، مَتَّفِقَةٌ عَلَى أنَّهُمْ ـ في الآخِرَةِ ـ يَكُونُونَ عُقَلاءَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾(٤).

وقَولُهُ: ﴿يُنَبَّؤُا الإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾(٥).

قَالَ الشَّيخُ المُفِيدُ(٦): أمَّا(٧) مَا قَدَّمَهُ(٨) الإنْسَانُ، فَهْوَ مَا عَمِلَهُ في حَيَاتِهِ، مِمَّا لَمْ يكُنْ لَهُ أثَرٌ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

---

(١) في (ح): قوله. بسقوط حرف الجر (الكاف).

(٢) المائدة: ١١٦.

(٣) في (ش): الفرض. بالفاء الموحّدة. و(ك): العرض. بالعين المهملة.

(٤) الإنفطار: ٥.

(٥) القيامة: ١٣.

(٦) مجمع البيان: ٥: ٣٩٥. بلفظه من دون عزو.

(٧) في (ك): اماماً. بتنوين النصب.

(٨) في (ك): قوّمه. بالواو.

وأمَّا الَّذِي أَخَّرَهُ، فَهْوَ مَا سَنَّهُ في حَيَاتِهِ، فاقْتُدِيَ بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. وهْوَ مُبَيَّنٌ في قَوْلِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[١]: مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أجْرُها، وأجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى يَوْمِ القِيامَةِ... الخَبَر[٢].

وقَالَ الطُّوسيُّ[٣]: مَا قَدَّمْتْ، وأخَّرتْ، وتَرَكَتْ مِمَّا يُسْتَحَقُّ بِهِ الجَزَاءُ.

وقِيلَ: مَا قَدَّمَتْ، وأخَّرَتْ مِنْ إحْسَانٍ، أوْ إسَاءَةٍ، إذَا[٤] قَرَأَ كِتَابَهُ، وَجُوزِيَ بِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٥].

وقَوْلُهُ: ﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٦].

وقَوْلُهُ: ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[٧].

---

(١) في (ك) و(ح): صلى الله عليه وآله.

(٢) صحيح مسلم: ٨: ٦١. سنن ابن ماجة: ١: ٧٤ ـ ٧٥. سنن النسائي: ١: ٣٥٦. وفيها زيادة في اللفظ. صحيح الترمذي: ١٠: ١٤٣. باختلاف اللفظ. الهداية: ١٢. مجمع البيان: ٥: ٤٤٩.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ١٠: ٢٩٠ ـ ٢٩١. وفيه: ما أخذتْ وتركَتْ.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): وإذا. مَعَ الواو.

(٥) الإسراء: ٧٢.

(٦) الأعراف: ٢٩.

(٧) الأنبياء: ١٠٤.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[١].

العَمَى الأَوَّل، إنَّما هُوَ عَنْ تَأَمُّلِ الآيَاتِ، والنَّظَرِ في الدِّلَالَاتِ. والعَمَى الثَّاني: هُوَ عَنِ الإيْمَانِ في الآخِرَةِ، بِمَا يُجَازَى بِهِ المُكَلَّفُونَ فِيهَا مِنْ ثَوَابٍ، أوْ عِقَابٍ.

وقَالُوا: إنَّها مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا قَبْلَهَا[٢] مِنْ قَوْلِهِ: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ...﴾[٣] إلى قَوْلِهِ: ﴿...تَفْضِيلاً﴾[٤].

ثُمَّ قَالَ - بَعْدَ ذلِكَ -: ﴿وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى﴾[٥] كِنَايَةٌ[٦] عَنِ النِّعَمِ، لَا عَنِ الدُّنْيَا. وَهْوَ قَوْلُ اِبْنِ عَبَّاسٍ[٧].

وَمَنْ كَانَ في هذِهِ أعْمَى عَنِ الإيْمَانِ بِالله، وبِمَا[٨] أوْجَبْتُ[٩] عَلَيهِ، فَهُوَ في الآخِرَةِ أعْمَى عَنِ الجَنَّةِ، والثَّوَابِ. يَعْني: أنَّهُ لَا يَهْتَدي إلى طَرِيقِهِما.

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) في (هـ): قبله.

(٣) الإسراء: ٦٦.

(٤) الإسراء: ٧٠.

(٥) الإسراء: ٧٢.

(٦) في (ح): فهو كناية.

(٧) جامع البيان: ١٥: ١٢٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٣٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٢٩٨.

(٨) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): وَمَا.

(٩) في (هـ): أوحيت. بالحاء المهملة بعدها ياء مثناة من تحت. وهو تصحيف.

ولَا شَكَّ أنَّ مَنْ ضَلَّ عَنْ ذلِكَ، يَكُونُ في القِيَامَةِ مُنْقَطِعَ الحُجَّةِ، مَفْقُـودَ(١) المَعَاذِيرِ.

ويَكُونُ العَمَى الأَوَّلُ عَنِ المَعْرِفَةِ بِالله، والثَّاني بِمَعْنَـى المُبَالَغَـةِ في الإِخْبَـارِ عَنْ(٢) عِظَمِ(٣) مَا يَنَالُهُ هؤلاءِ الكُفَّارُ مِنَ الخَـوْفِ، والغَـمِّ، الَّـذي أزَالَـهُ اللهُ عَـنِ المُؤْمنينَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٤).

والعَرَبُ تَقُولُ(٥) ـ لِمَنْ اشْتَدَّ خَوْفُهُ ـ: إِنَّهُ أعْمَى، سَخِينُ العَيْنِ. بِضِدِّ: قَرِيرِ العَيْنِ. قَوْلُهُ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(٦).

و(٧) العَمَى الأَوَّلُ عَنِ الإِيْـمَانِ، والثَّـاني، هُـوَ الآفَـةُ في العَـيْنِ عَـلَى سَـبِيلِ العُقُوبَةِ، قَوْلُهُ: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْـقِيامَةِ أَعْمى﴾(٨).

***

(١) في (أ): معقود. بالعين المهملة.

(٢) في (ش): مِنْ.

(٣) في (أ): عظيم.

(٤) البقرة: ٣٨. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٥) في (هـ) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) السجدة: ١٧.

(٧) في (ح): العمى. بسقوط الواو.

(٨) طه: ١٢٤.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

قَالَ الجُبَّائيُّ[٢]: عُمُومُهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُم خَوْفٌ في أَهْوَالِ القِيَامَةِ. وقَالَ اِبْنُ الاخْشِيدِ[٣]: لَا يَدُلُّ عَلَى ذلِكَ، لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ وَصَفَ القِيَامَةَ بِعِظَمِ الخَوْفِ، وقَالَ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ...﴾[٤] إلى قَوْلِهِ: ﴿... شَدِيدٌ﴾[٥]. وَغَيرُ[٦] ذلِكَ مِنَ الشَّدَائدِ[٧].

وهذا لَيْسَ بِمُعْتَمَدٍ. لأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ هؤلاءِ خَارِجِينَ مِنْ ذلِكَ العُمُومِ.

وأمَّا الحُزْنُ، فَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُمْ.

ومَنْ أجَازَ الخَوْفَ، فَرَّقَ بَيْنَهُ، وبَيْنَ الحُزْنِ. والحُزْنُ إنَّما يَقَعُ عَلَى مَا يَغْلُظُ، ويَعْظُمُ مِنَ الغَمِّ، والهَمِّ. فَلِذلِكَ لَمْ يُوصَفُوا بِذلِكَ. وكَذلِكَ لَا يُحزِنُهُمْ الفَزَعُ الأكْبَرُ، لأنَّ مَا يَلْحقُهُمْ، لَا يَلْبَثُ[٨]، ويَزُولُ.

---

(١) البقرة: ٣٨. وفي مواضع أُخرى من القرآن الكريم.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٧٦.

(٣) في (ك): الاخشيذ. بالذال المعجمة.

(٤) الحج: ١.

(٥) الحج: ٢.

(٦) في (أ): وغيره. بإضافته إلى ضمير الغائب (الهاء).

(٧) التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٧٦.

(٨) في (ك): يثبت. وهو تحريف.

لأنَّ «الحُزْنَ» مَأْخُوذٌ مِنَ «الحَزَنِ» وَهْوَ مَا غَلُظَ مِنَ الأرْضِ. فَكَأَنَّهُ مَا غَلُظَ مِنَ الهَمِّ.

فَأَمَّا الخَوْفُ، والحَزَنُ في دَارِ الدُّنْيَا، فَلَا خِلَافَ[1] أَنَّهُ يَجُوزُ أنْ يَلْحقَهُمْ. لأنَّ مِنَ المَعْلُومِ أنَّ المُؤْمِنِينَ، لَا يَنْفَكُّونَ مِنْهُ.



(١) في (هـ): خاف. وهو تحريف.

فصل [ـ ١٠ ـ]

[في أحوال المجرمين يوم القيامة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ (١).

وفي مَوْضِعٍ: ﴿هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ﴾ (٢).

وفي مَوْضِعٍ: ﴿لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (٣).

وفي مَوْضِعٍ: ﴿اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ (٤).

وقَالَ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾ (٥).

/ ١٩٤ / وفي مَوْضِعٍ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ (٦).

قَالَ المُفَسِّرونَ ـ في الجَمْعِ بَيْنَ الآيَاتِ ـ: إنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَوْمٌ طَوِيلٌ، مُمْتَدٌّ.

---

(١) البقرة: ١٧٤.

(٢) المرسلات: ٣٥.

(٣) هود: ١٠٥.

(٤) المؤمنون: ١٠٨.

(٥) النحل: ١١١.

(٦) الصافات: ٢٧. الطور: ٢٥.

فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُمْنَعُوا[١] النُّطْقَ في بَعْضِهِ ويُؤْذَنُ لَهُمْ في بَعْضٍ كَمَا حَكَى اللهُ ـ تعالى ـ عَنْهُمْ: ﴿قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٢].

وقَالَ الحَسَنُ[٣]، وَوَاصِلُ[٤]، وأَبو عَلِيٍّ[٥]: أيْ: لَا يُكَلِّمُهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ، وإِنَّما هُوَ دَلِيلٌ عَلَى الغَضَبِ عَلَيْهِمْ. ولَيْسَ فيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ بِمَا يَسُوؤُهم، لأَنَّهُ قَدْ دَلَّ في مَوْضِعٍ آخَرَ، فَقَالَ: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[٦]. وقَالَ: ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ﴾[٧].

وقِيلَ: أيْ: لَا يُكَلِّمُهُمْ أَصْلاً. والمَلَائِكَةُ تُسَائِلُهُمْ بِأَمْرِ الله.

ويُتَأَوَّلُ قَوْلُهُ: ﴿اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[٨] عَلَى أَنَّ الحَالَ، دَالَّةٌ عَلَى ذلِكَ.

والجَوَابُ الصَّحِيحُ: أَنَّهُ ـ تعالى ـ نَفَى النُّطْقَ المَسْمُوعَ، المَقْبُولَ، والَّذي

---

(١) في (هـ): يمنع. من دون إسناد إلى واو الجماعة.

(٢) غافر: ١١.

(٣) مجمع البيان: ١: ٢٥٩. وهو في جامع البيان: ٢: ٩٠. غير معزو إلى أحد.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) هو الطبرسيُّ. أنظر: مجمع البيان: ١: ٢٥٩.

(٦) الأعراف: ٦.

(٧) المؤمنون: ١٠٧.

(٨) المؤمنون: ١٠٨.

يَنْتَفِعُونَ بِهِ، ويَكُونُ لَهُمْ ـ في مِثْلِهِ ـ عُذْرٌ[١]، وحُجَّةٌ. ولَمْ يَنْفِ النُّطْقَ الَّذي لَيْسَتْ هذِهِ حَالَهُ[٢].

ويَجْرِي[٣] هذا مَجْرَى قَوْلِهِمْ: خَرِسَ فُلَانٌ عَنْ حُجَّتِهِ. وَحَضَرْنَا فُلَانَاً يُنَاظِرُ فُلَانَاً، ولَمْ يَقُلْ شَيْئَاً. وإِنْ كَانَا[٤] قَدْ تَكَلَّمَا[٥] بِكَلَامٍ كَثِيرٍ. كَمَا قَالَ ـ تعالى ـ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾[٦].

وقَالَ الشَّاعِرُ[٧]:

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[٨].

قِيلَ: إِنَّهُمْ غَيْرُ مَأْمُورِينَ بِالاعْتِذَارِ، فَكَيْفَ يَعْتَذِرُونَ[٩]؟

---

(١) في (ش) و(ك): عذراً. بتنوين النصب. والوجه ما أثبتناه.

(٢) في (ك) و(ح): حالته.

(٣) في (أ): يجزي. بالزاي المعجمة.

(٤) في (هـ): كانَ. دون إسناد إلى ألف الاثنين.

(٥) في (ط): تكلّمنا.

(٦) البقرة: ١٨.

(٧) مضى تخريجه آنفاً.

(٨) المرسلات: ٣٦.

(٩) العبارة: «قيل... يعتذرون» ساقطة من (أ).

يُحْمَلُ «الإذْنُ» عَلَى الأمْرِ. وإنَّما لَمْ يُؤْمَرُوا بِهِ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ تِلْكَ الحَالُ، لَا تَكْلِيفَ فِيهَا. والعِبَادُ مُلْجَؤُونَ ـ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ أحْوالِهَا ـ عِنْدَ[١] الاعْتِرَافِ، والإقْرَارِ. ويُحْمَلُ: ﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ عَلَى مَعْنَى: أنَّهُ لَا يَسْتَمِعُ لَهُمْ، ولَا يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ.

والعِلَّةُ في امْتِنَاعِ قَبُولِ العُذْرِ، مَا ذَكَرْنَاهُ. التَّقْدِيرُ: لَا يَنْطِقُونَ[٢] بِنُطْقٍ، يَنْفَعُهُمْ، ولَا يَعْتَذِرونَ بِعُذْرٍ، يَنْفَعُهُمْ. فَيَكُونُ «يَعْتَذِرُونَ» دَاخِلاً في حَيِّزِ[٣] النَّفْيِ.

ولَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى الإيجَابِ إلَّا إذَا كَانَ المَعْنَى عَلَى أنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِنُطْقٍ، يَنْفَعُهُمْ. لأنَّهُ إنْ حُمِلَ عَلَى الظَّاهِرِ، كَانَ في الكَلَامِ تَنَاقُضٌ. لأنَّ الاعْتِذَارَ، نُطْقٌ.

وإنْ شِئْتَ، كَانَ التَّقْدِيرُ: لَا يَنْطِقُونَ بِحَالٍ، ولَا يَعْتَذِرُونَ. لأنَّ هُنَاكَ مَوَاقِفَ، يَكُونُ هذا[٤] في مَوْقِفٍ مِنْهَا.

وفي قِرَاءَةِ الحَسَنِ[٥]، والثَّقَفِيِّ[٦]: ﴿لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾[٧] مَعْطُوفٌ

(١) في النسخ جميعها: (عند). والوجه: إلى. يقال: لجأ إلى الله.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: «هذا يومُ لا ينطقون» المرسلات: ٣٥.

(٣) في (ش): حين. وهو تحريف.

(٤) في (ح): يكون هذا موقفاً منها.

(٥) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢: ٢٠١.

(٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢: ٢٠١.

(٧) فاطر: ٣٦. والقراءة المتداولة: ﴿لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾.

عَلَى ﴿يُقْضى﴾. أيْ: لَا يُقْضَى[١] عَلَيهم فَلَا يَمُوتُونَ.

كذلكَ: ﴿لا يَنْطِقُونَ، وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ، فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أيْ: فَلَا يَعْتَذِرُونَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾[٢].

وَقَالَ: ﴿لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾[٣].

الجَمْعُ بَيْنَهُمَا أنْ يُقَالَ: لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ. أيْ: لَا يَعْطِفُ عَلَيهِمْ بِخَيرٍ، وهُوَ يَرَاهُمْ، كَمَا يُقَالُ: أَنْظُرْ إِلَيَّ، نَظَرَ اللهُ إِلَيْكَ. وانْظُرْ إِلَيْنَا نَظَرَ رَحْمَةٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[٤].

الضَّحِكُ، والاسْتِبْشَارُ ـ إذَا أُضِيفَا إلى الوَجْهِ ـ فَالْمُرَادُ بِهِ أصْحَابُ الوُجُوهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٥].

---

(١) في (ك) و(هـ): يقضي. بياء مثناة من تحت وبصيغة المبني للمعلوم.

(٢) آل عمران: ٧٧.

(٣) الحاقَّة: ١٨.

(٤) عبس: ٣٨، ٣٩.

(٥) القصص: ٧٨.

وقَولُهُ: ﴿لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾[١].

وقَوْلُهُ: ﴿فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ﴾[٢].

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣]. ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾[٤].

السُّؤَالُ[٥]: الاسْتِعْلَامُ. فَلَا يَسْأَلُ اللهُ، لأَنَّهُ عَلَّامُ الغُيوبِ، ولِلتَّقْرِيعِ[٦]، نَحْوُ قَوْلِهِمْ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا[٧]؟ وَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَيهِ؟

وعَلَى هذا قَوْلُهُ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٨] لأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ مَافعَلُوا، فَلَا يَسْأَلُنَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّوْبيخِ.

وللمُطَالَبَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً﴾[٩]. أيْ: مُطَالَباً بِهِ.

---

(١) الرحمن: ٣٩.

(٢) المؤمنون: ١٠١.

(٣) الأعراف: ٦.

(٤) الصافات: ٢٧، الطور: ٢٥.

(٥) في (هـ): والسؤال، مَعَ الواو.

(٦) في (ك): للتفريع. بالفاء الموحَّدة.

(٧) في (ش): كما.

(٨) الحجر: ٩٢.

(٩) الإسراء: ٣٤.

ولِلتَّوبيخِ لِغَيْرِ المَسْؤُولِ(١)، كَمَا قِيلَ لِعِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾(٢)، وقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ﴾(٣).

اِبْنُ عَبَّاسٍ(٤)، والخُدَرِيُّ(٥)، والشَّعْبِيُّ(٦)، والحَسَكَانِيُّ(٧): في قَوْلِهِ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾(٨) عَنْ وِلَايَةِ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ.

أَبُو جَعْفَرٍ(٩) ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: في قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾(١٠). يَعْنِي: الأَمْنَ، والصِّحَّةَ، وَوِلَايَةَ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ(١١) [ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ](١٢).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً

---

(١) في (ش): السؤال.

(٢) المائدة: ١١٦.

(٣) التكوير: ٨.

(٤) مجمع البيان: ٤: ٤٤١.

(٥) مجمع البيان: ٤: ٤٤١.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) شواهد التنزيل: ٢: ١٠٦.

(٨) الصَّافات: ٢٤.

(٩) مجمع البيان: ٥: ٥٣٤.

(١٠) التكاثر: ٨.

(١١) العبارة: «عَلَيْهِ السَّلامُ أبو جعفر... ولاية علي بن أبي طالب» ساقطة من (ك).

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(هـ). والعبارة: (أبو جعفر... السلام) سقطت من(ح).

﴿وَصُمّاً مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [١].

وقَالَ: ﴿وَرَأَى الْـمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها﴾ [٢].

وقَالَ: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ [٣].

وقَالَ: ﴿دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً﴾ [٤].

قَالَ اِبْنُ[٥] عَبَّاسٍ، وقَتَادَةُ[٦]، والحَسَنُ[٧]: إنَّهُمْ عُمْيٌ عَمَّا يَسُرُّهُمْ عَنِ التَّكَلُّمِ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وصُمٌّ عَمَّا يَمْنَعُهُمْ.

وقِيلَ: إنَّهُمْ يُحْشَرُونَ كذلِكَ، ثُمَّ يُجْعَلُونَ يُبْصِرُونَ[٨]، ويَشْهَدُونَ، ويَنْطِقُونَ.

***

(١) الإسراء: ٩٧.

(٢) الكهف: ٥٣.

(٣) الفرقان: ١٢.

(٤) الفرقان: ١٣.

(٥) جامع البيان: ١٥: ١٦٧ ـ ١٦٨. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٤٢. الدر المنثور: ٥: ٣٤٢. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٣٣٣.

(٦) جامع البيان: ١٥: ١٦٧. بلفظ مختلف.

(٧) نقل في مجمع البيان: ٣: ٤٤٢. عن الحسن قوله: «يُحْشَرون كذلك ثُمَّ يجعلون يبصرون ويسمعون وينطقون». الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٣٣٣.

(٨) في (ك): ينصرون. بالنون الموحّدة من فوق بعد الياء المثناة من تحت.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ﴾[١].

ثُمَّ قَالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْـقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[٢].

وقَالَ: ﴿الْـيَوْمَ نَخْتِمُ / ١٩٥/ عَلى أَفْواهِهِمْ﴾[٣].

ثُمَّ قَالَ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ الْـسِنَتُهُمْ﴾[٤].

وقَوْلُهُ: ﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾[٥].

وقَوْلُهُ: ﴿حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ﴾[٦].

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لا يَنْطِقُونَ﴾ . يُرِيدُ: أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ وَلَا عُذْرٌ.

وأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿الْـيَوْمَ نَخْتِمُ﴾ فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ تَرْكِ اِعْتِـذَارِهِمْ عَـنْ جُـرْمِهِمْ. وأَنَّ أَيْدِيَهُمْ، وأَرْجُلَهُمْ، تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ.

وقِيلَ: الشَّاهِدُ[٧]، وهُوَ العَاصِي نَفْسُهُ بِمَا فَعَلَهُ.

---

(١) المرسلات: ٣٥.

(٢) الزمر: ٣١.

(٣) يس: ٦٥.

(٤) النور: ٢٤.

(٥) فصلت: ٢١.

(٦) فصلت: ٢٠.

(٧) في (أ): الشهاهد. وهو تحريف.

وقِيلَ: إنَّما تَظْهَرُ[١] إمَارَةٌ تَدُلُّ عَلَى الفَرْقِ بَيْنَ المُطِيعِ، العَاصِي.

وقِيلَ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يَفْعَلُ الشَّهادَةَ فِيهَا. وأضَافَهَا إلى الجَوَارِحِ مَجَازاً.

وقِيلَ: بَيَّنَ اللهُ فِيهَا بَيِّنَةً[٢] حَتَّى تَشْهَدَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[٣].

عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ. ثُمَّ أَخْبَرَ في مَوَاضِعَ بِأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، ولَا يُبْصِرُونَ وأنَّ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ، وأبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً.

قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ[٤]: مَعْنَى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾: مَا أَسْمَعَهُمْ، ومَا أَبْصَرَهُمْ. وهذا عَلَى المُبَالَغَةِ في الوَصْفِ. يَقُولُ: فَهُمْ ـ يَوْمَئِذٍ ـ ﴿يَأْتُونَنَا﴾[٥] ـ أيْ: يَوْمَ القِيَامَةِ ـ سُمَعَاءَ، بُصَرَاءَ[٦]. أيْ: عَالِمِينَ. وهُمُ اليَوْمَ ـ في دَارِ الدُّنْيَا ـ في ضَلَالٍ مُبِينٍ. أيْ: جَهْلٍ، وَاضِحٍ.

---

(١) في (ش) و(ك): يظهر. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) في (ش): بينه. بالهاء غير المنقوطة.

(٣) مريم: ٣٨.

(٤) هو في مجمع البيان: ٣: ٥١٤. بلا عزو إلى أحدٍ.

(٥) مريم: ٣٨.

(٦) في (ك): سمعاً وبصراً. بتنوين النَّصب.

وقَالَ الحَسَنُ(١): هُمْ ـ يَوْمَ القِيَامَةِ ـ سُمَعَاءُ، بُصَرَاءُ(٢). ﴿لكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾(٣) في الدُّنْيَا، لَيْسُوا سُمَعَاءَ، ولَا بُصَرَاءَ(٤). ولكنَّهُمْ ﴿فِي ضَلالٍ﴾(٥) عَنِ الدِّين ﴿مُبِينٍ﴾(٦).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾(٧).

وقَوْلُهُ: ﴿وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾(٨).

لَا تَنَاقُضَ بَيْنَهُمَا. لأنَّ الغِسْلِينَ، اِسْمٌ لِذلِكَ، والضَّرِيعَ، وَصْفٌ لَهُ.

وَ﴿ضَرِيعٍ﴾ بِمَعْنَى: مُضْرَعٍ. أيْ: يُضْرَعُ. وقَدْ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾(٩).

---

(١) مجمع البيان: ٣: ٥١٤.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): سمعاً بصراً. بتنوين النَّصب.

(٣) مريم: ٣٨.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): سمعاً ولا بصراً. بتنوين النَّصب.

(٥) مريم: ٣٨.

(٦) مريم: ٣٨.

(٧) الغاشية: ٦.

(٨) الحاقَّة: ٣٦.

(٩) الغاشية: ٧.

ويُقَالُ: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْـيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْـلِينٍ﴾ (١) يُرِيـدُ: الشَّرَابَ. ثُمَّ يَقُولُ: ﴿وَلا طَعامٌ﴾ لَهُ يُشْبِعُهُ، ويَنْفَعُهُ.



(١) الحاقَّة: ٣٥، ٣٦.

فصل [ـ ١١ ـ]

[في معنى (اليوم) و(الشهر) و(البكرة) و(العشيّ)]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[١].

ثُمَّ قَالَ: ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٢].

ثُمَّ قَالَ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٣].

لَا تَنَاقُضَ في ذلِكَ، لأَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ يَوْمَاً ـ عِنْدَهُ ـ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَلَمْ يُرِدْ: أَنَّ يَوْمَاً ـ عِنْدَهُ ـ خَمْسُونَ[٤] أَلْفَ سَنَةٍ.

إِنَّما أَخْبَرَ عَنْ يَوْمِ القِيامَةِ: أَنَّهُ خَمْسُونَ[٥] أَلْفَ سَنَةٍ. لِقَولِهِ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ

(١) الحج: ٤٧.

(٢) السجدة: ٥.

(٣) المعارج: ٤.

(٤) في النسخ جميعها: خمسين. بالياء. والوجه ما أثبتناه.

(٥) في (ش): خمسين. بالياء. والوجه ما أثبتناه.

بَعِيداً وَنَراهُ قَرِيباً﴾ (١). ثُمَّ وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ذلِكَ الْـيَوْمُ﴾ (٢)، فَقَـالَ: ﴿يَـوْمَ تَكُـونُ السَّماءُ كَالْـمُهْلِ﴾ (٣).

وقَدْ قِيلَ: يَعْني [أنَّ] (٤) جَبْرَئيلَ، والمَلَائكَـةَ، يَعْرُجُـونَ في يَـوْمٍ وَاحِـدٍ مَـا يَكُونُ مِقْدَارُ عُرُوجِهِمْ خَمْسِينَ ألفَ سَنَةٍ.

وقَالَ اِبْنُ عبَّاسٍ (٥)، والضَّحَّاكُ (٦): مَعْنَاهُ: يَوْمٌ (٧) كَانَ مِقْدَارُهُ ـ لَوْ سَارَ غَيْرُ المَلَكِ ـ الْـفَ سَنَةٍ (٨) مِمَّا يَعُدُّهُ البَشَرُ.

وقِيلَ: يَجُوزُ أنْ يَكُونَ يَوْمُ القِيَامَةِ، يَوْماً، لَـهُ أوَّلُ، ولَـيْسَ لَـهُ آخـرُ، وَفِيـهِ أوْقَاتٌ، يُسَمَّى (٩)، بَعْضُها الْـفَ سَنَةٍ، وبَعْضُها، خَمْسُونَ (١٠) الْـفَ سَنَةٍ.

***

(١) المعارج: ٦، ٧.

(٢) المعارج: ٤٤.

(٣) المعارج: ٨.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) مجمع البيان: ٤: ٣٢٦.

(٦) مجمع البيان: ٤: ٣٢٦.

(٧) (يوم) ساقطة من (هـ).

(٨) العبارة: «ابن عباس... الف سنة» ساقطة من (ك).

(٩) في (ش) و(أ): تسمّى. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(١٠) في النسخ جميعها: خمسون. بالرفع. والوجه الأقرب: خمسين. بالنَّصب.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾(١).

أيْ: إنَّ لَهُمْ رِزْقَهُمْ فِيهَا، مِقْدَارَ بُكْرَةٍ، وَعَشِيَّةٍ مِنْ عِشَايا(٢) الدُّنْيَا لِقَوْلِهِ: ﴿غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ﴾(٣). أيْ: مِقْدَارُ شَهْرٍ. وَقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾(٤)، ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّامٍ﴾(٥)».

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها﴾(٦).

ثُمَّ قَالَ: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾(٧)، ﴿أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾(٨)، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً﴾(٩)، ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾(١٠)، ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾(١١).

---

(١) مريم: ٦٢.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ)ك عشاء.

(٣) سبأ: ١٢.

(٤) فصّلت: ٩.

(٥) الأعراف: ٥٤. يونس: ٣. هود: ٧.

(٦) مريم: ٧١.

(٧) الأنبياء: ١٠٣.

(٨) الأنبياء: ١٠١.

(٩) مريم: ٨٥.

(١٠) التحريم: ٨.

(١١) آل عمران: ١٩٢.

وَقَالَ ـ في الكُفَّارِ ـ: ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾[١]. وَفي المُنَـافِقِينَ: ﴿انْظُرُونـا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[٢].

فَكَيْفَ يَجْمَعُ الكَافِرينَ، وَالمُنَافِقِينَ مَعَ الأَنْبِيَاءِ، وَالصِّدِّيقِينَ؟

أمّـا قَوْلُـهُ: ﴿وَإِنْ مِـنْكُمْ إِلاَّ وارِدُهـا﴾، خِطَـابٌ لِـمَنْ تَقَـدَّمَ مِـنْ قَوْلِـهِ: ﴿وَيَقُولُ الإِنْسانُ أَإِذا ما مِـتُّ...﴾[٣] إلى قَوْلِـهِ: ﴿... صِـلِيّاً﴾[٤]، أَنَّـهُ يُحْضِرُهُـمْ ـ حَوْلَهَا[٥] ـ جِثِيّاً، وَأَنَّهُ[٦] يَنْزِعُ مِنَ الَّذِينَ ﴿أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمنِ عِتِيّاً﴾[٧]، وَأَنَّهُ أَعْلَـمُ بِمَنْ هُوَ ﴿أَوْلى بِها صِلِيّاً﴾[٨].

فَلَوْ كَانَ يُدْخِلُ جَمِيعَهُمُ النَّارَ، لَـمَا كَانَ هذَا التَّقْدِيمَ، وَالعِلْـمَ، وَأَنَّـهُ يَخُـصُّ هؤلاءِ بِإِحْضَارِ[٩] حَوْلَ جَهَنَّمَ، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِالمُسْتَحِقِّ لِصَلْيِهَا مَعْنىً، فَكَيْفَ يَجُـوزُ أَنْ يُقَدِّمَ ذلِكَ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي أُدْخِـلُ بَعْدَ ذلِكَ المُنْكِرَ، وَالمُقِرَّ، وَالمُؤْمِنَ، وَالكَافِرَ

---

(١) النساء: ١٣٧، ١٦٨.

(٢) الحديد: ١٣.

(٣) مريم: ٦٦.

(٤) مريم: ٧٠.

(٥) في (أ): حولنا.

(٦) في (ح): أنهُ هو أعلم.

(٧) مريم: ٦٩.

(٨) مريم: ٧٠.

(٩) في (هـ): إحضارهم.

- جَهَنَّمَ - جَمِيعَهُمْ؟

فَلَمَّا تَقَرَّرَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ رَجَعَ بِالخِطَابِ إِلى هؤلاءِ المَذْكُورِيْنَ.

وَشَبِيهُ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ مُوْسَى: ﴿وَقَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً...﴾ [1]، إلى قَوْلِهِ: ﴿... مَا رَزَقْناكُمْ﴾ [2]. فَرَجَعَ الإِخْبَارُ عَنِ الغَائِبِ إِلَى مُخَاطَبَتِهِ كَذلِكَ هُنَا. كَمَا قَالَ: ﴿حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ الآيَةَ [3].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ [4]، وَالحَسَنُ [5]، وَقَتَادَةُ [6]، وَأَبُو مُسْلِمٍ [7]، وَالزَّجَّاجُ [8]: قَدْ يَكُونُ الوُرُودُ [9]، الإِشْرَافَ. قَوْلُهُ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾ [10]، ﴿فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ﴾ [11]، ﴿أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ﴾ [12].

(١) الأعراف: ١٦٠.

(٢) الأعراف: ١٦٠.

(٣) مريم: ٧٢.

(٤) جامع البيان: ١٦: ١١٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥٢٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٣٦.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٥٢٥. الجامع لأحكام القرآن: ١١: ١٣٦.

(٦) جامع البيان: ١٦: ١١٠. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٥٢٥.

(٧) مجمع البيان: ٣: ٥٢٥.

(٨) معاني القرآن وإعرابه: ٣: ٣٤١.

(٩) في (ك): الورود والإشراف. مع واو العطف، وفي (ح): هو الإشراف.

(١٠) القصص: ٢٣.

(١١) يوسف: ١٩.

(١٢) الأنبياء: ٩٨.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[١] وَالإنْجَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ المَخُوفِ، لا مِنَ الوَاقِعِ. تَقُولُ[٢]: نَجَّيتُ فُلاناً مِنَ القَتْلِ وَالضَّرْبِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: / ١٩٦/ ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾[٣].

وَقَدْ كَتَمُوهُ حَيْثُ قَالُوا: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٤]؟

المعْنَى: وَدُّوا لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ. ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾ عَلَى التَّمَنِّي. يُقَالُ: يَا لَيْتَنِي الْقَاهُ، وَأَصْبِرَ عَلَى كَلَامِهِ. وَلَيْتَ هذينِ اجْتَمَعَا لِي.

ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾ ـ ظَاهِراً ـ عِنْدَهُ. وَإِنْ كَتَمُوهُ، فَقَدْ عَلِمَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا وَاللهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا...﴾ الآيةَ[٥].

---

(١) مريم: ٧٢.

(٢) في (هـ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) النساء: ٤٢.

(٤) الأنعام: ٢٣.

(٥) الأنعام: ٢٣، ٢٤.

وَقَوْلُهُ: ﴿يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾(١).

قَالُوا: مَعْرِفَةُ الله ـ تَعَالى ـ في الآخِرَةِ، ضَرُورَةٌ، وَأَهْلُهَا مُلْجَؤُونَ إِلَى تَرْكِ القَبَائِحِ، فَكَيْفَ أَنْكَرُوا الشِّرْكَ؟

الجَوَابُ: لَيْسَ في ظَاهِرِ الآيَةِ أَنَّ قَوْلَهُمْ: ﴿ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وَقَعَ في الآخِرَةِ دُوْنَ الدُّنْيَا. فَمَعْنَاهُ: إِنَّا ما كُنَّا ـ عِنْدَ نُفُوسِنَا ـ مُشْرِكِينَ في الدُّنْيَا.

يُوْضِحُهُ قَوْلُهُ: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ﴾(٢) يَعْنِي: في الدُّنْيَا، أَنَّهُمْ مُحِقُّونَ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ بِوَقْتٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ﴾(٣).

قَالَ الفَرَّاءُ(٤): الظَّاهِرُ، الاستِثْنَاءُ، وَالتَّأْبِيدُ بِمُدَّةِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ. إلّا

---

(١) الأنعام: ٢٧، ٢٨.

(٢) الأنعام: ٢٤.

(٣) هود: ١٠٦، ١٠٧.

(٤) معاني القرآن: ٢: ٢٨.

أَنَّ المُرَادَ بِـ«إِلَّا» الزِّيَادَةُ[١]. فَكَأَنَّهُ قَالَ: ﴿خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ﴾ مِنَ الزِّيَادَةِ لَهُمْ عَلَى هذَا المِقْدَارِ.

كَقَوْلِ القَائِلِ: إِنَّ عَلَيْكَ الْفَ دِينَارٍ[٢] إِلّا [الـ]أَلْفَيْنِ[٣] اللَّذَيْنِ[٤] أَقْرَضْتُكُهُمَا وَقْتَ كَذَا.

فَالالْفَانِ، زِيَادَةٌ عَلَى الالْفِ. لأنَّ الكَثِيرَ، لا يُسْتَثْنَى مِنَ القَلِيلِ. وَمِثْلُهُ: ﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾[٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولى﴾[٦].

وَقَالَ الجُبَّائِيُّ[٧]: إِلّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ كَوْنِهِمْ ـ قَبْلَ دُخُولِ الجَنَّةِ، وَالنَّارِ ـ فِي الدُّنْيَا، وَفِي البَرْزَخِ الَّذي هُوَ بَيْنَ الحَيَاةِ، وَالعَرْضِ[٨]، لأَنَّهُ لَوْ قَالَ: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً. وَلَمْ يَسْتَثْنِ، لَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي الجَنَّةِ، وَالنَّارِ.

---

(١) في (ك): الزائدة.

(٢) في (ك): ديناراً: بتنوين النّصب.

(٣) في (ش) و(هـ): ألفين. من دون (أل).

(٤) في (هـ): الذي.

(٥) النّساء: ٢٢.

(٦) الدّخان: ٥٦.

(٧) مجمع البيان: ٣: ١٩٤. وهو منسوب فيه إلى الضحّاك أيضاً.

(٨) في (ش) و(ك): الغرض. بالفاء الموحّدة.

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ[١]، وَقَتَادَةُ[٢]، وَالضَّحَّاكُ: «مَا» مَعْنَاهَا: «مَنْ». كَأَنَّهُ قَالَ: إلّا مَنْ[٣] شَاءَ رَبُّكَ، فَلا يُدْخِلُهُ النَّارِ.

فَيَكُونُ استِثْنَاءً مِنَ الخُلُودِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: إلّا مَا شَاءَ رَبُّكَ بِألّا يُخَلِّدَهُمْ فِي النَّارِ، بَلْ يُخْرِجُهُمْ[٤] عَنْها.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ[٥]: إِنَّ الاستِثْنَاءَ، وَقَعَ عَلَى أَنَّ لَهُمْ زَفِيْرَاً، وَشَهِيقَاً إلّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ أَنْوَاعِ العَذَابِ الَّتِي لَمْ تُذْكَرْ.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ[٦]: «لَهُمْ فِيهَا» يَعْني: فِي النَّارِ، فِي حَالِ كَوْنِهِمْ فِي القُبُورِ، دَائِمِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَواتُ وَالأَرْضُ. فَإِنَّهَا إِذَا عَدِمَتْ، انْقَطَعَ عَذَابُهُمْ إِلَى أَنْ يَبْعَثَهُمُ اللهُ لِلْحِسَابِ[٧].

---

(١) مجمع البيان: ٣: ١٩٥.

(٢) جامع البيان: ١٢: ١١٧ باختلاف اللّفظ. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ١٩٥. الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٩٩ بلفظٍ مختلف.

(٣) في (ش): مَا.

(٤) في (ك): نخرجهم. بنون المضارعة الموحّدة من فوق. وفي (أ): تخرجهم، بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) مجمع البيان: ٢: ١٦٤ ـ ١٦٥. وفي الجامع لأحكام القرآن: ٩: ١٠٠ أورد قول الزّجاج وقال: حكاه ابن الأنباريّ.

(٦) في (ك) و(هـ): قبة. وهو تحريف.

(٧) تأويل مشكل القرآن: ٢٨، ٧٦ باختلاف اللّفظ.

وَقَالُوا: «إلّا» بِمَعْنَى: الواو. وَالتَّأْوِيلُ: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَواتُ، وَالأَرْضُ، وَمَا شَاءَ رَبُّكَ مِنَ الزِّيَادَةِ. [قال[1] الـ]شَاعِرُ[2]:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ـ لَعَمْرُ أَبِيكَ ـ إلّا الفَرْقَدَانِ

وَلا يَتَعَلَّقُ إلّا بِالخُلُودِ. لأَنَّ الاسْتِثْنَاءَ الأَوَّلَ، مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ إلّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ أَجْنَاسِ العَذَابِ.

وَالاستِثْنَاءُ، غَيْرُ مُؤَثِّرٍ في النُّقْصَانِ مِنَ الخُلُودِ. وَالغَرَضُ فِيهِ: أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ، وَأَلّا يُخَلِّدَهُمْ، لَفَعَلَ. وَأَنَّ التَّخْلِيدَ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ. كَمَا يَقُولُ القَائِلُ: وَالله لأَضْرِبَنَّكَ إلّا أَنْ أَرَى غَيْرَ ذَلِكَ. وَهْوَ لا يَنْوِي إلّا ضَرْبَهُ.

وَتَعْلِيقُ ذَلِكَ بِالمَشِيئَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّأْكِيدِ [لَا][3] لِلْخُرُوجِ. لأَنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ لَا يُرِيدُ إلّا تَخْلِيدَهُمْ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيهِ، كَمَا يَقُولُ: وَالله لَأَهْجُرَنَّكَ إلّا أَنْ يَشِيبَ الغُرَابُ، وَيَبْيَضَّ القَارُ[4].

أَيْ: أَهْجُرُكَ أَبَدَاً. مِنْ حَيْثُ عُلِّقَ بِشَرْطٍ مَعْلُومٍ أَنَّهُ لا يَحْصُلُ.

وَالمُرَادُ بِـ«الَّذِينَ شَقُوا» مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ، الَّذِينَ مَضَوا

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٢) هو عَمْرو بن معديكرب الزّبيديّ: ١٨١. أنظر ديوانه: ١٨١.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ط) اقتضاها السّياق.

(٤) في (ك) و(ح): الفار. بالفاء الموحّدة. وهو تصحيف.

بِطَاعَاتِهِمْ، وَمَعَاصِيهِمْ. فَقَالَ: إِنَّهُمْ مُعَاقَبُونَ فِي النَّارِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ إِخْرَاجِهِمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَإِيصَالِ ثَوَابِ طَاعَاتِهِمْ إِلَيْهِمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِأَهْلِ الشَّقَاءِ ـ هَا هُنَا ـ جَمِيعَ الدَّاخِلِينَ إِلَى جَهَنَّمَ. ثُمَّ اسْتَثْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ﴾ أَهْلَ الطَّاعَاتِ مِنْهُمْ، فَقَالَ: إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ إِخْرَاجِ بَعْضِهِمْ. وَهكذَا فِي ﴿الَّذِينَ سُعِدُوا﴾[1].



(١) هود: ١٠٨. ثم أنظر تفصيل المسألة في الجامع لأحكام القرآن: ٩: ٩٩ ـ ١٠٣.

فصل [ـ ١٢ ـ]

[في حساب يوم القيامة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[١].

قَالَ الزَّجَّاجُ: «السَّاعَةُ» اِسْمُ الوَقْتِ الَّذِي يُصْعَقُ فِيهِ العِبَادُ، وَاِسْمُ الوَقْتِ الَّذي يُبْعَثُ فِيهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ﴾.

لا يُوصَفُ المَعْدُومُ بِأَنَّهُ فَانٍ، وَلا يُقَالُ فِيمَا يَصُحُّ عَلَيهِ البَقَاءُ[٢] بِأَنَّهُ فَانٍ، وَلا فِيمَا يَصُحُّ عَلَيهِ الفَنَاءُ بِأَنَّهُ فَانٍ. لأنَّ الفَنَاءَ، عَدَمٌ لِلْشَّيءِ بَعْدَ وجُودِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لِمَنِ الْـمُلْكُ الْـيَوْمَ﴾[٣].

---

(١) القمر: ١.

(٢) في (ك): أيضاً. وهو تحريف.

(٣) غافر: ١٦.

يُقَرِّرُ اللهُ عِبَادَهُ، فَيُقِرُّ الْمُؤْمِنُونَ، وَالكَافِرُونَ بِأَنَّهُ ﴿لله الْـواحِدِ الْـقَهَّارِ﴾(١).

وَقِيلَ: إِنَّهُ [ـ تَعَالَى ـ](٢) / ١٩٧/ القَائِـلُ لِـذلِكَ، وَهُـوَ الْمُجِيـبُ لِنَفْسِـهِ. وَيَكُونُ ـ في ذلِكَ ـ مَصْلَحَةٌ لِلْعِبَادِ في دَارِ التَّكْلِيفِ.

وَقِيلَ: إِنَّ جَبْرَائيلَ، يَقُولُ: ﴿لِمَنِ الْـمُلْكُ الْـيَوْمَ﴾؟ فَيَقُـولُ مَلَـكُ المَـوْتِ: ﴿لله الْـواحِدِ الْـقَهَّارِ﴾. ثُمَّ يَمُوتَانِ(٣).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَهَلْ نُجازِي إِلاَّ الْـكَفُورَ﴾(٤).

أَيْ: نُكَافِئُ(٥). وَمَنْ كُوفِيَ بِفِعْلِهِ، فَقَدْ هَلَكَ.

وَإِذَا قَالَ: هَلْ يَجْزِي. فَهِيَ مِثْلُ: يُثَابُ. وَقَدْ يَقْرُبُ مَعْنَاهُمَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاللهُ سَرِيعُ الْـحِسابِ﴾(٦).

---

(١) غافر: ١٦.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ح).

(٣) في (أ): يموتون. وهو تحريف.

(٤) سبأ: ١٧.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ح): يكافي بياء المضارعة المثناة من تحت. وفي (أ): يكـافي بيـاء موحّـدة من تحت. وهو تصحيف. وما أثبتناه من (ط) هو الموافق للسياق.

(٦) البقرة: ٢٠٢. النور: ٣٩.

أيْ: المُجَازَاةِ. لأنَّ مَا هُوَ آتٍ، قَرِيبٌ. قَولُهُ: ﴿وَما أَمْـرُ السَّـاعَةِ إلاَّ كَلَمْـحِ الْـبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[1].

والحِسَابُ بِمَعْنَى: الكِفَايـةِ، والمُكَافَـأَةِ. قَوْلُـهُ: ﴿جَـزاءً مِـنْ رَبِّـكَ عَطـاءً حِساباً﴾[2].

[قال[3] الـ]ـشَاعِرُ[4]:

وفي النَّاسِ حُرٌّ ـ إنْ تَأَمَّلْتَ ـ مُحْسِبٌ

مَعْنَاهُ: كَافٍ.

وقِيلَ: يَعْني[5]: في العَدْلِ[6] مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إلى خَـطٍّ[7]، ولَا[8] عَقْـدٍ، لأنَّـهُ

---

(١) النحل: ٧٧.

(٢) النَّبأ: ٣٦.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) هو كُثير عَزَّة. انظر ديوانه: ١٥٧ وفيه:

وإذْ لا ترى في الناس شيئاً يفوقها وفيهنَّ حُسْنٌ ـ لو تأملتَ ـ مُجْنَبُ

وفي الزاهر: ١: ٩٦: محسب، وكذلك أمالي المرتضى: ١: ٣٨٩. وأمـالي القـالي: ٢: ٢٩١. وفيـه: تقول العرب: أحسبني الشيء يحسبني إحساباً وهو مُحْسِبٌ. أي: كافٍ.

(٥) في (ح): يعفي. بالفاء الموحدة بعد العين المهملة.

(٦) في (ش) و(هـ): العذل. بالذال المعجمة. وهو تصحيف.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ): حظ. بالحاء المهملة والظّاء المعجمة.

(٨) (ولا) ساقطة من (ح).

عَالِمٌ بِهِ. وإنَّما يُحَاسَبُ العَبْدُ بِظَاهِرِهِ في العَدْلِ، والإحالَةِ عَلَى مَا يُوجِبُهُ الفِعْلُ مِنْ خَيْرٍ، أوْ شَرٍّ.

وقِيلَ: لَا يَشْغَلُهُ مُحَاسَبَةُ [بَعْضٍ عَنْ مُحَاسَبَةِ](١) آخَرِيْنَ.

وقِيلَ: أيْ: يُحَاسِبُ الخَلْقَ ـ جَمِيعاً ـ في أوْقَاتٍ يَسِيرَةٍ. ويُقَالُ: إنَّ مِقْدَارَ ذلِكَ، حَلْبَ شَاةٍ(٢). وهذا دَلِيلٌ عَلَى أنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ بِآلَةٍ، وأنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ.

وسُئِلَ أمِيرُالمُؤمِنينَ ـ(٣) عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ الخَلْقَ ـ عَلَى كَثْرَتِهِمْ ـ في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ؟

فَقَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ [ـ عَلَى كَثْرَتِهِمْ ـ](٤) في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ.

ويُقَالَ: المُرَادُ بِالآيَةِ: أنَّهُ سَرِيعُ العِلْمِ بِكُلِّ مَحْسُوبٍ، وأنَّهُ ـ لَمَّا كَانَتْ عَادَةُ بَنِي الدُّنْيَا(٥) أنْ يَسْتَعْمِلُوا الحِسَابَ، والإحْصَاءَ في أكْثَرِ أُمُورِهِمْ أعْلَمَهُمُ اللهُ ـ تعالى ـ أنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَحْسِبُونَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وإنَّما سُمِّيَ هذا العِلْمُ حِسَاباً، لأنَّ الحِسَابَ، إنَّما يُرَادُ بِهِ العِلْمُ.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) في (ح): شاء. بالهمزة.

(٣) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ٤: ٧٢.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٥) في (ح): عادة بني آدم في الدنيا.

وقَالَ المُرْتَضَى(١): المُرَادُ ـ بِالحِسَابِ ـ مُحَاسَبَةُ الخَلْقِ عَلَى أعْمَالِهِمْ ـ يَوْمَ القِيامَةِ ـ وَمُوَاقِفُهُمْ عَلَيْها. وتَكُونُ(٢) الفَائدَةُ بِسُرْعَتِهِ الإخْبَارَ عَنْ قُرْبِ السَّاعَةِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِساباً يَسِيراً﴾(٣).

المُحَاسَبَةُ، المُفَاعَلَةُ. وهْوَ تَقْرِيرٌ مِنَ الله ـ تعالى ـ لِلْعَبْدِ(٤) بِذُنُوبِهِ، وإقْرَارُ العَبْدِ بِهَا.

ويُجَابُ عَنْ ذلِكَ: أنَّ للعَبْدِ(٥) حُقُوقاً عِنْدَ رَبِّهِ مِنْ ثَوَابٍ، وعِوَضٍ، كَمَا لَهُ(٦) عَلَيهِ حُقُوقٌ، فَيَصُحُّ ذلِكَ.

ويَجِئُ «فَاعَلَ» بِمَعنَى: فَعَلَ(٧). يُقَالُ: طَارَقْتُ النَّعْلَ.

ولَيْسَ مُحَاسَبَةُ القَدِيمِ ـ تعالى ـ مَعَ العِبَادِ، كَمُحَاسَبَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضَاً. بَلْ(٨)

---

(١) أمالي المرتضى: ٢: ٣٩١.

(٢) في (ح): يكون، بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) الانشقاق: ٨.

(٤) في (أ): العبد. مع (أل) ومن دون حرف الجر (اللام).

(٥) في (أ): العبد. مَعَ (أل) ومن دون حرف الجر (اللام).

(٦) في (أ): أنّه. وهو تحريف.

(٧) أدب الكاتب: ٤٩٢.

(٨) في (ك) و(ح): حال بل وفي (أ): حابل.

بِأنْ يَخْلُقَ في بَعْضِ أعْضَاءِ الوَاحِدِ مِنَّا مَا يَتَضَمَّنُ مَالَهُ، وَمَا عَلَيهِ، ويَكُونُ مُحَاسَبَتُهُ مَعَ الكُلِّ كَمُحَاسَبَتِهِ مَعَ الواحِدِ، كَمَا قَالَ[١]: ﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾[٢].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ﴾[٣].

قَالَ الجُبَّائيُّ[٤]: مَعْنَاهُ: أخْذُهُ[٥] بِهِ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ[٦].

وقَالَ النَّخْعِيُّ[٧]: هُوَ مُؤَاخَذَةُ العَبْدِ بِذَنْبِهِ، لَا يُغْفَرُ لَهُ شَيءٌ مِنْهُ. والحِسَابُ، إحْصَاءُ مَا عَلَى العَبْدِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[٨].

---

(١) في (ك) و(ح): يقال. بصيغة المضارع المبني للمجهول. وهو تحريف.

(٢) لقمان: ٢٨.

(٣) الرَّعد: ٢١.

(٤) مجمع البيان: ٣: ٢٨٧.

(٥) في (ك): أخذ. من دون ضمير الغائب (الهاء).

(٦) في (ك): التفريع. بالفاء الموحّدة.

(٧) مجمع البيان: ٣: ٢٨٧.

(٨) المطففين: ٧.

الوَجْهُ في جَعْلِ كِتَابِ الفُجَّارِ في[1] سِجِّينٍ، أنَّ تَخْلِيدَهُ فيهِ، يَقُومُ مَقَامَ[2] إدَامَةِ التَّقْرِيعِ، وأنَّ عِقَابَهُمْ، لَا يَفْنَى[3]، ولَا يَبِيدُ، كَمَا لَا يَفْنَى كِتَابُ سَيِّئَاتِهِمْ، ولَا يَبِيدُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ﴾[4].

لأنَّ تَفْصِيلَهَا، لَا يُمْكِنُ العِلْمُ بِهَا إلَّا بِالْمُشَاهَدَةِ دُوْنَ عِلْمِ الجُمْلَةِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾[5]. أيْ: مَكْتُوبٌ فيهِ جَمِيعُ طَاعَاتِهِمْ بِمَا تَقَرُّ[6] بِهِ أَعْيُنُهُمْ، ويُوجِبُ[7] سُرُورَهُمْ. بِضِدِّ الكِتَابِ الَّذي لِلْفُجَّارِ، لأنَّ فِيهِ مَا يَسُوؤُهُمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[8].

---

(١) في (هـ): لفي.

(٢) في (هـ): مقامه.

(٣) في (هـ): يغني. بالغين المعجمة وآخرها ياء منقوطة مثناة.

(٤) المطففين: ١٨، ١٩.

(٥) المطففين: ٢٠.

(٦) في (ش) و(ح): يقرّ. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٧) في (ك): يوحب. بالحاء المهملة. وهو تصحيف.

(٨) الجاثية: ٢٩.

جَعَلَ(١) ثُبُوتَ مَا فيهِ، وظُهُـورَهُ بِمَنْزِلَـةِ النُّطْـقِ. وأَنَّـهُ يَنْطِـقُ بِـالحَقِّ دُوْنَ البَاطِلِ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِذَا الصُّـحُفُ نُشِرَتْ﴾(٢) ﴿فَأَمَّـا مَـنْ أُوتِيَ كِتابَـهُ بِيَمِينِهِ﴾(٣) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ﴾(٤) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ﴾(٥).

إعْطَاءُ الكِتَابِ بِاليَمِينِ، يَكُونُ أَمَارَةً عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وبِالشِّمَالِ عَـلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وكذلِكَ: وَراءَ ظَهْرِهِ. لِمَـا رُوِيَ(٦): أَنَّـهُ يُخْـرَجُ شِـمَالُهُ مِـنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، ويُعْطَى كِتَابَهُ فِيها.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْـزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾(٧).

إِنَّمَا خَصَّ إِلْـزَامَ الطَّائِرِ بِالعُنُقِ، لأَنَّهُ مَحَلٌّ لِمَا يَزِينُ مِنْ طَوْقٍ، أَوْ يَشِـينُ مِـنْ

---

(١) في (هـ): جعلت.

(٢) التكوير: ١٠.

(٣) الحاقة: ١٩. الانشقاق: ٧.

(٤) الحاقّة: ٢٥.

(٥) الانشقاق: ١٠.

(٦) تفسير البغويّ: ٤: ٤٦٤. عن مجاهد.

(٧) الإسراء: ١٣.

غِلٍّ. ولأنَّ في عُرْفِ النَّاسِ أنْ يَقُولُوا: هذا في رَقَبَتِكَ.

كَمَا يُضَافُ العَمَلُ إلى اليَدِ ـ أيْضاً ـ قَوْلُهُ: ﴿ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (١).

وإنْ كَانَ (٢) كَسْبُهُ بِفَرْجِهِ، أوْ لِسَانِهِ.

وإنَّما يُذَمُّ ـ بذلِكَ ـ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيع بِمَا فَعَلَهُ مِنَ المَعَاصِي.

ويَكُونُ العِلْمُ ـ بِذلِكَ ـ لُطْفَاً في دَارِ الدُّنْيَا، وإنْ كَانَ عَالِمَاً بِتَفْصِيلِ مَا فَعَلُوهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ (٣).

وقَوْلُهُ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾ (٤).

وَمَا أَشْبَهَ ذلِكَ مِنَ الآيَاتِ، دَالَّةٌ عَلَى المُسَاءَلَةِ، وَهْيَ عَامَّةٌ. إلَّا (٥) أنَّهَا تَسْهُلُ عَلَى المؤمنينَ، وَتَصْعُبُ عَلَى الكَافِرِينَ.

***

(١) الأنفال: ٥١.

(٢) (كان) سقطت من (ح).

(٣) الأحزاب: ٨.

(٤) الصافات: ٢٤.

(٥) في (ح): لأنَّها.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَنَضَعُ الْـمَوازِينَ الْـقِسْطَ / ١٩٨/ لِيَوْمِ الْـقِيامَةِ﴾[١].

المِيْزَانُ، هُوَ المَعْرُوفُ. وَإِذَا[٢] اِسْتُعْمِلَ في غَيْرِهِ، كَانَ مَجَازاً. وكَلَامُ الله، لَا يُنْقَلُ عَنِ الحَقِيقَةِ إلى المَجَازِ مِنْ دُوْنِ دَلَالَةٍ، ومَانِعٍ.

وقَالَ مُجَاهِدٌ[٣]، وأَبُو[٤] مُسْلِمٍ: إنَّهَا عِبَارَةٌ عَنِ العَدْلِ، والتَّسْوِيَةِ الصَّحِيحَةِ. كَمَا يُقَالُ: كَلَامُ فُلَانٍ، مَوْزُونٌ، وأَفْعَالُهُ، مَوْزُونَةٌ. ق

َولُهُ[٥]: ﴿وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[٦].

وقِيلَ: هُوَ بُرْهَانٌ عَلَى إقَامَةِ العَدْلِ.

قَوْلُهُ: ﴿اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْـكِتابَ بِالْـحَقِّ وَالْـمِيزانَ﴾[٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْـكِتابَ وَالْـمِيزانَ﴾[٨].

---

(١) الأنبياء: ٤٧.

(٢) في (ك) و(ح): فإذا. مَعَ الفاء.

(٣) جامع البيان: ١٧: ١٣. التفسير الكبير: ٢٢: ١٧٦. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ١٦٥. ١١: ٢٩٣ـ٢٩٤.

(٤) (أبو) سقطت من (ح).

(٥) في (ح): وقوله. مَعَ الواو.

(٦) الحجر: ١٩.

(٧) الشورى: ١٧.

(٨) الحديد: ٢٥.

وقِيلَ(١): هُوَ ذُو الكَفَّتَينِ، يُوزَنُ بِهَا الصُّحُفُ المَكْتُوبَةُ(٢).

وقِيلَ(٣): يَجْعَلُ النُّورَ في كَفَّـةٍ، عَلَامَـةَ الرُّجْحَـانِ، والظُّلْمَـةَ في الأُخْـرَى، عَلَامَةَ النُّقْصَانِ.

وقِيلَ(٤): مَعْنَاهُ: مَنْ كَانَ لَهُ ـ يَوْمَ القِيامَةِ ـ وَزْنٌ. قَوْلُهُ: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَـوْمَ الْـقِيامَةِ وَزْناً﴾(٥).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الْـيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ﴾(٦).

يَجُوزُ أَنْ يُخْرِجَ الأَلْـسِنَةَ، ويَخْتُمُ عَلَى الأَفْوَاهِ. ويَجُـوزُ أَنْ يَكُـونَ الخَـتْمُ عَـلَى الأَفْوَاهِ، إِنَّما هُوَ في حَالِ شَهَادَةِ الأَيْدي، والأَرْجُلِ.

ويَجُـوزُ أَنْ يُبَيِّنَها بَيِّنَةً(٧) مَخْصُوصَةً، ويَشْـهَدُ(٨) فِيهَـا شَـهَادَةً(٩)، يَشْـهَـدُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٧: ١٦٥، ١٦٦. عن ابن عمرو ابن عبَّاس.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): المكتوب. من دون تاء التأنيث المتحرِّكة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٢٩٣. بلفظٍ مختلف.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١١: ٦٦.

(٥) الكهف: ١٠٥.

(٦) يس: ٦٥.

(٧) في(ش) و(ك): بنيه. بياء موحدة من تحت بعدها نون موحدة من فوق وآخرها هاء غير منقوطة.

(٨) في (هـ): تشهد. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٩) في (أ) العبارة هكذا: «شهادة الأيدي...».

عَلَيْهِمْ بِهَا.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

وقَوْلُهُ: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٢).

وقِيلَ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُبَيِّنُها بَيِّنَةً(٣)، يُمْكِنُها النُّطْقُ، والكَلَامُ مِنْ جِهَتِها.

وقِيلَ: أنْ(٤) يَفْعَلَ اللهُ ـ تعالى ـ(٥) في هذِهِ البَيِّنَةِ كَلاماً يَتَضَمَّنُ الشَّهادَةَ، وكَأَنَّها(٦) هِيَ النَّاطِقَةُ.

وقِيلَ: يَجْعَلُ فِيهَا عَلَامَةً، تَقُومُ مَقَامَ النُّطْقِ بِالشَّهَادَةِ، وذلِكَ إذَا جَحَدُوا مَعَاصِيَهُمْ.

وقِيلَ: يَفْعَلُ الشَّهَادَةَ فِيْهَا. وأضَافَهَا إلى الجَوَارِحِ مَجَازاً.

---

(١) النور: ٢٤.

(٢) فصلت: ٢١.

(٣) في (هـ): تبينة.

(٤) (أنْ) سقطت من (ح).

(٥) (تعالى) سقطت من (ح).

(٦) فكأنَّها. مَعَ الفاء. في (ح).

وقِيلَ: هِيَ عِبارَةٌ عَنْ وُضُوحِ الأمْرِ في لُزُومِ الحُجَّةِ لَهُمْ، والعِلْمِ بِمَا فَعَلُوهُ. كَمَا يُقَالُ: شَهِدَتْ عَيْنُكَ بِكذا، وأَقَرَّتْ[١].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[٢].

أيْ: يَسْتَقِيمُ عَلَيَّ حَتَّى يُوْرَدَ.

أوْ قُلْتَ: الطَّرِيقُ الدَّالَّةُ عَلَى اِسْتِقَامَتِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[٣].

قَالُوا: هُوَ الصِّرَاطُ. والصِّرَاطُ، طَرِيقُ أهْلِ الجَنَّةِ، وأهْلِ النَّارِ. يَتَّسِعُ لأهْلِ الجَنَّةِ، ويَتَسَهَّلُ. ويَضِيقُ عَلَى أهْلِ النَّارِ، ويَشُقُّ.

قَالَ الشَّاعِرُ[٤]:

أمِيرُ المُؤْمنينِ عَلَى صِرَاطٍ ـ إذا اِعْوَجَّ المَوَارِدُ ـ مُسْتَقِيمِ

(١) في (ك): أقرب. بالباء الموحدة من تحت. وهو تصحيف. وفي (أ): أقرتب.

(٢) الحجر: ٤١.

(٣) البلد: ١١.

(٤) هو جرير. أنظر ديوان جرير بشرح محمّد بن حبيب: ٢: ٢١٨.

وقِيلَ: هُوَ الحُجَجُ، والأدِلَّةُ، المُفَرِّقَةُ بَيْنَ أهْلِ الجَنَّةِ، وأهْلِ النَّارِ.

وقِيلَ: إنَّما هُوَ العِبَادَاتُ(١) المُوْصِلَةُ إلى ثَوَابِ الله ـ تعالى ـ.

وفي(٢) الخَبَرِ(٣): أنَّهُ مَحَبَّةُ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ(٤).

❊❊❊

(١) في (هـ): العبادة. بلفظ المفرد.

(٢) في (أ): وَقَد. وهو تحريف.

(٣) معاني الأخبار: ٣٢ ـ ٣٧. تفسير العيَّاشي: ١ : ٢٤. تفسير نور الثقلين: ١ : ٢١ ـ ٢٣. تفسير القميّ (علي بن إبراهيم): ١ : ٢٨.

(٤) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

فصل [ـ ١٣ ـ]

[في وصف أحوال جهنَّم والعذاب فيها]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[1].

قَالَ مُجاهِدٌ[2]: لَمْ يَبْقَ مَزِيدٌ لامْتِلَائهَا، لِقَولِهِ: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[3].

فَقِيلَ لَهُ: هذا القَوْلُ كَانَ مِنْهَا قَبْلَ[4] دُخُولِ أَهْلِ النَّارِ فِيَها.

وقِيلَ[5]: إنَّ قَوْلَهَا فِيهَا، كَالمَثَلِ: أيْ: بَقِيَ في سَعَةٍ كَثِيرَةٍ.

قَالَ الشَّاعِرُ[6]:

إمْتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلاً رُوَيْداً قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي

---

(١) ق: ٣٠.

(٢) جامع البيان: ٢٦: ١٦٩. باختلاف اللفظ. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٤٧. بلفظه. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ١.

(٣) الأعراف: ١٨. هود: ١١٩. السجدة: ١٣. ص: ٨٥.

(٤) سقطت (قبل) من (أ).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ١٨. دون عزو إلى أحد.

(٦) مرَّ تخريج البيت آنفا.

وقِيلَ(١) إنَّهُ يَخْلُقُ لَهَا آلَةَ الكَلَامِ، كَمَا خَلَقَ لِجَوَارِحِ الإنْسَانِ، كَقَوْلِـهِ: ﴿وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾(٢).

وقِيلَ: إنَّهُ خِطَابٌ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ(٣) لَهُمْ: ﴿هَلِ امْـتَلأْتِ﴾؟ فَيَقُولَون: بَلَى! لَمْ يَبْقَ مَوضِعُ المَزِيدِ. لِيَعْلَمَ القَوْمُ صِدْقَ قَوْلِهِ. ومَعْنَاهُ: مَامِنْ مَزِيْدٍ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْـقُلُوبُ وَالأَبْصارُ﴾(٤).

أيْ: يَخَافُونَ عَذَابَ يَوْمٍ، تَتَقَلَّبُ فيهِ القُلُوبُ مِنْ عِظَمِ أهْوَالِهِ(٥)، والأَبْصَارُ مِنْ شِدَّةِ مَا تُعَاينُهُ(٦).

وقِيلَ(٧): تَقَلُّبُ(٨) القُلُوبِ بِبُلُوغِهَا الحَنَاجِرَ، وتَقَلُّـبُ(٩) الأبْصَـارِ بِـالعَمَى

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٧ : ١٨ . دون عزو إلى أحد.

(٢) البقرة: ٧٤.

(٣) في (ك): التفريغ. بالفاء الموحَّدة والغين المعجمة.

(٤) النور: ٣٧.

(٥) في (ح): أحواله. بالحاء المهملة.

(٦) في (ش) و(هـ): يعاتيه. بياء المضارعة المثناة من تحت. وفي (ك): يعانيه. بنون موحدة من فوق بعدها ياء مثناة من تحت. وفي (ح): معاناته.

(٧) الجامع لأحكام القرآن: ١٢ : ٢٨٠ . من دون عزو إلى قائل.

(٨) في (ك) و(ح): تتقلب. بتاءين متتاليتين وبصيغة المضارع.

(٩) في (ح): تتقلّب.

بَعْدَ النَّظَرِ.

وقَالَ البَلخِيُّ[١]: أيْ: القُلُوبُ، تَتَقَلَّبُ عَنِ الشَّكِّ الَّذي كَانَتْ عَلَيهِ إلى اليَقِينِ، والأَبْصَارُ، تَتَقَلَّبُ عَمَّا كَانَتْ عَلَيهِ، لأَنَّهَا تُشَاهِدُ مِنْ أهْوَالِ ذلِكَ اليَوْمِ، مَا لَمْ تَعْرِفْهُ. كَمَا قَالَ: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هـذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٣].

وقَوْلُهُ: ﴿خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[٤].

لَا خِلَافَ بَيْنَهُمَا. لأنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أيْ: عَقْلُكَ، وَمَعْرِفَتُكَ بِمَا عَايَنْتَ، نَافِذٌ، مَاضٍ. يُقَالُ: لَهُ بَصَرٌ بِكَذَا، وكَذَا. وَهُوَ بَصِيرٌ بِالجَوَارِحِ[٥].

***

(١) مجمع البيان: ٤: ١٤٥. الجامع لأحكام القرآن: ١٢: ٢٨١. من دون عزو إليه.

(٢) ق: ٢٢.

(٣) ق: ٢٢.

(٤) الشورى: ٤٥.

(٥) «وهو بصير بالجوارح» ساقطة من (ك).

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها﴾[١].

سَأَلَ اِبنُ أبي العَوْجَاءِ الصَّادِقَ[٢] ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَقَالَ: مَا تَقُولُ في هـذِهِ الآيَةِ؛ هَبْ هذِهِ الجُلُودَ عَصَتْ، فَعُذِّبَتْ فَمَا بَالُ الغَيْرِ؟

فَقَالَ أبُو عَبْدِالله ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: وَيْحَكَ! هِيَ هِيَ، وَهْيَ غَيْرُهَا.

فَقَالَ: أعْقِلْني هذا القَوْلَ!

فَقَالَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: أَرَأَيْتَ لَوْ أنَّ رَجُلاً كَسَرَ لِبْنَةً، ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهَا مَاءً، وجَبَلَهَا[٣]، ثُمَّ رَدَّهَا إلى هَيْئَتِها الأُولَى، ألَمْ[٤] تَكُنْ[٥] هِيَ هِيَ، وهِيَ غَيْرُها؟

فَقَالَ: بَلَى! أَمْتَعَ اللهُ بِكَ.

وقَالَ الجُبَّائيُّ[٦]، والبَلْخيُّ[٧]، والزَّجَّاجُ[٨]: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُبَدِّلُها. أيْ: يُعِيدُهَا إلى الحَالَةِ الأُوْلَى، الَّتي كَانَتْ عَلَيْها غَيْرَ مُحْتَرِقَةٍ.

---

(١) النساء: ٥٦.

(٢) الاحتجاج: ٢: ١٠٤ .نور الثقلين: ١: ٤٩٤.

(٣) في (ك): حبلها. بالحاء المهملة. وهو تصحيف.

(٤) سقطت همزة الاستفهام في (هـ).

(٥) في (ك): يكن. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) مجمع البيان: ٢: ٦٢.

(٧) مجمع البيان: ٢: ٦٢.

(٨) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٦٨ ـ ٦٩.

وقَالَ المَغْرِبيُّ[١]: لَا نَقولُ[٢]: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُعْدِمُ الجُلُودَ، بَلْ إنَّهُ يُجَدِّدُها، [ويُطَرِّيْهَا بِمَا يَفْعَلُ فِيهَا مِنَ المَعَانِي الَّتي تَعُودُ إلى حَالَتِهَا][٣]. يُقَالُ: أبْدَلْـ[٤][ـتُ] الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ. إذَا أبْدَلْتَ عَيْناً بِعَيْنٍ. قَالَ اللهُ ـ تَعَالى ـ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾[٥]. لأنَّ الشَّيْءَ إذَا جُعِلَ عَلَى حَالَتِهِ، يُقَالُ: جَعَلْتُهُ[٦] شَيْئاً كَالأَوَّلِ.

ويَحتَمِلُ[٧] أنْ يَخْلُقَ اللهُ لَهُمْ جِلْدَاً آخَرَ، فَوْقَ جُلُودِهِمْ، فَإذَا احْتَرَقَ التَّحْتَانِيُّ، أعَادَهُ اللهُ. وهكَذا يَتَعَقَّبُ الوَاحِدُ الآخَرَ.

ويَحْتَمِلُ أنْ يَخْلُقَ [اللهُ][٨] لَهُمْ جِلْدَاً، يُعَذِّبُهُمْ فيهِ، كَمَا يُعَذِّبُهُمْ في سَرَابِيلِ القَطِرَانِ.

قَالَ الرُّمَّانيُّ[٩]: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ[١٠] يُجَدِّدُ لَهُمْ جُلُوداً غَيْرَ الجُلُودِ الَّتي

---

(١) مجمع البيان: ٢: ٦٢. من دون عزو إلى أحد.

(٢) في (ش) و(ك): تقول بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٤) في (ش): أبدلَ. من دون تاء المخاطب.

(٥) إبراهيم: ٤٨.

(٦) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): جعلت. من دون ضمير الغائب (الهاء).

(٧) الجامع لأحكام القرآن: ٥: ٢٥٤.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٩) مجمع البيان: ٢: ٦٢.

(١٠) (تعالى) سقطت من (ح).

اِحْتَرَقَتْ، ويُعْدِمُ المُحْتَرِقَةَ. عَلَى ظَاهِرِ القُرْآنِ مِنْ أَنَّها غَيْرُهَا، لأنَّها لَيْسَتْ بَعْضَ الإنْسَانِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها﴾[1]. وقَولُهُ: ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾[2].

لَا يُنَاقِضُهُمَا قَوْلُهُ: ﴿كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾[3] لأَنَّهُ لَيْسَ فيهِ أَنَّهَا تَخْبُو عَنْهَا بِزِيَادَةِ السَّعِيرِ، كَقَوْلِهِ: ﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها﴾[4] يَعْنِي: مَتَى رَامُوا الخُرُوجَ، مُنِعُوا مِنْ ذلِكَ.

والمَعْنَى الجَامِعُ بَيْنَهَا[5]: أَنَّهُ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ـ الَّذي وُضِعَ عَلَيْهِمْ ـ شَيءٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾[6].

---

(١) فاطر: ٣٦.

(٢) الزخرف: ٧٥.

(٣) الإسراء: ٩٧.

(٤) السجدة: ٢٠.

(٥) في (هـ) و(ح): بينهما.

(٦) النساء: ٥٧. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

لَا يُنَاقِضُهُ قَوْلُهُ: ﴿لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً﴾[١]. لأنَّ الأَحْقَابَ، جَمْعٌ، والجَمْعُ لا غَايَةَ لَهُ، ولَيْسَ فِيهِ أَلَّا يَلْبَثُوا أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿عَذابٍ غَلِيظٍ﴾[٢].

والغَلِيظُ، العَظِيمُ[٣] الجُثَّةِ، الكَثِيفُ. وإنَّما وصَفَهُ بِذلِكَ، لأَنَّهُ بِمَنْزِلَتِهِ[٤] في الثِّقَلِ عَلَى النَّفْسِ، وَطُوْلِ المَكْثِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[٥].

وصَفَ اليَوْمَ بِالإحَاطَةِ، وهْوَ مِنْ نَعْتِ العَذَابِ، لأنَّ اليَوْمَ، مُحِيطٌ بِعَذَابِهِ بَدَلاً مِنْ إحَاطَتِهِ بِنَفْسِهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[٦].

---

(١) النبأ: ٢٣.

(٢) هود: ٥٨. لقمان: ٢٤. فصلت: ٥٠.

(٣) (العظيم) ساقطة من (أ).

(٤) في (أ): بِمَنْزِلة. من دون إضافة إلى ضمير الغائب (الهاء).

(٥) هود: ٨٤.

(٦) المائدة: ٧٣.

والمَسُّ ـ هاهُنَا ـ مَا يَكُونُ مَعَهُ إحْسَاسٌ. وَهْوَ حُلُولُـهُ فِيـهِ. لأنَّ العَـذَابَ، لَا يَمَسُّ الحَيَوَانَ إلَّا أحَسَّ بِهِ(١). ويَكُونُ المَـسُّ بِمَعنَـى: اللَّمْـسِ. لأنَّ في المَـسِّ، طَلَباً لإحْسَاسِ(٢) الشَّيءِ. فَلِهذا اِختِيرَ ـ هاهنا ـ المَسُّ. واللَّمْسُ، مُلَاصَـقَةٌ مَعَهَـا إحْسَاسٌ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿حَتَّـى تَـأْتِيَهُمُ السَّـاعَةُ بَغْتَـةً أَوْ يَـأْتِيَهُمْ عَـذابُ يَـوْمٍ عَقِيمٍ﴾(٣). وَصَفَهُ بِأَنَّهُ عَقِيمٌ، أيْ: لَا مِثْلَ لَهُ في عِظَمِ الأهْوَالِ. [المُلْـكُ](٤) فيـهِ لله ـ تعالى ـ لَا مُلْكَ لأَحَدٍ مَعَهُ.

وإنَّما خَصَّ ذلِكَ بِهِ، لأنَّ في الدُّنْيَا، قد مَلَّكَ اللهُ أقْوَامَاً، أشْيَاءَ كَثِيرَةً.

والمُلْكُ: اِتِّسَاعُ المَقْدُورِ لِمَنْ لَهُ تَدْبِيرُ الأُمُورِ. فاللهُ ـ تعـالى ـ يَمْلِـكُ الأُمُـورَ لِنَفْسِهِ، وكُلُّ مَالِكٍ سِوَاهُ، فَإنَّما هُوَ مُمَلَّكٌ(٥) بِحكْمِهِ، إمَّا بِدَلِيلِ السَّـمْعِ، أوْ بِـدَلِيلِ العَقْلِ.

***

(١) في (ح): فيه.

(٢) في (ك): الإحساس. مَعَ (أل). وفي (ح): طلب إحساس الشيء.

(٣) الحج: ٥٥.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخ الخطيَّة. وما أثبتناه من (ط).

(٥) في (ك): مملوك.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ذُوقُوا عَذابَ الْـحَرِيقِ﴾ (١).

الذُّوْقُ، تَنَاوُلُ الشَّيءِ بِالفَمِ، لإدْرَاكِ الطَّعْـمِ، فَهُـوَ أَشَـدُّ لإحْسَاسِـهِ عِنْـدَ تَفَقُّدِهِ، وطَلَبِ إدْرَاكِ طَعْمِهِ.

وهُوَ ـ هَاهُنا ـ مجَازٌ (٢)، وكذلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ذُوقُوا عَذابَ الْـخُلْدِ﴾ (٣).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٤).

فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى مَنْ زَعَمَ أنَّ مَنْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ لَا يَعْصِي، فَلَا يَجُوزُ أنْ يَتَوَعَّـدَهُ بِالعَذَابِ. وعَلَى زَعْمِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أنْ يُقَالَ ـ فِيمَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لا يَكُونُ ـ إنَّهُ إنْ كَانَ وَجَبَ فيهِ كَيْتُ، وكَيْتُ، لأَنَّهُ كَانَ المَعْلُـومُ لله ـ تعـالى ـ أنَّ النَّبِـيَّ ـ عَلَيْـهِ السَّلامُ ـ (٥) لَا يَعْصِي مَعْصِيَةً، يَسْتَحِقُّ بِهَا العِقَابَ يَوْمَ القِيَامَـةِ. وَمَـعَ هـذا، فَقَـدْ تَوَعَّدَ بِهِ.

***

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) في (ش): مجازاً. بتنوين النصب.

(٣) يونس: ٥٢.

(٤) الأنعام: ١٥.

(٥) في (ك) و(ح): صلى الله عليه وآله.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَـهُ الْـعَذابُ يَـوْمَ الْـقِيامَةِ﴾[١].

المَعْنَى: يُضَاعَفُ لَهُ العَذَابُ في كَثْرَةِ الأَجْزَاءِ، لَا أَنَّهُ يُضَاعَفُ اِسْتِحْقَاقُهُ. لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ لَا يُعَاقِبُ بِأكْثَرَ[٢] مِنَ المُسْتَحَقِّ، لأنَّ ذلِكَ، ظُلْمٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يُضاعَفُ لَهُمُ الْـعَذابُ﴾[٣].

أيْ[٤]: يُضَاعَفُ بِحَسَبِ تَضَاعِيفِ الإجْرَامِ.

وقِيلَ: أيْ: كُلَّمَا ضَعُفَ، جَاءَ ضِعْفٌ. وكُلُّهُ[٥] عَلَى قَدَرَ الاسْتِحْقَاقِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْـعَذابُ ضِعْفَيْنِ﴾[٦].

---

(١) الفرقان: ٦٨، ٦٩.

(٢) في (ح): أكثر بسقوط حرف الجر (الباء).

(٣) هود: ٢٠.

(٤) في (ش): «أي: يضاعف بحسب الصواب كلما وهن ضعف تضاعف الجرام» وهي عبارة مضطربة.

(٥) في (ك): «وكله على الصواب كلما وهن ضعف قدر الاستحقاق» وهي عبارة مضطربة.

(٦) الأحزاب: ٣٠.

إنَّما جَازَ تَضْعِيفُ[١] عِقَابِهِنَّ بِالمَعْصِيَةِ، لِعِظَمِ قَدْ رِهِنَّ، وأنَّ مَعْصِيَتَهُنَّ تَقَعُ عَلَى وَجْهٍ، يَسْتَحِقُّ بِهَا ضِعْفَ مَا يَسْتَحِقُّ غَيْرُهُنَّ مِنْ حَيْثُ كُنَّ قُدْوَةً في الأعْمَالِ.

ويُحْتَمَلُ ذلِكَ، لِهَتْكِ حُرْمَةِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٢].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْـمِهَادُ﴾[٣].

قَالَ مُجَاهِدٌ[٤]: بِئْسَ مَا مَهَدُوا لأنْفُسِهِمْ.

وقَالَ الحَسَنُ[٥]: بِئْسَ القَرَارُ.

وقِيلَ: بِئْسَ الفِرَاشُ المُمَهَّدُ.

وقَالَ البَلْخِيُّ، والجُبَّائِيُّ: هذا مَجَازٌ. كَمَا قِيلَ ـ لِلْمَرَضِ ـ شَرٌّ. وإنْ كَانَ خَيْراً مِنْ جِهَةٍ، لأنَّهُ حِكْمَةٌ، وَصَوَابٌ. فَقِيلَ ـ لِجَهَنَّم ـ: ﴿بِئْسَ الْـمِهَادُ﴾ لِعِظَمِ الآلَامِ.

***

(١) في (ش): يستحقّ بها ضعف عقابهن. وهي عبارة خارجة عن السِّياق.

(٢) (عَلَيْهِ السَّلامُ) ساقطة من (ك) و(ح).

(٣) آل عمران: ١٢.

(٤) جامع البيان: ٣: ١٩٣. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٢٤.

(٥) مجمع البيان: ١: ٤١٤.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾(١).

فَائدَةُ ذلِكَ: أنَّهَا أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ قَطْعَاً، ولِلْفَاسِقِينَ جَوَازَاً. لأنَّا نُجوِّزُ العَفْوَ عَنْهُمْ(٢).

وقَالَتِ المُعْتَزِلَةُ: لأنَّ الكُفَّارَ، أحَقُّ بِهَا، والفُسَّاقَ، تَبَعٌ لَهُمْ في دُخُولِهَا، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ / ٢٠٠/ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣). ولَا خِلَافَ أنَّهُ يَدْخُلُهَا الأطْفَالُ والمَجانِينُ، إلَّا أنَّهُمْ تَبَعٌ لِلْمُتَّقِينَ.

وقَالَ أبُو عَلِيٍّ(٤): هـذِهِ النَّارُ، نَارٌ مَخْصُوصَةٌ، فِيهَا الكُفَّارُ خَاصَّةً دَوْنَ الفُسَّاقِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ الْـمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(٥).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الأَثِيمِ﴾(٦).

والنَّارُ تُحْرِقُ الشَّجَرَ، فَكَيْفَ تُنْبِتُهَا(٧)؟

---

(١) آل عمران: ١٣١.

(٢) في (ش): عليهم.

(٣) آل عمران: ١٣٣.

(٤) هو أبو علي الطبرسي. مجمع البيان: ١: ٥٠٢.

(٥) النساء: ١٤٥.

(٦) الدخان: ٤٣، ٤٤.

(٧) في (ك) و(أ): بنتها. بالباء الموحّدة من تحت بعدها نون موحدة من فوق ثم تاء مثناة من فوق. في (ش) و(هـ): ينبتها. بياء المضارعة المثناة من تحت.

الجَوَابُ: إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ قَادِرٌ عَلَى أنْ يَمْنَعَ مِنَ النَّارِ إحْرَاقَهَا مِثْلَ إِبْـرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيى﴾ (١).

وقَوْلُهُ: ﴿وَيَأْتِيهِ الْـمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ (٢).

وقَوْلُهُ: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى﴾ (٣).

أيْ: لَا يَمُوتُ فِيهَا مَوْتاً، يَقْضِي عَلَيهِ، ولَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ.

﴿وَيَأْتِيهِ الْـمَوْتُ﴾. أيْ: مِثْلُ المَوْتِ. وكَأَنَّهُمْ سُكَارَى لِمَا هُمْ فِيـهِ، ولَيْسُـوا بِسُكَارَى، كَسُكْرِ الدُّنْيَا.

قَالَ أبو النَّجْمِ (٤):

بَلْهَـاءُ لَمْ تَحْـفَظْ وَلَمْ تُضَيِّـعِ

وقَالَ (٥):

---

(١) طه: ٧٤.

(٢) إبراهيم: ١٧.

(٣) الحج: ٢.

(٤) ديوان أبي النجم العِجلي: ١٣٦.

(٥) أخلَّ به ديوانه المطبوع.

لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ وَلَا بِضَائِعِ

وقَالَ الآخَرُ[١]:

فَالقَوْمُ لَا مَرْضَى وَلا صِحَاحَا[٢]

***

وقَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾[٣].

وقَوْلُهُ: ﴿تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[٤].

المَعْنَى: سَمِعُوا صَوْتَ التَّغَيُّظِ. وفِعْلُ التَّغَيُّظِ مِنِ الْتِهَابِهَا، وتَوَقُّدِهَا، فَسُمِّيَ ـ بِذلِكَ ـ تَغَيُّظاً عَلَى سَعَةِ الكَلَامِ. لأنَّ المُغْتَاظَ، هُوَ المُتَفَطِّرُ بِمَا يَجِدُ مِنَ الألَمِ، البَاعِثِ عَلَى الإيْقاعِ، لِضُرِّهِ. فَحَالُ جهَنَّمَ. كَحَالِ المُغْتَاظِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[٥].

كَأَنَّهُ قَالَ: فَمَا صَبْرُهُمْ؟

---

(١) (الآخر) سقطت من (ح).

(٢) الصاحبيّ في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٢٥٨ بلا عزو. وفيه: بالقوم.

(٣) الفرقان: ١٢.

(٤) الملك: ٨.

(٥) البقرة: ١٧٥.

قَالَ اِبْنُ[١] عَبَّاسٍ: مَا الَّذي أَجْرَ أَهُمْ عَلَيهَا بِصَبْرِهِ؟ اِسْتِفْهَامَاً.

ويَصِيرُ: ﴿ما أَصْبَرَهُمْ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: فَمَا صَبْرُهُمْ؟ مِثْلَ: أكرمتُهُ، وَكرَّمْتُهُ، وأحْسَنْتُهُ[٢]، وحسَّنْتُهُ[٣]. فَكَأَنَّهُ قَالَ: ﴿فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أيْ: قَدْ عَمِلُوا[٤] العَمَل، الَّذي أقْدَمُوا بِهِ عَلَى النَّارِ. فَيَصْبُرون[٥] في لَفْظِ التَّعَجُّبِ مِنَ الآدَميينَ عَلى اللُّغَةِ، وعَلَى مَا يَعْقلُونَ[٦].

***

قوله ـ سبحانه ـ ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾[٧].

أيْ: إنْ يَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِهِمْ. لأنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها﴾[٨].

ويُقَالُ: فَإنْ يَصْبِرُوا، أوْ يَجْزَعُوا، فَالنَّارُ مَثْوَىً لَهُمْ.

---

(١) مجمع البيان: ١: ٢٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦..

(٢) في (أ): أحسنه.

(٣) في (أ): حسنه.

(٤) في (ك): علموا. بلام ثُمَّ ميم. وهو تحريف.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): فيصبروا. بإسقاط نون الرفع.

(٦) في (أ): يفعلون. بالفاء الموحّدة بعدها عين مهملة. وهو تصحيف.

(٧) فصلت: ٢٤.

(٨) الفرقان: ٤٢.

ويَكُـونُ: ﴿وَإِنْ يَسْـتَعْتِبُوا﴾[١] كَقَوْلِـهِ: إنْ يَجْزَعُـوا. في المَعْنَـى. لأنَّ المُسْتَعْتَبَ[٢]، جَزِعَ مِمَّا اسْتُعْتِبَ[٣] مِنْهُ.

وقَالَ ـ في آيةٍ أُخْرَى ـ: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾[٤].

وَيُقَالُ: سَبَبُ نُزُولِهَا، قَوْلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، لَـمَّا دَعَاهُمْ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّـلامُ ـ إلى تَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، فَقَالَ بَعْضُـهُمْ لِـبَعْضٍ: ﴿لا تَسْـمَعُوا لِهَذَا الْـقُرْآنِ﴾[٥] ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾[٦].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ الْـمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٧].

﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْـعَذَابِ﴾[٨].

[الوَجْهُ[٩] في ذَلِكَ: أَنَّ دَرْكَ الأَسْفَلِ، هُوَ أَشَدُّ العَذَابِ.

(١) فصلت: ٢٤.

(٢) في (ك) و(أ): امستعيب. بياء مثناة من تحت بعد العين. وهو تصحيف.

(٣) في (ك) و(أ): استعيب. بياء مثناة من تحت بعد العين. وهو تصحيف.

(٤) الطور: ١٦.

(٥) فصّلت: ٢٦.

(٦) ص: ٦.

(٧) النّساء: ١٤٥.

(٨) غافر: ٤٦.

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

أَوْ قُلْتَ: آلُ فِرْعَوْنَ في أَشَدِّ العَذَابِ][1]. وَأَشَدُّ مِنْ أَهْلِ الدَّرْكِ الأَسْفَلِ بِفَضْلِ عَذَابٍ، يُوْصِلُهُ إِلَيْهِمْ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[2].

الظُّلَلُ مِنْ تَحْتِهِمْ، ظُلَلٌ لِمَنْ تَحْتِهِمْ. فَهذِهِ هِيَ بِسَاطٌ[3] لَهُمْ، وَهْيَ لِمَنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ. وَهَلُمَّ[4] جرّا. حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى القَعْرِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[5].

وَالمَعْنَى: وَمَا وقُوعُ السَّاعَةِ، إِلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ في سُرْعَتِهِ في حَالِ وُقُوعِهِ. وَيَكُونُ: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ أَرَادَ: يَطْوِيهِ[6] عَنَّا. كَقَوْلِكَ: أَكَلْتُ رُطَبَةً، أَوْ تَمْرَةً. وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا أَكَلْتَ، وَلكِنْ طَوَيْتَ ذلِكَ عَنِ السَّامِعِ.

***

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٢) الزمر: ١٦.

(٣) في (أ): نشاط. بالنون الموحّدة من فوق بعدها شين معجمة.

(٤) في (ش): هاجرا.

(٥) النحل: ١٦.

(٦) في (ش): بطويه. بالباء الموحّدة من تحت بدلاً من ياء المضارعة المثنّاة من تحت. وهو تصحيف.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها﴾[١].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[٢].

إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ ـ رَائِياً لَهَا، أَوْ[٣] نَاظِراً إِلَيْهَا ـ لَمْ يَكَدْ. أَيْ: لَمْ يَقْرُبْ. كَقَوْلِكَ: مَا فَعَلْتُ، وَمَا كِدْتُ. أَيْ: لَمْ أَقْتَرِبْ.

وَيَجُوزُ «لَمْ يَكَدْ يَراهَا» أَيْ: لَمْ يَرَهَا. وَيَكُونُ «يَكَدْ» ـ عَلَى مَا يُذْكَرُ فِي «أَكَادُ أُخْفِيهَا» ـ: وَمَا أَكَادُ أُخْفِيهَا. أَيْ: أُرِيدُ أُخْفِيهَا. قَالَ حَسَّانُ[٤]:

وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ[٥] أَنْ تَجِيءَ فِرَاشَهَا ... فِي جِسْمِ خَرْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ

وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ[٦]:

وَإِنْ أَتَاكِ نَعْيِي[٧] فَانْدُبَنَّ أَبَاً ... قَدْ كَادَ يَضْطَلِعُ الأَعْدَاءَ وَالخُطَبَا[٨]

---

(١) طه: ١٥.

(٢) النور: ٤٠.

(٣) في (ح): وناظراً. مع الواو.

(٤) ديوان حسان بن ثابت: ١٠٧ وفيه: «وتكاد تكسل أنْ تقومَ لحاجةٍ...» وقد أشارَ محققه إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا.

(٥) في (أ): أي.

(٦) أخلَّ به ديوانه المطبوع وهو في كتاب الأضداد لأبي بكر الأنباري: ٩٧ معزواً إلى أبي النجم.

(٧) في (هـ): نعياً. بتنوين النَّصْب.

(٨) في (ش): الخطباء. بالهمزة بعد الألف. وهو خطأ من النّاسخ.

وَيُقَالُ: «أَكَادُ أُخْفِيهَا». أَيْ[١]: آتِي بِهَا. قَالَ ضَابِيءٌ[٢]:

هَمَمْتُ ـ وَلَمْ أَفْعَلْ ـ وَكِدْتُ، وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهُ

وَيُقَالُ: «أَكَادُ أُخْفِيهَا»: أُظْهِرُهَا. يُقَالُ: خَفَا البَرْقُ: ظَهَرَ.

قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ[٣]:

فَإِنْ تَدْفُنُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ[٤] وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ[٥]



(١) في (ك): إلى. وفي (ح): إنّي.

(٢) مرَّ تخريج البيتِ آنِفاً.

(٣) ديوان امرئ القيس: ١٨٦.

(٤) في (أ) و(ح): يخفه. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

(٥) في (ش) و(ح): يقعد. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

فصل [ـ ١٤ ـ]

[في الشّفاعة]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[١].

أَصْلُ «الشَّفَاعَةِ» مِنَ: «الشَّفْعِ» الَّذِي هُوَ ضِدُّ الوِتْرِ. فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا شَفَعَ لِصَاحِبِهِ، فَقَدْ شَفعَهُ. أيْ: صَارَ ثَانِيَهُ. وَمِنْهُ الشَّفِيعُ في المُلْكِ، لأَنَّهُ يَضُمُّ مُلْكَ غَيْرِهِ إِلى مُلْكِ نَفْسِهِ.

وَقَالَتِ المُعْتَزِلَةُ[٢]، وَمَنْ تَابَعَهُمْ: الشَّفَاعَةُ، مُقْتَضَاهَا، زِيادَةُ المَنَافِعِ، وَالدَّرَجَاتِ، كَمَا قَالَ الحُطَيْئَةُ[٣]:

وَذَاكَ امْـرُؤٌ إِنْ تَأْتِـهِ في صَـنِيْعَةٍ   إِلَى مَالِـهِ، لَمْ تَأْتِـهِ بِشَـفِيعِ

وَقَالَتِ / ٢٠١/ الإِمَامِيَّةُ[٤]: مُقْتَضَاهَا، إِسْقَاطُ المَضَارِّ، كَمَا قَالَ

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) متشابه القرآن: ١/ ٩٠. ٢/ ٤٤٢، ٤٩٣، ٤٩٩.

(٣) ديوان الحطيئة برواية محمد بن حبيب: ١٨٤. وفيه: فذاك. لِصَنيعة. لا تأتِهِ. وقد أشار الناشر إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا.

(٤) أوائل المقالات: ٥٢. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ٢٠٨.

المُبَرِّدُ(١):

وَقَالُوا تَعَلَّمْ أَنَّ مَالَكَ إِنْ تُصِبْ نُفِدْكَ وَإِنْ تُحْبِسْ نَدْرُكَ وَنَشْفَعِ

وَتَجِيءُ الشَّفَاعَةُ، بِمَعْنَى المُعَاوَنَةِ. قَالَ(٢) الشَّاعِرُ(٣):

أَتَاكَ امْرُؤٌ(٤) مُسْتَعْلِنٌ لَكَ بُغْضَةً لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلُ ذَلِكَ شَافِعُ

وَقَدْ تَعَلَّقَتِ المُعْتَزِلَةُ(٥) بِقَوْلِهِ: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾(٦).

وَبِقَوْلِهِ: ﴿فَما لَنَا مِنْ شافِعِينَ﴾(٧) وَبِقَوْلِهِ: ﴿ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾(٨) وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾(٩). وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَلا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ﴾(١٠).

---

(١) الكامل: ١ : ٧٧ معزواً في جملة أبيات إلى رَجُلٍ من بني عبدالله بن غطفان.

(٢) في (ش) و(ك): وَقالَ. مع الواو.

(٣) هو النابغة الذبياني أنظر ديوانه: ٣٥. وفيه: مستبطن.

(٤) في (ش) و(ك): أمر. وهو تحريف.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٧: ٢١٤. بلفظ: قال أهل الوعيد.

(٦) الأنبياء: ٢٨.

(٧) الشعراء: ١٠٠.

(٨) غافر: ١٨.

(٩) البقرة: ٢٧٠. آل عمران: ١٩٢. المائدة: ٧٢.

(١٠) البقرة: ١٢٣.

وَلا دَلَالَةَ فِي[١] شَيْءٍ مِنْ هـذِهِ الآيَـاتِ عَـلَى اخْتِصَـاصِ الشَّـفَاعَةِ بِزِيَـادَةِ المَنَافِعِ:

أَمَّا الآيَةُ الأُولى، فَلأَنَّ الْمُرْتَضَى فِيهَا، مَحْذُوفٌ. فَلَيْسُـوا بِـأَنْ يُقَـدِّرُوا لِـمَنْ ارْتَضَى جَمِيعَ أَفْعَالِهِ، بِأَوْلَى مِنَّا، إِذَا قَدَّرْنَا لِـمَنْ ارْتَضَى أَنْ يَشْفَعَ لَهُ.

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ، فَمُخَصَّصَةٌ بِنَفْيِ شَفِيعٍ يُطَاعُ. وَهذَا مُتَّفَقٌ عَلَيـهِ. وَإِنَّـمَا يَكُـونُ لَهُمْ دَلَالَةٌ، لَوْ نَفَى شَفِيْعَاً، يُجَابُ. لأَنَّهُ قَبُولُ الشَّفَاعَةِ. وَقَبُولُها، لَيْسَ بِطَاعَةٍ، وَإِنَّـمَا هُوَ إِجَابَةٌ.

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ، فَصَرِيحَةٌ فِي الكُفَّارِ، لأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنكُـونَ مِـنَ الْـمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ، فَفَاسِـدٌ، لأَنَّ الـنُّصْرَةَ، غَـيْرُ الشَّـفَاعَةِ. وَإِنَّـما هِـيَ الْمُدَافَعَـةُ، وَالْمُغَالَبَةُ. وَيَقْتَرِنُ[٣] بِالشَّفَاعَةِ خُشُوعٌ، وَخُضُوعٌ.

وَأَمَّا الخَامِسَـةُ، وَالسَّادِسَـةُ، فَغَـيرُ نَافِعَـةٍ لَهُـمْ، لأَنَّ الشَّـفَاعَةَ فِي الْمُـؤْمِنِيْنَ، لَا تَكُونُ[٤] عَلَى سَبِيلِ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ ـ تَعَالَى[٥] ـ.

(١) في (هـ): فمن.

(٢) الشعراء: ١٠٢.

(٣) في (أ): يقرن. بسقوط التاء بعد القاف.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) (تعالى) سقطت من (ح).

وَأَمَّا السَّابِعَةُ(١)، فَمَترُوكَةُ الظَّاهِرِ بِالإِجْمَاعِ، لأَنَّنَا قَدْ اتَّفَقْنَا أَنَّ لِلْنَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ(٢) ـ شَفَاعَةً، مَقْبُولَةً، نَافِعَةً. وَقَدْ تَلَقَّتِ الأُمَّةُ بِالقَبُولِ قَوْلَهُ(٣) ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: اِدَّخَرْتُ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي.

وَرَوَى أَصْحَابُنَا عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ(٤) ـ: إِنِّي أَشْفَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأُشَفَّعُ، وَيَشْفَعُ عَلِيٌّ، فَيُشَفَّعُ، وَيَشْفَعُ أَهْلُ بَيْتِي، فَيُشَفَّعُونَ. وَإِنَّ أَدْنَى المُؤْمِنِينَ شَفَاعَةً، لَيَشْفَعُ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِنْ أُخْوَانِهِ، [كُلٌّ](٥) قَدْ اسْتَوْجَبَ النَّارَ(٦).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى﴾(٧).

---

(١) في (هـ): السابع.

(٢) في (ك): صلّى الله عليه وآله. وهي ساقطة من (ح).

(٣) صحيح البخاري: ٩: ١٧٠. باختلاف يسير. سنن ابن ماجة: ٢: ١٤٤١. صحيح الترمذي: ٩: ٢٦٦. عيون أخبار الرضا: ١: ٤٦. التوحيد: ٤٠٧. أمالي الصدوق. ٦، ١٧٢. الشرح والإبانة: ٥٥. باختلاف يسير. الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد: ٢٠٨. تاريخ بغداد: ١: ٤١٦/ ٢: ٢١٧/ ٣: ٤٠، ٤٢٤.

(٤) في (ك): صلّى الله عليه وآله.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

(٦) أوائل المقالات: ٩٧. باختلاف يسير في اللفظ.

(٧) النّجم: ٢٦.

قِيْلَ: إنَّ الغَرَض ـ بِذَلِكَ ـ الإِنْكَارُ عَلَى عَبَدَةِ الأَوْثَانِ. وَقَوْلُهُمْ إِنَّهَا تَشْفَعُ لَهُمْ، لأَنَّ المَلَكَ إِذَا لَمْ تُغْنِ شَفَاعَتُهُ شَيْئاً، فَشَفَاعَةُ مَنْ دُوْنَهُ، أَبْعَدُ مِنْ ذلِكَ.

وَلَا يُنَافِي ذلِكَ مَا قُلْنَاهُ: مِنْ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ، وَالأَئمَّةِ، وَالمُؤْمِنِينَ، لأَنَّ هـؤلَاءِ يَشْفَعُونَ بِإِذْنِ اللهِ، وَرِضَاهُ. وَمَعَ ذلِكَ يَجُوزُ أَلَّا يَشْفَعُوا فِيهِ. فَالزَّاجِرُ، وَاقِعٌ مَوْقِعَهُ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[1].

لا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لا شَفَاعَةَ لِـمُرْتَكِبِي الكَبَائِرِ، لأَنَّ أَحَداً، لا يَقُولُ: إِنَّ لَهُمْ مُعِيْناً عَلَى عَدُوِّهِمْ، بَلْ إِنَّما يَقُولُ لَهُ مَنْ يَسْأَلُ فِي بَابِهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّضَرُّعِ. وَلا يُسمَّى[2] ذلِكَ نُصْرَةً عَلَى حَالٍ.



(١) البقرة: ٢٧٠. آل عمران: ١٩٢. المائدة: ٧٢.

(٢) في (ش) و(ك) سُمِّي. بصيغة الماضي المبني للمجهول.

فصل [ـ ١٥ ـ]

[في الجنَّة وأوصافها وأحوال أهلها]

قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالأَرْضُ﴾[1].

ولَمْ يَذْكُرْ طُولَهَا.

قَالَ أبُو مُسْلِمٍ[2] الأصفَهَانيُّ: أيْ: ثَمَنُهَا لَوْ بِيعَتْ كَثَمَنِهِمَا[3] لَوْ بِيعَتَا. كَما يُقَالُ: عَرَضْتُ المَتَاعَ لِلْبَيْعِ. والمُرَادُ: عِظْمُ قَدْرِهَا.

وقِيلَ: إنَّ العَرَبَ، تَصِفُ الشَّيءَ بِالعَرْضِ. يُقَالُ: بِلَادٌ عَرِيضَةٌ، وأرْضٌ أرِيْضَةٌ[4].

قَالَ أُمْرُؤُ القَيْسِ[5]:

مَوَاقِعُ غَيْثٍ في فَضَاءٍ عَرِيضَةٍ

---

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) مجمع البيان: ١: ٥٠٤.

(٣) في (ش) و(أ): كَثَمَنِهَا.

(٤) في (ك): عريضة.

(٥) ديوان امرئ القيس: ٧٣. وفيه:

(بلادٌ) عريضــة وأرضٌ أَريضةٌ   مدافــع غيثٍ في فضــاءٍ عريضٍ

وقَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾[(١)].

قَالَ السُّدِّيُّ[(٢)]: أيْ: يَدْعُو اللهَ كَثِيراً عِنْدَ ذلِكَ. إنَّما قَالَ: عَرِيض. ولَمْ يَقُلْ: طَوِيل. لأنَّهُ أبْلَغُ . ألَا تَرَى أنَّ عَرضَ[(٣)] الإنسانِ ، والدَّوَابِ ، والأشْجَارِ ، والأنْهَارِ، لَا عَلَى حَسَبِ طُوْلِهَا. ولأنَّ العَرْضَ، يَدُلُّ[(٤)] عَلَى الطُّولِ، ولَا يَدُلُّ الطُّولُ عَلَى العَرْضِ؛ إذْ قَدْ يَصُحُّ: طَوِيلٌ. وَلَا عَرْضَ لَهُ. ولَا يَصُحُّ: عَرِيضٌ[(٥)]. ولَا طُوْلَ لَهُ، لأنَّ العَرْضَ، الانْبِسَاطُ في خِلَافِ جِهَةِ الطُّولِ، والطُّولُ، الامْتِدَادُ في أيِّ جِهَةٍ كَانَ[(٦)].

وقيلَ: عَرْضُها كَعَرْضِ السَّمَواتِ، والأَرَضِينَ، وطُوْلُها لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللهُ.

وقِيلَ: مَعْنَاهُ أنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ نَصِيبَهُ[(٧)] مِنْهَا؛ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماوَاتِ، والأرْضِ، لِقَولِهِ: ﴿وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

(١) فصلت: ٥١.

(٢) جامع البيان: ٤٥ : ٤.

(٣) في (ش) بعد كلمة (عرض) العبارة: «صحة البيت:

(بلاد) عريضة وأرض أريضةٌ مواقع غيث في فَلَاة عريض»

وهي عبارة أضيفت فيما بعد على أصل النسخة.

(٤) العبارة: «يدلُّ على... ولا عَرْض» ساقطة من (أ).

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): عرض.

(٦) في (ح): كانتْ. مَعَ تاء التأنيث الساكنة.

(٧) في (ك) و(أ): يصيبه. بياء المضارعة المثناة من تحت.

عَرْضُهَا...﴾[١].

فَإِذَا كَانَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَغْفِرَةٌ، فَيَنْبَغي أَنْ يَكُونَ لَهُ جنَّةٌ مُفْرَدَةٌ[٢].

ولَا يَلْزَم ـ عَلَى هذا ـ أَنَّ الجَنَّةَ إِذَا كَانَتْ في السَّمَاءِ، كَيْفَ يَكُونُ لَهَا[٣] هذا العَرْضُ؟ لأَنَّهُ يُزَادُ فِيهَا يَوْمَ القِيَامَةِ.

وسُئِلَ[٤] النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ[٥]: إذا كَانَتِ الجَنَّةُ عَرْضُهَا بِعَرْضِ السَّمَواتِ والأَرْضِ، فَأَيْنَ تَكُونُ[٦] النَّارُ؟

فَقَالَ: سُبْحانَ الله! إذَا[٧] جَاءَ / ٢٠٢/ النَّهَارُ، فَأَيْنَ يَكُونُ اللَّيلُ؟

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَواءِ الْجَحِيمِ﴾[٨].

قَالَ الحَسَنُ: تَدُلُّ[٩] هذِهِ الآيَةُ عَلَى أَنَّ الجَنَّةَ، في السَّمَاءِ، والنَّارَ، في الأَرْضِ.

---

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) في (ك) و(أ): مفرد. من دون تاء التأنيث المربوطة المتحركة.

(٣) في (ك): لهم.

(٤) مجمع البيان: ١: ٥٠٤. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٢٠٤.

(٥) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٦) في (ش): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٧) في (هـ): فإذا. مَعَ الفاء.

(٨) الصَّافات: ٥٥.

(٩) في (ش): يدل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

فَلِذلِكَ صَحَّ مِنْهُمْ الاطِّلَاعُ.

وقَالَ الطُّوسِيُّ(١): يَجُوزُ أنْ تَكُونَ الجَنَّةُ، مَخْلُوقَةً في غَيْرِ السَّمَواتِ، والأرْضِ.

وفي النَّاسِ(٢) مَنْ قَالَ: إنَّ الجَنَّةَ، والنَّارَ، مَا خُلِقَتَا بَعْدُ، وإنَّما يَخْلُقُهُما(٣) اللهُ ـ تَعَالى ـ عَلَى مَا وَصَفَهُ، لِقَوْلِهِ(٤): ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ**﴾(٥).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿**إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً**﴾(٦).

قَالُوا: إنَّ النَّارَ ـ الَّتي وَعَدَ اللهُ ـ مَخْلُوقَةٌ. لأنَّ مَا لَا يَكُونُ مَخْلُوقاً، لَا يُعَدُّ. وهذا(٧) كَقَولِهِ: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(٨).

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٥٩٢.

(٢) هم المعتزلة كما في الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٢٠٥.

(٣) في (أ): خلقهما. بصيغة الماضي.

(٤) في (ك): لقول. من دون إضافة إلى الضمير (الهاء).

(٥) الرحمن: ٢٦.

(٦) الأحزاب: ٦٤ـ ٦٥.

(٧) العبارة: «وهذا... للمتقين» ساقطة من (أ).

(٨) آل عمران: ١٣٣.

وهذا السُّؤَالُ، ضَعِيفٌ. لأَنَّهُ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ المُرَادُ: أنَّ الجَنَّةَ، والنَّارَ، مُعَدَّانِ في الحُكْمِ، كَائنَانِ، لَا مَحَالَةَ.

والأَوَّلُ يَكُونُ الاعْتِمَادُ عَلَيهِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَيا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْـجَنَّةَ﴾[1].

اِخْتَلَفُوا في هذِهِ الجَنَّةِ:

فَقَالَ الحَسَنُ[2]، ووَاصِلٌ، وأبُو عَلِيٍّ، والرُّمَّانِيُّ، وابنُ الاخْشِيد[3]: إنَّهَا جَنَّةُ الخُلْدِ. لأنَّ الجنَّةَ، إذَا أُطْلِقَتْ ـ مُعَرَّفَةً بالألِفِ واللَّامِ ـ لَا يُعْقَلُ مِنْهَا ـ في العُرْفِ ـ إلَّا جَنَّةُ الخُلْدِ، كَمَا أنَّ السَّمواتِ، إذَا أُطْلِقَ، لَمْ يُعْقَلْ مِنْهُ إلَّا السَّمواتُ، المَخْصُوصَةُ، دُوْنَ سَقْفِ البَيْتِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْـخُلْدِ﴾[4].

---

(١) الأعراف: ١٩.

(٢) في الجامع لأحكام القرآن: ١: ٣٠٢ ـ ٣٠٣. نسبت الأقوال (٩ ـ ٤) إلى المعتزلة والقدرية مطلقاً من دون تفصيل.

(٣) في (ك): الاخشيذ. بالذال المعجمة. والعبارة: «إنَّها جنَّة الخلد... دون سقف البيت» بلفظها في التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٣٦٧. مصدر بقوله: «فقال قوم...» من دون تفصيل.

(٤) طه. ١٢٠.

قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ[١] الأَصْفَهَانِيُّ، وأَبُو القاسِمِ البَلْخيُّ: لَوْ كَانَتْ جَنَّةً لَكَانَ عَالِماً بِهَا. فَلَمْ يَحْتَجْ[٢] إلى[٣] دِلَالَةٍ.

والجَنَّةُ الَّتي كَانَ فيها آدَمُ، كَانَتْ في الأَرْضِ، حَيْثُ شَاءَ اللهُ ـ تعالى ـ. واخْتَارَهُ الطُّوسِيُّ[٤].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ﴾[٥].

والمِيْراثُ للحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ؟

الجَوَابُ: لَمَّا أُعِدَّتِ الجنَّةُ للمُتَّقِينَ، جَازَ أَنْ يُسَمَّوا وَارِثِينَ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾[٦].

وقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾[٧].

---

(١) التفسير الكبير: ١٤: ٤٦.

(٢) في (هـ): تحتج. بتاء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) في (ش): إلا. وهو تحريف.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٥٦.

(٥) المؤمنون: ١٠.

(٦) المؤمنون: ١١.

(٧) الزمر: ١٥. الشورى: ٤٥.

قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ : مَا مِنْ كَافِرٍ إِلَّا وَلَـهُ مَنْزِلُـهُ فِي الجنَّـةِ ، وأَزْوَاجٌ ، فَـإِنْ أَسْلَمَ، وسَعدَ، صَارَ إلى مَنْزِلِهِ، وأَزْوَاجِهِ. وإِنْ كَفَرَ صَارَ مَنْزِلُهُ، وأَزْوَاجُهُ، إلى مَنْ أَسْلَمَ.

وقَالَ الجُبَّائِيُّ[١]: يَرِثُونَ الفِرْدَوسَ عَلَى التَّشبِيهِ بِالمِيْرَاثِ[٢] المَعْرُوفِ مِنْ جِهَةِ المُلْكِ الَّذي يَنْتَهي إليه أَمْرُهُ.

وقِيلَ: يَعْني: يُؤُولُ أَمْرُهُ إلى النَّعِيمِ[٣] في الجنَّةِ، ويَمْلِكُ ما يُعْطِيهِ اللهُ، كَما يَؤُولُ أَمْرُ الوَارِثِ.

***

قَوْلُـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

اِسْتَدَلَّ الجُبَّائِيُّ[٥] بِذلِكَ عَلَى أَنَّ الثَّوَابَ، مُسْتَحَقٌّ بِأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ، فَلَا يُسْتَحَقُّ مِنْ جِهَةِ الأَصْلَحِ، لأَنَّ اللهَ ـ تعالى ـ بَيَّنَ أَنَّهُمْ[٦] أُورِثُوهَا بِمَا عَمِلُوا

(١) مجمع البيان: ٤: ١٠٠.

(٢) في (أ): المترات. بالتاء المثناة من فوق وتاء مبسوطة. وهو تصحيف.

(٣) في (ك): النعم. وهو تحريف.

(٤) الأعراف: ٤٣.

(٥) العبارة بلفظها في التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٤٠٥.

(٦) في (ك) و(هـ): إنْ هم.

مِنْ طَاعَاتِهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (١).

وقَوْلُهُ(٢): ﴿وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣).

الوَجْهُ في تَكْرَارِ ذِكْرِ(٤) الفَاكِهَةِ: البَيَانُ عَنِ اخْتِلَافِ صِفَاتِهَا، فَذُكِرَتْ ـ أَوَّلاً ـ بِأَنَّهَا مُتَخَيَّرَةٌ، كَثِيرَةٌ. ثُمَّ وُصِفَتْ ﴿لا مَقْطُوعَةٍ﴾ أيْ: لَا تَنْقَطِعُ(٥) كَمَا يَنْقَطِعُ ثِمَارُ الدُّنْيَا في الشِّتَاءِ. ولَا يَمْتَنِعُ بِبُعْدِ مُتَنَاوَلٍ، أَوْ شَوْكٍ، يُؤْذِي اليَدَ.

وَقِيلَ: «لا مَقْطُوْعَةٍ» بِالأَزْمَانِ، «وَلَا مَمْنُوْعَةٍ» بِالأَثْمَانِ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَفَواكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٦).

أَيْ: مِنْ ثِمَارِ الأَشْجَارِ، الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُؤْكَلَ دُوْنَ الثَّمَرِ، المُرِّ.

***

---

(١) الواقعة: ٢٠.

(٢) ﴿وَفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ وقوله ساقط من (ك).

(٣) الواقعة: ٣٢، ٣٣.

(٤) في (أ): ذكراً

(٥) في (أ): ينقطع. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) المرسلات: ٤٢.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيْلاً﴾ [١].

قَالَ مُجَاهِدٌ[٢]: مَعْنَاهُ: إِنْ قَامَ، ارْتَفَعَتْ، وَإِنْ قَعَدَ، تَدَلَّتْ عَلَيْهِ، وَإِنْ اضْطَجَعَ، تَدَلَّتْ عَلَيْهِ، حَتَّى يَنَالَهَا.

وَقِيلَ[٣]: لا يَرُدُّ أَيْدِيَهُمْ عَنْهَا بُعْدٌ، وَلَا شَوْكٌ.

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُوْرِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ [٤].

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ[٥]: يَلْطُفُ اللهُ لَهُمْ فِي التَّوْبَةِ، حَتَّى يَذْهَبَ حِقْدُ العَدَاوَةِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيْلاً﴾ [٦] الظِّلُّ[٧] الظَّلِيلُ، هُوَ سِتْرُ الشَّمْسِ اللَّازِمُ. وَالمُرَادُ ـ فِي الآيَةِ ـ: الجَنَّةُ.

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ[٨]: يُقَالُ: فُلَانٌ فِي ظِلِّ فُلَانٍ. أَيْ فِي عِزِّه، وَمَنَعِهِ.

---

(١) الإنسان: ١٤.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ٢١٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٤١٠. الدرّ المنثور: ٨: ٣٧٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٩: ١٣٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٩: ١٣٩ معزواً إلى قتادة.

(٤) الأعراف: ٤٣.

(٥) هو أبو علي الطبرسيّ: أُنظر: مجمع البيان: ٢: ٤٢٠.

(٦) النساء: ٥٧.

(٧) (الظلّ) سقطت من (ح).

(٨) جمهرة اللغة: ١: ١٥٣ مادّة (ظلل).

وَقَالَ المُبَرِّدُ: أَهْلُ الجَنَّةِ فِي ظِلٍّ، لَا فِي فَيْءٍ. لأَنَّهُ لا شَمْسَ فِيْهَا، كَمَا قَالَ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ (١).

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾ (٢).

أَيْ: فِي الدُّنْيَا بِمَا أَنْعَمَ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ فُنُونِ الإِحْسَانِ. وَفِي الآخِرَةِ: مَا يَفْعَلُ بِهِمْ مِنَ الثَّوابِ، وَالعِوَضِ، وَضُرُوبِ التَّفَضُّلِ.

وَالآخِرَةُ ـ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ دَارَ تَكْلِيفٍ ـ فَلَا يَسْقُطُ فِيْهَا الحَمْدُ، وَالاعْتِرَافُ بِنِعَمِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ.

قَالَ أَبُو الهُذَيْلِ(٣): يَكُونُونَ مُضْطَرِّيْنَ لِفِعْلِ ذَلِكَ لِمَعرِفَتِهِمْ(٤)، الضَّرُورِيَّةِ بِنِعَمِ اللهِ ـ تَعَالَى(٥) ـ عَلَيْهِمْ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُمْ مُخَيَّرُونَ فِي أَفْعَالِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٦). فَيَجُوزُ أَنْ يَشْكُرُوا بِاللِّسَانِ، إِنْ وَجَدُوا فِيهِ لَذَّةً، وَلَا يَجُوزُ بِالْقَلْبِ، لأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الاعْتِقَادَاتِ.

---

(١) الواقعة: ٣٠.

(٢) القصص: ٧٠.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (أ): لمعرفيهم. بالياء المثنّاة من تحت. وهو تصحيف.

(٥) (تعالى) سقطت من (ح).

(٦) الواقعة: ٢٠، ٢١.

وَمِنْ حَمْدِ أَهْلِهَا: ﴿الْـحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ...﴾ الآية[١]، وَقَـوْلُهُمْ: ﴿الْـحَمْدُ لله الَّذِي هَدانا لِهذا...﴾ الآية[٢]، وَقَوْلُهُمْ: ﴿الْـحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْـحَزَنَ﴾ [٣].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ [٤].

الخُلُودُ، اللُّزُومُ[٥] أَبَـدَاً، وَالبَقَـاءُ و/ ٢٠٣/ الوجُـودُ وَقْتَـيْنِ[٦]، فَصَـاعِدَاً، وَلِذَلِكَ لَمْ يَصُحَّ ـ في صِفَاتِ الله ـ تَعَالَى[٧] ـ خَالِدٌ. وَجَازَ: بَاقٍ، وَمَوْجُودٌ[٨].

***

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْـمَكْنُونِ﴾ [٩].

---

(١) الزمر: ٧٤.

(٢) الأعراف: ٤٣.

(٣) فاطر: ٣٤.

(٤) البقرة: ١٦٢. وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

(٥) في (أ): اللزم. وهو تحريف.

(٦) في (أ): فتين. بسقوط الواو وبالفاء الموحّدة.

(٧) (تعالى) سقطت من (ح).

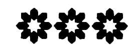
(٨) في (ش): موجوداً. بتنوين النصب.

(٩) الواقعة: ٢٢، ٢٣.

اتَّفَقَتِ الأُمَّةُ أَنَّ في الجَنَّةِ مُبَاشَرَةً. وَجَاءَ في[1] الحَدِيْثِ: أَنَّ في الجَنَّةِ جُمَاعَ مَا شِئْتَ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا في كَيْفِيَّتِهَا[2]: أَنَّهَا[3] تَكُونُ[4] بِالإِنْزَالِ، أَوْ بِغَيْرِهِ مِنَ اللَّذَاتِ الكَثِيْرَةِ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الجَنَّةَ، لا تَقْبَلُ الخَبَثَ، وَلَمْ تَحْمِلْ آدَمَ، وَحَوَّاءَ لَـمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ، وَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا.



(١) (في) سقطت من (ح).

(٢) في (ح): كيفيَّته.

(٣) في (ح): أنّه.

(٤) في (ح): يكون. بياء المضارعة المثنّاة من تحت.

فهرس الجزء الثالث

فصل [٢٨]

في قصَّة نبيِّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)

فصل [٢٩]

في قصَّة نبيِّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)

فصل [٣٠]

في قصّة نبيّنا محمد (عليه السلام)

فصل [٣١]

في قصّة نبيّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)

فصل [٣٢]

في قصّة نبيِّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)

فصل [٣٣]

في قصّة نبيِّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)

فصل [٣٤]

في قصّة نبيّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)

فصل [٣٥]

في قصّة نبيّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)

فصل [٣٦]

في قصَّة نبيِّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)

فصل [٣٧]

في قصّة نبيّنا محمّد (صلى الله عليه وآله)

[٤]

باب ما يتعلق بالإمامة

فصل [١]

وجود نبيٍّ أو إمام في كلِّ أُمَّة وفي كلِّ زمان

فصل [٢]

وجوب كون الإمام أفضل من رعيَّته

فصل [٣]

آيات أُنزلت في عليٍّ عليه السلام

فصل [٤]

عليٌّ عليه السلام السابق للإسلام وهو أفضلهم بعد النبي (ص)

فصل [٥]

عليٌّ السابق في الإيمان والجهاد والهجرة

فصل [٦]

عليٌّ أفضل الأُمّة بعد النبي (ص)

فصل [٧]

في فضائل عليٍّ عليه السلام من أفعال النبيّ (ص)

فصل [٨]

فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام في أحاديث النبي (ص)

فصل [٩]

في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

فصل [١٠]

في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

فصل [١١]

في أفضلية الحسن والحسين عليهما السلام

فصل [١٢]

الحسن والحسين عليهما السلام ذرّية محمّد (ص)

فصل [١٣]

في أُولي الأمر وتعيين صفاتهم

فصل [١٤]

في وصيّة الأنبياء عليهم السلام

فصل [١٥]

أحاديث في إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام

فصل [١٦]

الأدلّة على إمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام

فصل [١٧]

في أُولي القربى

فصل [١٨]

في كون الجدّ أباً

فصل [١٩]

في طهارة آباء النبيِّ (ص) وإيمان أبي طالب

فصل [٢٠]

آيات هي أليقُ بعليٍّ وأهل البيت عليهم السلام

فصل [٢١]

آيات نزلت في عليٍّ عليه السلام

فصل [٢٢]

في كون عليٍّ عليه السلام هو السابق إلى الإسلام وفي معنى الصحبة

فصل [٢٣]

في إثبات العصمة لعليٍّ عليه السلام ونفيها عن غيره

فصل [٢٤]

في كون الإمامة ليست دعوى أو وراثة بل هي نصٌّ

[٥]

باب المفردات

فصل [١]

في التوبة وفي توبة الإلجاء

فصل [٢]

في الإحباط

فصل [٣]

في الظُّلم

فصل [٤]

في الرّزق

فصل [٥]

في الأجل

فصل [٦]

في الموت

فصل [٧]

في الرَّجعة

فصل [٨]

في عذاب القبر

فصل [٩]

في الأبناء لا يؤاخذون بذنب الآباء

فصل [١٠]

في أحوال المجرمين يوم القيامة

فصل [١١]

في معنى اليوم والشهر والبكرة والعشيّ

فصل [١٢]

في حساب يوم القيامة

فصل [١٣]

في وصف أحوال جهنّم والعذاب فيها

فصل [١٤]

في الشّفاعة

فصل [١٥]

في الجنّة وأوصافها وأحوال أهلها